وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الاسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى أحمد ضيف

الجزء الثانى

للسنة الرابعة والخامسة الثانويتين

حق الطبع للمدارس الأميرية محفوظ للوزارة

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٥



وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الاسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى أحمد ضيف

الجزء الثانى

للسنة الرابعة والخامسة الثانويتين

حق الطبع للمدارس الأميرية محفوظة للوزارة

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٥

فهرس الكتاب

العصر الجاهلى

الشعر

صفحة

١ — امرؤ القيس ١
قطعة من معلقته " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل " .

٢ — زهير بن أبى سلمى ٧
قطعة من معلقته " أمن أم أوفى دمنة لم تكلم " .

٣ — عمرو بن كلثوم ١٢
قطعة من معلقته " ألا هبى بصحنك فأصبحينا " .

٤ — عنترة بن عمرو بن شدّاد ١٦
قطعة من معلقته " هل غادر الشعراء من متردّم " .

٥ — لبيد بن ربيعة ٢٢
قطعة من معلقته " عفت الديار محلها فمقامها " .

٦ — النابغة الذبيانى ٢٧
قطعة من قصيدته " كلينى لهم يا أميمة ناصب " .

٧ — أعشى قيس... ... ... ٣١
قطعة من قصيدته " ودع هريرة إن الركب مرتحل " .

٨ — طرفة بن العبد ٣٨
قطعة من قصيدته "لخولة أطلال ببرقة ثهمد" ٣٨ ، قطعة من قصيدته "سائلوا عنا الذى يعرفنا " ٤٢

صفحة

٩ — تأبط شرا ٤٦

قطعة من قصيدته " يا عيد ما لك من شوق و إيراق " .

١٠ — الحارث بن حلزة ٥٠

قطعة من معلقته " آذنتنا ببينها أسماء " .

عصر صدر الإسلام وبنى أمية

آيات من القرآن الكريم ٥٥

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال... ... ... ٦٤

الشعر

١ — كعب بن زهير... ... ... ٦٦

قطعة من قصيدته " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول " .

٢ — قتيلة بنت النضر ٧٠

قصيدة " يا راكبا إن الأثيل مظنة " .

٣ — المثقب العبدى ٧١

قطعة من قصيدة " أفاطم قبل بينك متعينى " .

٤ — مالك بن الريب التميمى ٧٦

قطعة من قصيدة " ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة " .

٥ — أعشى باهلة ٨٠

قصيدة " إنى أتتنى لسان ما أسربها " .

٦ — الخنساء ٨٤

قصيدة " ما هاج حزنك أم بالعين عوار " .

٧ — حسان بن ثابت ٨٧

قطعة من قصيدته " تبلت فؤادك فى المنام خريدة " ٨٧ ، من قصيدة " أسألت رسم الدار أم لم تسأل " ٨٩

صفحة

٨ — الحطيئة ٩١

من قصيدة " ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند" ٩١ ، من قوله يهجو الزبرقان "والله ما معشر لاموا امرأ جنبا " ٩٤

٩ — الأخطل ٩٥

من قوله " بكر العواذل يبتدرن ملامتى " .

١٠ — الفرزدق ٩٩

من قوله يهجو جريرا " يابن المراغة والهجاء اذا التقت " ٩٩ ، من قوله يمدح سعيد بن العاص " وكوم تنعم الأضياف عينا " ١٠٢

١١ — جرير ١٠٥

من قوله يمدح عبد الملك بن مروان " أتصحو أم فؤادك غير صاح " ١٠٥ ، من قوله يردّ على الفرزدق " لمن الديار ببرقة الروحان " ١٠٧

١٢ — القطامى ١١٤

من قصيدته " ما اعتاد حب سليمى حين معتاد " .

١٣ — ذو الرمة ١٢٠

من قصيدته " أراح فريق جيرتك الجمالا " .

١٤ — ابن قيس الرقيات ١٢٥

من قصيدته " لم يصح هذا الفؤاد من طربه " ١٢٥ ، من قصيدته " أقفرت بعد عبد شمس كداء " ١٢٨

١٥ — قطرى بن الفجاءة ١٣١

" لعمرك إنى فى الحياة لزاهد " .

١٦ — عمران بن حطان ١٣٣

" يا روح كم من أخى مثوى نزلت به " ١٣٣ ، " إن التى أصبحت يعيا بها زفر " ١٣٤

١٧ — الكميت ١٣٥

" طربت وما شوقا الى البيض أطرب " .

صفحة

١٨ — جميل بن معمر ١٣٨

" ألا ليت أيام الصفاء جديد " .

١٩ — عمر بن أبي ربيعة ١٤١

" قال لى صاحبى ليعلم ما بى " ١٤١ ، " ألم تسأل الأطلال والمتربعا " ١٤٢

٢٠ — كثير عزة ١٤٥

" خليلى هذا ربع عزة فاعقلا " .

النثر فى ذلك العصر

١ — من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤٨

جملة من كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه ١٤٨

جملة من أحاديث « « « ١٥٢

٢ — أبو بكر الصديق ١٥٣

خطبته يوم السقيفة ١٥٣ ، وصيته لعمر ١٥٤ ، قوله فى مرض الموت ١٥٥

٣ — عائشة ١٥٦

٤ — عمر بن الخطاب ١٥٦

رسالته فى القضاء ١٥٦ ، كتاب له الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل ١٥٨

٥ — عثمان بن عفان ١٥٩

خطبة له ١٥٩ ، كتاب له الى على ١٦٠

٦ — على بن أبى طالب ١٦٠

خطبة له فى الجهاد ١٦٠ ، كتاب له الى معاوية ١٦٣

٧ — معاوية بن أبى سفيان ١٦٤

٨ — زياد بن أبيه ، " خطبته البتراء " ١٦٥

٩ — عبد الله بن الزبير ، " خطبة له بعد قتل أخيه مصعب " ١٦٨

١٠ — قطرى بن الفجاءة ، خطبة له ١٦٩

صفحة

١١ — الحجاج بن يوسف ، خطبة له ١٧١

١٢ — عبد الحميد الكاتب ، من رسالته الى الكتاب ١٧٣

طائفة من أمثال العرب فى الجاهلية والإسلام ١٧٥

العصر العباسى الأول

الشعر

١ — ابن هرمة (مختار من شعره) ١٧٩

٢ — بشار بن برد (« «) ١٨٢

٣ — السيد الحميرى (« «) ١٨٨

٤ — مروان بن أبى حفصة (« «) ١٩٠

٥ — العباس بن الأحنف (« «) ١٩٣

٦ — أبو نواس (« «) ١٩٥

٧ — أبان اللاحق (« «) ٢٠٥

٨ — مسلم بن الوليد (« «) ٢٠٧

٩ — أبو العتاهية (« «) ٢١٧

١٠ — أبو تمام (« «) ٢٢٢

١١ — دعبل الخزاعى (« «) ٢٣٦

١٢ — على بن الجهم (« «) ٢٤٢

١٣ — الحسين بن الضحاك (« «) ٢٤٦

١٤ — ابن الرومى (« «) ٢٤٨

١٥ — البحترى (« «) ٢٥٨

١٦ — ابن المعتز (« «) ٢٨٠

صفحة

النثر الفني

١ — ابن المقفع (مختار من نثره) ٢٨٥
٢ — أحمد بن يوسف (« «) ٢٨٧
٣ — الحسن بن سهل (« «) ٢٨٩
٤ — قطعة تمثل أدب البرامكة ٢٩٠
٥ — الصولى (مختار من نثره) ٢٩٣

النثر العلمى

١ — أبو يوسف قطعة من كتاب الخراج ٢٩٦
٢ — قطعة من كتاب التاج المنسوب للجاحظ ٢٩٧
٣ — « « الكامل للمبرد ٢٩٨
٤ — « من تاريخ الطبرى ٣٠٠
٥ — قصة من ألف ليلة وليلة ٣٠١

العصر العباسى الثانى

خراسان والعراق

الشعر

١ — الشريف الرضى (مختار من شعره) ٣٠٧
٢ — مهيار الديلمى (« «) ٣٠٩
٣ — أبو سعد الكاتب (« «) ٣١١
٤ — ابن لنكك (« «) ٣١٢
٥ — القاضى التنوخى (« «) ٣١٢
٦ — أبو القاسم الدينورى (« «) ٣١٣

صفحة
٧ — ابن المنجم (مختار من شعره) ٣١٣
٨ — الضبي (« «) ٣١٤
٩ — أبو الفضل الميكالي (« «) ٣١٤
١٠ — الأبيوردي (« «) ٣١٥
١١ — الطغرائي (« «) ٣١٦
١٢ — الشهرزوري (« «) ٣١٨

النثر الفني

١ — ابن العميد (مختار من نثره) ٣١٩
٢ — ابن عباد (« «) ٣٢١
٣ — الخوارزمي (« «) ٣٢٣
٤ — بديع الزمان (« «) ٣٢٦
٥ — الحريري (مقامة من مقاماته) ٣٣١

النثر العلمي

١ — قطعة من كتاب الخصائص لابن جني ٣٣٩
٢ — دلائل الإعجاز للجرجاني ٣٤٠

الأدب في مصر والشام

الشعر

١ — المتنبي (مختار من شعره) ٣٤٣
٢ — أبو فراس الحمداني (« «) ٣٥٦
٣ — أبو العلاء المعرّي (« «) ٣٦٠
٤ — كشاجم (« «) ٣٧٠

صفحة

٥ — أبو الفرج الببغاء (مختار من شعره) ٣٧١
٦ — عبد المحسن الصورى (« «) ٣٧٢
٧ — تميم بن المعز الفاطمى (« «) ٣٧٣
٨ — أبو الحسن التهامى (« «) ٣٧٤
٩ — عمارة اليمنى (« «) ٣٧٦
١٠ — القاضى الفاضل (« «) ٣٧٨
١١ — ابن قلاقس (« «) ٣٨٠
١٢ — ابن النبيه المصرى (« «) ٣٨٢
١٣ — ابن مطروح (« «) ٣٨٤
١٤ — البهاء زهير (« «) ٣٨٤

النثر الفنى

١ — أبو الفرج الببغاء (مختار من نثره) ٣٨٨
٢ — ابن الصيرفى (« «) ٣٩٠
٣ — القاضى الفاضل (« «) ٣٩٢

النثر العلمى

١ — قطعة من مقدّمة اللزوميات للمعرى ٣٩٣

الأندلس

الشعر

١ — ابن هانئ الأندلسى (مختار من شعره) ٣٩٥
٢ — ابن برد الأصغر (« «) ٤٠٠
٣ — أحمد بن عبد ربه (« «) ٤٠١
٤ — ابن زيدون (« «) ٤٠٢

صفحة

٥ — أبو بكر بن عمار (مختار من شعره) ٤٠٥

٦ — ابن وهبون (« «) ٤٠٧

٧ — ابن خفاجة (« «) ٤٠٨

٨ — ابن سهل (« «) ٤١١

٩ — ابن الخطيب (« «) ٤١٤

النثر الفنى

١ — ابن زيدون (نبذة من رسالته الجدية) ٤١٥

٢ — الفتح بن خاقان (نبذة من قلائد العقيان) ٤١٧

٣ — أبو عمرو البـاجى (قطعة من نثره) ٤١٩

٤ — ابن خفاجة (« «) ٤٢٠

٥ — أبو عامر بن عقال (« «) ٤٢١

النثر العلمى

١ — قطعة من كتاب المخصص لابن سيده ٤٢٢

المغرب وممـالك البربر

الشـــعر

١ — على بن محمد الايادى (مختار من شعره) ٤٢٣

٢ — ابراهيم الرقيق القيروانى (« «) ٤٢٥

٣ — أبو عبدالله محمد القزاز (« «) ٤٢٦

٤ — ابراهيم الحصرى القيراونى (« «) ٤٢٧

٥ — ابن رشيق (« «) ٤٢٧

صفحة

٦ — ابن شرف (مختار من شعره) ٤٢٩

٧ — ابن حمديس (« «) ٤٣٠

النثر الفنى

١ — التلمسانى (مختار من نثره) ٤٣٢

النثر العلمى

١ — ابن شرف (قطعة من كتابه أعلام الكلام) ٤٣٤

عصر المماليك العثمانيين

الشعر

١ — شمس الدين الكوفى (مختار من شعره) ٤٣٧

٢ — بدر الدين يوسف الذهبى (« «) ٤٣٨

٣ — الشاب الظريف (« «) ٤٣٩

٤ — السراج الوراق (« «) ٤٤٢

٥ — نصير الدين الحمامى (« «) ٤٤٣

٦ — ابن الوردى (« «) ٤٤٥

٧ — صفى الدين الحلى (« «) ٤٤٧

٨ — ابن نباته (« «) ٤٥٣

٩ — ابن قرناص (« «) ٤٥٧

١٠ — الشهاب الخفاجى (« «) ٤٥٩

١١ — السيد عبد الرحيم العباسى (« «) ٤٦٠

النثر الفني

١ — محيي الدين بن عبد الظاهر (قطعة من نثره) ٤٦١
٢ — ابن حبيب الحلبي (مختارات من كتابه نسيم الصبا)... ٤٦٣
٣ — الشهاب الخفاجي (المقامة الساسانية) ٤٦٦

النثر العلمى

١ — الدميرى (من كتابه حياة الحيوان) ٤٧٠
٢ — ابن خلدون (نبذة من مقدّمته) ٤٧٢
٣ — المقريزى (« الخطط) ٤٧٤
٤ — شمس الدين النواجى (« حلبة الكميت) ٤٧٥

العصر الحديث

الشعر

١ — الخشاب (مختار من شعره) ٤٧٧
٢ — الشيخ حسن العطار (« «) ٤٧٩
٣ — السيد على الدرويش (« «) ٤٨٠
٤ — الشيخ الشهاب (« «) ٤٨٣
٥ — الشيخ ناصيف اليازجى (« «) ٤٨٤
٦ — السيد محمد صالح مجدى (« «) ٤٨٥
٧ — السيد على أبو النصر (« «) ٤٨٦
٨ — صفوت الساعاتى (« «) ٤٨٨
٩ — عبد الله باشا فكرى (« «) ٤٨٩
١٠ — الشيخ على الليثى (« «) ٤٩٣
١١ — السيد عبد الله النديم (« «) ٤٩٥

	صفحة
١٢ — محمود باشا سامى البارودى (مختار من شعره)	٤٩٦
١٣ — حفنى بك ناصف (« «)	٥٠٢
١٤ — اسماعيل باشا صبرى (« «)	٥٠٥
١٥ — ولى الدين يكن (« «)	٥١٠
١٦ — الشيخ محمد عبد المطلب (« «)	٥١٢
١٧ — حافظ ابراهيم بك (« «)	٥١٧
١٨ — شوقى بك (« «)	٥٢٥

النثر الفنى

١ — الشيخ حسن العطار (مختار من نثره)	٥٣٧
٢ — الشيخ نصيف اليازجى (« «)	٥٣٨
٣ — أحمد فارس الشدياق (« «)	٥٤٤
٤ — عبد الله باشا فكرى (« «)	٥٤٥
٥ — السيد عبد الله نديم (« «)	٥٤٩
٦ — السيد جمال الدين الأفغانى (« «)	٥٥١
٧ — مصطفى بك نجيب (« «)	٥٥٢
٨ — ابراهيم بك المويلحى (« «)	٥٥٤
٩ — الشيخ ابراهم اليازجى (« «)	٥٥٦
١٠ — مصطفى باشا كامل (« «)	٥٥٨
١١ — الشيخ أحمد مفتاح (« «)	٥٦٢
١٢ — الشيخ على يوسف (« «)	٥٦٣
١٣ — الشيخ حمزة فتح الله (« «)	٥٦٦
١٤ — حفنى بك ناصف (« «)	٥٦٨

صفحة

١٥ — السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (مختار من نثره) ٥٧٣

١٦ — سعد باشا زغلول (« «) ٥٧٥

١٧ — محمد بك المويلحى (« «) ٥٧٧

النثر العلمى

١ — الجبرتى (نبذة من تاريخه) ٥٨٢

٢ — الشيخ حسين المرصفى (« كلامه) ٥٨٣

٣ — الشيخ محمد عبده (« رسالة التوحيد) ... ٥٨٤

٤ — قاسم بك أمين (« كتابه تحرير المرأة) ٥٨٦

٥ — فتحى باشا زغلول (« مقدمة كتاب سر تقدم الإنكليز) ٥٨٨

٦ — جرجى بك زيدان (« كتابه تاريخ آداب اللغة العربية) ٥٩٠

٧ — الشيخ محمد بك الخضرى (« كتابه تاريخ الأمم الإسلامية) ... ٥٩٤

العصر الجاهلى

(١) الشـــعر

(١) لامرئ القيس من معلقته :[1]

قِفَا نَبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ [2]

* * *

وقد أَغتدِى ، والطيرُ فى وُكُنَاتِها بمُنجَردٍ قيْـدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ [3]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كجُلْمودِ صخرٍ حطّه السيلُ من عَلِ [4]

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى أشهر شعراء الجاهليـة ، وأحد الأربعـة المقدّمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للاثنين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء فى مخاطبة الاثنين ، ولو كان المراد واحدا ، لأن أقل الرفقة فى السفر ثلاثة . وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع بنجد بينها سقط اللوى منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذى كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبىّ قفا معى هنا وأسعدانى بالبكاء ؛ لتذكرى العيش الذى قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل فى هـذا المكان الذى بين الدخول وحومل الخ .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبـل طلوع الشمس . والوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو يبيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعر أى القصيره ، وذلك من محاسن الخيـل . والأوابد : جمع آبد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الضخم (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راكبا فرسا أجرد ضخما كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنه يحاذيها فى الجرى و يكون بجانبها ؛ حتى كأنهـا واقفة مقيدة ، فيسهل على راكبه صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذه عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفرّ : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معـا) أى أن هاتين الصفتين اجتمعتا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ على أنه لو أراد ذلك لكان من المبالغات المقبولة فى الشـعر ، أى أنه إذا وصل الإقبال بالإدبار كانا فى رأى العين كأنهما حركة واحدة فى وقت واحد لا تحس العين الفـرق بينهما . ثم إنه شبهه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال . وفيه إشارة إلى صلابته .

كُمَيْتٍ يزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزِّلِ (١)
على الذبْلِ جَيَّاشٍ، كأنَّ اهْتِزامَهُ إذا جاشَ فيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (٢)
مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ علَى الوَنَى أثَرْنَ الغُبارَ بالكَدِيدِ المُرَكَّلِ (٣)
يَزِلُّ الغلامُ الخِفُّ عن صَهَواتِهِ ويُلوِي بأثوابِ العنيفِ المُثَقَّلِ (٤)
دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الوليدِ أمَرَّهُ تتابُعُ كفَّيْهِ بخيطٍ مُوَصَّلِ (٥)

(١) الكميت : الفرس الأحمر الذى تميل حمرته إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمتنزل بصيغة اسم الفاعل : السيل أو المطر الذى ينزل الصخور و يجرّها إلى أسفل (المعنى) أنه فرس مكتنز اللحم أملس الظهر، وللاسته يزل اللبد الذى يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجياش : الذى يجيش فى عدوه كما تجيش القدر فى غليانها . والاهتزام : شدّة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحميه : غليه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه فى استرسال عدوه قدر تغلى وتجيش لازدياد عدوه كلما واصل الجرى وهزيم جوفه .

(٣) المسح : الذى يسح العدو سحا كالمطر . والسابحات : الخيل التى تسبح فى عدوها وتبسط أيديها كالسباح فى الماء . والونى : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذى تركله الخيل بأرجلها (المعنى) أن هذا الفرس عند ما تفتر الخيل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار — لا يفتر هو؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركبه الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، وإذا ركبه العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدّة قوّته .

(٥) درّ الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والخذروف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهى شظية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، و يدخل فيه خيط ، فيجرّ الصبى الخيط بيديه فتدور الشظية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمرّ الخيط : أحكم فتله . شبه الفرس فى شدّة عدوه بسرعة الخذروف فى دورانه . ووصف الخيط بأنه موصل إشارة الى أن اللاعب صبى كثير اللعب بالخذروف حتى أن الخيط يتقطع فيصله .

لهُ أيطَلا ظَبْىٍ ، وساقا نَعـامَةٍ ، و إرخاءُ سِرْحانٍ، وتقريبُ تَتْفُلِ (١)

ضَليعٍ إذا اسـتدبرتَه سَــدَّ فرجَهُ بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعزلِ (٢)

كأَنَّ على المَتْنيْنِ منــه إذا انْتحى مداكَ عروسٍ، أو صَلايةَ حَنظلِ (٣)

كأَنَّ دِماءَ الهـادياتِ بنَحْرِه عُصـارةُ حِنّـاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّلِ (٤)

فعَنَّ لنـا سِرْبٌ كأَنَّ نِعاجَه عَذارَى دَوارٍ فى مُـــلاءٍ مُذَيَّـلِ (٥)

فأدبَرْنَ كالجَـزْعِ المفصَّلِ بينَــه بجِيــدِ مُعِمٍّ فى العشـيرةِ مُخْــوَلِ (٦)

(١) أيطلا الظبي ونحوه : خاصرتاه ، وخص الظبي لضمور أيطليه . والإرخاء : الجرى الذى فيــه سهولة . والسرحان : الذئب . والتتفل : ولد الثعلب . وتقريب الفرس فى العدو : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هــذا الفرس فيــه عدّة محاسن ، فخاصرتاه ضامرتان ، وساقاه طو يلتان صليبتان . وهو فى جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفى الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هــذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، سابغ الذنب بحيث إذا نظرت إليه من خلفــه رأيت ذنبه يسدّ الانفراج الذى بين فخذيه ، وذنبه فو يق الأرض ليس بقصير ولا طو يل طولا فاحشا فيطأه الفرس برجليه ، وليس هذا الذنب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظهر — والمراد بالمتنين هنا جانبا ظهره — وانتحى : وقف فى ناحيــة من البيت . والمــداك : الحجر الذى يداك به الطيب أى يسحق . والصــلاية : الصخرة الملساء يدق بهـا لب الحنظل (المعنى) أن هــذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مسرج رأيت ظهره براقا أملس كأنه مداك العروس أو صلاية الحنظل ، وخص العروس لاهتمامها بأمر الطيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية . وهنّ الأوائل والمتقدّمات فى السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس يلحق أوائل الوحش بله أواخرها ، فعند ما يطعنها أو يضربها راكبه يصيب رشاش دمائها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحمرة ؛ فكأنّ عصارة حناء صبغت منه شعرا شائبا مسرحا . و يفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكميت بيضاء .

(٥) عنّ : ظهر . ودوار (بفتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذى لون ذيله أســود (المعنى) ظهر لنـا سرب من بقر الوحش كأنّ نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لابسات ملاءات سود الذيول : وذلك لأن بقر الوحش بيض الظهور سود القوائم .

(٦) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والبياض فى الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذى له أعمام وأخوال كرام ؛ فهو عزيز على أهله =

فألحقنا بالهاديات ، ودونه جواحرها فى صرّة لم تزيّل (١)

فعادى عداءً بين ثور ونعجة دراكًا ، ولم ينضح بماء فيغسل (٢)

فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجّل (٣)

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترقّ العين فيه تسفّل (٤)

فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائمًا غير مرسل (٥)

= يقلدونه قلائد الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر ، فردها على أعقابها ، فدارت حيرة ، وكانت أشبه بقلادة جزع فرق بين خرزاتها بخرزات أخرى ، وكانت هذه القلادة فى عنق صبى كريم على أهله ؛ فبذلك تكون خرزاتها أجود وأصفى .

(١) الجواحر : المتخلفات . والصرة : الجماعة . وتزيل : أصله تتزيل ، أى لم تتفرق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش ، وبقيت أواخرها لم تتفرق كأنها لسرعته لم تشعر بما أصاب أوائلها ؛ فلم تذعر وتتفرق ، فأصبحت فى حكمنا أيضا .

(٢) المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصلا بين ثور ونعجة ، فأدركهما فى طلق واحد ، ولم يعرق عرقا يعم جسده ؛ حتى يصير كأنه غسل بماء .

(٣) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ . والصفيف من الشواء : ما صفف مرققا على الجمر . والقدير : ما طبخ فى القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد ، فمنهم من يشوى ، ومنهم من يطبخ فى القدر متعجلا . وجر لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج ؛ أى من بين منضج صفيف شواء . أو منضج قدير بالإضافة . فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ؛ فجر مثله .

(٤) الطرف : البصر . ورحنا : من الرواح أى الرجوع عشية . ويقصر : يحير دون إدراك محاسنه . (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا الى محاسن هذا الفرس ؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة ؛ فبينا يتجه النظر الى محاسن أعالى جسمه ، إذا بمحاسن أسافله تجذب النظر اليها ؛ فلا يمكننا حصر النظر فى شىء واحد من محاسنه .

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه ولجامه ، وبات بمرأى عينى قائما غير مطلق ؛ لأننا على سفر ، فنحن على استعداد لركوبه فى أى وقت وعند أى خطر . يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصل اليوم بالغد فى احتمال الركوب والعدو .

أصاحِ ترى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ ... كَلَمْعِ اليَـدَيْنِ فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (١)

يُضِىءُ سناهُ، أو مصابيحِ راهبٍ ... أمالَ السَّلِيطَ بالذُّبَالِ المُفَتَّلِ (٢)

قَعَدتُ له، وصُحبتِى بين ضَارِجٍ ... وبينَ العُذَيبِ، بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِي (٣)

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أيمنُ صَوْبِه، ... وأيسرُهُ على السِّتارِ فَيَذْبُلِ (٤)

فأضحى يَسُحُّ الماءَ حولَ كُتَيفةٍ ... يَكُبُّ على الأذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (٥)

ومَرَّ على القَنَانِ من نَفَيانِه ... فأنزَلَ منه العُصْمَ من كلِّ منزِلِ (٦)

---

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ فى وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحبى . والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبى من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحبو لثقله . والمكلل : المستدير (المعنى) ياصاحبى أنت ترى البرق الذى أريك لمعه كلمع اليدين وحركتهما السريعة فى إنذار وغضب — وهذا البرق يلمع فى سحاب متراكم مستدير .

(٢) المعنى كأن هذا البرق — حال كونه يضىء — لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت بذبال المصابيح المفتل ، وهى الفتيلة ، وفى الكلام قلب . أى أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ، أى أمال السليط مع الفتيلة الى جانب لتكون متغذية دائما بالزيت ، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتى : أصحابى . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعـدت لذلك البرق أنظر من أين يجىء بالمطر ، ويا بعد ما تأملت أى ما أبعده ، وبعد منصوب على النداء التعجبى وما زائدة .

(٤) قطن والستار ويذبل : أسماء ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق أخذ فى جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكان يساره على جبلى الستار ويذبل ، بحسب نظرنا وتقـديرنا .

(٥) كتيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهبل : شجر شائك (المعنى) فأضحى المطر يسح الماء حول كتيفة ويقلب سيله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنفيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشذ عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون اليك من طرف خفى) . والعصم : الوعول ، واحدها أعصم ، وهو ما كان فى معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد فى غيرها . (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

وتَيْمَاءُ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ ولا أُطُمًا إلا مَشِيدًا بجَنْدَلِ (١)
كأنَّ ثَبِيرًا في عَرانِينِ وَبْلِهِ كبِيرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ (٢)
كأنَّ ذُرَى رأسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً من السَّيْلِ والغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ (٣)
وألْقَى بصحراءِ الغَبِيطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ اليَمَانِى ذِى العِيابِ المُحَمَّلِ (٤)
كأنَّ مَكَاكِىَّ الجِواءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافًا من رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ (٥)

(١) وتيماء : كانت من مدن اليهود قديما في الجاهلية . وهى بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام الى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالى والحصن المرتفع أطما (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سيل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعا ولم يترك بها بناء قائما إلا اذا كان مشيدا بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) ثبير : اسم جبل . والعرانين : جمع عرنين وهو : أوّل الشيء ومقدمه . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزميل : اللف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شبه الجبل وقد غطاه الماء والغثاء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة اذ كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغثاء : ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المغزل : الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغثاء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط : من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغبيط : الأرض المنخفضة . والبعاع : الثقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثقل بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهى : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأنبتت نباتا حسنا . مختلفا ألوانه وأزهاره ؛ فكان نزوله بها كنزول التاجر اليمانى اذا جاء محملا بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيبا لهم في شرائها .

(٥) المكاكى : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحا . والسلاف : أوّل ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلفل : الذى يلذع لذع الفلفل أو الذى وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادى جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحا رحيق سلاف مفلفل فسكرت وطربت ..

كأَنَّ السباعَ فيـــه غرقَى عَشيةً ... بأَرجائه القُصْوى أَنابيشُ عُنْصُل (١)

(٢) لزُهَير بن أَبى سُلْمَى من معلقته التى مطلعها : (٢)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـــةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَـــوْمَانَة الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَـــلَّمِ (٣)

* * *

سَـعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعدَمَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِـــيرَةِ بِالدَّمِ (٤)

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِى طَافَ حَوْلَهُ ... رِجالٌ بَنَوْهُ : من قُرَيْش وجُرْهُمِ (٥)

---

(١) الســباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : بصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهى بعد النبش أنابيش ، جمع أنبوشة . أو لا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال فى بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجهه ، انه مقلوبة على ظهورها بادية خراطيم رءوسها وأطرافها ؛ فترى من بعد كأنها أنابيش عنصل .

(٢) هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح المزنى ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعــة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولا وأكثرهم تهذيبا لشعره ، وآل أبى سلمى نشأوا فى غطفان أحلافا لهم ، وإن كان نسبهم فى مزينة ، وتخرج زهير فى الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر فى زمانه ، ففاقهما فى الشعر ، وله ديوان شعر كثير منه فى مدح هرم بن سنان الذبيانى المرى ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها لحسن سعيه هو والحارث بن عوف فى الصلح بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . ومات قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٣) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنــة : ما اســودّ من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة الدراج والمتثلم : موضعان بنجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنــة لم تتكلم عند وقوفنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قولنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٤) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان فى الصلح بين العشــيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف الممدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السيدان فى الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفة والمودّة بالدم .

(٥) جرهم : قبيلة يمــانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

يمينًا لَنِعْمَ السيِّدان وُجِدْتُما ... على كلِّ حالٍ : من سَحيلٍ ومُبْرَمِ (١)
تَدارَكْتُما عبسًا وذُبيانَ بعدما ... تفانوا ، ودقُّوا بينهم عِطرَ مَنْشِمِ (٢)
وقد قُلتُما : إن نُدرِكِ السِّلْمَ واسعًا ... بمالٍ ومعروفٍ من الأمرِ - نَسْلَمِ
فأصبحتُما منها على خيرِ موطنٍ ... بعيدَيْنِ فيها من عُقوقٍ ومأثَمِ (٣)
عظيمَيْنِ فى عُلْيا مَعَدٍّ وغيرِها ... ومن يَستبِحْ كنزًا من المجدِ يَعظُمِ (٤)
فأصبح يجرى فيهم من تِلادِكم ... مغانمُ شتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ (٥)
تُعفَّى الكُلومُ بالمئينَ ، فأصبحتْ ... يُنجِّمُها من ليس فيها بمُجْرِمِ (٦)
فمن مُبلِغُ الأحلافِ عنِّى رسالةً ... وذُبيانَ : هل أقسمتمُ كلَّ مُقسَمِ (٧)
فلا تَكتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسِكم ... لِيَخفَى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ

(١) السحيل : الخيط أو الحبل يفتل فتلا واحدا ، والمبرم : ما يفتل خيطين ثم يفتلان ثانية ويجعلان خيطا واحدا (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنتما فى حال الرخاء وحال الشدة .

(٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب فى شدة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم : الإثم .

(٤) معد بن عدنان أبو القبائل النزارية ومنها الممدوحان .

(٥) التلاد من الإبل : ماولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزنم : فحل كريم من الإبل زنموا أذنه ، أى ميزوه بعلامة .

(٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نجوما أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يمحى أثرها ببذل المئين من الإبل يغرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما الممدوحان .

(٧) يريد بالأحلاف القبائل التى حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الانسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فان الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه فى يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمنا بالبعث .

يُؤَخَّرْ ، فيُوضَعْ فى كتابٍ ، فيُدَّخَرْ   لِيومِ الحِسابِ ، أو يُعَجَّلْ ، فيُنْقَمِ
وما الحربُ إلّا ما علمتمْ وذُقْتُمُ   وما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ (١)
مَتَى تَبْعَثُوها تبعثوها ذَمِيمَةً   وتَضْرَ إذا ضَرَّيْتُمُوها ، فتَضْرَمِ (٢)
فتعرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحا بِثِفالِها ،   وتَلْقَحْ كِشافًا ، ثُمَّ تَحْمِلْ ، فتُتْئِمِ (٣)
فتُنْتِجْ لكُمْ غِلْمانَ أشْأَمَ ، كُلُّهُم   كأحمرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فتَفْطِمِ (٤)
فتُغْلِلْ لكُمْ ما لا تُغِلُّ لأهلِها   قُرًى بالعِراقِ مِن قَفِيزٍ ودِرْهَمِ (٥)

---

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثى عن الحرب وتخويفكم و يلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم و يل الحرب وذقتموه ، فلا تقربوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضرمت النار تضرم : التهبت . (المعنى) متى تهيجوا الحرب تهيجوها مذمومة ، ويشتد حرها ، وتضطرم نارها .

(٣) العرك : الدلك ، والثفال : الجلد أو الخرقة توضع تحت الرحى ليقع عليها الطحين ، والباء فى « بثفالها » بمعنى « مع » و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاحا كشافا بأن تحمل فى عامين متواليين ، وتتئم أى تأتى فى كل مرة من المرتين بتوأمين . (المعنى) إذا هجتم الحرب طحنتكم طحن الرحى ، وتدوم زمنا طويلا فى شدة فتكون كالناقة التى تحمل حملين فى عامين متتابعين ثم هى لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشأم : مصدر من الشؤم على وزن أفعل أو صفة لمحذوف . وأحمر عاد لقب لعاقر ناقة صالح نبى ثمود عليه السلام ، وسموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، ويريد بعاد هنا ثمود : إما توهما وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشأم شؤم قدار عاقر الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتفطم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرورها .

(٥) أى فتغل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والهلاك .

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ ... بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ (١)
وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ ... فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا، وَلَمْ يَتَجَمْجَمِ (٢)
وَقَالَ: سَأَقْضِي حَاجَتِي، ثُمَّ أَتَّقِي ... عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَمِ (٣)
فَشَدَّ، وَلَمْ تَفْزَعْ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ ... لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ (٤)
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ، أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ (٥)
جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ ... سَرِيعًا، وَإِلَّا يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ (٦)

---

(١) يؤاتيهم: يوافقهم. (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم عن تلك الجريرة والجناية التى لا تجعلهم يوافقون على الصلح، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله: «وكان طوى كشحا الخ» وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا الحصين بن ضمضم قبيل الصلح، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالثأر بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله الى أن لقى رجلا من عبس فشدّ عليه وقتله، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه اذا غضبت عبس لقتيلها، فثارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل، وتم الصلح بين عبس وذبيان.

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستترة فى نفسه، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الحذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها.

(٣) أى وقال فى نفسه: سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى، وأدفع عن نفسى بألف فرس ملجم أى بألف فارس من قومى.

(٤) أم قشعم: كنية للمنية، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه. (المعنى) فشدّ الحصين على العبسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه، وإنما شدّ عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع.

(٥) يصف الحصين ويقول: كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه، ولم تقلم أظفاره، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب.

(٦) يصف الحصين بأنه جرىء اذا ظلم عاقب ظالمه سريعا بظلمه، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقته بنفسه.

رَعَوْا مارَعَوْا مِن ظِمْئِهِم، ثم أَوْرَدُوا غِمَاراً تَسِيل بالرماح و بالدم (١)
فَقَضَّوْا مَنَايَا بينهم، ثُمَّ أَصْدَرُوا إلى كَلَإٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ (٢)
لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِم رِمَاحُهُمْ دَمَ ابنِ نَهِيكٍ أو قَتِيلِ المُثَلَّمِ (٣)
وَلَا شَارَكُوا فى القومِ فى دَمِ نَوْفَلٍ، ولا وَهَبٍ مِنهم، ولا ٱبنِ المُخَزَّمِ
فَكُلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحوا يَعْقِلُونَه عُلَالَةَ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمِ (٤)
تُسَاقُ إلى قَومٍ لِقومٍ غَرَامَةً صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرِمِ
لِحَيٍّ حَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهم إذا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِى بِمُعْظَمِ (٥)

(١) يقال رعت الماشية الكلأ ورعاها صاحبها الكلأ أيضا، والظمء: ما بين الشربتين وحبس الإبل عن الماء الى غاية النوبة، والغمار: جمع غمر وهو الماء الكثير. و يريد بالظمء هنا و بورود الغمار الرجوع الى الحرب. (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدّة، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالرماح والدم.

(٢) قضوا: أنفذوا. وأصدروا: أرجعوا، والكلأ المستوبل: هو العشب الوبيل أى يجلب الوبال، والمتوخم بمعناه. (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلأ الوبيل. ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال: لعمرك الخ.

(٣) ابن نهيك، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلم، ونوفل، ووهب وابن المخزم كل هؤلاء عقلهم أمثال هرم بن سنان والحارث بن عوف، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم، و إنما غرموا تبرعا و إيثارا للصلح بين القبيلتين.

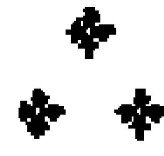
(٤) العلالة: الشىء بعد الشىء. والمصتم: التام. والمخرم: الطريق فى أعلى الجبل، (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعدها ألف أخرى من الابل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعالى الجبل لأجل الرعاية للقوم القاتلين.

(٥) الحى الحلال: الكثير العدد، أو المتقاربون فى المنازل، المعظم: الخطب العظيم. (المعنى) تساق هذه الابل، لأجل المحافظة على ولاء حى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

كِرامٍ، فلا ذُو الوِتْرِ يُدرِكُ وِتْرَه لَدَيْهِمْ، ولا الجَانِي عليهم بِمُسْلَمِ

(٣) لعَمرو بن كُلثوم من معلقته التى مطلعها : [١]

أَلَا هُبِّي بِصَحنِكِ فَاصْبَحِينا ولا تُبْقِي خُمورَ الأَنْدَرِينَا [٢]



أَبَا هِنْدٍ فلا تعجَلْ علَيْنا وأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا [٣]

بأنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضًا ونُصْدِرُهُن حُمْراً قَدْ رَوِينَا [٤]

وَأيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أن نَدِينَا [٥]

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قَد توَّجُوه بتاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينَا [٦]

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر: أى الثأر وتره منهم ، ولا الجانى عليهم بما جر عليهم من الجنايات فى العشائر الأخرى بمسلم أى مخذول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائهم المشهرين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر . وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب . قال هذه المعلقة فى ملاحاة وقعت بينه و بين الحارث بن حلزة اليشكرى فى مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند ، و يفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدح الواسع ، وأصبحينا أى أسقينا الصبوح وهو الشرب فى الصباح ، والأندرين : قرية جنوبى حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى بيضاء ، ونصدرها وهى حمراء ، وقد رويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم ، مشتق من أجحره اذا ألجأه الى المضيق .

تركنـا الخيْـلَ عاكفةً عليـه مُقَـلَّدةً أَعِنَّتَهـا صُـفونا (١)
وأَنْزَلْنـا البيوتَ بِذِى طُلُوحٍ إلى الشّـامَاتِ نَنْفِى المُوعِدينا (٢)
وَقد هرَّتْ كِلَابُ الحَىِّ مِنّا وشَـذَّبْنـا قَتَادةَ من يَلِينـا (٣)
مَتَى نَنْقُـلْ إلى قـوْمٍ رَحَانا يكونوا فى اللِّقَاءِ لهـا طَحِينَا
يكونُ ثِفَالُهـا شَرْقِىَّ نَجْـدٍ ولُهْوَتُهـا قُضـاعة أَجمَعِينـا (٤)
نَزَلْتُمْ مَنزِلَ الأَضْـيافِ منّـا فأَعْجَلْنـا القِرَى أن تَشْـتِمونا (٥)
قَرَيْنَـاكُمْ فعَجَّلْنـا قِراكُمْ قُبَيْلَ الصُّـبْحِ مِرْداةً طَحونَا
نَعُمُّ أُناسَـنا ، ونَعِفُّ عنهـمْ ونَحْمِـلُ عنهُـمُ ما حَمَّلُونا (٦)

(١) أى قتلناه واسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه ضافنة . والصافن : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعيا .

(٢) ذو طلوح : مكان جنوبى نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا ، وننفى الموعدين أى نزيل من بين هذين البلدين من الأعداء ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، وننزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نبحت خوفا ، والتشـذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكها ، والقتادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من يلينا و يقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقة تجعـل تحت الرحى يسقط عليها الطحين ، واللهوة : القبضة من الحب تلقى فى الرحى (المعنى) أن كيدنا وحربنا تشبه الرحى ، وهذه الرحى تدور بالحرب فى شرقى نجد وتلتهم قضاعة أجمعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسـخر بأعدائه و يقول : نزلتم علينا فى إغارتكم كالأضياف ، فعجلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسر بها الحجارة و يدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بخيرنا اذا أيسرنا ، ونعف عن أموالهم اذا أعسرنا ، ونحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع .

نُطاعِنُ ما تَرَاخَى الناسُ عنّا ... ونَضرِبُ بالسُّيوفِ إذا غُشِينا (١)

بِسُمْرٍ مِن قَنا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ... ذَوابِلَ ، أو بِبِيضٍ يَعْتَلِينا (٢)

نَشُقُّ بها رءُوسَ القَوْمِ شَقًّا ... ونُخْلِيها الرِّقابَ، فتَخْتَلِينا

كأَنَّ جَماجِمَ الأبْطالِ فيها ... وُسُوقٌ بالأَماعِزِ يَرْتَمِينا (٣)

وأن الضِّغْنَ بعدَ الضِّغْنِ يبدو ... عليك، ويُخرِجُ الداءَ الدَّفِينا (٤)

ورِثْنا المجْدَ قد عَلِمتْ مَعَدٌّ ... نُطاعِنُ دونَهُ حتى يَبِينا (٥)

ونحنُ إذا عِمادُ الحَيِّ خرّت ... على الأَحْفاضِ نَمنَعُ من يَلِينا (٦)

نَجُدُّ رءُوسَهم في غيرِ بِرٍّ ... فما يَدرونَ ماذا يتَّقُونا (٧)

---

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرماح اذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا ، فاذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى يطاعن بها، فقال : إنها سمر لذبولها وجفاف مائها ، وانها من القنا الخطىّ أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابة . و وصف السيوف فقال إنها بيض تعتلى الرءوس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع المحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى نجعل الرقاب لها كالخلا ، فتختليها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحمل .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول : تعلم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم نفرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزايلنا ويخفى عنا .

(٦) العماد : جمع عمود ، وخرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفض (كسبب) وهو متاع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والظعن (المعنى) نحن لا يطمع فينا فى ظعن ولا إقامة ؛ فنحمى أنفسنا ، ونمنع من يلينا من أعدائنا منا .

(٧) أى فنقطع رءوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، وندهمهم ؛ فلا يدرون أى شىء يجانبونه ويبتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كأنّ سُـيوفَنا فينا وفيهم ... مخاريقٌ بأيـدى لاعبينا (١)
كأن ثيابَنا منّا ومنهم ... خُضِبْنَ بأُرْجُوانٍ أو طُلينا (٢)
إذا ما عَىَّ بالإسْنافِ حَىٌّ ... من الهَوْلِ المشبَّه أن يكونا (٣)
نَصَبْنَا مثلَ رَهْوَةَ ذاتَ حَدٍّ ... مُحافظةً، وكُنّا السابِقينا
بشُبّانٍ يَرَوْن القتلَ مَجْدًا ... وشِيبٍ فى الحروب مُجَرَّبينا
حُدَيّا الناسِ كلِّهمُ جميعًا ... مقارعةً بنيهم عن بنينا (٤)
فأما يومَ خَشْيَتِنا عليهم ... فتُصْبِحُ خيلُنا عُصَبًا ثُبينا (٥)
وأما يومَ لا نخشى عليهم ... فنُمعِنُ غارةً مُتَلَبِّبينا (٦)

(١) لم يصف أعداءه بالجبن وقلة الدفاع عن أنفسهم ، بل يقول إنهم انتصروا على أقوام شجعان ماهرين فى استعمال السيوف مثلنا ؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كمخاريق بأيدى لاعبين . والمخاريق : جمع مخراق ، وهو المنديل أو الخرقة تلف ويضرب بها ، وهى لعبة من لعب الصبيان (الطرة) .

(٢) الأرجوان : صبغ أحمر أى كأنها صبغت به من الدماء . والمراد بالثياب العذبات التى تربط بأطراف الرماح تحت أسنتها .

(٣) عىّ بالأمر : تحير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه ، والإسناف التقدم بالخيل الى القتال (المعنى) اذا تحير قوم فى الإقدام على القتال من شدة الهول المخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كتيبة ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا ؛ مكان غيرنا المترددين ، وكنا نحن السابقين الى القتال بشبان الخ .

(٤) الحديا : مصغر الحدوى : اسم من التحدى ، وهو المباراة ومنازعة الغلبة فى الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم ، بل نتحدى الجميع ، ونقول لهم اخرجوا الى قتالنا : نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أى مضاربتنا وممانعتنا) بنيهم عن بنينا .

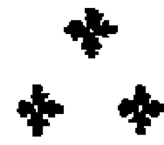
(٥) العصب : الجماعات ، والثبون الجماعات من الخيل والناس فى تفرقة ، جمع ثبة (بالضم) وهو ملحق بجمع المذكر السالم .

(٦) أمعن فى الأمر : أبعد فيه وتوغل ، وهو يتعدى بحرف الجر (فى) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق ، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة ، أو على نزع الخافض ، والتلبب التحزم =

برأسٍ من بَني جُشَمِ بنِ بَكْرٍ ... نَدُقّ به السُّهولةَ والحُزونا (١)

(٤) لعنترة بن عَمْرو بن شدّاد العبسى من معلقته التى مطلعها : (٢)

هل غادَرَ الشّعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أم هلْ عَرَفْتَ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ (٣)



أَثْنِي عليَّ بما علِمتِ ، فإنني ... سَمْحٌ مُخالَقتي إذا لم أُظْلَمِ (٤)

فإذا ظُلِمْتُ فإنَّ ظُلْمِيَ باسلٌ ... مُرٌّ مَذاقتُه كطعمِ العَلْقَمِ (٥)

= بالسلاح ، والتشمير فى الأمر (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال مبكرين وننشر خيلنا فى الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفى يوم أمننا عليهم ينادى نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، منتشرين لها ، مدججين بالأسلحة ؛ فالقتال دأبنا فى الخوف والأمن .

(١) الرأس : الحى الذين لا يحتاجون إلى إعانة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ، وجشم ابن بكر أحد أجداد الشاعر (المعنى) أننا عند إمعاننا فى الغارة نغير على أعدائنا بحى من بنى جشم بن بكر لا يحتاجون الى نجدة غيرهم ، فندق بهم السهول والأوعار ، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدّونه فى عداد العبيد على عادتهم فى أبنائهم المولدين من الإماء ؛ فكان يرعى إبلهم وخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأنقذ قومه من المهالك فى غارات أعدائهم عليهم ، وأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء . حتى صار فارس عبس الأوحد ، وضرب به المثل فى الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمتردم : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئا من الشعر لم يصلحوه ويهذبوه أو معنى لم يسبقوا اليه حتى يتهيأ لمثلى أن يأتى به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك فى آثارها .

(٤) المخالقة : المعاشرة بخلق حسن .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شىء مر الطعم جدا .

ولقد شربتُ من المُدامةِ بعْــدَ ما ... رَكَدَ الهــواجرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ (١)
بِزُجاجةٍ صــفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ ... قُرِنَتْ بأزهرَ فى الشِّمالِ مُفَــدَّمِ (٢)
فاذا شَربتُ فإنّنى مســتهلكٌ ... مالِى ، وعِرضى وافــرٌ لم يُكْلَمِ (٣)
واذا صَحوتُ فمــا أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما علِمتِ شمــائلى وتكــرُّمى
وحَليــلِ غانيــةٍ تركتُ مُجَــدَّلًا ... تمكو فريصــتُه كشِدْقِ الأَعلمِ (٤)
عَجِلتْ يداىَ له بمــارِقِ طَعْنــةٍ ... ورَشاشِ نافــذةٍ كلونِ العَنْــدَمِ (٥)
هلّا سألتِ القــومَ يابنــةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بمــا لم تعلَمى

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار عنــد زوال الشمس أو من زوالهــا الى العصر . ومعنى ركود الهواجر سكونها ؛ أى سكون الناس فيها فى بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ، وأراد به القــدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشــتراها به ، والأقرب الأوّل ؛ لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر، وهو الخط فى بطن الكف أو الوجه والجبهــة ، والمراد بهــا الحزوز والخطوط والطرائق . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمفدم : الذى عليه الفدام ، وهى المصفاة تكون على فم الأبريق . (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فمه مصفاة كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى .

(٣) وافر أى تام سليم لم يجرح بسب أو طعن فيه .

(٤) مجدلا : صريعا على الجدالة وهى الأرض . وتمكو : تصــفر وتصوّت . والفريصة : العضلة التى ترعد من جسم الدابة أو الإنسان اذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعا على الأرض تصوّت فريصته من شدّة انفجار الدم منها بعد طعنه فيها مشبهة فى سعتها شدق الرجل الأعلم .

(٥) المرق : الطعن ، ومارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى وبرشاش طعنة نافذة الى الجوف ، ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

إذ لا أزالُ على رِحالةِ سابحٍ ... نَهْدٍ تَعاوَرُهُ الكماةُ مُكَلَّمِ (١)
طوراً يُعَرَّضُ للطعانِ ، وتارةً ... يأوِى إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ (٢)
يُخْبِرْكِ مَنْ شهِدَ الوقائعَ أنَّنى ... أغشىْ الوغَى وأَعِفُّ عند المغنَمِ (٣)
ومُدَجَّجٍ كرِهَ الكماةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هرَباً ولا مستسلِمِ (٤)
جادت يداىَ له بِعاجِلِ طعنةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ القَناةِ مُقَوَّمِ
بِرَحيبةِ الفَرْغَيْنِ يَهدى جرسُها ... بالليلِ مُعْتَسَّ السِّباعِ الضُّرَّمِ (٥)
فشَكَكْتُ بالرمحِ الطويلِ ثيابَهُ ... ليس الكريمُ على القَنا بمُحرَّمِ (٦)

(١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجرى الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والسابح : الفرس الذى يبسط يديه معا عند العدو . والنهد : الغليظ الصدر ، وتعاوره الكماة أى تعاوره وتتناوبه الفرسان التاموالسلاح بالطعن ، والكماة : جمع كمى ، والمكلم المجرح .

(٢) المحصد من القسى : المحكم فتل أوتاره وربطها . والشيء العرمرم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يهيأ مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسى المتينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحروب .

(٣) يخبرك مجزوم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .

(٤) المدجج بالسلاح : الذى ستربه أى أنه تام السلاح مثل الكمى و(هربا) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمعن يتعدى بفى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا ممعن فى الهرب ، ولكن لما كان لفظ ممعن يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تكره الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لجبنه ، ولا يستسلم لهم فيأسروه ، قتلته بطعنة عاجلة من رمح مثقف مقوم صدق القناة صلبها مستويها .

(٥) برحيبة الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحيبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، وللدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتس من السباع : الطالب الشيء ليلا . والضرم : الجياع (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة المصبين يهدى خرير الدماء منها جياع السباع الى قتيلها فتأتى لتأكله .

(٦) قالوا إن الثياب هنا كناية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

وتركتـه جَزَرَ السـباع يَنُشْنَه ما بين قُلّةِ رأسه والمِعصَـم (١)
ومِشَكِّ سابِغـةٍ هَتَكْتُ فُروجَها بالسيف عن حامى الحقيقة مُعْلَمِ (٢)
رَبِذٍ يَـداهُ بالقِـداح إذا شَـتا هتّـاكِ غاياتِ التِّجارِ مُـلَوَّمِ (٣)
بَطَلٍ كأنَّ ثيـابَه فى سَـرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بِتَـوْءَمِ (٤)
لما رآنى قـد قصـدتُ أريده أبـدَى نواجذَه لغـيرِ تبسُّـمِ (٥)
فطعنتُـه بالرمح ، ثم عَـلَوْتُه بمهنّـدٍ صافى الحـديدة مِخْـذَمِ (٦)

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشنه : يعنى يتناولنه بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعل كمسعر ومغشم ، مشتقة من الشك بمعنى اللزوم واللصوق وشدّة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتكت فروجها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجبنه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققتها بضربة من سيفى ، فانكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء لأنه زمن الجدب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمور بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه ، ونزعوا راياتهم ، ويذهبون فيأكل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أسرته ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتوءم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتوءم اذ التوءم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

عهـدى به شَدَّ النهـارِ كأنَّمـا خُضِبَ البَنَانُ ورأسُـه بالعِظْـلِمِ (١)

إلى أن قال :

نُبِّئْتُ عَمْـرًا غيرَ شاكرِ نِعْـمَتِي والكُفْر مَخْبَثَةٌ لِنفسِ المنعِـم (٢)
ولقد حفِظتُ وَصاةَ عمِّيَ بالضحى إذ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عن وَضَحِ الفَمِ (٣)
فى حَوْمة الموت التى لا تَشْـتَكِى غَمَـراتِها الأبطـالُ غيرَ تغمغُـم (٤)
إذ يتَّقونَ بِىَ الأسِنَّةَ لم أخِمْ عنهـا، ولو أنّى تضايقَ مُقْـدَمى (٥)
لمـا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جمعهُمْ يتـذامرون كَرَرْتُ غيرَ مُذَمَّمِ (٦)
يَدْعُونَ عنترَ، والرماحُ كأنَّهـا أَشْطانُ بِئْرٍ فى لَبَـانِ الأدهمِ (٧)

(١) (عهدى به) مبتدأ وخبر، و(شدّ النهار) أى عند شدّ النهار، أى عند ارتفاعه، وهو وقت الضحى. والعظلم : نبات النيلج تصبغ الثياب بعصارته، فيكون لونها أسود الى زرقة . أى أن دم هذا القتيل جف على رأسه وأصابعه فاسود فصار كصبغ النيلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : جحودها . و(مخبثة) مصدر ميمى من خبث ضد طاب . أى أن كفران عمرو هذا لنعمة الشاعر أفسد نفسه عليه فمقته وكرهه .

(٣) تقلص : تقصر وترتفع — أى حفظ وصـية عمه بثباته وصبره عند ما حاربوا أعداءهم وقت الضحى، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه، أى عن أسنانه .

(٤) حومة كل شىء : معظمه، أى فى ساحة الموت العظيمة . والغمرات : الشدائد . والتغمغم : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن، بل أقدم عليها ولو كان الموضع الذى أقدم عليـه أمامى متضايقا من تزاحم الأعداء بهجومهم علىّ .

(٦) يتـذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال، فعنـدئذ عطفت عليهم غير مذموم على عملى بل ممدوحا عليه .

(٧) عنتر : أى ياعنترة حذفت التاء للترخيم، وروى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن، وهى الحبال الطويلة الشديدة الفتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

ما زلت أرميهـــمْ بِثُغْرة نَحْـرِهِ ولَبـانه حتى تَسـرْبَلَ بِالدمِ (١)
فازورَّ من وَقْعِ القنـا بلَبانه وشـكا إلىّ بِعَـبْرة وتَحَمْحُمِ (٢)
لو كانَ يدرِى ما المحاورةُ اشتكى ولَكان لو علِمَ الكلامَ مُكلِّمِى
والخيـلُ تَقتحِم الخَبـارَ عوابسًا من بيْن شَيظَمة وأجردَ شَـيظَمِ (٣)
ولقد شفَى نفسى ، وأبرأَ سُقْمَها قِيلُ الفوارس : وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ (٤)
ذُلُلٌ جِمالى حيثُ شِئتُ،مشايعى لُبّى ، وأَحفِــزُه بِرَأْيٍ مُبْرَمِ (٥)
إنّى عدانى أن أزورَكِ فاعلَمِى ماقد علمتِ، و بعضُ مالم تعلَمِى (٦)
حالت رماحُ بَنِى بَغيضٍ دونَكُمْ وزَوَتْ جَوانِى الحربِ مَنْ لم يُجرِمِ (٧)

(١) أى بنقرة نحره .

(٢) العبرة : تردّد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمحم : الصوت المتقطع دون الصهيل ، و يفعله اذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذى ألفه ، فاستأنس اليه .

(٣) الخبار : الأرض اللينة . والشيظم : الطو يل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن للفرس الكريم .

(٤) و يك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهـم قالوا : عجبا لك ! أقدم ! أو هى مخففة من و يلك ، أو و يحك .

(٥) الذلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضـد الصعب الحرون . ومشايعى قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والمبرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مذللة لتعوّدها السير لا يصعب أن يوجهها الى أى أرض . و يصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقـل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضا يدفعه و يقو يه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن ز يارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ر يث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما ابنا بغيض لحا . وزواه ز يا وزو يا : نحاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجناية . (المعنى) صرح ببعض الأسـباب التى حالت دون ز يارة محبو بته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشـئة بين عبس وذبيان ، وصرفتنى عشائر القبيلتين بجناية بعض على بعض ، فاضطررت لمظاهرة قومى فى حرو بهـم مع أنى لست من جناتها ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرتها .

ولقـد كرَرْتُ المُهـرَ يَدْمَى نَحرُه حتى اتقتني الخيـلُ بابْنَىْ حِذيَم
ولقد خَشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحـرب دائرةٌ على ابْنَىْ ضَمْضَم
الشاتِمَىْ عِرضِى ، ولم أَشْتِمْهُما والنـاذرَيْنِ إذا لَمَ ألقَهُما دَمِى (١)
إن يفعَلا فلقـد تركتُ أباهما جَزَرًا لخامِعَـةٍ ونَسْرٍ قَشْعَمِ (٢)

(٥) من معلقة لَبِيد بن ربيعة التى مطلعها : (٣)

عَفَتِ الديارُ : مَحَلُّها فمُقامُها بمِنًى ، تأبَّد غَولُها فرِجامُها (٤)

(١) يقال نذرت دم فلان : اذا أبحته لكل من يقدر على قتله .

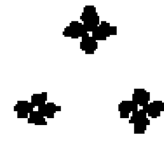
(٢) الخامعة : الضبع كأن فى مشيها خمعا أى عرجا ، والقشعم : من النسور الكبير . (المعنى) إن ينذروا دمى فقد قتلت أباهما ضمضما وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .

(٣) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى أحد أشراف الشعراء والقوّاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بنى عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المضرية ، وأمه عبسية ، وكان فى الجاهلية شجاعا فاتكا جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو غلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والرثاء فى لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٤) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فمقامها معطوف على محلها ، والفاء هنا للترتيب الذكرى أى لعطف ما يحسن ذكره بعد سابقه إذا تفاوتا بخصوص أو عموم أو تفصيل أو إجمال . إذ أن المحل (كما هنا) مكان الحلول أى النزول ولو لم تكن مدة النزول طويلة ، والمقام مكان الإقامة وهى الثبات والاستقرار فى المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وعند الجرمى — من كبار أئمة النحويين — أنها لا تفيد الترتيب فى الأماكن . والأشبه أن تكون هنا بمعنى (الى) كقوله تعالى : « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » أى من بعوضة الى ما فوقها . وتأبد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع فى وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . (المعنى) درس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .



أو لم تكن تدرى نَوارُ بأننى ... وَصَّالُ عَقْدِ حَبائلٍ جَذَّامُها (١)

تَرّاكُ أمكنــةٍ إذا لم أرضَها ... أو يَعتلقْ بعضَ النفوس حِمامُها (٢)

بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ ... طَلْقٍ لذيذٍ لَهْوُها ونِدامُها (٣)

قد بِتُّ سامِرَها ، وغايةِ تاجرٍ ... وافيتُ إذْ رُفعتْ ، وعَزَّ مُدامُها (٤)

أُغْلِي السِّباءَ بكلِّ أدْكَنَ عاتقٍ ... أو جَوْنةٍ قُدِحتْ وفُضَّ خِتامُها (٥)

وغداةِ ريحٍ قد وَزَعْتُ وقِـرَّةٍ ... قد أصبحتْ بيد الشَّمالِ زِمامُها (٦)

---

(١) نوار : اسم امرأة ، والجذام : القطاع ، والحبائل : جمع حبالة : مصيدة الصائد وشركه . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدث بها عن مفاخر نفسه ومآثر قومه . (المعنى) أو لم تكن تعلم نوار بأنى رجل أخدع الناس بوصلى عقد حبائلى وهم لا يخدعوننى ؛ فهم إن نصبوا حبائلهم قطعتها عليهم . وإذا أريد بالحبائل أسباب الشىء ودواعيه كان المعنى : أنى أصل من يستحق المواصلة وأقطع من يستحق القطيعة .

(٢) اعتلق الشىء تعلق به ، و (بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت ، وفى جزم يعتلق هنا كلام عريض ، والأجود أن يكون معطوفا على لم أرضها وتكون (أو) للاضراب و يكون المعنى إنى تراك أمكنة إذا لم أرضها بل إذا لم تعقنى المنية أى أنى أتركها وقت كراهتى بل مدة حياتى .

(٣) التفت فى كلامه الى نوار وقال : (بل أنت ... البيت) والليـلة الطلق : التى لا حر ولا برد فيها يؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الراية ، والتاجر : الخمار يرفع رايته عند نزوله على الحى إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على ليـلة فى البيت السابق (المعنى) كم من ليلة طلق يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ؛ وكم من راية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رايته واشتريت مدامتها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحـديث ، يحب اللهو والطرب ، و يبذل فى ذلك نفيس المـال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ، والعاتق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخابية ، وقدحت وفض ختامها : واحد .

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كففت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى) ورب صباح يوم بارد ذى رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهى تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت ، قد كففته عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع : يتحدث بالفتوة والكرم .

بصَبُوحِ صافيــةٍ وجَذبِ كَرِينةٍ   بمُــوتَّرٍ تأتاله إِبهامُهــا (١)
باكرتُ حاجتَهــا الدجاجَ بسُحرةٍ   لأَعَلَّ منها حين هَبَّ نيامُها (٢)
ولقــد حَميتُ الحيَّ تحمِلُ شكَّتى   فُرُطٌ، وِشاحى إذْ غدوتُ لجامُها (٣)
فَعلَيتُ مرتَقِبًــا على مرهــوبةٍ   حَرِجٍ إلى أعلامهنَّ قَتامُهــا (٤)
حتى إذا ألقتْ يدًا فى كافرٍ   وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظَلامُهــا (٥)
أَسهلْتُ، وانتصبَتْ بِجِذْعٍ مُنيفةٍ   جرداءَ يَحْصَرُ دونَهــا جَرَّامُها (٦)

(١) الصبوح: الشرب صباحا، أى بشرب خمر صافية، والكرينة: المغنية الضاربة بالعود، والموتر: العود لأنه ذو أوتار وتأتاله: تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويلهى بسماع مغنية عوادة.

(٢) حاجتها: أى حاجة الخمر: أى حاجته هو اليها، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعا، والدجاج: يريد بها الديكة، والعلل: الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشربها صياح الديكة لأكرر شربها حين استيقظ نوامها أى سقاتها النائمون.

(٣) ثم أخذ يصف نفســه بالكفاية والغناء وحماية قومه وأصحابه فقــال: (ولقد حميت الحى الخ) وشكتى: جميع سلاحى، يريد تحملنى شاكى الســلاح، وفرط: أى فرس تقدّم الخيل بى بحيث أصبح لجامها وشاحالى. وتوشح الفارس بلجام فرسه: أن يلقيه على عاتقه ويخــرج يده منه لتفرغ يداه كلتاهما للعمل بالسلاح.

(٤) عليت وعلوت واحد، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية، وحرج: مرتفع فى تكاثف وتزاحم أو لاصق ودائم، والقتام: الغبار.

(٥) والضمير فى ألقت يعود على الشمس المفهومة من المقام. والكافر: الساتر من أسماء الليــل، وأجن: ستر، والثغر: موضع المخافة، أى علوت على الجبال التى ينعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد أو الضباب الحامل للغبار أرقب حركات العدوّ حراسة لأصحابى طول النهار، حتى اذا ألقت الشمس يدها فى الليل، وبدأت تغيب فيه، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحى العدوّ، ولم يعد لمراقبتى فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل.

(٦) أسهلت: نزلت الى السهل. (وبجذع منيفــة): أى بجذع نخلة مرتفعة، وجرداء: خالية من الكرب ملساء، ويحصر: يكل ويضجر، وجرامها: قطاع كبائسها عند نضجها (المعنى) عند ما أسهلت مرحت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضــجر ويتعب دون الوصول الى رأسها من يجذ أعذاقها — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالأبيات الثلاثة الآتية.

وقعتها طَـــرَدَ النَّعـامِ وشَـــلَّهُ حتى اذا سَخَنتْ ، وخفَّ عظامها (١)

قلقتْ رِحالتُها وأسـبلَ نَحْـــرُها وابتـلَّ مِن زَبَدِ الحَمـيمِ حِزامُها (٢)

تَرقَى، وتَطعَنُ فى العنان، وتنتحى وِرْدَ الحمـامة إذ أَجَدَّ حَمَـامها (٣)

وكثيرةٍ غُرَباؤُها مجهـــولةٍ تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُهـا (٤)

غُلْبٍ، تَشَـذَّرُ بالذُّحول، كأنَّهـا جِنُّ البَــدِىِّ رواسـيًا أقدامُها (٥)

أنكرتُ باطلَها ، وبُؤتُ بحقها عنـدى، ولم يفخَـر علىَّ كِرامها (٦)

(١ و ٢) رفعتها : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كالميسور والمعسور، وطرد النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخف عظامها : أى خف قصب قوائمها بمعنى أسرعت ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصـوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجرى الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) طردتها طرد النعام حتى اذا حميت واشـتدت سرعتها اضطرب سرجهـا عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتـل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع رأسها ، وتطعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمامة هنا القطاة (المعنى) أن هـذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنان أخرى ، تمر فى سيرها مر القطاة الى الماء وقد سبقها اليه جماعة حمام مسرعة فهى تجد مسرعة فى أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفسـه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغـرباء؛ لما يحضرها من ألوان الناس مجهولة العاقبة ، ونوافلها : غنائمها والنصر فيها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشـذر بالذحول : تهدد وتتوعد بالأحقاد والثارات . والبدى هنا : واد لبـنى عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعـنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة الأنساب والألوان مجهولة العاقبـة بحيث ترجى مغانمها وأنفالها بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهدد وتتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدى راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض قوتى وحسن بلائى لا بمعونة كرامها ومنهم على .

وجزورِ أيسارٍ دعوتُ لحتفها بمَغالِقٍ مُتشابِهٍ أجسامُها (١)
أدعُو بهنَّ لعاقرٍ أو مُطفلٍ بُذِلَتْ لجيرانِ الجميعِ لحامُها (٢)
فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنما هبطا تَبالةَ مُخصِبا أهضامُها (٣)
تأْوِي الى الأَطنابِ كلُّ رَذيّةٍ مِثلِ البَليّةِ قالِصٍ أهدامُها (٤)
ويُكلِّلون اذا الرياحُ تناوحتْ خُلُجًا، تُمَدُّ شوارعًا أيتامُها (٥)

(١ و ٢) يصف فى الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للمال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضيفان والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشترى للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذى يضرب بالقداح ، وهى أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة فى القمار ، والمغالق من نعوت قداح الميسر التى يكون لها الفوز ، (أدعو بهنّ) أى بالمغالق ، (لعاقر أو مطفل) أى للعب بها على جزور عاقر فتكون سمينة أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامرين دعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقرا أم مطفلا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها لجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (فى العسير) أهضامها ، أى وديانها وهى من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره الغريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تبالة . ومن أمثالهم ، ما حللت تبالة لتحرم الأضياف .

(٤) الأطناب : جمع طنب وهىّ حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة البائسة ، والبلية فى الأصل : الناقة يموت صاحبها ، فتشدّ عند قبره حتى تموت ، ويقولون إنه يبعث عليها فى القيامة ، وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو الثوب الخلق البالى . (المعنى) تأوى الى أفنية خيامنا كل رذية بائسة توشك أن تموت جوعا وهزالا ، قصيرة الثياب البالية ، فنطعم .

(٥) الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزاد فيها ، وشوارعا : نعت للخلج ، والشوارع التى ترد الشريعة وهى منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكللون بها جفانهم عند تناوح الرياح واشتداد هبوبها من كل ناحية وذلك فى الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

(٦) قال النابغة الذبيانى : (١)

كِلِينِي لِهَـــمٍّ يا أُمَيْمَـــةُ ناصبِ ... وليلٍ أُقاســـيه بطيءِ الكواكبِ (٢)
تطاوَلَ، حتى قلتُ ليس بمُنقَضٍ ... وليس الذى يرعَى النجومَ بآيبِ (٣)
وصَـــدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّه ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانبِ (٤)
علَيّ لعَمْرٍو نعمـــةٌ بعدَ نعمـــةٍ ... لوالدِه ليستْ بذاتِ عقـاربِ (٥)

(١) هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد أشراف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه آثر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر، فقرّبه اليـه ، ثم وشى به عنـده ، وهم بقتله ، ففرّ الى ملوك الشام . فمدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفوه عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . و يعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هي قصيدته التى أوّلها :

يا دار ميـــة بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأمد

أو هى القصيدة التى أوّلها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ... ما ذا تحيون من نؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان بالشام .

(٢) كليني لهم : أى دعيني وهى من وكله الشيء أى أسلمه له . وأميمة : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذو نصب أو ناصب صاحبه . وبطيء الكواكب أى غروب كواكبه . توهم أن ليله بطيء الكواكب وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٣) وليس الذى يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها و يؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) وإياب النجوم والشمس مغيبها كأنها رجعت الى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أوّل النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أوّل غائب . وكل ذلك كناية عن طول الليل .

(٤) وصـــدر : أى وكليني أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب (المعنى) ودعيني أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذى أرجع هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم اقتضب الكلام اقتضابا وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .

(٥) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكدرهما منّ ولا أذى .

حلفتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيَّةٍ ولا عِلْمَ إلا حسنُ ظَنٍّ بصاحِب (١)
لَئِنْ كان لِلْقَبرينِ قبرٍ بِجِلَّقٍ وقبرٍ بصَيْدَاء الذى عنـد حارب (٢)
وللحارثِ الجَفْنِيِّ سـيدِ قومه لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المحارب
وَثِقتُ له بالنصر إذْ قِيل قد غَزَتْ كتائبُ من غسانَ غيرُ أشائب (٣)
بنـو عمه دُنْيَا، وعمـرُو بنُ عامرٍ أولئـك قـومٌ بأسُهم غيرُ كاذب (٤)
إذا ما غزَوْا بالجيش حَلَّقَ فوقَهمْ عصائبُ طـيرٍ تهتـدى بعصائب (٥)
يُصاحِبْنَهم حتى يُغِـرْنَ مُغَارَهمْ من الضارياتِ بالدماءِ الدَّوارب (٦)
تراهُنَّ خلْفَ القومِ خُزْراً عيـونُها جلوسَ الشيوخِ فى ثياب المَرانب (٧)

---

(١) أى حلفت يمينا لم استثن فيها، ولا علم لى بصحة هذه اليمين إلا ثقتى وحسن ظنى بصاحبى الذى أمدحه.

(٢) أى لئن كان الممدوح عمرو منسوبا لصاحبى هذين القبرين وهو الواقع. وجلق: اسم لدمشق. وصيداء: من مدن ساحل الشام. وحارب: موضع قريب منها، وذكر صفة صيداء باعتبار أنه بلد. وصاحبا القبرين: هما الأب، والجد الأول، والحارث الجفنى: هو الجد الثالث لأن الممدوح هو عمرو ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنة. (المعنى) لئن كان هذا الممدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليبلغنّ مبلغهم وليطلبن بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آباؤه وأجداده يفعلون.

(٣) أشائب: جمع أشابة وهم الأخلاط، أى أن هذه الكتائب كلها من صلب غسان.

(٤) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأدنون، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر.

(٥) أى اذا غزوا حلقت عليهم جماعات النسور والعقبان والرخم لتأكل ممن يقتلونهم.

(٦) أى تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى.

(٧) خزرا: جمع أخزر وخزراء، أى ضيقة العيون خلقة، أو أنها تتخازر أى تقبض أجفانها لتحقق النظر. جلوس الشيوخ الخ. أى أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالى الارض والهضاب كأنها فى ريشها ووقوفها وتحديد النظر ترقب القتـلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحدّدون النظر الى شيء بعيد. والمرانب: جمع مرنبانى وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب.

جـوانحَ قد أيْقنّ أنّ قَبيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالب (١)
لهُنّ عليهـــمْ عادةٌ قـــد عرَفْنَها ... إذا عُرِّض الخَطِّيُّ فوقَ الكواثب (٢)
على عارفاتٍ للطعانِ عوابسٍ ... بهِنّ كلُومٌ بينَ دامٍ وجالب (٣)
اذا استُنْزِلُوا عنهن للطعْن أرقلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمالِ المَصاعب (٤)
فهـــمْ يتساقَوْنَ المنيـــةَ بينَهـــمْ ... بأيديهـــمُ بيضٌ رقاقُ المضارب (٥)
تَطِـيرُ فُضاضًا بينها كلُّ قَوْنَسٍ ... ويتبعُها منهـــمْ فَراشُ الحواجب (٦)
ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أن سيوفَهم ... بهِن فُلولٌ من قِراعِ الكتائب (٧)

(١) جوانح : أى مائلات للوقوع .

(٢) أى القنا الخطى المنسوب الى الخط بلد بالبحرين . والكواثب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل الى الظهـــر بحيث اذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليهـا رمحه مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح اذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٣) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكلوم : الجراح . والدامى : الذى يسيل دما . والجالب : اليابس الذى نشأت عليه جلبة يابسة .

(٤) أرقلوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) اذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق فى المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا الى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٥) يتساقون : أى يسق بعضهم بعضا .

(٦) الفضاض : ما انفض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التى توضع على الرأس من الفولاذ . وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التى تكون أســفل الجمجمة فوق الحنك والحلق . والضمير فى يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — وهو القوانس (المعنى) يطير بين هـــذه السيوف قوانس الفرسان فضاضا ، ويتبع هذه القوانس فى الطيران فراش جماجم الفرسان .

(٧) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى حد السيف . والقراع : المضاربة بالسيوف . وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيد المدح بمـا يشبه الذم إذ أن انفلالها من قراع الكتائب فخر وفضل ؛ لأنه دليـــل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضربهم للأعداء .

تُوُرِثْنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجاربِ (١)

تَقُدُّ السَّلوقِيَّ المضاعَفَ نسجُه وتوقِدُ بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحبِ (٢)

بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِه وطعنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الضواربِ (٣)

لهمْ شيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهمْ من الجود، والأحلامُ غيرُ عوازبِ (٤)

مَحلّتُهمْ ذاتُ الإله، ودِينُهمْ قويمٌ، فما يرجُونَ غيرَ العواقبِ (٥)

رِقاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهمْ يُحَيَّونَ بالرَّيحانِ يومَ السباسبِ (٦)

---

(١) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليمة، وهو يوم انتصرت فيه الغساسنة على المناذرة. وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبى شمر جد الممدوح الثالث وكانت ضمخت عسكر أبيها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل فى المثل (ما يوم حليمة بسر).

(٢) السلوق: أى الدرع السلوق. والدرع مؤنثة، وقد تذكر كما هنا، وهو منسوب الى بلد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام. والصفاح: الحجارة العراض، ونار الحباحب: شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى الحباحب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسج واذا ضرب بها الحجارة قدحت شررا يتطاير كأنه نار الحباحب.

(٣) الهام: جمع هامة وهى الرأس، وسكناته: حيث يسكن ويستقر. والإيزاغ: دفع الناقة ببولها والمخاض: النوق الحوامل. والضوارب: التى تضرب بأرجلها (المعنى) اذا ضرب بها أزالت الهام عن الأعناق واذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كاندفاع بول النوق الحوامل.

(٤) الأحلام: العقول. والعوازب: البعيدة أو الغائبة: أى أنهم أجواد حاضرو العقول.

(٥) يروى محلتهم ذات الإله ومجلتهم فعنى الأولى مسكنهم دار نفس الإله يريد بيت المقدس والأرض المقدسة. ومعنى الثانية: كتاب حكمتهم ومقروؤهم ذات الإله. أى عبادة الإله. والعواقب: جمع عاقبة أى عاقبة أعمالهم جزاء الإله لهم عليها. يصفهم بأنهم متدينون.

(٦) رقاق النعال: أى أن نعالهم رقيقة لا يخصفونها طباقا، وذلك كناية عن قلة مشيهم لأنهم ملوك لا يمشون بل يركبون الخيل غالبا. وحجزة الأزار والسراويل: مجمع شدهما على الوسط من الجسم، كناية عن عفتهم. والريحان الزهر الطيب الرائحة. والسباسب: يوم الشعانين، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا، وذلك كناية عن رقة أمزجتهم وحسن أذواقهم أو محافظتهم على التقاليد المرعية.

تُحَيِّيهِــمُ بيضُ الولائدِ بينهــمْ وأكسيةُ الإِضْرِيجِ فوقَ المشاجب (١)
يَصونون أجسادًا قديمًـا نعيمُها بخالصةِ الاردانِ خُضرِ المناكب (٢)
ولا يحسَــبونَ الخيرَ لا شرَّ بعــدَه ولا يحســبون الشَّرَّ ضَرْبةَ لازِب (٣)
حبوتُ بها غسانَ إذ كنتُ لاحقا بقومى ، وإذ أعيَتْ علَىَّ مَذاهبى (٤)

(٧) قال أعشى قَيْس : (٥)

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الركبَ مُرْتَحِـلُ وهــل تطيقُ وَداعًا أيُّهـا الرجلُ (٦)

(١) الولائد : الإماء . والإضريج : الخز الأحمر اللون ، والخز : ثياب تنسج من الصوف المخلوط بالحرير ، والمشاجب : جمع مشجب ، وهو الأعواد تنشر عليها الثياب وتعلق . أى أنهم ملوك أهل نعمة خدمهم الولائد البيض ، وثيابهم ثمينة مصونة تعلق على المشاجب .

(٢). الأردان : جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص (المعنى) يصونون أجسادهم العريقــة فى التنعم بثياب بيض الأردان خضر المناكب . وكان هذا الزى من لبس الملوك .

(٣) اللازب : الثابت اللازم (المعنى) أنهم قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ، فاذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم فلم يقنطوا ؛ فوصفهم بالاعتدال .

(٤) أى حبوت بقصائدى غسان عند ما كنت لا حقا بقومى غير خائف من أحد وعند ما كنت خائفا هاربا من النعمان ، وضاقت على مذاهبى . أى أنهم خير من يمدحهم فى حالى الأمن والخوف .

(٥) هو أبو بصــير ميمون ، الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهـــم ، وينتهى نســبه الى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة فى قرية منها تسمى «منفوحة» ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والأجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع فى جوائز كسرى فرحل اليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطوّلة ، وهو أحد المكثرين فى وصف الخمر ، وعرب فى شــعره كثيرا من الألفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنة فى نفس سامعه حتى سمى صــناجة العرب ، ومات فى أوائل ظهور الإسلام . وعدّه كثير من أصحاب المعلقات ، وأن معلقته القصيدة اللامية التى مطلعها :

ما بكاء الكبير فى الأطلال وسؤالى وما ترد ســؤالى

وقيل : معلقته هى القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها الى قريب له ، فولدت خليدا الآتى ذكره فى شعره .

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ (١)
كأنّ مِشيتَها من بيتِ جارتِها ... مَرُّ السحابةِ ، لا ريثٌ ولا عَجَلُ (٢)
تَسمعُ للحَلْي وَسْواسًا إذا انصرفتْ ... كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ (٣)
ليستْ كمن يَكرَهُ الجيرانُ طَلعتَها ... ولا تراها لسرِّ الجارِ تختتِلُ (٤)
يكاد يصرَعُها (لولا تشدُّدُها) ... إذا تقومُ إلى جاراتها — الكَسَلُ (٥)
إذا تقوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصوِرَةً ... والزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أردانِها شَمِلُ (٦)
ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ ... خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ (٧)

---

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أي الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقية الأسنان ، الوجى : الذي يشتكي حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون مشيه متثاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أي يمشي في الوحل . يعني : إن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشي متمهلة متمايلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجيرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حليها بصوته اذا ضربته الريح . والزجل : رفع الصوت بالطرب ، والزجل بالكسر صفة منه .

(٤) تختتل : أي تتسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدومات منعمات .

(٦) يضوع المسك : أي تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم ، وهو نافجة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقاق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسمين المنبعثة من أطراف أكمامها شاملة عامة للمكان الذي هي فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقيعان .

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعميمِ النبتِ مكتهلُ (١)
يوماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ (٢)
صدَّت هريرةُ عنا ما تُكلِّمنا جهلاً بأم خليدٍ، حبلَ مَنْ تَصِلُ؟ (٣)
أئِنْ رأتْ رجلاً أعشى أضرَّ به رَيبُ المنونِ ودهرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ (٤)
قالت هريرةُ لمّا جئتُ زائرها: وَيْلِي عليك! ووَيْلِي منك يا رجلُ! (٥)
إما تَرَيْنا حُفاةً، لا نِعالَ لنا إنّا كذلك ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ (٦)
وقد أقودُ الصِّبا يوماً، فيَتْبعُني وقد يصاحبُني ذو الشِّرَّةِ الغَزِلُ (٧)

---

(١) كوكب كل شىء: معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها، أو يتفتح ويشرق عند شروقها، وهذا الزهر مؤزر أى يكنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار.

(٢) الأصل: جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام، وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة.

(٣) أم خليد: كنية هريرة وقوله (حبل من تصل؟) استفهام تعجبى، يعنى. اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن؟ .

(٤) الأعشى: الذى لا يبصر بالليل، والمفند: الآتى بالفند وهو السفه فى الرأى، ومثله الخبال.

(٥) «ويلى عليك وويلى منك» أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى. (المعنى) أمن أجل أن رأتنى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لما زرتها «ويلى عليك الخ».

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال: «إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ» أى إن ترينا نتبذل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فاننا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى.

(٧) أقود الصبا الخ: أى أتصابى، وآتى بأفعال الفتيان، ويصحبنى منهم الغزل ذو الشرة، وهى نشاط الشباب.

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُني شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (١)
في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أنْ هالكٌ كُلُّ مَنْ يحفىٰ وينتعلُ (٢)
نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان متكئًا وقهوةً مُزَّةً راوُوقُها خَضِلُ (٣)
لا يستفيقون منها، وهي راهنةٌ إلا بهاتِ، وإن عَلُّوا، وإن نَهِلوا (٤)
يسعىٰ بها ذو زجاجاتٍ له نَطَفٌ مُقَلِّصٌ أسفلَ السِّرْبال مُعْتَمِلُ (٥)
ومستجيبٍ تخالُ الصَّنجَ يسمعُه إذا تُرَجِّع فيهِ القَيْنةُ الفُضُلُ (٦)

---

(١) الحانوت : بيت الخمار، والشاوى : الذى يشوى اللحم، والمشل : السوّاق الخفيف، والشلول والشلشل : الغلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله، والشول : من يشوّل بالشيء الذى يشتريه المشترى، فيحمله له ويرفعه . (المعنى) قد أبكر الى حانة الخمار يتبعنى غلام طاه يشوى لى اللحم ويسوق دابتى سوقا حسنا، ويحمل لى ما أشتريه فى نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعانى مبالغة، ولكنها عيبت عليه .

(٢) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة خبرها «هالك كل من... الخ» فهالك خبر مقدّم وكل مبتدأ مؤخر . (المعنى) أى فى فتية قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يبتدرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم .

(٣) الريحان : كل زهر طيب الرائحة، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة : الخمرة، والراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر، وخضل : دائم الندى لا يجف لكثرة شربهم .

(٤) راهنة : دائمة أمامهم أى لا ينتهون إلا اذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به "هات" ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

(٥) النطف : القرطة من اللؤلؤ، ومقلص : مشمر، والسربال : القميص، والمعتمل : النشيط . (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمل نشيط .

(٦) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته، أى أن العود والصنج متفقان فى النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رقاق من صفر يصفق باحداهما على الأخرى وهى التى نسميها فى زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع : تردد النغم، والقينة : الأمة، وقيل : إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل : التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

والساحبـاتُ ذُيولَ الرَّيْطِ آونةً — والرافـلاتُ على أعجازها العِجَل (١)
من كل ذلك يومٌ قـد لَهَوْتُ به — وفى التجارب طولُ اللهوِ والغَزَل (٢)
أبلغْ يزيدَ بنى شَيْبانَ مَأْلُكَةً : — أبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تنفـكُّ تأتكل (٣)
ألستَ منتهيًـا عن نَحْتِ أَثْلَتِنـا — ولستَ ضائرَها ما أطَّتِ الإبِل (٤)
كناطحٍ صَخْـرةً يومًا ليُوهِنَهـا — فـلمْ يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوعِلُ
تُغرِى بنـا رَهْطَ مسعودٍ وإخوتِه — يومَ اللقـاءِ، فتُرْدِى، ثم تَعـتزِل (٥)
لا أعرِفَنَّكَ إن جَدَّتْ عداوتُنـا — والتُمِسَ النَّصرُ منكم عَوْضُ تُحتَمَل (٦)
تُلحِم أبناءَ ذى الجَدَّين إن غضبوا — أرماحَنا، ثم تلقاهمْ، وتعـتزِل (٧)
لا تقعُدَنَّ ، وقـد أكَّلْتَها حَطَبًا — تَعوذُ من شرِّها يومًا وتبتهِـل (٨)

---

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنج ، أى وتخال الصنج يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهن نغم العـود ، وبالرفع على تقدير وعندنا الساحبات ، والريط : الملاءات ، وآونة : جمع أوان . والرافلات : الجارات لثيابهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهوت وتغزلت طويلا فى تجاربى .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأتكل : يأكل بعضك بعضا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤثل ، وأطت الإبل : أنت تعبا وحنينا . (المعنى) لست بضارنا أبد الدهر .

(٥) تغرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا و بينهم فتهلك الناس باغرائك ثم تعتزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضد قط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارقك . أى لا أفارقك أبدا ، وتحتمل بالبناء للمجهول . أى يحتمل لونك أى يمتقع من الغضب والغيظ . أى لا أظنك إن احتدم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى يجعلهم لحمة وطعاما لرماحنا وذو الجدين : قيس بن مسعود من أشراف العرب .

(٨) أكلتها : أججتها ثم تعوذ بالله من شرها وتبتهل اليه فى اجتنابها .

سائلْ بنى أسـدٍ عنّا، فقد علموا ... أنْ سوف يأتيك من أنبائنا شَكَلُ (١)
واسألْ قُشَيْرًا وعبـدَ الله كلَّهمُ ... واسألْ ربيعةَ عنـا كيفَ نفتعِل (٢)
إنا نقـاتلُهم حـتى نقتلَهـمْ ... عندَاللقاءِ، وإنْ جارُوا، وإنْ جَهِلوا
قد كانَ فى آلِ كهفٍ إن همُ احتربوا ... والجاشريةِ من يسـعَى وينتضِل (٣)
إنى لعمـرُ الذى خطَّتْ مَناسِمُها ... تخدى، وسِـيقَ اليه الباقِرُ الغُيُلُ (٤)
لئن قتلتم عميـدا لم يكن صَـدَدًا ... لَنقتُلَنْ مثـلَه منكمْ، فنمتثِل (٥)
لئن مُنيتَ بنـا عن غِبِّ معركةٍ ... لا تُلفِنَا عن دِماءِ القـومِ ننفتِـل (٦)
لاتنتهون، ولن ينهى ذوو شطَطٍ ... كالطعنِ يذهب فيه الزيْتُ والفُتُل (٧)

(١) شكل : أزواج، أى خبر ثم خبر .

(٢) نأتى بالأمر العظيم المبتدع .

(٣) آل كهف والجاشرية : حيان من العرب، أى لقد كان فى هذين الحيين من يسعى لأخذ ثاره . ويناضل فما دخولك أنت بينهم ولست منهم .

(٤) خطت : سفت التراب بمناسمها، والمناسم : جمع منسم كمجلس، طرف الخف من البعير وتخدى : تسرع فى السير مع اضطراب، والباقر : البقر، والغيـل ككتب، جمع غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إنى أحلف بالله الذى ترحل إلى بيته إبل الحجيج مسرعة تثير التراب بمناسمها ويساق اليه البقر الكثير ليضحى به هديا يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد، وصدد الشىء : المقابل له أو القريب منه فنمتثل أى نتخير الأمثل فالأمثل (المعنى) لئن قتلتم منا سيدا لم يكن فى رفعة الشأن مقاربا للقاتل لنقتلن به أفضل سيد فيكم .

(٦) منيت : أصيبت وابتليت بنا بعد معركة، وننفتل : نلوى وننصرف (المعنى) لئن ابتليت بحربنا لا تجدنا نحيد دماء قومك ونتبرأ منها بل نعترف بها ونستعد للاقاتكم عند ما تريدون أخذ الثأر منا .

(٧) ينهى : ينتهى، أى أنكم لا تنتهون عن أذانا ولن ينتهى ذو الجور والبغى العميق فى نفوسكم كالطعنة الجائفة التى إذا عولجت بوضع الزيت والفتيل ذهب الزيت والفتيل فيها لغورها ولم يغن العلاج ويبقى الجرح بلا برء .

حتى يَظَلَّ عميدُ القومِ مرتفِقًا ... يَدْفَعُ بالرَّاحِ عنه نِسْوَةٌ عُجُلُ (١)
أصابَهُ هِنْدُوانِىٌّ، فأَقْصَدَهُ ... أو ذابلٌ من رماحِ الخَطِّ معتدِلُ (٢)
كَلَّا ! زعمتمْ بأنا لا نقاتلُكم ... إنا لأمثالِكم يا قومَنا قُتُلُ (٣)
نحن الفوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحِيةً ... جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ (٤)
قالوا : الطعانُ . فقلنا : تلك عادتُنا، ... أو تنزِلونَ، فإنا مَعْشَرٌ نُزُلُ (٥)
قد نخضِبُ العَيْرَ فى مَكنونِ فائلِهِ ... وقد يَشِيطُ على أرماحِنا البَطَلُ (٦)

---

(١) العجل : جمع عجول : المرأة الثكلى، أى لا تنتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم، فيظل معتمدا على مرفقه يهم بالقيام فلا يستطيع، وقد فرعنه أنصاره أو قتلوا، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة ثكالى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل .

(٢) الهندوانى : المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى، وأقصده : أصابه فلم يخطئه . أو ذابل : أى رمح ذابل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

(٣) قتل : جمع قتول أى قتال .

(٤) الحنو : المعوج من جبل و رمل ومن كل شىء : و يوم الحنو : من أيامهم ويسمى « حنو قراقر، وحنو ذى قار » . وفطيمة : اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيبان . وفعل الشىء ضاحية : أى علانية — والميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبى وادى فطيمة حيث لم نكن ثمة فارّين ولا عزلا من السلاح .

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون .

(٦) العير : المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح، والفائل : عرق يجرى من الجوف الى الفخذ . ومكنون فائله : الدم الذى ينفجر منه . و يشيط : يهلك (المعنى) اننا بصراء بمواضع الطعن فاذا كان الصيد والطرد طعنا حمار الوحش فى فائله فخضبنا العير بدمائه التى تنزف منه، واذا كان القتال طعنا الفارس فرفعناه على رماحنا .

(٨) قال طَرَفة بن العبد (١)

لخَولةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثَهْمَدِ ... تلوحُ كباقي الوَشْمِ فى ظاهرِ اليدِ (٢)

وُقوفًا بها صَحْبِي علَّ مَطِيَّهمْ ... يقولون : لا تَهْلِكْ أسًى وتَجَلَّدِ (٣)

كأنَّ حُدوجَ المالكيّةِ غُدْوةً ... خَلايا سَفِينٍ بالنواصف من دَدِ (٤)

عَدَوْلِيَّةٌ أو مِن سَفِينِ ابنِ يامِنٍ ... يَجورُ بها المَلّاحُ طَوْرًا، ويَهتدى (٥)

---

(١) هو عمرو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ، ورباه أعمامه ، ومال الى البطالة وقول الشعر ، وتعرّض به لهجاء الناس والملوك ، وكان ممن هجاهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يتعرّض لمعروفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند الى الوالى بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل الى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه فى بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التى نحن بصدد شرحها .

(٢) خولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة فى الأصل : المكان الذى اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . و برقة ثهمد : اسم ديار محبوبته . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصبغ أسود بغرز الإبر فى الجلد .

(٣) وقوفا منصوب : إما على أنه حال سببية من فاعل تلوح ، وهو الأقرب هنا ، ويكون إذًا جمع واقف ، و يكون صحبى فاعلا للفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدّى . و إما على أنه مصدر مفعول مطلق بفعل محذوف أى يقف وقوفا صحبى الخ (المعنى) لاحت لى هذه الأطلال ، وأصحابى حابسون مطيهم من أجلى فى هذه البقعة ناصحين لى بالتجلد والصبر : يقولون : لاتهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمالكية : أى المنسوبة الى بنى مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة فى الوادى . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هوادج المالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ فى وصف هذه السفن فقال عدولية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا و يهتدى طورا على حسب تصار يف الرياح .

يَشُقُّ حَبابَ المـاءِ حيزومها بهـا كما قَسَمَ التُّرْبَ المفـايِلُ باليـد (١)

وفى الحَيِّ أحْوَى ينفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظـاهِرُ سِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَد (٢)

خَـذُولٌ تُراعى رَبْرَبًا بخميلةٍ تنـاوَلُ أطرافَ البَـريرِ وترتدى (٣)

وتَبسِمُ عن ألْمى كأنَّ مُنَـوِّرًا تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْـلِ دِعْصٌ له نَدِ (٤)

---

(١) الحباب : موج البحر المزبد . والحيزوم : الصدر . والمفايل : الذى يلعب لعبة الفيال أو المفايلة ، وهى لعبة لصبيان الأعراب ، وهى تراب يكومونه ، ثم يخبئون فيه خبيئا ، ثم يشق الفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين ، ثم يقول : فى أى الجانبين خبأت ؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا قمر وغلب .

(٢) وفى الحى : أى فى منازل القبيلة ظبى أحوى ، أى أسود العين ، يريد به محبوبته ، ثم ذكر بعض أوصاف الظبى وبعض أوصاف المحبوبة فقال : هذا الظبى ينفض المرد أى يأكل ثمر الأراك نفضا بفمه . شادن : أى صغير السن . وهذه المحبوبة تتقلد سمطين أحدهما فوق الآخر ، سمطا من اللؤلؤ ، وسمطا من الزبرجد . واللؤلؤ : خرز كريم يكون فى جوف نوع من الأصداف . والزبرجد : جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون .

(٣) الخذول : البقرة الوحشية أو الظبية اذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهى خاذل أيضا وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث . وفى البيت السابق بوصف المذكر بقوله (أحوى) من أجل أنه البقرة الخذول وان رعت مع صواحبها لا تزال تتلفت إلى ولدها والهة عليه ترنو الى ناحيته بحنو . وذلك ما يريده فى وصف محبوبته عند تلفتها ونظرها بتدلل لمن يراعيها . وتراعى بمعنى ترعى مع غيرها . والربرب : القطيع من البقر والظباء . والخميلة : الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المتهدلة . والبرير : ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التلفت والنظرات كأنها مهاة مذعورة على ولدها ، فهى ان رعت مع صواحب لها خذلتهن واجتنبتهن ولا تزال متلفتة الى ناحية ولدها ، وهى متنعمة كالمهاة التى ترعى البرير وتدخل فى خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها .

(٤) الثغر الألمى : الأسمر اللثة ، وهم يمدحون سمرتها لدلالتها على اكتناز الدم فيها ، وهو أمارة الصحة . والمنور : صفة لموصوف محذوف أى كأن أقحوانا منورا . وخبر كأن محذوف تقديره (هو) أو (فيه) وتخلل الشىء حل فى خلله . وحر الرمل خالصه . والدعص : الكثيب من الرمل (المعنى) كأن فيه أقحوانا منورا تخلل دعصه الندى الذى نبت فيه رملا خالصا نقيا . والأقحوان : الذى ينبت فى الرمل الندى النقى يكون أنقى بياضا .

سَقَتْهُ إياةُ الشَّمسِ إلّا لِثاتِهِ أُسِفَّ، ولم تَكدِم عليه ، بإثْمِد (١)

ووجهٍ كأنَّ الشمسَ ألقتْ رداءَها عليـهِ نقيِّ اللونِ لم يَتخدَّد (٢)

وإني لأُمضي الهَمَّ عندَ احتضاره بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وتغتدي (٣)

الى أن قال :

على مثلِها أَمضي اذا قال صاحبي: ألا ليتني أفْديكَ منها ، وأفتدي (٤)

وجاشتْ اليه النفسُ خَوفًا ، وخالَهُ مُصابًا ، ولو أمسى على غيرِ مَرْصَد (٥)

اذا القومُ قالوا : مَنْ فَتًى؟ خلتُ أنَّني عُنيتُ ، فلم أَكْسَلْ ولم أَتَبَلَّدِ (٦)

---

(١) وصف الثغر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إياة الشمس أي ضوءها بياضا وحسنا أي أشربته حسنها . واستثنى اللثة لأن بياضها عيب ودليل على ضعف الدم بل هي سمراء كأنما ثغرها أسف بأثمد وهو الكحل فاسودت لثته وبقيت مرسلة على الأسنان لم تتقلص الى أعلى لأنها مترفة في المأكل لا تكدم على ثغرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التي تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل الناعم اللين .

(٢) ووجه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقي اللون لم يتخدد أي يتكسر جلده ويتغضن فيطفئ ذلك رونقه .

(٣) أمضي : أنفذ ، والهم ما يهم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة الملتصقة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروح وتغتدي : أي تصل سير الرواح بسير الغدو . أي اذا همني أمر يستدعي السفر أمضيته من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالغدو .

(٤) على مثلها الخ : أي على مثل الناقة أسير في الفلاة الموحشة التي يقول صاحبي من خوفها : إنا هالكون ، فياليتني أقدر على أن أفتديك منها ، وأفتدي نفسي — وضمير فيها يعود على الفلاة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتّى توارت بالحجاب » أي الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفا : أي ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذي يترصد فيه اللصوص والأعداء من يمرّ بهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أي إذا قال القوم : من فتى لسلوك هذه الفلاة وإمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ خلت أنهم يعنونني ؛ فقمت بها غير كسل ولا متبلد .

أحلْتُ عليها بالقَطِيع ، فَأَجْذَمتْ ... وقَـد خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوقِّـد (١)

فذالتْ كما ذالتْ وَليـــدةُ مَجْلِس ... تُرِى ربَّهـا أذيالَ سَحْـل مُمَــدَّد (٢)

ولستُ بحـــلّالِ التِّـــلاعِ مَخافةً ... ولَكِن متى يسترفِدِ القومُ أَرفِدِ (٣)

فان تَبغِنى فى حَلْقةِ القـومِ تلقَنِى ... وان تلتمسْنِى فى الحوانيتِ تَصطَدِ (٤)

متى تأتنى أصبحْكَ كأسًـا رَوِيَّةً ... وانْ كنتَ عنها ذا غِنًى فاغْنَ وازْدَدِ (٥)

وإن يلتَـقِ الحَىُّ الجميـعُ تلاقِنى ... الى ذِروةِ البيتِ الشريفِ المُصَمَّدِ (٦)

نداماىَ بِيـضٌ كالنجومِ وقَيْنَـةٌ ... تروحُ إلينـا بيْنَ بُرْدٍ ومُجْسَدِ (٧)

(١) القطيع : السـوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضربا فى إثر ضرب . وأجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أوّل النهار خاصة . والأمعز والمعزاء : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : الملتهب بالحرّ (المعنى) قمت بسـلوك هذه المفازة فركبت ناقتى وضربتها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحرّ وارتفع السراب فى الأماعز الملتهبة من الحرّ .

(٢) فذالت أى ماست وتبخترت . والوليدة : الجارية المولدة فى بلاد العـرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية تعرض فى مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافى .

(٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى مجارى المياه من رءوس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شـقا . واسترفد : طلب الرفد وهو المعونة والعطاء . (المعنى) لست ممن يستتر فى التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعنهم .

(٤) الحانوت : حانة الخمار يعنى إذا طلبت معونتى تجدنى إما فى حلقة القوم عنـد المشورة وإجالة الرأى . وإما فى حانات الخمارين ، أى أنى رجل جدّ اذا جدّ الأمر ، ورجل لهو اذا فرغت .

(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك بشرب كأس تُرويك ، وإن كنت غانيا عنها بما عندك فاغن به وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شىء : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفاخرة بالأنساب تجدنى أنتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) النـدامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو =

إذا نحنُ قُلْنا : أسمِعينا ، انبَرَتْ لنا ... على رِسْلِها مطروفةً لم تَشَدَّدِ (١)
إذا رَجَّعَتْ في صَوْتِها خلتَ صوتَها ... تجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِ (٢)
وما زال تَشرابِي الخمورَ ولَذَّتِي ... وبَيْعِي وإنفاقي، طَرِيفي ومُتْلَدِي (٣)
إلى أن تحامتْني العشيرةُ كلُّها ... وأُفرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المُعَبَّدِ
رأيتُ بني غَبْراءَ لا يُنكِرونني ... ولا أهلَ هاذاكَ الطِّرافِ المُمَدَّدِ (٤)
ألا أيُّها ذا الزاجري أَحْضُرَ الوَغَى ... وأن أَشهَدَ اللذاتِ ، هل أنتَ مُخْلِدِي (٥)
فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ مَنِيَّتِي ... فدعْنِي أُبادِرْها بما ملكَتْ يدي (٦)

= الشمار (المعنى) ندامای أحرار بیض لیسوا مولدین من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاءة ، ومن ندامای مغنية تجيء الينا عشية عليها برد تحته قيص أحمر اللون ، أو تحته قيص واحد على جسدها .

(١) أى اذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناءك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هينة فى رفق وتؤدة ، مطروفة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبالغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظآر : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة المرضع . والربع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) اذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حنين صوتها حنين النياق التى فقدت فصلانها .

(٣) تشرابى : أى شربى . والطريف : المال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتليد والمتلد : الذى يرثه عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرب المطلى بالقطران المبعد عن الإبل (المعنى) ما زال شربى للخمر ولذتى بها وبيعى وانفاقى لأجلها هو كل ثروتى الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت منفردا بلذاتى عنهم كالبعير الأجرب .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجلد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مدّ بالأطناب (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن مجهولا ؛ فان الفقراء يعرفوننى بعطائى لهم ، وكذلك الأغنياء بجلالتى وشرف نسبى .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يامن يزجرنى من أجل حضورى الحروب وانهماكى فى اللذات بأن كلًّا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى أستبق اليها بانفاق ما ملكت يدى فى لذاتى .

وقال طرفة بن العبد :

سائلوا عنّـا الذى يعـــرِفُنـا ... بِقُـــوانا يومَ تَحـلاقِ اللِّمَم (١)

يومَ تُبدِى البيضُ عن أَسْوُقِها ... وتَلُفّ الخيـــلُ أَعْراجَ النَّعَمْ (٢)

أَجْدَرُ النـاس برأسٍ صِـلْدِمٍ ... حازمِ الأَمرِ شُجـاعٍ فى الوَغَم (٣)

كاملٍ يَحمِـــلُ آلاءَ الفــتى ... نَبِـــهٍ ســـيّدِ ساداتٍ خِضَم (٤)

خيرُ حىٍّ من مَعَـــدٍّ علِمُـــوا ... لِكَفِىءٍ ولجـارٍ وابنِ عم (٥)

يَجْـــبُرُ المحـروبُ فينـا مالَه ... ببنـاءٍ وسَـــوامٍ وخَـــدَم (٦)

نُفُــلٌ للشـحْمِ فى مَشْتاتنــا ... نُحُـــرٌ للنِّيبِ طَـرّادُو القَـرَم (٧)

---

(١) يوم تحلاق اللم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليتميزوا .

(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، كناية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحتين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الابل ، واللف : الجمع والضم ضدّ النشر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .

(٣) الرأس الصلدم : القوى الصلب ، ويريد به هنا رأس القوم فى الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع فى الحرب .

(٤) الآلاء : جمع ألا (كعصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والألا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الحمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بمحاسنه ، أو يحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يحمل ضعفه وجهده باعانته وحمايته .

(٥) نحن خير حى من قبائل معـد — وعلموا بالبناء للعلوم أى عرفونا بذلك . والكفىء : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى فى معد عرفه الناس مرجوًا للكفىء والجار ولابن العم .

(٦) المحروب : المسلوب المـال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المـال اذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخدما .

(٧) نفله : أعطاه نفلا أى عطية ، والقرم : شـدة اشتهاء اللحم لبعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطى من يقصدنا الشحم فى الشتاء ، وهو زمن الجهد وننحر النوق النيب ، ونطرد عن مشتهى اللحم قرمه باطعامه إياه .

نَزَعُ الجاهلَ فى مجلسنا ... فترى المجلسَ فينا كالحَرَم (١)
وتفرَّعْنا من ابنى وائلٍ ... هامةَ المجدِ وخُرطومَ الكَرَم (٢)
من بنى بكر اذا ما نُسِبُوا ... وبنى تغلبَ ضرّابى البُهَم (٣)
حين يَحمِى الناسُ نَحمِى سِربَنا ... واضحِى الأوجُهِ معروفى الكرم (٤)
بحُساماتٍ تراها رُسَّبًا ... فى الضريبات مُترّاتِ العُصُم (٥)
وفحولٍ هيكلاتٍ وُقُحٍ ... أعوَجِيّاتٍ على الشأوِ أُزُم (٦)
وقنًا جُردٍ وخيلٍ ضُمَّرٍ ... شُزَّبٍ من طُولِ تَعلاكِ اللُّجُم (٧)

(١) نزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر : والحرم . ما يحارب عنه الإنسان ويحميه ، أو أنه يريد حرم مكة — يعنى أننا نكف الجاهل فلا يأتى فى مجلسنا بسفاهة فكأن مجلسنا حرم نحميه أو حرم يحترم دينا .

(٢) على صيغة الماضى بسكون العين والخرطوم الأنف — أى وقد تفرّعنا ونسلنا من ابنى وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للمجد وأنف للكرم . والأنف يكنون به عن الأنفة والعز والشمم .

(٣) ثم فسر معنى ابنى وائل بأنهما بكر وتغلب وضرابو البهم : جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .

(٥) جمع الحسام على حسامات نادر . ورسب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب فى الضريبة . واذا قرئت رسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمترّ القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشىء ويشدّه ويربطه من الحبال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .

(٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، وجمعه على هيكلات نادر ، ووقح : جمع وقاح ، يريد الفرس الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجى ، وهو الفرس ينسب الى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزوم ، وهو الفرس يعض على فأس اللجام من شدة نشاطه . والشأو : السبق ، أى ونحمى سربنا بخيول فحول صلبة الحوافر أعوجيات شديدة فى السبق .

(٧) وقنا جرد : أى رماح مجرّدة من الكعوب الغليظة ، وخيل ضمر : أى ضامرات ، وشزب : ضامرات صلاب ، وتعلاك اللجم وعلكها تحريكها والعض عليها بالفم . واللجم : جمع لجام .

آدَتِ الصـــنعةُ فى أمتُنِهـا فهى من تحتُ مُشيحاتُ الحُزُمِ (١)

تتَّـــقِى الأرض برحٍّ وُقُحٍ وُرُقٍ يَقْعَرن أنبـاكَ الأَكَمْ (٢)

وتفَـــرّى اللَّحْمُ من تعدائها والتغالِى ؛ فهى قُبٌّ كالْعَجَمْ (٣)

خُلُجُ الشـــدِّ مُلِحّاتٌ إذا شالت الأيدى عليها بالجـذَم (٤)

قُدُما تنضــو إلى الدَّاعى اذا خلَّلَ الداعى بدعْوَى ، ثم عَمّ (٥)

بشبـابٍ وكُهُول نُهُـدٍ كَلُيُـوثٍ بين عِرِّيس الأجَمّ (٦)

(١) آدى : قوّى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسمينه ، والأمتن : جمع متْن ، وهو الظهر . ومشيحات الحزم : أى أن أحزمتها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومتنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوّى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى أنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الرح : انبساط الحافر فى رقة ، والأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووقح : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، و يقعرن : يقتلعن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحدّدة الرأس . أى تتقى تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت العين : انبجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو . والتغالى : شـدّة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شىء (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها وينبجس بالعرق من شدّة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى اليبوسة .

(٤) الخلج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدى : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط .

(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا لفلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يمضى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) قال تأبط شراً : (١)

يا عِيدُ ما لَكَ مِن شَـوقٍ و إيراقِ ... ومَرِّ طَيفٍ على الأهوال طَرّاقِ (٢)

يسرِى على الأيْنِ والحَيّاتِ مُحْتَفِيًا ... نفسى فِـداؤكَ مِن سارٍ على ساق (٣)

إِنى إذا خُـلّةٌ ضَنَّت بنائلهـا ... وأمسكتْ بضعيفِ الوصلِ أحْذاقِ (٤)

نجوتُ منهـا نَجائى من بَجِيلَةَ إذ ... ألقيتُ ليلةَ خَبْتِ الرّهْطِ أرْواقِى (٥)

لَيْلَةَ صاحوا وأغْرَوْا بى سِراعَهُمُ ... بالعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْـدَى آبنِ بَرّاقِ (٦)

كأنمـا حَثْحَثُوا حُصًّا قوادِمُـه ... أو أُمّ خِشْفٍ بذى شَثٍّ وطُبّاقِ (٧)

---

(١) هو ثابت بن جابر الفهمى ، وفهم إحدى قبائل قيس عيلان المضرية ، وتأبط شرا : لقب لقب به لأنه حمل الى أمه أفاعى فى جراب يتأبطه (وكانت طلبت منه فائدة) فقيل فيه تأبط شرا فلزمه . وكان لصا فاتكا عدّاء داهيا . وغزا هو وعمرو بن براق الفهمى (وكان يليه فى العدو) قبيلة بجيلة ، فلم يظفروا منهم بغرة . فثاروا خلفهما على الخيل ، ففاتاهم عدوًا . وفى ذلك يقول القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٢) العيد هنا : ما يعتاده من الحزن والشوق والأرق ، ومالك من شوق : يعنى ما أعظمك من شوق كقولهم : مالك من فارس ! فى التعجب من فروسيته مثل ما تقول : قاتله الله من شاعر ! والإيراق : التأريق ، مصدر آرقه الهم والشوق . ومر طيف : أى ومرور طيف المحبوبة عليه فى غفوته ، وطراق : أى يطرق ليلا . (المعنى) يأيهـا الذى يعتادنى من الشوق والتأريق وطروق طيف الأحبة متجشما ان غفوت الى الأهوال ووطء الحيات ما أعظمك وأعجبك . ثم وصف هذا الطيف بالبيت الآتى .

(٣) يسرى : أى يسـير ليلا ، والأين : التعب والإعياء ، محتفيا : أى مبالغا فى الإكرام لى والاهتمام بشأنى .

(٤ و ٥) الخلة هنا : الخليلة أو الخليلات ، وضنت : بخلت ، والنائل : العطاء والفائدة ، والأحذاق : المتقطع ، من قولهم حبل أحذاق ، أى متقطع قطعا ، ونجوت : خلصت ، و بجيلة : التى أغار عليها ولحقته ، والرهط : اسم واد ، وخبته : بطنه ، و يقال ألقى أرواقه : اذا عدا عدوا شـديدا . (المعنى) أى إن ضنت خليـلة علىّ ، وأصبح وصلها لى كالحبل المتقطع خلصت منها خلوصى من فرسان بجيلة عند ما أدركونى ليلا بخبت الرهط ، فألقيت أرواقى ، وعدوت عدوا قصرت عنه خيلهم ففتهم .

(٦ و ٧) العيكتان : جبلان أو موضع ببلاد بجيلة ، وابن براق : رفيقه فى هذه الغارة ، ومعداه : مكان عدوه ، وحثحثوا حركوا وهاجوا ، والحص : جمع أحص ، وهو الذى تساقط شعره ، والمراد به هنا =

لا شيء أسرعُ منى ليس ذا عُذُرٍ ... وذا جَناح بجنب الرِّيدِ خفَّاق (١)

حتى نجوتُ، ولما ينزِعُوا سَلَبي ... بوالهٍ من قبيض الشَّدِّ غَيْدَاق (٢)

ولا أقولُ إذا ما خُلَّةٌ صَرَمتْ : ... يا وَيْحَ نفسِيَ من شَوقٍ وإشفاق! (٣)

لكنما عِوَلِي ان كنتُ ذا عِوَلٍ ... على بصيرٍ بكسب الحمدِ سبَّاق

سبَّاقِ غاياتِ مجدٍ فى عشيرته ... مُرَجِّعِ الصَّوتِ هَدًّا بين أرْفاق

= الظليم، وهو الذكر من النعام؛ لأن قوائم النعام لا ريش فيها، وذات خشف: أى ظبية، والخشف ولدها، وذو شث وطباق: واد به الشث والطباق، وهما نباتان. (المعنى) عند ما صاحوا فى هذه الليلة وأغروا بى المسرعين منهم فى العيكتين وهو المكان الذى تراءى لهم ابن براق رفيق يعدوفيه كانوا كأنما هاجوا منى ظليما أو ظبية، فلم يلحقونى.

(١) العذر: جمع عذار، وهو ما سال على خد الفرس من اللجام، وذوالعذر: الفرس، وذو الجناح الخفاق بجنب الريد: هو الطير الذى يرتقى الى أعلى الجبل كالعقاب والنسر، والريد الحرف الناتئ من الجبل فى أعلاه خارجا عن معظمه.

(٢) السلب: ما يسلب من القتيل من السلاح والدرع والثياب، والواله هنا: البقرة التى فقدت ولدها فهى تجرى مذعورة عليه. قال الأعشى: يذكر بقرة وحش أكل السباع ولدها:

فأقبلت والها ثكلى على عجل ... كل دهاها وكل عندها اجتمعا

ورجل قبيض الشد (أى العدو): سريع نقل القوائم، ويقال إنه لغيداق الشد: سريع الجرى، والباء فى قوله بواله للتجريد، أى نجوت بنفسى وأنا شديد العدو كأنى وحشية والهة.

(٣) صرمت: قطعت، أى قطعت الود وهجرت. وويح: كلمة رحمة، وياويح نفسى: نداء للترحم كما فى نحو يالهف نفسى للتحزن، والإشفاق: الخوف. والعول: اسم مصدر من التعويل على الشىء والاعتماد والاتكال عليه. وعلى بصير: أى صاحب بصير الخ. ومرجع الصوت: مكرره فى الحلق، والهد: الصوت الغليظ الجهير. (المعنى) أى لكنما اعتمادى (ان كنت ذا اعتماد) انما يكون على رجل خبير بكسب الحمد سباق اليه والى غايات المجد فى قومه جهير الصوت غليظه بين رفقائه، وكانوا يحمدون من السيد جهارة صوته وغلظه.

عارِى الظَّنابيب مُشْتَدٍّ نواشرُه مدلاجِ أدهَمَ واهِى الماء غسّاق (١)
حمّالِ ألْويةٍ، شهّادِ أندية قوّالِ مُحْكَمَةٍ، جوّال آفاقِ (٢)
فذاك همّى وغَزْوِى: أستغيث به اذا استُغيث بضافى الرأس نَغّاق (٣)
كالحِقْف حدَّأُه النامونَ، قلت له: ذو ثُلَّتين وذُو بَهْمٍ وأرْباق! (٤)
وقُلَّةٍ كسِنانِ الرمح بارزةٍ ضحيانةٍ فى شهور الصيف مِحْراقِ (٥)
بادرتُ قُنّتَها صَحْبِى - وما كَسِلُوا - حتى نَمَيْتُ اليها قَبلَ إشراق (٦)

---

(١) الظنابيب: جمع ظنبوب، وهو حرف عظم الساق من أمام. وعرى الظنابيب واشتداد النواشر (وهى عروق ظاهر الذراع) كناية عن ضمور العضل ويبسه وعدم ترهل لحمه، وذلك محمود فى رجال العمل والحرب والجرى، والمدلاج: من يكثر السير فى دلج الليل أى فى وسطه وأواخره. والأدهم هنا: كناية عن الليل. وواهى الماء: أى منصب الماء كأنه فى قربة واهية متشققة لشدة مطره. والغساق: الماء المنصب أيضا، أو يكون صفة للأدهم وهو الليل وأنه مظلم.

(٢) هذا السيد الذى أعول عليه من صفته أنه حمال ألوية فى الحروب، شهاد أندية للمشاورة فى معضلات الأمور، قوّال أقوال محكمة من الشعر أو الحكمة أو الأقضية الفاصلة فى المشكلات، كثير أسفار للغنم والاكتساب؛ فهو شجاع عاقل حكيم كساب.

(٣) بضافى الرأس: أى بضافى شعر الرأس، نغاق شديد الصياح فى سوق الإبل والغنم. (المعنى) بهذا الرجل الشجاع الحكيم أستغيث اذا استغاث غيرى براعى ضأن أحمق ينعق بها.

(٤) الحقف هنا: الرمل العظيم المستدير، وحدأه: ألصقه ولبده، والنامون: المرتفعون. والثلة: الطائفة من الغنم، والبهم: صغار الغنم، والأرباق: جمع ربق وهو حبل له عرا تشد فيها البهم. أى ان رأس هذا الراعى كالحقف لبده من يرتقى اليه من الناس بأقدامهم، وهذا الراعى قلنا له استهزاء: أنت ذو ثلتين الخ فما لك وللحرب.

(٥) القلة: أعلى الجبل، وضحيانة: بارزة للشمس.

(٦) بادرت: استبقت، وقنتها أعلاها: أى استبقت أصحابى الى قنتها أى أعلى جزء مستطيل فيها الى السماء. وما كسلوا أى وما كسلوا عن اللحاق بى فى صعودها، حتى نميت اليها: أى حتى ارتفعت وارتقيت اليها قبل إشراق الشمس.

لا ظِـــلَّ فى رَيْدها إلا نَعامتُهـا   منهـا هَزِيمٌ ، ومنهـا قائم باق (١)
بِشْرِثَةٍ خَلَقٍ يُوقَى البَنانُـ بهـا   شـددتُ فيها سَرِيحًا بعد إطْراق (٢)
بل ما لِعــذَّالةٍ خــذَّالةٍ أشِبٍ   حَرَّق باللوم جِلْدى أىَّ تَحــراق (٣)
يقول: أَهلكْتَ مالًا لو قَنِعت به :   مِن ثوبِ صِدْقٍ ومن بَزٍّ وأعْلاقِ (٤)
عاذِلَتِي ؛ إنْ بعضَ اللوم مَعْنَفَـةٌ   وهل متاعٌ — وإن أبقيته — باق (٥)

(١) فى ريدها : أى الحرف الناتئ منها المشرف على الهواء ، والنعامة هنا : ما نصب من خشب يستظل الربيئة أى العين الذى يستطلع حال الأعداء فى الحرب أو يستطلع الصيد ، والهزيم : المتكسر .

(٢) الشرثة : النعل الخلق أى البالية أو هو الخلق من كل شيء ، والبنان : الأصابع من اليدين أو الرجلين أو منهما جميعا أو الأطراف وكل مناسب هنا . أى أنه كان يستر أصابعه وأطرافها بنعال بالية ليقيها بها من حدة شظايا الصخور ، وهو يرتقى تلك القنة . والسريح : السيور من الجلد تشد بها النعال وتقوى وتخصف والواحد سريحة ، والإطراق : تقوية النعل بجلد آخر فوق الجلد الأول ، أى انى وقيت أصابعى وأطرافى بنعال بالية قويتها بشدها بسيور من الجلد بعد أن أطرقتها وقويتها بطبق آخر من الجلد فوقها . وقد وصف نفسه فى هذه الأبيات الأربعة بأنه رجل مخاطرة و إقدام لا يألو إذا فدحه الطلب أن يرتقى قنن الجبال المحرقة فيصعدها مستبطنا فى يديه ورجليه نعالا بالية يخصفها بسيور وطباق من الجلد فوقها ؛ ليكون عينا وربيئة لصحبه أو ليفلت من طالبيه . ثم أضرب عن وصف القنة مقتضبا الكلام بمعارضة اللائمين له على إتلاف ماله فقال بل ما لعذالة الخ .

(٣) عذالة وخذالة أى لرجل عذالة خذالة : للبالغة من العذل والخذلان والتاء فيهما كذلك كما فى نحو رحالة ، والأشب : اللائم العائب .

(٤) أهلكت مالا : أى مالا عظيا فالتنكير هنا للتعظيم نحو إن له لإبلا ، وسيكون لفلان معى شأن و (لو) هنا للتمنى فلا جواب لها ، أو شرطية والجواب محذوف دل عليه ما قبله أى لكان كثيرا كافيا أو لأغناك . ومن ثوب صدق الخ : بيان لهذا المال ، وصدق الشيء : ثبوت الصفات المحمودة له ، فيقال لسان صدق بالإضافة ، وفرس صدق ، وثوب صدق . والبز : الثياب التى تلبس ، أو ما اتخذ متاعا للبيت من النسيج كالستور ونحوها . والأعلاق : الأشياء النفيسة من السلاح وغيره .

(٥) عاذلتى : أى يا عاذلتى ، يوجه الخطاب لامرأة بعد توجيهه لرجل ، ومعنفة : مصدر ميمى من العنف ، وهو ضد الرفق أى أن بعض اللوم شديد على نفس الملوم .

إنى زعيم لئن لم تتركوا عذلى … أنْ يسأل الحىُّ عنّى أهلَ آفاق :(١)
أنْ يسأل القومُ عنى أهل معرفة … فلن يُخبِّرَهُم عن (ثابت) باق
سَدِّدْ خِلالَكَ من مال تُجمِّعه … حتى تُلاقى الذى كلُّ امرئٍ لاق
لتقرعِنَّ علىَّ السِّنَّ من ندمٍ … اذا تذكَّرتِ يومًا بعض أخلاقى

(١٠) من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُرى التى مطلعها :(٢)

آذنَتنا بِبَيْنِها أسماءُ … رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ (٣)

* * *

وأتانا مِن الحوادثِ والأنـ … ـباء خَطْبٌ نُعنَى به ونُساء (٤)
أنَّ إخوانَنا الأراقِمَ يَغلُو … نَ علينا فى قِيلهم إحْفَاءُ

(١) إنى زعيم : أى إنى كفيل إن لم تكفوا عن عذلى أن أفارقكم إلى حيث لا تعلمون مقرى ، فتسألون عنى أهل النواحى والآفاقيين ممن تتوسمون فيهم المعرفة فلا يخبركم باق يلقاكم منهم بخبر عن ثابت (وهو اسمه) والخلال فى البيت بعده : جمع خلة وهى الحاجة . ثم عاد ، وقال لعاذلته : لتقرعن البيت الخ .

(٢) هو الحارث بن حلزة اليشكرى أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة . كان فى بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم فى تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفتخر بقومه وأيامهم فى حروب البسوس مع تغلب ، وفى غيرها — وعمر الحارث طويلا .

(٣) آذنتنا : أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أى كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٤) نعنى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ، ويغلون علينا : يتجاوزون الحد فى التقول علينا ، والقيل : القول ، والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون ويتشددون فى نسبة مالم نفعل الينا .

يخلطون البريءَ منّا بذى الذّنْـ ـبِ، ولا ينفع الخَلِيَّ الخلاءُ (١)
زعموا أنّ كلّ من ضرب العيـ ـرَ موالٍ لنا، وأنّا الولاء (٢)
أجمعوا أمرهم عِشاءً فلما أصبحُوا أصبحتْ لهم ضَوْضاء:
من مُنادٍ، ومن مُجيبٍ، ومن تَصْـ ـهالِ خيل، خِلالَ ذاك رُغاء (٣)
أيها الناطقُ المرقِّش عنّا عند عَمْرو، وهل لذاكَ بَقاء (٤)
لا تَخَلْنا على غِراتِك، إنّا قَبْلُ ما قد وَشى بنا الأعداءُ (٥)
فبقينا على الشَّناءةِ تَنمِيـ ـنا حُصُونٌ، وعِزّةٌ قعساء (٦)
قبلَ ما اليومِ بيَّضت بعيون النـ ـاس فيها تَعيُّطٌ وإباءُ (٧)

(١) الخلى هنا: الخالى من الذنب، والخلاء: الخلو من الذنب كذلك، أى لا تنفع البرىء عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم.

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب، وأنه من موالينا وأنصارنا، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره.

(٣) أى يتلمسون أى ذنب، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكونَ لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ. قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة.

(٤) المرقش: المزين القول بالباطل، وهل لذلك الخ: أى لتزيينك الباطل دوام.

(٥) لا تخلنا: أى لا تحسبنا، والغرة: اسم مصدر من الإغراء، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا؛ فن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا.

(٦) الشناءة: البغض، وتمينا: ترفعنا. والقعساء: الثابتة، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه.

(٧) قبل ما اليوم: أى قبل اليوم وما زائدة، وبيضت بعيون الناس: بيضتها أى أعمتها، والباء زائدة، والتعيط: الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس، فلا يتطلعون الى إذلالنا، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن تنال بسوء.

وكأن المنونَ تَردى بنا أرْ عَن جَونًا ينجابُ عنه العَماء (١)
مُكفهرًّا على الحوادث لا ترْ تُوهُ للدهر مُؤيِدٌ صمّاء (٢)
أيَّما خُطَّةٍ أردتُم فأدُّو ها إلينا تمشى بها الأمْلاء (٣)
إن نَبشتم ما بين مِلْحَة فالصا قب فيه الأمواتُ والأحياء (٤)
أو نَقشْتم، فالنقشُ يَجْشَمُه النا سُ، وفيه الصلاحُ والإبراء (٥)
أو سكتُّم عنّا، فكنّا كمن أغ مَضَ عينًا فى جَفنها أقذاء (٦)

---

(١) تردى : ترمى وترجم، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد، أى لتلقين الأسد، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه، والجون : الأسود، وينجاب عنه : ينشق عنه، والعماء : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب، وذلك من منعتنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع، ولا ترتوه : لا تنقصه وتنال منه، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهى الصماء .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملأ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها الينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فان ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا من العار .

(٦) وإن سكتم عنا فانا نسكت، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أو منعتم ما تُسألون فمن حُـدّ ... ثتموه له علينـا العَـلاء ؟(١)

هل علمتم أيامَ يُنتهَبُ النا ... سُ غوارًا لكل حيٍّ عُواء (٢)

اذ ركبْنا الجمالَ من سَعَف البحـ ... ـرين سيراً حتى نهاها الحساء (٣)

ثم مِلْنـا على تميم فأحرَمْـ ... ـنا، وفينـا بنـاتُ مُرٍّ إماء (٤)

لا يُقيم العـزيزُ بالبلد السهـ ... ـل،ولا ينفعُ الذليـلَ النجاء (٥)

ليس يُنجى مُوائلا من حِذارٍ ... رأسُ طَـودٍ وحَرةٌ رَجـلاء (٦)

---

(١) وان منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضى فمن الذى أخبرتم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا — وحدّث هنا تعدّت الى ثلاثة مفاعيل .

(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تنتهون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بغلبنا على غيرنا من قبائل تميم فى تلك الأيام التى تعرفونها ، أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا ، و يغير بعضهم على بعض ، وفى كل حى منهم صياح .

(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أى هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

(٤) فأحرمنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا . ومرّ : أبو قبيلة تميم .

(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفرار ، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود : الجبل . والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدّة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لما فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الذليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن فى حرّة غليظة .

عصر صدر الإسلام وبني أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين (١) من قبلكم لعلكم تتقون (٢) . الذى جعل لكم الأرض فراشا (٣) والسماء بناء (٤) وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا (٥) وأنتم تعلمون (٦) .

تلك أمة (٧) قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

إن فى خلق السموات والأرض واختلف (٨) الليل والنهار والفلك (٩) التى تجرى فى البحر

---

(١) معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم

(٢) الجملة حال من الضمير فى اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا فى سلك المتقين .

(٣) كالفراش المبسوط .

(٤) كالقبة المضروبة عليكم .

(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .

(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدقون صحة الشرك .

(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب اليهم المجادلون من الكفار . خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئا كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .

(٨) الاختلاف : التعاقب .

(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بما ينفعُ الناسَ وما أنزل اللهُ من السَّماءِ (١) من ماءٍ فأحيا به الارضَ بعد موتها وبثَّ (٢) فيها من كلِّ دابَّةٍ وتصريفِ الرِّيحِ (٣) والسحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ لآيتٍ لقومٍ يعقلون . ومن الناسِ من يتَّخذُ من دونِ اللهِ أندادا يحبونهم كحُبِّ اللهِ والذين ءامنوا أشدُّ حبًّا (٤) لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذابَ (٥) أنَّ القوةَ لله جميعًا وأنَّ اللهَ شديدُ العذابِ . إذ تبرَّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذابَ وتقطَّعت بهم الأسبابُ (٦) . وقال الذين اتَّبعوا لو أنَّ لنا كرَّةً (٧) فنتبرأَ منهم كما تبرَّءوا منا كذلك يريهم اللهُ أعمالَهم حسراتٍ (٨) عليهم وما هم بخارجين من النارِ .

ليس البرَّ (٩) أن تولُّوا وجوهكم قبلَ المشرقِ والمغربِ ولكنَّ البرَّ من ءامن (١٠) باللهِ واليومِ الآخرِ والملئكةِ والكتبِ (١١) والنبيين وءاتى المالَ على حبِّه (١٢) ذوي القربى واليتمى (١٣)

---

(١) السماء : جهة العلو .

(٢) البث : النشر والتفريق .

(٣) تصريف الرياح : تدبير مهابها وأحوالها .

(٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددين بين الأصنام ، أو اللاجئين الى الله حين الشدة فقط .

(٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضي لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .

(٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .

(٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .

(٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .

(٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حولت من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ويصح أن يكون الخطاب عاما .

(١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .

(١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويج منهم .

والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسّائلينَ وفى الرِّقاب (١) وأقامَ الصلوٰةَ وءاتَى الزَّكاةَ والمُوفُونَ (٢) بِعَهْدِهِم إذَا عٰهدوا والصّٰبِرِينَ فى البأساءِ والضَّرَّاءِ (٣) وحينَ البأسِ أولٰئكَ الذينَ صَدَقُوا (٤) وأولٰئك هُم المتَّقُون .

ولا تأكُلُوا أموٰلَكُمْ بينَكُمْ بِالبٰطِلِ (٥) وتُدْلُوا بِها إلى الحُكّامِ لِتأكُلوا فريقًا من أموٰلِ النّاسِ بالإِثمِ وأنتم تعلمون (٦) .

ومِنَ النّاسِ من يُعجِبُكَ قولُه فى الحَيٰوةِ الدنيا ويُشْهِدُ اللهَ على ما فى قلبِه (٧) وهو ألَدُّ الخِصام . وإذا تَوَلَّى (٨) سعَىٰ فى الأرضِ لِيُفسِدَ فيها ويُهلِكَ الحَرْثَ والنسلَ واللهُ لا يُحبُّ الفَسادَ . وإذا قِيلَ له اتقِ اللهَ أخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثمِ (٩) فحسبُهُ جهنَّمُ ولبِئسَ المِهادُ . ومِن الناسِ من يَشرِى نفسَهُ (١٠) ابتغاءَ مَرضَاتِ اللهِ واللهُ

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا : تلقوا . بالإثم : أى بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للمسلمين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو اذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حمله عليه وألزمه إياه : والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبئس المهاد : جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بئس المهاد مهاده .

(١٠) يشرى نفسه : يبيعها ويبذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله رءوف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقربين فائزين .

رءوف بالعباد . يأيها الذين ءامنوا ادخلوا فى السلم(١) كافة ولا تتبعوا خطوت الشيطان إنه لكم عدو مبين(٢) . فان زللتم(٣) من بعد ما جاءتكم البينت فاعلموا أن الله عزيز حكيم(٤) .

كتب عليكم القتال وهو كره لكم(٥) وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل(٦) حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضعف لمن يشاء ، والله وسع عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا(٧) ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قل اللهم ملك الملك(٨) تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير . تولج اليل فى النهار وتولج النهار فى اليل(٩) وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى(١٠) وترزق من تشاء بغير حساب .

---

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زللتم : حدتم عن الدخول فى السلم . والبينات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعا .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق . واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المن : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن اليه .

(٨) الملك هنا : كل شىء فمعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص .

(١٠) المراد باخراج الحى من الميت و بالعكس إنشاء الحيوان من موإده وإماتته .

إنَّ الذينَ يَشتَرُونَ بعَهْدِ اللهِ وأيمٰنِهم ثمنًا قليلًا(١) أولٰئك لا خَلاقَ(٢) لهم فى الآخرة وَلا يُكَلِّمُهمُ اللهُ ولا ينظُرُ إليهم يومَ القِيٰمة ولا يُزَكِّيهِمْ ولهم عذابٌ أليم .

واعتصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعًا(٣) ولا تفرَّقوا واذكُرُوا نِعمتَ اللهِ عليكم إذ كُنتم أعداءً(٤) فألَّفَ بين قُلوبِكم فأصبحتُم بنِعمتِه إخوٰنًا وكُنتم على شَفَا حُفرَةٍ من النارِ فأنقذَكم منها(٥) كذٰلك يُبيِّنُ اللهُ لكم ءايٰتِه لعلكم تهتدون . ولْتكنْ منكم أمَّةٌ يدْعُون إلى الخيْرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ وَينْهَوْن عن المُنكرِ وأولٰئكَ هم المفلِحون . ولا تكونوا كالَّذِينَ تفرَّقُوا واختلَفُوا من بعدِ ما جاءَهم البيٰنٰتُ وأولٰئكَ لهم عذابٌ عظيم .

فبِمَا رَحمةٍ منَ اللهِ لِنتَ لهم(٦) ولو كُنتَ فظًّا غَليظَ القلْبِ لانفضُّوا من حَولِك فاعْفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاوِرْهُم فى الأمْرِ فإذا عزمتَ(٧) فتوكَّلْ على الله إنّ اللهَ يُحب المتوكِّلين . إن ينْصُرْكمُ اللهُ فلا غالبَ لكم وإن يَخْذُلْكم فمَن ذَا الذى ينْصُرُكم مِّن بعده وعلى اللهِ فلْيتوكَّلِ المؤمنون .

---

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لتؤمنن بالله ولتنصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكيهم : لا يثنى عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

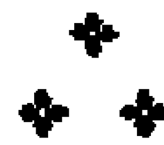
(٦) فبما رحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سيئ الخلق الجافى : غليظ القلب ، قاسيه . انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء بعد الشورى .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ(١) لو تَرَكُوا من خَلْفِهم ذُرِّيَّةً ضِعفًا خافُوا عليهم فَلْيَتَّقُوا اللهَ ولْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . إن الَّذِينَ يأكُلونَ أمْوٰلَ اليَتٰمٰى ظُلمًا إنما يأكلون فى بطُونهم نارًا(٢) وسيَصلَوْنَ سَعيرًا .

وإذا حُيِّيتُم بتحية فَحَيُّوا بأَحسنَ منها أو رُدُّوها إن اللهَ كان على كلِّ شيءٍ حَسيبًا(٣) .

ولا تُجٰدِلْ عَن الَّذِين يختانونَ(٤) أنفسَهم إن اللهَ لا يُحب من كان خَوَّانا أثيمًا . يَستخفُون(٥) من الناس ولا يَستخفُونَ من الله وهو معهم إذ يبيّتون مالا يَرضى من القولِ وكان اللهُ بما يعمَلُون محيطا . هٰأنتم هٰؤُلاءِ جٰدَلتُم عنهم فى الحيٰوةِ الدُّنيا فمَنْ يُجٰدِلُ اللهَ عنهم يومَ القيٰمةِ أَم مَّنْ يكونُ عليهم وَكيلا(٦) . ومَن يَعمَلْ سُوءًا أو يَظلِم(٧) نفسَه ثم يستغفرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غفورًا رحيما .



يأيها الذينَ ءامنوا إنَّما الخمرُ والمَيْسِرُ والأنصابُ والأزلٰمُ رِجْسٌ(٨) من عَمَلِ الشيطٰنِ فاجتَنِبُوه لعلَّكم تُفلِحون إنَّما يُرِيدُ الشيطٰنُ أن يُوقِعَ بينكم العَدٰوةَ والبَغضاءَ فى الخمرِ

(١) هذا أمر للأوصياء بمخافة الله فى أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر فى الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجرّ الى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحية أيضا كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهمك فى المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعدّاه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك أن العرب كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى . وعلى الآخر نهانى ربى . والثالث غفل . فان خرج الآمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية . رجس : قذر تعافه العقول .

والْمَيْسِر وَيَصُدَّكُم عن ذِكرِ اللهِ وعن الصَّلَوٰة فهل أنتم مُنتَهُون (١) وأطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسولَ وٱحْذَرُوا فإن تولَّيتُم فاعلَموا أنَّما على رسولِنا البلٰغُ المُبين (٢) .

* * *

ولقد أرسَلْنَا إلى أُمَمٍ من قبلِكَ فأخَذْنٰهم بالبَأْساءِ والضَّرَّاءِ لعلَّهُم يتَضَرَّعون (٣) ، فلولا إذ جاءَهم بأسُنا تَضَرَّعوا (٤) ولٰكن قَسَتْ قُلوبُهم وزيَّنَ لهم الشيطٰنُ ما كانوا يَعمَلون ، فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فَتَحنا عليهم أبوٰبَ كلِّ شيءٍ (٥) حتَّى إذا فرِحُوا بما أُوتوا أَخَذْنٰهم بَغْتَةً فإذا هم مُبلِسُون (٦) ، فقُطِعَ دابِرُ القومِ الذينَ ظَلَموا (٧) والحمدُ للهِ ربِّ العٰلَمين .

وإذْ قال إبرٰهيمُ لأبيه ءازرَ (٨) أتَتَّخِذُ أصنامًا ءالهةً إنِّى أرٰكَ وقومَكَ فى ضَلٰلٍ مُبينٍ ، وكذلك نُرِى إبرٰهيمَ مَلَكُوتَ السمٰوٰتِ والأرضِ (٩) وليكونَ من المُوقِنينَ ، فلما جَنَّ (١٠)

(١) هذا الاستفهام إيذان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعذار قد انقطعت .

(٢) أى فإن أعرضتم فلن تضروا الرسول بإعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون : يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة والرخاء .

(٦) مبلسون : متحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) آزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر والاستدلال .

عليه اللَّيْلُ رءا كوكبا قال هذا ربى فلمّا أفَلَ(١) قال لا أُحِبُّ الآفِلين . فلما رءا القمر بازغًا(٢) قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إنى برىء مما تشركون(٣) . إنى وجّهت وجهى(٤) للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين .

إن الله فالق(٥) الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأنى تؤفكون(٦) . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم(٧) . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمت البر والبحر قد فصلنا(٨) الأيت لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الأيت لقوم يفقهون(٩) ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء(١٠)

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بازغا : مبتدئا فى الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء فى وجهت . والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذى ينبت منه .

(٦) تؤفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالق الإصباح : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سكنا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا اليه . حسبانا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب كشهاب وشهبان . العزيز العليم : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بيناها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة هى آدم عليه السلام . مستقر : فى الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع : فى الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً(١) ومن النخل من طلعها قنوان دانية(٢) وجنت من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشبه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لأيت لقوم يؤمنون .

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالولدين إحسناً(٣) ولا تقتلوا أولدكم من إملق(٤) نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفوحش(٥) ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن(٦) حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط(٧) لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا(٨) ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصكم به لعلكم تذكرون، وأن هذا صرطى(٩) مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقون .

(١) الخضر : شىء أخضر يخرج من الحبة متشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان، وهى الأعذاق : جمع قنو كصنوان جمع صنو . دانية : قريبة التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شىء . ينعه : نضجه . الآيات : العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا بهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسببية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستثمارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالغا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

واتَّقُوا فِتنةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَموا منكُمْ خاصَّةً واعلَموا أنّ اللهَ شديدُ العِقاب (١) .

واذكُروا إذْ أنتم قَليلٌ مُسْتَضْعَفُون فى الأرضِ تخافُون أن يَتَخَطَّفَكُم النَّاسُ فآواكم وأيَّدكم بِنَصرِه ورزَقَكُم من الطَّيِّبَاتِ لعلكم تَشكُرُون (٢) .

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ (٣) . الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ (٤) . وضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ (٥) . ذَلِكَ بما قَدَّمتْ يَدَاكَ (٦) . قُضِيَ الأمرُ الذى فيه تَسْتَفْتِيَانِ (٧) . إنَّ مَوعِدَهُم الصُّبحُ أليسَ الصُّبحُ بِقَرِيبٍ (٨) . وحِيلَ بينهم وبينَ ما يشتهون (٩) . لِكُلِّ نبإٍ مُستَقَرٌّ (١٠) . ولا يَحِيقُ المَكْرُ السيئ إلا بأهلِه (١١) . قُلْ كُلٌّ يعمَلُ على شاكِلَتِه (١٢) . وعسى أن تكرَهُوا

(١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات ، ومن أوجه إعراب لا تصيبن أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم .

(٢) يمتن الله عليهم بما يتهم ونصرتهم حينا كانوا ضعافا أوّل الإسلام .

(٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .

(٤) حصحص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .

(٥) تقال للشخص ينظر الى وجه ضعيف دون القوى الهام . وأصلها أن الإنسان يعجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .

(٦) يجابه بها من فرط فوقع فى مغبة عمله .

(٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .

(٨) فى قرب المنتظر .

(٩) فى الحرمان .

(١٠) للنص على أن لكل شىء غاية .

(١١) مدبر الشر يقع فيه .

(١٢) تستعمل فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه

شيئًا وهو خيرٌ لكم (١) . كلُّ نفسٍ بما كسبتْ رهينةٌ (٢) . ما علَى الرسولِ إلاّ البلٰغ (٣) . ما على المحسنينَ من سبيل (٤) . هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحْسَانُ (٥) . كم مِن فئةٍ قليلةٍ غلبتْ فئةً كثيرةً بإذن الله (٦) . ءآلئن وقد عصيْتَ قبْلُ (٧) . تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتّى (٨) . ولا ينبّئك مثلُ خبير (٩) . كُلُّ حزب بما لديهم فرحون (١٠) . ولو علِم اللهُ فيهم خيرًا لأسمعهم (١١) . وقليلٌ من عبادِيَ الشَّكُور (١٢) . لا يكلّفُ اللهُ نفسًا إلا وُسْعَها (١٣) . لا يستوِى الخبيثُ والطيِّبُ (١٤) . ظَهَر الفسادُ فى البرِّ والبحرِ (١٥) . ضَعُفَ الطَّالبُ والمطلوبُ (١٦) . لمثلِ هـذا فليعمَلِ العامِلُون (١٧) . وقليلٌ مّا هُم (١٨) . فاعتبِرُوا يأُولِي الأبصر (١٩) .

(١) فى ظهور الخير من غير مظانه .

(٢) تستعمل فى تحمل الإنسان نتيجة عمله .

(٣) فى الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .

(٤) للحسن : يجود بما يشاء .

(٥) فى الخير : جزاؤه الخير .

(٦) الضعيف : يفوز بالقوى .

(٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .

(٨) تستعمل لجماعة كالمتفقين وأهواؤهم مختلفة .

(٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .

(١٠) تعصب الإنسان لما عنده .

(١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .

(١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بغاية الجهد .

(١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشر يعم .

(١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .

(١٧) استكبار الشيء وتجميله .

(١٨) للأشياء النادرة .

(١٩) تستعمل فى لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشِّـــعر

(١) قال كعب بن زهير[(١)] :

بانتْ سُعادُ فقلبِي اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ عندَها لم يُجْزَ مكبولُ [(٢)]

وما سُعادُ غداةَ البين إذ برَزَتْ ... إلا أَغَنُّ غضيضُ الطرْف مكحول [(٣)]

تجلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالراحِ معلول [(٤)]

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول [(٥)]

تنفِي الرياحُ القذَى عنه وأفرطَه ... من صَوْب غاديةٍ بِيضٌ يعاليل [(٦)]

ويلُ آمّها خُلّةً لو أنها صدقَتْ ... بوعدها ولو آنّ النصحَ مقبول [(٧)]

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى . وقد نشأ كعب فى أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التى نشرحها . و يعدّ شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، و يقال إنه توفى سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذى أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الأغنّ : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب . غضيض الطرف : أى فى طرفها كسر وفتور .

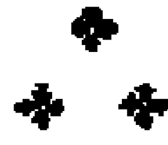
(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان و بريقها . معلول : أى مسقىّ بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شبم أى بماء ذى شبم . والشبم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق ، والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغمامة تأتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل امها فى رواية ابن هشام أكرم بها . والخلة هنا : الصديقة .

لكنها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِن دمِهـا   فَجْـعٌ ووَلْعٌ و إخلافٌ وتبـديل (١)
فـما تقـومُ على حالٍ تكون بهـا   كما تَلَوَّنُ فى أثوابهـا الغُـول (٢)
ولا تَمَسَّكُ بالعَهدِ الذى زَعَمتْ   إلا كما يُمْسِـكُ المـاءَ الغرابيـل
كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مثلا   وما مواعيـدُه إلا الأباطيـل (٣)
أرجو وآمُـلُ أن تدنو مودّتُهـا   وما إخالُ لدينـا منـكِ تنـويل
فلا يَغُـرَّنْك ما منّتْ وما وَعَدتْ   إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليـل
أمست سُعادُ بأرضٍ لا يُبلِّغُهـا   إلا العِتـاقُ النَّجِيّاتُ المراسـيل (٤)



نُبِّئْتُ أنّ رسـولَ اللهِ أوعدنى   والعفوُ عنـد رسولِ الله مأمول (٥)
مهلًا هداكَ الذى أعطاكَ نافلةَ الـ   ـقُرآنِ فيهـا مواعيظٌ وتفصيـل (٦)
لا تأخُذَنِّى بأقوالِ الوُشـاةِ، ولم   أُذْنِبْ، ولو كثُرت فىَّ الأقاويل

---

(١) سيط: من ساط الماء ونحوه يسوطه: خلطه بغيره. والفجع: الإصابة بالمكروه. والولع: الكذب.

(٢) الغول: من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلوّن لهم وتضلهم عن الطريق.

(٣) عرقوب: يضرب به المثل فى خلف الوعد، قيل إنه وعد أخا له ثمر نخلة، وقال: ائتنى إذا أطلع النخل، فلما أطلع قال: إذا أبلح. فلما أبلح قال: إذا أزهى. فلما أزهى قال: إذا أرطب. فلما أرطب قال: إذا صار تمرا. فلما صار تمرا جدّه من الليل ولم يعطه شيئا.

(٤) العتاق: الإبل أو الخيل الكريمة. والنجيات: السريعات. والمراسيل: جمع مرسال، وهو السريع.

(٥) أوعد: هدّد.

(٦) نافلة القرآن: عطية القرآن. والتفصيل: التبيين.

لقـــد أقومُ مَقامًا لو يَقــومُ به يرى ويَسمعُ ما قد أسمعُ الفيـــل (١)
لظلَّ تُرعَدُ من وَجْدٍ بوادرُه إن لم يكن من رســول الله تنويل (٢)
ما زلتُ أقتطعُ البَيْـــداءَ مُدَّرِعًا جُنْحَ الظلامِ، وثوبُ الليل مسبول (٣)
حتى وضعتُ يمينى ما أنازِعُها فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قولُه القِيـل (٤)
فَلَهوَ أخوفُ عنـدى إذ أكلِّمه وقيــل : إنك منسوبٌ ومسئول (٥)
من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مُخْـدَرُه فى بطن عَثَّرَ غِيــلٌ دونه غيــل (٦)
يغــدو فَيَلْحَمُ ضِرغامَيْن عَيْشُهما لحمٌ من النــاس معفورٌ خراديل (٧)
إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يحِـــلُّ له أن يترُكَ القــرن إلا وهــو مغلول (٨)
منــــه تظلُّ حَمِيرُ الجـوِّ نافرةً ولا تَمَشّى بواديه الأراجيـــل (٩)

---

(١) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبــة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد، جواب لو فى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة، وهى هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادّرع الظلام أى لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل : أى القول الحق .

(٥) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف . ومنسوب : أى مسئول عن نسبك .

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأوبها السباع وبها نبذ من الشــجر . والمخدر : مكان إقامة الأســد . وبطن عثر مأسدة . أى مخدره غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

(٧) يلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملقى فى التراب . والخراديل : القطع، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواثب . والقرن : المماثل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا الذى لا يستطيع المشى . وفى رواية مجدول .

(٩) الجو : البر الواسع . والأراجيل : جمع رجيل وهو الراجل غير الراكب .

ولا يزالُ بِوَادِيهِ أخو ثِقَـةٍ مضرَّجُ البَزِّ والدرسَيْنِ مأكول (١)
إنّ الرسولَ لَنـــورٌ يُستَضاءُ به مهنَّـــدٌ من سـيوفِ اللهِ مسلول
فى عُصبةٍ من قريش قال قائلُهم ببطن مكَّةَ لمـا أسلموا : زُولوا (٢)
زالوا، فمازال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عنـد اللقاءِ ولا مِيـلٌ معازيل (٣)
يمشُون مَشىَ الجمالِ الزُّهرِ يَعصِمُهمْ ضربٌ إذا عَرَّدَ السودُ التنابيل (٤)
شُمُّ العرانِينِ أبطالٌ لَبُـوسُهمُ من نسجِ داودَ فى الهَيْجا سرابيل (٥)
بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ كأنها حَلَقُ القَفْعاءِ مجدول (٦)
ليسوا مفاريحَ إن نالتْ رِماحُهُم قومًا، وليسوا مجازيعًا إذا نيلوا (٧)
لا يقعُ الطعنُ إلا فى نُحورِهِمُ ليس لهم عن حِياضِ الموت تهليل (٨)

---

(١) البز : الثياب . والدرس : الثوب الخلق ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .

(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له .

(٤) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض . والتنابيل : القصار .

(٥) شم العرانين : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .

(٦) بيض : صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال . والقفعاء : نبات يتبسط على الأرض يشبه حلق الدروع .

(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .

(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قُتَيلة[١] بنت النَّضْر بن الحارث تبكى أخاها

يا راكبًا إنّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ ، وأنت موفَّقُ (٢)

أبْلِغْ بها مَيْتًا بأنّ تحيَّةً ... ما إن تزال بها النجائبُ تَخفِقُ (٣)

مِنِّى إليك ، وعَبْرَةً مسفوحةً ... جادتْ بواكِفِها ، وأخرى تَخْنُقُ (٤)

هل يَسمعَنّى النَّضْرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ مَيِّتٌ لا ينطِق (٥)

أمحمدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... فى قومها ، والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق (٦)

ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ؟ ورُبَّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحْنَق (٧)

أو كنت قابِلَ فِدْيةٍ فَلْيُنْفِقَنْ ... بأعزّ ما يغلو به ما يُنْفَقُ (٨)

(١) قتيلة بنت النضر وقيل أخته نشأت فى قومها بنى عبد الدار بن قصى من قريش . وكان أخوها أو أبوها النضر مع قريش على الرسول فى غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قوّته أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه .

(٢) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، تقول إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجيبة . وهى جياد الإبل . وخفقان النجائب : شدّة اهتزازها ، و إن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أى بلغه منى رسالة ، واذكر له عبرة على فقده سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالحلق تخنقه .

(٥) أم هنا للإضراب : أى بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضنء : الولد . والنجيبة : الكريمة . والمعرق : من له أصول راسخة فى الكرم . والمعنى أن أمك شريفة وأباك عريق فى المجد .

(٧) المعنى اذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخى وأطلقته فقد يعفو الكريم ، وهو منطو على الغيظ والحنق .

(٨) أى وما ضرك لو قبلت فدية ، فانك ان فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

فالنضر أقــربُ مَن أَسرتَ قرابَةً | وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعتَق (١)
ظلّتْ سـيوفُ بنى أبيـه تَنُوشه | للهِ أرحامٌ هنـاك تُشَـقَّق! (٢)
صـبْرًا يقادُ إلى المنيـــة مُتعبًا | رَسْفَ المقيَّدِ، وهـو عانٍ مُوثَق (٣)

(٣) قال المثقِّب العبْديّ (٤)

أفاطِمُ قبـــل بَينِـك مَتّعيـني | ومَنْعُك ما سألتُ كأنْ تَبيني! (٥)
فـــلا تَعِـدِى مواعدَ كاذباتٍ | تَمـرُّ بهـا رِياحُ الصيفِ دُونى (٦)
فانى لـــو تُخالِفُــنِي شِمالى | خِلافَك ما وصلت بهـا يَميــنى (٧)
إذًا لَقطعتُها، ولقُلتُ: بِيـنِي | كذلك أَجْتَـوِى من يَجتوِيني (٨)
لِمَن ظُعُنٌ تُطالِعُ مِن خُبيبٍ؟ | فما خرجتْ من الوادِى لحِين (٩)

(١) كان تامة: أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك.

(٢) تنوشه: تتناوله، ولله أرحام: تعجب أى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها.

(٣) صبرا أى صابرا على القتل، والمعنى أنه يقاد ليموت صـبرا وهو متعب يرسف رسف المقيد وهو أسير موثق.

(٤) هو العائذ بن محصن بن ثعلبة من ربيعة نشأ فى الجاهلية يمدح عمرو بن هند وكان هو سيدا مقدما ذا مآثر جمة. ويعد من أصحاب المشوبات له شعر جيد فى أغراض شتى منها مشوبته هذه فى مدح عمرو بن هند.

(٥) ومنعك ما سألت الخ: أى ومنعك ما أسأله هو وفراقك سواء.

(٦) تمر بها الخ: أى تذهب مع الرياح، وخص رياح الصيف لأنها رياح لا خير فيها تأتى بالغبار فقط.

(٧) خلافك: أى مثل خلافك، ما وصلت بها يمينى: أى لقطعتها.

(٨) أجتوى: أكره.

(٩) خبيب: ماء فى طريق مكة، فما خرجت من الوادى الخ أى استمرت سائرة فى الوادى مدة. ومعنى لحين. بعد حين قصير.

مَرون على شَرافِ فَذاتِ رِجْلٍ ونَكَّبْنَ الذرائحَ باليمين (١)
وهُنَّ كذاكَ حين قطَعْنَ فَلْجا كأنّ حُمولَهن على سَفين (٢)
يُشَبَّهْنَ السفينَ وهن بُخْتٌ عُراضاتُ الأباهرِ والشئون (٣)
وهُنَّ على الرجائز واكِناتٌ قواتِلُ كلِّ أشجعَ مُستكينِ (٤)
كغِزلانٍ خَذَلن بذات ضالٍ تَنوشُ الدانياتِ من الغُصون (٥)
ظَهرْنَ بكِلّةٍ وسدَلْنَ أخرى وثَقّبْنَ الوصاوِصَ للعيون (٦)
وهُنَّ على الظِّلام مُطَلَّباتٌ طويلاتُ الذَّوائبِ والقُرون (٧)
ومن ذَهَبٍ يلوح على تَريبٍ كلونِ العاج ليس بِذي غُضُون (٨)
إذا ما فُتْنَه يوماً بِرَهنٍ يَعِزُّ عليه لم يَرجع بحِين (٩)

(١) شراف : ماء لبنى أسد . وذات رجل : موضع . ونكبن : أى عدلن . والذرائح : موضع .

(٢) فلج : موضع .

(٣) يشبهن : يمثلن . البخت : الإبل الخراسانية . والعراضة : العريضة . والأباهر : الظهور . والشئون : جمع شأن وهو مجتمع قبائل الرأس .

(٤) الرجائز: مراكب للنساء تشبه الهوادج . واكنات : جالسات . والأشجع : الطويل أو ذو الشجاعة . ومستكين : أى خاضع لهن .

(٥) خذلن : أى نفرن من القطيع . وذات ضال : موضع . تنوش : تتناول .

(٦) الكلة : الستر الرقيق . وثقبن : أى فتحن . والوصاوص : خروق فى الستر بقدر العين ، وقيل لهذا البيت سمى الشاعر بالمثقب .

(٧) الظلام : الظلم . مطلبات : مرغوب فيهن .

(٨) من ذهب متعلق بمحذوف تقديره وأعجب مثلا ، والتريب المراد به الصدر ، وليس بذى غضون صفة للتريب . والغضون : التجاعيد .

(٩) أى إذا ما تركن هذا الذهب مرهونا عند أحد الناس عز على هذا الذهب أن يبقى بعيدا عن صدورهن لشغفه بها .

بتلهيـــةٍ أريشُ بهـا سِهـامى ... تَبُذُّ المُرشِـقات من القطين (١)
علونَ رَباوة وهبطن غَيبًا ... فـلم يرجعنَ قائـلةً لحين (٢)
فقلت لبعضهن وشُـدَّ رَحْـلِى ... لهَـاجرة نَصـبْتُ لهـا جَبينى :
لَعـلَّكِ ان صَرَمتِ الحَبـل منِّى ... كذاك أكونُ مُصحَبتِى قَرونى (٣)
فَسَرِّ الهمَّ عنـكَ بذاتِ لَـوثٍ ... عُـذافرةٍ كمِطرَقـة القُيـونِ (٤)
بِصادِقـةِ الوجيف كأنَّ هِرًّا ... يُبارِيهـا ويأخـذُ بالوضين (٥)
كساها تامكا قَـرِدًا عليهـا ... سَـوادِىُّ الرضيخ مع اللَّجين (٦)
إذا قَلِقَتْ أشُـدُّ لهـا سِـنافًا ... أمامَ الزَّورِ من قَـلَقِ الوَضِـين (٧)
كأنَّ مواقـعَ الثَّفِنات منهـا ... مُعرَّسُ باكِراتِ الـوِرْدِ جُونِ (٨)

(١) التلهية : التسلية واللهو . وراش السهم . ألصق به الريش ليرمى به . والمرشقات : اللاتى يرشقن القلوب بنظراتهن . تبذ : تغلب . والقطين : أهل الدار للفرد والجمع . يقول تبذ هذه المرأة غيرها بالحسن .

(٢) الرباوة : ما ارتفع من الأرض . والغيب : ما هبط منها . والقائلة : نصف النهار . ومعنى الشطر الثانى أنهن لم يكدن يقلن .

(٣) الصرم : القطع ، وجواب الشرط محذوف . ومصحبتى : أى مصاحبتى . والقرون : النفس أى أنك إن قطعت حبل مودتى قطعتك ، وكذلك أكون فى كل حال لا أقبل ضيما ولا أصاحب إلا نفسى .

(٤) ذات لوث : ناقة قوية . عذافرة : شديدة . القيون : الحدادون .

(٥) الوجيف : السير السريع ، والوضين : حزام الرحل . يقول كأن هرا شدّ إلى الحزام فهى تفزع منه .

(٦) التامك : السنام المرتفع . والقرد : المتلبد . وسوادى الرضيخ : أى القتّ والنوى المدقوق . واللجين : اللزج من العلف .

(٧) السناف : حبل يشدّ على الصدر ويربط بحزام الرجل من جانبيه . والزور : الصدر .

(٨) الثفنات : ما مس الأرض من الناقة عند مبركها . والمعرس : المكان الذى ينزل فيه آخر الليل للراحة . ومعرس القطا : خفى جدا . باكرات الورد : مسرعات إلى ورود الماء ، يريد بها القطا . الجون : المائلة الى السواد ، يقول إنها تتجافى فى مبركها فآثارها فى مباركها كآثار القطا .

يَجُذُّ تنفُّسُ الصُّعَداءِ منها قُوى النِّسعِ المُحرَّمِ ذي المتون (١)
تَصُكُّ الحالِبَين بمُشفَتِرٍّ له صَوتٌ أجَشُّ من الرَّنين (٢)
كأنَّ نَفِيَّ ما تَنْفِي يداها قِذافُ غَرِيبَةٍ بِيَدَى مُعِين (٣)
وتَسمعُ للذُّباب إذا تَغنَّى كتَغريدِ الحَمام على الوُكُون (٤)
فألقيتُ الزِّمامَ لها فنامت لِعادَتِها من السَّدَفِ المُبين (٥)
كأنَّ مُناخَها مُلقَى لِجامٍ على مَعْزائِها وعلى الوَجين (٦)
كأنَّ الكُور والأنساعَ منها على قَرْواءَ ماهرةٍ دَهِين (٧)
يَشُقُّ الماءَ جُؤجُؤُها ويعلو غواربَ كلِّ ذي حَدَبٍ بَطِين (٨)

(١) يجذ : يقطع ، والنسع المحرم : السير من الجلد المدبوغ دون تليين . والمتون : القوى . والمعنى أنها اذا زفرت قطعت النسع بتنفسها . والصعداء : التنفس المردود الى الجوف .

(٢) تصك : ترج . والمشفتر : المتفرق يريد الحصى المتطاير . والحالبان : عرقان يكتنفان السرة .

(٣) الغريبة : الناقة الغريبة . والمعين : الأجير ، أى كأن ما تنفيه يداها من الحصى ما يرمى به الأجير الناقة الغريبة إذا حاولت ورود الماء .

(٤) قال الأصمعى : الذباب هنا حدّ نابها إذا صرفت به . ويصح أن يراد به الذباب المعروف . والوكون : عشاش الطير .

(٥) السدف : ظهور الصبح ، أى أنها سارت طول الليل وبركت كعادتها وقت الصبح .

(٦) المناخ : مكان الإناخة . والمعزاء : الأرض الكثيرة الحصى . والوجين : ما غلظ من الأرض . يشبه ما يمس الأرض بموقع اللجام أى أنها تجافى فى المبرك لكرمها .

(٧) الكور : الرحل . والأنساع : السيور . والقرواء : السفينة . ماهرة : سابحة مجيدة . دهين : مدهونة .

(٨) الجؤجؤ : الصدر . والغوارب : الأمواج . والحدب : تلاطم الماء بعضه ببعض عند جريانه . والبطين : الواسع البعيد الغور .

غدتْ قَوْداءَ مُنشَقًّا نَساها تَجَاسَرُ بالنُّـــخاعِ و بالوَتينِ (١)

إذا ما قمتُ أرحَلُهـا بلَيـلٍ تأَوَّهُ آهـةَ الرجلِ الحزينِ (٢)

تَقُولُ إذا دَرأتُ لها وَضِينى : أهـــذا دِينُــــه أبدًا ودِينى ؟ (٣)

أَكُلَّ الدهرِ حَلٌّ وارتحـال ؟ أما يُبْـــقى علىَّ وما يقيـــنى

فأبقَى باطلِى والجِـــدُّ منهـا كدُكَّانِ الدَّرَابِنَـةِ المَطِينِ (٤)

ثَنيْتُ زِمَامَها ، ووضعتُ رحلى ونُمرُقَةً رفَـــدتُ بهـا يَمِينِى (٥)

فرحتُ بهـا تُعارضُ مُسْبِطرًّا على صَحْصَاحِه وعلى المُتـــون (٦)

إلى عمرو ، ومن عمرٍو أتتنى أخى النَّجَدَاتِ والحِلْمِ الرصينِ (٧)

فإمّا أن تكونَ أخى بحق فأعرفَ منـك غَثّى أو سمينى ،

و إلّا فاطَّرِحْـــنى ، واتَّخِذْنى عـــدوًّا أتقيـــك وتتقيـنى

وما أدرى إذا يَمَّمتُ أمرًا أريدُ الخـــيرَ أيُّهما يليـــنى (٨)

أألخـــيرُ الذى أنا أبتغيــــه أم الشرُّ الذى هو يبتغيـــنى

---

(١) القــوداء : الذلول . والنسا : عرق فى الفخذ . وتجاسر : أى تجامر أى تمضى فى حزم .
والوتين : عرق فى القلب .

(٢) تأوه : أى تتأوه .

(٣) درأته : دفعته وأزالته عن موضعه . الوضين : حزام الرحل . والدين : العادة والدأب .

(٤) الدكان : المصطبة . والدرابنـة : البوّابون . والمطين : المطلى بالطين . والباطل هنا :
الركوب للهو . (٥) النمرقة : الوسادة . رفدت الخ : منحتها يمينى .

(٦) المسبطر : الطريق الممتدة ؛ والصحصاح : المستوى . ومتون : جمع متن ، وهو ما صلب من الأرض .

(٧) يريد عمرو بن هند ملك الحيرة ؛ ومن عمرو أتتنى أى هذه الناقة من عطاياه .

(٨) يلينى : أى يقرب منى .

(٤) قال مالكُ بنُ الرَّيْبِ التميمى (١)

ألا ليتَ شعْرِى هل أَبيتنَّ ليلةً   بجَنبِ الغضى أُزجى القِلاصَ النواجِيَا
فليتَ الغَضَى لم يقطع الركبُ عَرضهُ   وليتَ الغَضى ماشَى الركابَ لياليا
لقد كانَ فى أهلِ الغَضَى لو دَنا الغضَى   مَزارٌ ولكنَّ الغضَى ليسَ دانيا
ألم تَرَنِى بِعتُ الضلالةَ بِالهدى   وأصبحتُ فى جيش آبنِ عفَّانَ غازيا (٢)
دعانى الهَوى من أهل أُودَ وصُحبتِى   بِذِى الطَّبَسَيْنِ فالتفتُّ وَرائيا (٣)
أجبتُ الهَوى لما دَعانى بِزَفْرَةٍ   تقنَّعتُ مِنها أن أُلامَ رِدَائيا (٤)
لعمرِى لئن غَالَتْ خُراسانُ هامَتِى   لقد كنتُ عن بَابَىْ خُراسانَ نائيا (٥)
فَلِلهِ دَرِّى يومَ أتركُ طائعا   بَنِىَّ بأعلَى الرَّقْمَتينِ ومَاليا (٦)

(١) مالك بن الريب المازنى التميمى شاعر فاتك لص نشأ فى بادية بنى تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد و ينال الناس بالشر فيطلبه الولاة فيفر حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغربته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) فى جيش آبن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولى خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية فى داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعانى الهوى وأنا فى المكان ذى الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال فى المدح والدعاء ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه . والرقمتان : قريتان قرب البصرة .

ودرُّ الظبـاءِ السـانحاتِ عَشيـةً ... يُخَـبِّرنَ أنى هالك مَنْ وَرائيـا(١)

ودرُّ كَبيرَىَّ اللَّـذَينِ كلاهمـا ... عَـلَىَّ شَـفيقٌ ناصح لو نَهانيـا(٢)

ودَرُّ الهوى من حيثُ يدعو صحَابَه ... ودَرُّ لجاجاتى ودرّ انتهـائيـا(٣)

تذكرتُ مَن يَبكى علَىَّ فـلم أجِدْ ... سِـوى السيفِ والرمحِ الرُّدَينِيِّ باكيا(٤)

وأشـقَرَ خنـذِيذٍ يجُـرُّ عِنانه ... الى المـاء لم يترك لهُ الدهرُ ساقيـا(٥)

* * *

ولكنْ بأطراف السُّـمَيْنَة نِسـوةٌ ... عـزيزٌ عليهنَّ العَشـيةَ ما بِيـا(٦)

صريعٌ عـلى أيدى الرجال بقَـفْرة ... يُسَـوُّونَ قبرى حيثُ حُمَّ قَضائيـا

ولمّـا تراءتْ عنـد مَرْوَ مَنيَّـتى ... وخَلَّ بهـا جِسـمِى وحانتْ وَفاتيـا(٧)

أقولُ لأصحـابى : ارْفَعُـونى لأنّنى ... يَقَـرّ لعينى أن سُهَيلٌ بدا ليـا(٨)

فياصاحِبَىْ رَحـلِى دنا المـوتُ فانزلا ... برابيــة ، إنى مقــيم لياليـا

---

(١) إما أنه يقصـد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : و إما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وان سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تيمن به العرب كانت خداعة فى هذا وأنها فى الحقيقة كانت تذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودرلجاجاتى يتهكم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينـة ، وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى على فى دار الغربة إلا سيفى و رمحى .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمى : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون فى سمت بلاد اليمن .

أقيما علىّ اليوم أو بعض ليلة ... ولا تُعجلانى ، قد تبيّن ما بيا
وقوما اذا ما استُلّ رُوحى وهيئا ... لى السِّدر والأكفان ثم ابكيا ليا(١)
وخُطّا بأطراف الأسنّة مَضْجَعى ... ورُدّا على عَينىّ فضلَ ردائيا
ولا تَحسُداني — باركَ الله فيكما — ... من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسِعا ليا
خُذانى فجُرّانى ببُردى إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا
وقد كنتُ عطّافًا إذا الخيل أدبرت ... سَريعًا الى الهَيْجا إلى مَن دَعانيا
وقد كنتُ محمودًا لدى الزادِ والقِرَى ... وعن شتمى ابْنَ العم والجارَ وانيا
وقد كنت صبّارًا على القِرْن فى الوغى ... ثقيلًا على الأعداء عَضْبًا لسانيا(٢)
وطورًا ترانى فى ظلال ومَجْمَعٍ ... وطورًا ترانى والعِتاقُ رِكابيا(٣)
وطورًا ترانِى فى رَحًى مستديرة ... تُخَرِّقُ أطرافُ الرماح ثِيابيا(٤)
وقُوما على بئر الشُّبَيْك فأسمِعا ... بها الوحشَ والبيضَ الحسان الروانيا(٥)
بأنكما خَلّفْتُمانى بِقَفْرةٍ ... تهيل علىّ الريحُ فيها السوافيا(٦)
ولا تنسَيَا عهدى خليلىّ إننى ... تَقَطَّعُ أوصالى وتبلَى عظاميا(٧)

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمتعا بلذات العيش فى ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا التفت المجامع ، و يصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافياء وهو الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

فلن يعـــدَم الوالون بَيتـا يُجِنُّنِى ... ولن يعدَمَ الميراثُ منِّى المَواليـا (١)
يقولون : لا تَبْعَدْ! وهم يدفنوننى ... وأين مكانُ البعـــدِ إلا مكانيـا (٢)
غـداة غدٍ يالهَف نفسى على غـد ... إذا أدلجـوا عنى وخُلِّفْتُ ثاويا (٣)
وأصـبح مالى من طَريفٍ وتالد ... لغيرى وكان المـال بالأمس ماليا (٤)
فياليت شِعْرِى هل تَغيرت الرحى ... رحى المُثل أو أضحت بَفْلْج كما هيا (٥)
اذا القـوم حَلُّوها جميعًـا وأنزلوا ... بهـا بَقَـرًا حُمَّ العُيـون سواجيا (٦)
رعَيْنَ وقد كانـــ الظلامُ يُجِنُّها ... يَسُـفْنَ الخُزامَى نَوْرَها والأقاحيا (٧)
وهل تركَ العيسُ المراقيلُ بالضُّحا ... تعاليهَا، تعـــلو المتون القياقيـا (٨)
اذا عُصَبُ الرُّكبان بينـــ عُنَيْزَةٍ ... وبَوْلان عاجوا المُبْقِياتِ المَهاديا (٩)
و ياليتَ شِعرى هل بَكتْ أُمُّ مالك ... كما كُنتُ لو عَالَوا نَعِيَّك باكيا (١٠)

(١) بيتا يجننى : قبرا يوارينى . والموالى : الأقارب .

(٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لا تبعد .

(٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاو : مقيم .

(٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .

(٥) رحى المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .

(٦) حلوها : أى نزلوا بها . حم : جمع حماء وهى السوداء . والسواجى : جمع ساجية وهى العين الساكنة ، وهى صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقر هنا النساء الحسان وما فى البيت بعده ترشيح .

(٧) يجنها : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحى : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفلج .

(٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهى السريعة . والتعالى : الارتفاع فى السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والقياقى : جمع قيقاءة وهى الأرض الغليظة .

(٩) عنيزة : مكان فى وادى بطن فلج . المبقيات : التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى غيرها وكلالها .

(١٠) عالوا : رفعوا أى بلغوا . أى كما كنت باكيا عليك يا أم مالك لو بلغونى نعيك .

اذا مِتُّ فاعتادِى القبورَ فسلّمى ... على الرَّيْم أُسقيتِ الغمامَ الغواديا (١)
ترَىْ جَدَثًا قد جَرَّت الريح فوقَه ... غُبارًا كلون القَسْطَلانىِّ هابيا (٢)
رهينةَ أحجار وتُرْبٍ تضمَّنت ... قرارتُها منّى العظامَ البواليا

* * *

أقلِّبُ طَرْفى فوقَ رحلى فلا أرَى ... به من عيون المؤنسات مُراعيا
وبالرَّمل منّا نِسْوةٌ لو شَهِدْنَنى ... بَكَيْنَ وَفَدَّيْن الطبيبَ المداويا
فمِنهُنَّ أُمّى وابنتاها وخالتى ... وباكيةٌ أخرى تَهيج البواكيا (٣)
وما كان عهدُ الرَّملِ منّى وأهلِه ... ذَميمًا ، ولا بالرمل ودَّعْتُ قاليا

(٥) وقال أَعْشَى باهلة (٤)

إنّى أَتَتْنِى لسانٌ ما أُسَرُّ بها ... من عَلْوُ لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ (٥)
جاءت مُرَجَّمَةً قد كنت أحْذَرُها ... لو كان يَنفعُنِى الإشفاقُ والحَذَر (٦)

(١) الريم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكرة المطر .

(٢) القسطلانى : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب قتله بنو الحارث بن كعب فى رجل منهم فرثاه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشىء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجمة : الحديث المرجم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

تأْتِى على الناسِ لا تَلْوِى على أَحدٍ حتى أَتَتْنا ، وكانت دونَنَـا مُضَرُ (١)
إذا يُقَـادُ لهـا ذِكـرٌ أُكَذِّبُه حتى أَتَتْنِى بهـا الأنبـاءُ والخَـبَرُ (٢)
فَبِتُّ مكتئبًا حَيرانَ أَندُبُــهُ ولستُ أدفع ما يأتى به القَــدَرُ
بَجاشتِ النَّفْسُ لـمَّا جاء جَمْعُهُـم وراكِبٌ جاءَ من تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ (٣)
إن الذى جئتَ من تَثْلِيثَ تَندُبه منه السَّماحُ ومنــه الجُودُ والغِـيَرُ (٤)
تَنْعَى امرأً لا تُغِبُّ الحيَّ جَفْنَتُه إذا الكواكبُ خَوَّى نَوْءَها المطَرُ (٥)
وراحت الشَّــوْلُ مُغْـبَرًّا مناكِبُها شُــعْثًا تَغَـيَّرَ منهـا النِّيُّ والوَبَرُ (٦)
وأَجْحَرَ الكلبَ مُبيَضُّ الصَّقيعِ به وَضَمَّت الحيَّ من صُرَّاده الحُجَـرُ (٧)
عليــه أَوَّلُ زادِ القومِ قد علِموا ثم المطىُّ إذا ما أَرملُوا جُــزُرُ (٨)

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمر على الناس سريعا حتى وصلت الى وكان بينى وبينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أكذبها حتى تواترت الانباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوما وتركت يوما . والجفنـة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يمطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريما يرسل الجفان الى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجدب حينا يخلف المطر ما كانت تنذر به علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعثاء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحر الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد ولا مطر فيه .

(٨) أرملوا : قل زادهم ، والتصقت أيديهـم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحـر هو خبر المطى .

لا تأمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَربتَــهُ بالمَشْرَفِيّ إذا ما اخرَوّطَ السَّــفَرُ (١)
قد تَكْظِمُ البزل منه حين يَفْجَؤُها حتى تَقَطَّعَ فى أعناقها الجِــرَرُ (٢)
أخــو رغائبَ يُعطيهـا ويُسألُهـا يَخشَى الظُّلامَةَ منــه النَّوفَلُ الزُّفَرُ (٣)
مَنْ ليس فى خَيره مَنٌّ يُكَدِّرُه على الصديق ولا فى صفوه كَدَرُ
يَمشِى ببيــداءَ لا يمشى بها أحــدٌ ولا يُحَسُّ خلا الخَـافِى بهـا أَثَرُ (٤)
كأنه بعــد صَدْق القوم أنفسَهمْ بالبأس يلمَعُ من أقدامه الشَّــرَرُ (٥)
وليس فيــه إذا استَنْظَرتَه عَجَــلٌ وليسَ فيــه إذا ياسرتَه عَسَــرُ (٦)
إمَّا يُصِبــهُ عَدُوٌّ فى مُنـاوأةٍ يومًا فقد كانَ يَستَعْلِى ويَنْتَصِرُ (٧)
أخو حروبٍ ومكسابٌ إذا عدِموا وفى المخـافة منــه الجِدُّ والحَــذَرُ (٨)

---

(١) البازل : مابرز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سنه إذا نحو تسع سنين . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . واخروط السفر : أى طالت مدّته ، وبعدت طريقته .

(٢) تكظم : أى تحبس غيظها على مضض . ويفجؤها : يجيئها بغاءة وبغتة . والجرر : جمع جرة ، وهى الكرش التى يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانيــة . يعنى أنه لكثرة عادته بعقر الإبل إذا رأته كظمت وحبست جررها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .

(٣) الرغائب : العطايا يعطيها و يسألهـا : أى مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والظلامة : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .

(٤) البيداء : الفلاة . والخافى : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .

(٥) صدق القوم أنفسهم : أى إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعنى إذا جاراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليبلغوا مداه قد خابوا ، وتراه وقد لمع الشرر من أقدامه لقوة عدوه .

(٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . وياسرته : لاينته ولاطفته . والعسر : قلة السماحة وضيق الخلق .

(٧) إما : هى إن الشرطية المدغمة فى ما . والمناوأة : المعاداة .

(٨) الجد : الاجتهاد فى الأمر .

مِرْدَى حُروبٍ شهابٌ يستضاء به ... كما أضاء ســوادَ الطُّخْيَــة القَمَرُ (١)

مُهفْهفٌ أهضمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عنــه القميصُ، لسير الليل مُحْتَقِرُ (٢)

ضَخْمُ الدسيعةِ مِتْلافٌ أخو ثقــةٍ ... حامى الحقيقة منه الجودُ والفَخَرُ (٣)

طَاوِى المَصِيرِ على العَــزَّاءِ مُنْجَرِدٌ ... بالقوم ليـــلةَ لا ماءٌ ولا شجــرُ (٤)

لا يتأَرَّى لمــا فى القِــدْرِ يرقُبُــه ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِه الصَّــفَرُ (٥)

تكفيه فِلْذَةُ لحمٍ إنْ أَلَمَّ بهــا ... من الشِّواء، ويروِى شُرْبَه الغُمَرُ (٦)

لا يأمَنُ النــاسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَه ... فى كل فَجٍّ، وإنْ لم يغزُ يُنْتَظَرُ (٧)

المعجِلُ القومِ ان تَغْــلِى مَرَاجِلُهُمْ ... قبلَ الصباحِ، ولَمَّــا يُمْسَحِ البصرُ (٨)

لا يَغْمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ولا نَصَبٍ ... ولا يزالُ أمامَ القَــومِ يقتفــرُ (٩)

---

(١) المردى: الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسر به الصخور. والشهاب: شعلة من النار. والطخية: الظلمة.

(٢) المهفهف: الخفيف اللحم. أهضم الكشحين. أى ضامر الخصر. منخرق عنــه القميص: هذا كناية عن طول أسفاره.

(٣) الدسيعة: العطية. والحقيقة: مايحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما.

(٤) المصير: المعى، وجمعه مصران. والعزاء: السنة الشديدة الجدبة، والمنجرد هنا: المسرع بالسير يعنى أنه فى السنة الجدبة يطوى أحشاءه على الجوع، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات.

(٥) يتأرى: يتحبس وينتظر. والشرسوف: غضروف الضلع المشرفة على البطن. والصفر والصفار: دويبة تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع.

(٦) الفلذة: القطعة الصــغيرة. والشرب: أصله الشرب وسكنت الراء. وهو مصدر شرب بمعنى عطش. والغمر: قدح صغير أو أصغر الأقداح.

(٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته فى خوف.

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليـان قدورهم وذلك قبل الفجر وقيل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم.

(٩) يغمز الساق: يجسها. والأين والنصب: التعب. ويقتفر: يتبع ويجرى على أثره

عِشْنَا به بُرْهةً دهرًا فودّعنا ... كذلك الرُّمْح ذو النَّصلين منكسر

فنِعْمَ ما أنتَ عند الخير تسألُه ... ونعمَ ما أنتَ عند البأس تُحْتَضَرُ (١)

أَصَبْتَ فى حَرَمٍ مِنَّا أخا ثِقةٍ ... هِنْدَ بنَ سَلْمى، فلا يَهْنأ لك الظَّفَرُ!

فإن جَزِعنا فإن الشرَّ أَجْزَعَنا ... وإن صَبَرْنا فإنا مَعْشَرٌ صُبُرُ (٢)

(٦) قالت الخنساء (٣) ترثى أخاها صخرا

ما هاج حُزنَكَ؟ أم بالعين عُوَّارُ ... أم ذَرَّفَتْ أَنْ خَلَتْ من أهلها الدارُ (٤)

كأنَّ عينِي لِذِكراهُ إذا خطَرَتْ ... فَيْضٌ يَسيلُ على الخدين مِدْرار (٥)

تبكِى لصخرٍ هى العَبْرَى وقد وَلِهتْ ... ودونَهُ من جديد التُّرْبِ أستار (٦)

تبكِى خُناسُ فما تنفكُّ ما عَمَرَتْ ... لها عليه رَنينٌ، وهى مِفْتار (٧)

---

(١) البأس: الشدة، وتحتضر أى يطلب حضورك.

(٢) صبر: جمع صبور.

(٣) هى السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى. نشأت فى بيت مجد وسيادة تقول المقطوعات من الشعر. فلما قتل أخواها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبغت فى الرثاء لذلك. وتعد الخنساء على رأس الشواعر العربيات لقوة شعرها وصدق شعورها مع جمال الأسلوب وسلاسته. وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ

(٤) ما: استفهامية. والعوار: رمد العين: وذرفت: قطرت قطرا متتابعا. تقول أى شىء هاج حزنك أبك رمد؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها؟

(٥) كأن عينى أى دموع عينى. والفيض: الماء الكثير. والمدرار الغزير.

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء. والعبرى: التى لا تجف دموعها وعبراتها. والوله: شدة الجزع والأستار هنا: الأحجار والتراب يهال على الميت. وقولها من جديد الترب يدل على قرب موته وهذا يستلزم شدة الجزع.

(٧) ما عمرت: أى مدة عمرها. والمفتار: التى أصابتها فترة أى ضعف.

تبكى خناسُ على صخرٍ ، وحَقَّ لها إذْ رابَها الدهرُ؛ إنَّ الدهرَ ضَرَّار (١)

لا بُدَّ من مِيتَـــةٍ فى صَرْفِها غِيَرٌ والدهرُ فى صَرفِهِ حَوْلٌ وأطوار (٢)

ياصخـــرُ وَرَّادَ ماءٍ قـــد تَنَاذَرَهُ أهـــلُ الموارد ما فى وِرْدِهِ عار (٣)

مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءَ مُضْلِعَةٍ له ســـلاحانِ أنْيَـابٌ وأظفار (٤)

فما عجـــولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ به لهـا حنينَانِ إصـغار وإكبار (٥)

ترتَعُ ما رَتَعتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ فإنمـا هى إقبـالٌ وإدبار (٦)

لاتَسمَنُ الدهرَ فى أرضٍ وانْ رُبِعَتْ فإنمـا هى تَحْنَانٌ وتَســجار (٧)

يوما بأوجدَ مـــنى يومَ فارقـــنى صخـــرٌ، وللدهرِ إحلاءٌ وإمرار (٨)

وإنَّ صخـــرًا لكافينا وســـيدُنا وإنَّ صخرًا إذا نشـــتو لَنحَّارُ (٩)

---

(١) رابها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدوثها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والتقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوّف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت حوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى وروده من عار لأنه لا مفرّ منه .

(٤) السبنتى : الجرىء والنمر . والهيجاء : الحرب . والمضلعة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صـغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدنى منها فتر أمه والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت : أى أنها ترعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى اذا ذكرته لم يقر لها قرار من شدة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما فى حنين . والتسجار : مدّ الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت ببيتين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجدب والشدّة .

وان صخرا لَمِقْدَامٌ إذا ركبوا — وإنَّ صخرا اذا جاعوا لعقار (١)
أغرُّ أبلج تأتمُّ الهداة به — كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ (٢)
جَلْدٌ جميلُ المُحيّا كاملٌ وَرِعٌ — وللحروب غداةَ الرَّوْع مِسْعار (٣)
حمّالُ ألويةٍ هبّاطُ أوْدِيةٍ — شَهّادُ أنديةٍ للجيش جرّار (٤)
فبتُّ ساهِرةً للنجمِ أرْقُبُه — حتى أتى دونَ غَوْرِ النجمِ أستار (٥)
ليبكه مُقْتِرٌ أفنى حَرِيبَتَه — دهرٌ، وحالَفَهُ بؤسٌ وإقتار (٦)
ورُفْقَةٌ حارَ هاديهم بِمَهْلكةٍ — كأنَّ ظُلمتَها فى الطُّخْيَةِ القار (٧)
لا يمنَع القومَ إن سالوه خِلْعتَه — ولا يجاوزُه بالليل مُرَّار (٨)

---

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف : والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين . وهذا مما يمدح به الرجل . والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهداة وأنه فى الشهرة والظهور أو فى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل فى قمته نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والورع : المجتنب لما لا يعنيه وفى رواية ذرع والذرع الحسن العشرة . والروع : الخوف والحرب ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء فى الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفا ، بل يهبط الوديان للقتال ، ثم انه حكيم راجح الرأى يشهد أندية عقلاء القبيلة وأهل الرأى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرا أى حتى عملت ظلمات القبور ، فنيبت صخرا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحريبة : ما يعيش الإنسان به من المال .

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المرار : جمع مار ، أى لو سئل ثوبه ما منعه ، ولا يمر بداره إنسان إلا أضافه .

(٧) قال حسان بن ثابت[(١)] يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :

تَبَلَتْ فُؤادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ   تَسْقِى الضَّجِيعَ ببَاردٍ بسَّامِ (٢)

⁂

يامَنْ لِعاذلةٍ تلومُ سَفَاهَةً   ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوَّامى (٣)

بكَرَتْ علىّ بُسُحْرَةٍ بعدَ الكَرَى   وتَقَارُبٍ من حادثِ الأيامِ (٤)

زعمت بأن المرءَ يُكْرِبُ يومَهُ   عُدْمٌ لمعتكرٍ من الأصرامِ (٥)

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِنِى   فنجَوتِ مَنْجَى الحارثِ بنِ هشامِ

ترَكَ الأحبةَ أن يقاتِلَ عنهمُ   ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولِجامِ (٦)

---

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى . نشأ جاهليا نابها فى الشعر يمدح المناذرة والغساسنة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محببا اليه والى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامى عن الجاهلى بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلا مألوفا بعد أن كان وعرا غريب الألفاظ

(٢) تبله الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيع : المضاجع . والبارد . البسام : الفم العذب كثير الابتسام .

(٣) أى من يسعدنى لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .

(٤) بكر يبكر الى الشىء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكرب : يدنى . والمعتكر : الجيش اذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يدنى أجله ؛ فهى تنفره من الحرب وخوض غمارها .

(٦) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أى نجا مسرعا بفرسه متشبثا برأسها وبلجامها فرارا من هول الحرب .

تــذَرُ العَناجِيجَ الجِيـادَ بِقَفـرَةٍ ... مَرَّ الدَّمــوكِ بُمحْصَــدٍ ورِجام (١)

مَلأَتْ به الفَرْجَين فارمَــدَّتْ به ... وثوى أحِبَّتُــه بشَــرِّ مُقَـام (٢)

وبنو أبيه ورهطُه فى مَعْــرَكٍ ... نَصَـر الإلهُ به ذوِى الإســلام

طحَنَتْهم — والله يُنْفِذُ أمرَه — ... حربٌ يُشَبُّ سـعيرُها بضِــرام

لــولا الإلهُ وجريُهـا لتركــنه ... جَزَرَ الســباعِ ودُسْــنَه بحَوامِى (٣)

من كلِّ مأسورٍ يَشُدُّ صِفادَه ... صَــقْرٌ إذا لاقى الكتيبةَ حامى (٤)

ومجــدَّلٍ لا يستجيب لدعـــوةٍ ... حــتى تزولَ شــوامخُ الأعلام (٥)

بالعـارِ والذلِّ المُبينِ إذا رَأَوْا ... بيضَ السيوف تسوق كلَّ هُمـام (٦)

بِيَدَىْ أَغَــرَّ إذا انْتمى لم يُخْــزِهِ ... نسبُ القِصارِ سَمَيْــذَعٍ مِقــدامِ (٧)

بيضٌ إذا لاقتْ حديدًا أصمتَتْ ... كالبرقِ تحتَ ظلالِ كُلِّ غمـام (٨)

---

(١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : الأرنب السريعــة . وفى رواية (الذمول) وهى الناقة تسير الذميل ، والمحصد : من أحصــد الزرع إذا جف وقرب حصاده . والرجام : جمــع رجمة ، وهى حجارة تنصب على القبر .

(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .

(٣) الضمير فى تركنه للخيل ، وجزر السباع : أى طعمتها ويريد بالحوامى سنابك الخيل .

(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .

(٥) جدّله صرعه على الجدالة : وهى الأرض ذات الرمل الرقيــق أو عام . يقول إن هــذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .

(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أى يشعرون .

(٧) الأغر : الكريم الفعــال والشريف . ونسب القصار أى نسب قصار النسب ، يقــولون فلانة قصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد . والسميذع : السيد الكريم الشريف السخىّ الموطأ الأكناف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .

(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض ، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدّة هولها . ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام .

وقال حسان يمدح عمرو بن الحارث الغسانى وقومه :

أسألتَ رَسْـــمَ الدار أَمْ لم تسأَلِ ... بين الجَـــوابِى فالبُضَيْع فحَوْمَلِ (١)

فالمرجِ مَرْجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاسِـــمٍ ... فديار ســـلمى دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَـلِ (٢)

دِمَنٌ تَعَاقَبَهـا الرِّيَاحُ دوارسٌ ... والمُدْجِنَاتُ من السِّمَاكِ الأَعْزَلِ (٣)

دارٌ لقومٍ قـــد أراهـــم مَرَّةً ... فـوقَ الأعزةِ عِزُّهم لم يُنْقَـــلِ

لله درُّ عصـــابةٍ نادمتُهـــم ... يـــوما بجِـلَّقَ فى الزمانِ الأوّلِ (٤)

يَمْشُون فى الحُلَلِ المضاعفِ نسجُها ... مَشْىَ الجِمـالِ إلى الجِمـالِ البُزَّلِ (٥)

الضاربون الكبشَ يَبْرُق بَيْضُـهُ ... ضَرْبا يَطِيحُ له بَنَـانُ المَفْصِـلِ (٦)

والخالطون فقيرَهُمْ بغنيِّهِـمْ ... والمنعِمون على الضعيفِ المُرْمِلِ (٧)

أولادُ جَفْنَـةَ حولَ قبرِ أبيهِـم ... قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِـلِ

---

(١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابى والبضيع وحومل : مواضع .

(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهى البالية . لم تحلل أى لم ينزل أحد بها .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس : جمع دارسة . والمدجنات : السحب الكثيرة الأمطار .

(٤) جلق : دمشق .

(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ، وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .

(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة تلبس على الرأس . وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم الصغيرة فى سرعة .

(٧) المرمل : الذى فنى زاده والتصق بالرمل . يصفهم بالجود والرفق والتواضع .

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيق السَّلْسَلِ (١)
يَسْقُون دِرْياق الرحيق ، ولم تكن تُدْعَى ولائدُهم لنَقْفِ الحَنْظَلِ (٢)
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأُنوفِ من الطِرازِ الأوّل
فَلَبِثْتُ أَزْمانًا طويلًا فيهمُ ثم ادَّرَكْتُ كأنني لم أفعلِ (٣)
إمَّا تَرَىْ رأسي تَغَيَّرَ لونُه شَمَطًا ، فأصبح كالثَّغامِ المُحْوِلِ (٤)
ولقد يراني مُوعِدِيَّ كأنني في قصر دُومَةَ أو سواءِ الهَيْكَلِ (٥)
ولقد شربْتُ الخمرَ في حانوتها صَهْباءَ صافيةً كطعم الفُلْفُلِ (٦)
يسعى عليَّ بِكأسها مُتَنَطِّفٌ فيعُلُّني منها ، ولو لم أَنْهَلِ (٧)

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوّله ممزوجا من إناء الى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر ممزوجا بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة فى الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . نقف الحنظل : شقه . ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل عن يسارهم .

(٣) طويلا : صفة لمفعول مطلق أى لبثا طويلا . وأدركت : أى امتنعت عن اللهو بتاتا .

(٤) إما : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبته يبيض ورقه إذا يبس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيدا عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنطف : لابس القرط . وأعله : سقاه ثانية . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقينى ثانية ، ولو لم أظمأ .

إن التى ناولتنى فـرددتها ... قُتِلَتْ ـ قُتِلْتَ ـ فهاتها لم تُقْتَل (١)
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطنى ... بزجاجة أرخاهما للمَفْصِل (٢)
بزجاجة رقصت بما فى قعرها ... رقص القلوص براكب مستعجل (٣)
نسبى أصيلٌ فى الكرام ومِذْوَدِى ... تكوِى مواسمه جُنُوب المُصطَلِى (٤)
ولقد تُقَلِّدنا العشيرةُ أمرها ... ونسودُ يومَ النائباتِ ونَعْتَلِى
ويسودُ سيِّدُنا جَحاجِحَ سادةً ... ويُصيب قائلُنا سواءَ المَفْصِل (٥)
ونحاولُ الأمرَ المهمَّ خطابة ... فيهم، ونفصل كلَّ أمرٍ مُعْضِل (٦)
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابُنا ... ومتى نُحَكَّمْ فى البريَّة نعدل

(٨) وللحُطَيْئة (٧) يمدح بَغِيض بن عامر

ألَا طرقتنا بعد ما هجعوا هندُ ... وقد سِرْنَ خمسًا واتْلأَبَّ بنا نجْدُ (٨)
ألا حبَّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ ... وهندٌ أتى من دونها النَّأْىُ والبُعْدُ

(١) قتل الشراب : مزجه بالماء، وقتلت دعاء على الساقى بحسب الأصل ولم يقصد به الشر هنا .

(٢) كلتاهما : أى الخمر الصرف والممزوجة . فاسقنى أشدهما إرخاء للفاصل، وهى الخمر الصرف .

(٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقاقيع من أسفل الى أعلى لشدّة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .

(٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطلى : المستدفئ . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .

(٥) سيد جحجاح : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كمسجد : كل ملتقى عظمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .

(٦) المهم : المشكل .

(٧) هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى، نشأ معلول النسب حاقدا على أهله متبرما بالناس يهجوهم جميعا على قبح صورته ورثاثته وفساد إسلامه الى أن مات سنة ٥٩ هـ ـــ وهو من مدرسة زهير جيد الشعر مستوى الأسلوب قوى التأثير يعدّ من الناحية الفنية سيد المخضرمين .

(٨) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

وهندُ أتى من دونها ذو غواربٍ يُقمِّصُ بالبُوصِيِّ مُعرورِفٌ وَرْدُ (١)
وإنَّ التي نكّبتُها عن معاشرٍ غِضابٍ عليَّ أن صددتُ كما صدُّوا (٢)
أتت آلَ شمّاسِ بن لأيٍ وإنما أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ (٣)
فإنّ الشقيَّ من تُعادِي صدورُهم وذو الجَدِّ من لانُوا إليه ومن وَدُّوا (٤)
يسوسون أحلامًا بعيدًا أناتُها وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدُّ (٥)
أقِلُّوا عليهم – لا أبا لأبيكُمُ – من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سدُّوا (٦)
أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنُوا البُنَى وإن عاهدوا أوفَوا وإن عَقَدوا شدُّوا (٧)
وإن كانت النُّعمى عليهم جَزَوْا بها وإن أَنعَمُوا لا كدَّروها ولا كَدُّوا (٨)

---

(١) من معاني الغارب أنه أعلى كل شيء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية . وقمص البحر بالسفينة : حركها بموجه . والبوصي : ضرب من السفن . والمعرورف : المتراكم الأمواج . والورد : الجري ، أو الأحمر الضارب الى الصفرة . يقول : إن بيني وبين هند بحرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .

(٢) نكبتها أي نحيتها وأبعدتها . والضمير للمدحة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر . أي أن المدحة التي عدلت بها عن قوم غضبوا علي لأني صددت عنهم كما صدوا عني .

(٣) جملة أتت خبر إن في البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعد : القديم أو الكثير . أي جاء في هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٤) نسب العداوة الى الصدور لأنها مكان الغيظ والعداوة . والجد : الحظ .

(٥) أي يحكمون الناس اذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة التأني . واذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أي غيظ . وجد أي اجتهاد أو عجلة .

(٦) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء ينتسبون اليها عند المفاخرة .

(٧) البنى أو البنى بكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثاني جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدوا أي وإن عقدوا العزيمة أوثقوها أو إن عقدوا على الحرب حلوا .

(٨) أي كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا بعضَ أحلامِكم رَدُّوا (١)
وإن غاب عن لأيٍ بَغيضٍ كفتهمُ ... نواشئُ لم تَطْـرُرْ شوارِبُهـم مُرْدُ (٢)
وكـيف ولم أَعْلَمْهُـمُ خذلوكمُ ... على مُفْظِعٍ، ولا أديمكم قَـدُّوا (٣)
مطاعينُ فى الهيجا مكاشيفُ للدجى ... بنى لهـمُ آباؤهم، وبنى الجَـدُّ (٤)
فمن مبلغٌ لأْيًا بأن قد سـعَى لكم ... إلى السُّـورةِ العَليا أخٌ لكمُ جَلْد (٥)
جرَى حينَ جارَى لا يُسارِي عِنانه ... عِنانٌ ولا يَثْنِى أجارِيَّهُ الجَهْـد (٦)
رأى مجـدَ أقوامٍ أُضِيعَ فخَصَّـمْ ... على مجـدهم لـما رأى أنه الجِـدّ (٧)
وقد لامنى أفنَـاءُ سـعد عليهمُ ... وما قلتُ إلّا بالذى علمتْ سعد (٨)

---

(١) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى فى شأن أضربه واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .

(٢) لأى : عشـيرة بغيض بن عامر . ونواشئ : جمع ناشئة يريد بهـم فتيان القبيـلة . ولم تطرر شواربهم : لم تظهر .

(٣) المفظع : الأمر تجاوز الحد فى الشـناعة . والأديم هنا : العـرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم فى خطب ملم، ولم ينالوا من عرضكم .

(٤) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليـل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٥) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى، يتمنى أن يبلغ إنسان لأيا أن أخاهم سعى للمجد حتى وصل قنته العليا .

(٦) لا يسارى عنانه عنان : أى لا يجاريه . والأجارى : جمـع إجرية، وهى : الجرى والجهـد والطبيعة، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سابق أحدا فى طريق المجـد لم يسبقه أحد، ولم يقعد به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٧) أى لـما رأى أن المجد انمـا هو فى الجد والاجتهاد فى الأمور .

(٨) يقال : هو من أفناء الناس : أى لا يعلم ممن هو .

وقال يهجو الزِّبْرِقانَ بن بدر :

والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنُبًا ... فى آلِ لأْيِ بن شمّاسٍ بأكياسِ (١)
لقد مَرَيْتُكُمُ لو أن دِرَّتَكُمْ ... يومًا يجىء بها مَسحى وإبساسى (٢)
وقد مدحتكم عمدًا لأُرشِدَكُمْ ... كيما يكونُ لكم مَتْحى وإمْراسى (٣)
وقد نظرتكُمُ إيناءَ صادرةٍ ... لِخِمْسٍ طال بها حَوْذى وتَنْساسى (٤)
لما بدا لىَ منكم عيبُ أنفسِكُمْ ... ولم يكن لِجراحى منكُمُ آسى (٥)
أجمعتُ يأسًا مبينًا من نوالِكُمُ ... ولا ترى طاردًا للحرِّ كالياس
ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلًا ... ذا فاقة حل فى مستوعِرٍ شاسى (٦)
جارًا لِقوم أطالوا هُونَ منزله ... وغادروه مقيمًا بين أرماس (٧)

(١) الجنب هنا : القريب . فى آل لأى أى فى مديح آل لأى . وأكياس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٢) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدرّ . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدرّ . يريد أنه حاول تملقهم كثيرا فلم ينل منهم شيئا .

(٣) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٤) الإيناء : مصدر آونى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعا . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهدا إجهاد ناقة أعياها التعب فهى تساق وتزجر .

(٥) الآسى : الطبيب . وفى رواية غيب أنفسكم أى ما كان مستورا من بخلكم .

(٦) المستوعر : المكان الوعر . والشاسئ بالهمز وسهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا فى مكان وعر قاحل فأعانه .

(٧) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركوه كالميت بين أموات القبور .

مَلُّوا قِـراه، وَهَرَّتْهُ كِلابُهُـمُ   وجَرَّحُـوه بأنيـابٍ وأضراس (١)
لا ذنبَ لى اليوم إن كانت نفوسُكُمُ   كفاركٍ كَرِهتْ ثوبى وإلباسى (٢)
من يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازيَهُ   لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس
دع المكارمَ لا ترحَـلْ لبغْيَتِها   واقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسى (٣)
وابعثْ يسـارًا إلى وَفْرٍ مُذَمَّمَـةٍ   واحدِجْ إليها بذى عَرَكين أنكاس (٤)
ما كان ذنبىَ أنْ فَلَّتْ معاولَكُم   من آل لأى صفاةٌ أصلُها راسى

(٩) قال الأخطل (٥) يفضل الفرزدق على جرير :

بكَرَ العـواذِلُ يبتَـدِرْنَ مَلامَتِى   والعاذِلُون فكلُّهـمْ يلحانى (٦)
فى أنْ سُقيتُ بشَرْبَةٍ مَقْـذيَّةٍ   صِرفٍ مشعشَـعةٍ بمـاء شُنانِ (٧)

(١) هرته الكلاب : نبحته . وهذا كناية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .

(٢) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبي إذا كنتم تبغضون شعرى أو مقامى فيكم بخلا كما تبغض المرأة زوجها، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .

(٣) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسوّ، وهذا من أقذع الهجاء .

(٤) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء . والمذممة : يريد بها هنا المملوءة يقال : بئر ذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحدج البعير يحدجه : شد عليه الرحل والعرك : اتفاق فى إبط البعير، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(٥) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبي نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصة . ولما كان متصلا بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك وكذا الخمر لمعاقرته إياها . وكان الأخطل أحظى الشعراء لدى الأمويين، اتخذوه شاعرهم يناضل عنهم أعداءهم . وقد دخل بين الفرزدق وجرير فى التهاجى منتصرا للأوّل فعدّ بذلك من أصحاب النقائض — ويمتاز شعره بجزالة الأسلوب، وترك الإقذاع فى الهجو . مات فى أوّل خلافة الوليد سنة ٨٥ هـ، على المشهور .

(٦) العواذل : جمع عاذلة، اللائمة . يبتدرن ملامتى : يسرعن الى لومى . يلحانى : يعيبنى .

(٧) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشعة : ممزوجة . شنان : ماء بارد، وواد بالشام .

فَظَلِلْتُ أَسْقِي صَاحِبِي من بردِهَا عَمْــدا لِأَرْوِيَــه كما أرواني

وَذَكَرْتُ ـ إذ جَرَتِ الشمالُ فَهيَّجَتْ شــوقا لنا ـ رَيًّا وأُمَّ أَبَانِ (١)

والحارثيَّــةَ ، إنني مُهــدٍ لهـا مِــدَحًا يُشَبُّ بِهِنَّ كُلَّ مَكَانِ (٢)

لاقَيْتُهُنَّ بمجمَــع ، فأرَيْنَنِي صُــورَ المهـا بزخارف البُنْيَانِ (٣)

ونُحورُهنَّ دَيَاسِقٌ من فضَّــةٍ ونواهــدٌ كنواعم الرُّمَّانِ (٤)

ومُرمَّلُ الحِنَّاءِ يُصــبِح قانئًـا كدم الذبيح ـ بأَرْوُحٍ وبَنَانِ (٥)

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ بأعْيُنٍ نُجُلٍ يُمِتْنَ العاشقين حسانِ (٦)

نظـرا مخالَســة وهنَّ صَوائدٌ بخــدورهن وأحسن الألـوان (٧)

وإذا رأَيْنَ الشَّيْبَ لم يَقْرَبْنَــهُ والغانيــاتُ عن الكبير غــوانى

يَقْطَعْن منــه حبــلَ كُلِّ مَوَدَّةٍ جهلًا ، وهن إلى الشَّبَاب رَوَانى (٨)

---

(١) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنـات نعش . ريا وأم أبان : علمـان لامرأتين أى ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال .

(٢) يشب الخ : يذكرن فى كل مكان .

(٣) المها : جمع مهاة البقرة الوحشية ، تشــبه بها المرأة فى جمـال العينين . الصورة : الشكل يعنى أنهن يشبهن الصور التى تزين بها الأبنية .

(٤) نحور : جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا .

(٥) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أى المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئا : شــديد الحمرة . أروح : جمع راحة وهى باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروحهن وبنانهن .

(٦) خلل : جمع خلة الثقبة . نجل : جمع نجلاء الواسعة العين الحسنة .

(٧) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر الستر أو البيت .

(٨) الجهل هنا : الجفاء . روانى : دائمات النظر ، المفرد رانية .

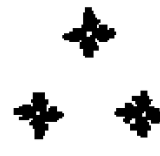
إنى أُديمُ لذى الصفاءِ مودّتى وإذا تغيّرَ كنتُ ذا ألوانِ (١)

وأصُدُّ عن صَرْمِ الصديق تكرُّمًا حِينًا ، وما دهرى له بِهوانِ (٢)

وأفارقُ الخُلّانَ عن غَيرِ القِلَى وأُميتُ عندى السِّرَّ بالكتمانِ (٣)

ولقد غَدَوتُ على القَنيص بنَهْدَةٍ عنْدَ البَديهةِ سَهْوَةِ القَذَفانِ (٤)

تَنْقَضُّ فى إثْرِ الأوابدِ مِثلَ ما تَنْقَضُّ كاسِرةٌ من العِقبانِ (٥)



مَا بَالُ قومٍ لا تَغِبُّ أذاتُهمْ قُعْسِ الظُّهورِ من الحَبين بِطانِ (٦)

هُمْ هَيَّجوا حَرْبِى ومَا لَهُمُ بها لو وَاجَهَتْهُمْ باللقاء يَدانِ (٧)

حَرْبَ امرئٍ ما إن تَرِثُّ سِلاحُه أبدًا ولا يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ (٨)

قَبَحَ الإلهُ بنى كُلَيْبٍ إنَّهمْ لا يحفظُون محارِمَ الجيرانِ (٩)

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ماهى هوانه .

(٣) الخلان : جمع خليل الصديق . القلى : البغض . أميت السر لا أبديه فكأنه ميت .

(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم . عند البديهة أى مستعدة للجرى حين تفجؤها به . السهوة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .

(٥) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين طائر من الجوارح .

(٦) ما بالهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لاتغب : لا تنقطع . قعس الظهور : مفرده أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضدّ الأحدب . الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن و بطين . بطان صفة لقوم (جرير) .

(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .

(٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوائب . لا يغتر بالحدثان : لا تأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائما .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرمة ما لا يحل انتهاكه .

وإذا تُنُودِبَ للمكارم والعُلا لم يُنْدَبُوا لترادف الأعوان (١)
أجرير إنك والذى تسموله كأَسِيفَةٍ فخرت بحِدْجِ حَصَان (٢)
حملت لربَّتِهَا فلمَّا عُولِيَتْ نسلت تعارضها مع الأظعان (٣)
أتعُدُّ مأْثُرَةً لغيرك فخرها وسناؤُها فى سالف الأزمان (٤)
تاجُ الملوك وفخرُهُمْ فى دارمٍ أيامَ يَرْبوعٌ مع الرُّعيان (٥)
مُتلفِّفٌ فى بُردة حبقيَّةٍ بفناء بيتِ مذلَّةٍ وهَوان (٦)
يَغْذُو بنيه بثَلَّةٍ مَذْمُومَةٍ ويكون أكبرَ همِّه رِبْقانِ (٧)
سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ مَجْمَعِ تَلْعَةٍ بالمجد عندَ مواقف الركبان (٨)
إخسأ كُليبُ، إليك، إن مُجَاشِعًا وأبا الفوارسِ نَهْشَلًا أخوان (٩)
قومٌ إذا خَطَرتْ عليكَ قُرُومُهُمْ طرحوك بين كلاكل وجِران (١٠)

---

(١) تنودب : ندب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للكارم والمعالى .

(٢) تسموله : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرة ضد الأمة يقول ان فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها .

(٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حيالها الأظعان : النساء فى الهودج .

(٤) مأثرة : محمدة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير هو يربوع لا مجد له .

(٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية يخدمها .

(٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .

(٧) الثلة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثنى ربق : حبل يشد فى عنق البهم .

(٨) التلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان أى عند المفاخرة والتحاكم .

(٩) إخسأ : ابتعد محتقرا . اليك : تنح وابعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كمجاشع .

(١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر . والجران : صفحة العنق . يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة .

(١٠) وقال الفرزدق يذكر[١] تفضيلَ الاخطل إياه على الشعراء ويمدح بنى تغلب ويهجو جريرا

يابنَ المـراغَةِ والهجاءُ إذا التَقَتْ أعنـاقُهُ وتمـاحَكَ الخَصْمانِ (٢)

يا بن المَراغَةِ انَّ تَغلبَ وَائِلٍ رفعوا عِنَانى فوق كُلِّ عِنانِ (٣)

كان الهُـذَيلُ يقود كُلَّ طِمِرَّةٍ دهمـاءَ مُقـرِبَةٍ وكلَّ حِصـانِ (٤)

يَصْهَلْنَ بالنظـرِ البعيـدِ كأنمـا إرْنانُهـا بِبوائِنِ الأشـطانِ (٥)

يَقْطَعْنَ كُلَّ مدًى بَعيـدٍ غَوْلُهُ خَبَبَ السِّباعِ يُقَـدْنَ بِالأرسَانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمى الدارمى أحد فحول الشعراء الأمويين. نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر و يعالجه حتى نبغ فيـه ، واتصل بولاة العراق يمدحهم و يهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء و ينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعـد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم فى الجاهلية والإسـلام . و يمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعانى والميل الى الفخر فى هجائه والفحش فى غزله وقد مات سنة ١١٤ هـ .

(٢) ابن المراغة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمارى .

(٣) تغلب من ربيعـة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى الهذيل بن هبـيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفزع .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصهل من آبار بوائن لسـعة أجوافها ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعـده . الخبب للفرس : عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الحبل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

وكأنَّ راياتِ الهُذيْلِ إذا بَدَتْ ... فوقَ الخَمِيس كواسِرُ العِقبانِ (١)
وَرَدُوا إرابَ بجحفلٍ من وائل ... لَجِبِ العشيِّ ضُبارِمِ الأركانِ (٢)
وَيبيتُ فيه منَ المخافةِ عائذا ... أَلْفٌ عليهِ قوانسُ الأبدانِ (٣)
تَرَكُوا لِتَغْلِبَ إذ رأوا أرماحَهُمْ ... بإرَابَ كُلَّ لئيمةٍ مِدرانِ (٤)
تُدْمِي — وتَغْلِب يمنعونَ بَنَاتِهم — ... أقدامَهُنَّ حِجَارةُ الصَّوَّانِ (٥)
يَمْشِينَ فى أَثَرِ الهُذَيْلِ وتارةً ... يُرْدَفْنَ خلفَ أواخرِ الرُكبانِ (٦)
لولا أناتُهُمُ وَفَضْلُ حُلُومِهِمْ ... بَاعُوا أَبَاكَ بِأَوْكَسِ الأَثْمَانِ (٧)
وَالحَوْفَزَانُ أميرُهُمْ مُتَضَائِلٌ ... فى جَمْعِ تَغْلِبَ ضَارِبٌ بِجِرَانِ (٨)

---

(١) الخميس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحى ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتميا . القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ يقول : يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبخس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك غزاها الحوفزان فى بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عنق البعير ، وضرب بجرانه : برك .

أَحيَيْنَ تَغلِبَ إذْ هَبَطْنَ بِلادَهُمْ ... لَمَّـا سَمِنَّ وَكُنَّ غيرَ سِمَـانِ

يَمْشِينَ بِالفَضلاتِ وسْطَ شُرُوبِهِمْ ... يَتْبَعْنَ كُلَّ عَقِـيرَةٍ وَدُخَانِ (١)

يَتَبَايَعُونَ إذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ ... عِنْـدَ الإِيابِ بِأَوْكَسِ الأَثْمَانِ (٢)

واسْأَلْ بِتَغْلِبَ كيفَ كَانَ قَدِيمُها ... وَقَـدِيمُ قَـومِكَ أَولَ الأَزْمَانِ

قَومٌ هُمُو قَتَـلُوا ابنَ هِنْـدٍ عَنْوَةً ... عَمْـراً، وَهُمْ قَسَـطُوا على النُّعْمَانِ (٣)

قَتَلُوا الصنَائِـعَ والملوكَ، وَأَوْقَدُوا ... نَارَيْنِ قَـد عَلَتَـا على النِّـيرَانِ (٤)

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابنـةِ وَائِلٍ ... نَزَلَ العَـدُوُّ عَلَيْـكَ كُلَّ مَكَانِ

حَبَسُوا ابنَ قَيْصَرَ وابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ ... يَوْمَ الكُلَابِ كَاكْرُمِ البُنْيَانِ (٥)

إنَّ الأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَـدِيمَهَا ... كَلْبٌ عَوَى مُتَهَـتِّمُ الأَسْـنَانِ (٦)

قَـومٌ اذا وُزِنُوا بقومٍ فُضِّـلُوا ... مِثْـلَيْ موازِنِهِـم على الميزانِ

---

(١) الفضلات: الخمور أى يسقين الرجال ويخدمنهم . الشروب: القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيرة: يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .

(٢) انتشوا: سكروا .

(٣) ابن هند عمرو بن هند: ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله فى قصة مشهورة . قسطوا: جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .

(٤) صنائع الملوك: أنصارهم ، المفرد صنيعة . أوقدوا نارين: اشارة الى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندى عم امرئ القيس .

(٦) الأراقم: حى من تغلب . متهتم متكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب هجوه الشائع :

وَكُومٍ تُنْعِمُ الأَضْيَافَ عَيْنًا وتُصبِحُ فى مَبَارِكِهَا ثِقَالَا (١)
حُوَاسَاتِ العَشَاءِ خُبَعْثِنَاتٍ إذَا النكبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمَالَا (٢)
كَأَنَّ فِصَالَهَا حَبَشٌ جِعَادٌ تَحَالُ على مبَارِكِهَا جُفَالَا (٣)
لِأَكْلَفَ أُمُّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا كأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ جِلَالَا (٤)
أَرِقْتُ فَلَمْ أَنَمْ لَيْلًا طَوِيلًا أُرَاقِبُ هَلْ أرى النَّسْرَيْنِ زَالَا (٥)
فَأَرَّقَنِي نوائبُ مِنْ هُمُومٍ عَلَيَّ، ولم يَكُنْ أَمرِى عِيَالَا (٦)
وكَانَ قِرَى الهُمُومِ اذَا اعتَرَتْنِى زَمَاعًا لا أُرِيدُ بِهِ بِدَالَا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم، الواحد أكوم . تنعم : تقر وتسر . المبارك : جمع مبرك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدأ بعد واو رب، خبره تنعم .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعثنات : ضخام شديدات، المفرد خبعثنة . النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس و بنات نعش .

(٣) الفصال، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل جفال : صوف كثير . يشبه الفصال بالحبش ذوى الشعر الجعد حتى لتظنها صوفا

(٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو للدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقنى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل الفرد، أى ليس همى بسبب أبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

فعادَلْتُ المَسَالِكَ نصفَ حَوْلٍ … وحَوْلًا بعـــدَهُ حَتَّى أحَالَا (١)

فَقَالَ لِيَ الَّذى يَعْنِيـــهِ شَأْنِى … نَصِيحَةَ قَــوْلِه سِرًّا وقالا : (٢)

عليكَ بَنِى أُمَيَّـةَ، فاستَجِرْهُمْ … وخُذْ مِنهـمْ لِمَا تَخْشَى حِبَالا (٣)

فإنَّ بَنِى أُمَيَّـةَ فِى قُرَيْشٍ … بَنَوْا لِبُيُوتِهـمْ عَمَـــدًا طِوَالا (٤)

فرَوَّحْتُ القَلوصَ إلى سَـعِيدٍ … إذَا مَا الشَّاةُ فى الأَرْطَاةِ قَالَا (٥)

تَخَطَّى الحَـرَّةَ الرَّجْلاءَ لَيْـلًا … وتَقْطَـعُ فى مَخَارِمِهـا نِعَالا (٦)

حلفْتُ بِمَنْ أتَى كَنَفَى حِرَاءٍ … ومَنْ وَافَى بِحِجَتِـه إلَالَا (٧)

أذا رَفَعُوا سَمِعْتَ لهـم عَجِيجًا … عَجِيـجَ مُحَـلِّئٍ نَعَـمًا نِهَـالَا (٨)

ومَن سَمَـكَ السماءَ له فقَامَتْ … وسَخَّـرَ لابنِ دَاودَ الشَّمَالَا (٩)

---

(١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدرى لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .

(٢) يعنيه : يهمه . شأنى : أمرى وحالى .

(٣) عليك بنى أميـة : اقصدهم، وسعيد بن العاص أموى . استجرهم : استغث بهم . حبال جمع حبل : العهد والذمة .

(٤) العمد : جمع عمود ما يقوم عليه البيت، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .

(٥) روحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل غضة . قال : نام فى منتصف النهار . يعنى شدة الحر .

(٦) الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنة يترجل فيها أو الكثيرة الحجارة . المخارم : الطرق، المفرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوقى به الخف، يصف وعورة الطريق .

(٧) الكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة آوى اليه الرسول حين الهجرة اختفاء من أعدائه . إلال : جبل بعرفات حيث يقف الحاج والمعنى أنه أظهر دينه فى مكة .

(٨) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح المحلىء هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الابل . نهالا شاربة يشبه صوت الحاج بصوت المحلى ... الخ .

(٩) سمك : رفع . ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير الى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

وَمَنْ نَجَّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحًا ... وأَرْسَى فى مَوَاضِعِها الجِبَالا (١)
لَئِنْ عَافَيْتَنِي ونَظَرتَ حِلْمِي ... لَأَعْتَنَنْ إِنِ الحدثانِ آلا (٢)
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومن زِيادٍ ... ولم أَحسبْ دَمِي لَكُمَا حَلَالَا (٣)
ولكنِّي هجوتُ، وقد هَجَتْني ... مَعَاشر قد رَضَختُ لهم سِجَالا (٤)
فإنْ يكنِ الهجاءُ أَحَلَّ قَتْلِي ... فقد قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وقَالَا (٥)
وان تَكُ فى الهِجاءِ تُريد قَتْلِي ... فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالا (٦)
تَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيشٍ ... إذا مَا الأمرُ فى الحَدَثانِ عَالَا (٧)
بَنِي عَمِّ النَّبي ورَهْطَ عَمْرٍو ... وعُثمانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)
قِيَامًا يَنْظُرونَ إلى سَعِيدٍ ... كأَنَّهُم يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا (٩)
ضَرُوبٌ لِلقَوانِسِ غيرُ هَدٍّ ... إذا خَطَرَتْ مُسَوَّمَةٌ رِعَالَا (١٠)

(١) الغمرات: جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول فى عهده كان الطوفان .

(٢) عافيتنى: دفعت عنى البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حلمى: راعيت عقلى وأناتى . اعتنن: اشتدّ وقوى . الحدثان النوائب . آل رجع .

(٣) زياد ابن أبيه: والى العراق، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره اليه لشدّة هجائه، ولكن الشاعر فر الى سعيد هذا .

(٤) رضخت لهم: أعطيتهم قليلا من هجائى . السجال جمع سجل: الدلو العظيمة . ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم .

(٥) قلنا لشاعرهم وقال أى تهاجينا، فلم أقتل أنا دونه ؟

(٦) فى الهجاء أى بسببه . ومعنى الشطر الثانى: فلم تسمع مقال المستجير . المنتصر: المستظهر على عدوه .

(٧) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز . الجحاجح جمع جحجح: السيد . عال اشتدّ وتفاقم .

(٨) الرهط: قوم الرجل . الفعال: الفعل الحسن .

(٩) قياما: حال من مفعول ترى فى البيت الذى قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد .

(١٠) القوانس: أعالى البيض من الحديد، المفرد قونس . الهد: الرجل الضعيف . المسومة: الخيل المعلمة لكرمها . الرعال: جمع رعلة: القطعة من الخيل . يصفه بالشجاعة والإقدام .

(١١) وقال جرير(١) يمدح عبد الملك بن مروان

أتَصْحُو ، أمْ فُؤادُكَ غيرُ صاحِ ... عَشِيَّةَ هَمَّ صَحبُكَ بالرَّواحِ (٢)

تَقولُ العاذِلاتُ : عَلاكَ شَيْبٌ ! ... أهَذا الشيبُ يَمنعنى مِراحِى ؟ (٣)

يُكلِّفنى فؤادى من هَواهُ ... ظعائنَ يجتزعنَ على رِماحِ (٤)

ظعائنَ لم يَدِنَّ مع النَّصارى ... ولا يدرينَ ما سَمَكُ القُراحِ (٥)

فبعضُ الماءِ ماءُ رَبابِ مُزْنٍ ... وبعضُ الماءِ من سَبَخٍ مِلاحِ (٦)

سَيَكفيكَ العواذلَ أرحَبِيٌّ ... هِجانُ اللونِ كالفَرَدِ اللِّياحِ (٧)

يَعِزُّ على الطريقِ بِمَنْكِبَيهِ ... كما ابترك الخليعُ على القِداحِ (٨)

---

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الولاة والخلفاء حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والتساب لعوامل سياسية واجتماعية ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ ويدل شعر جرير على عفة ودين وخلق حسن ورقة طبع ويمتاز بجمال الأسلوب ورقة النسيب وحسن التصرف فى فنون الشعر ولاذع الهجاء ، ونقائضه مع الفرزدق سجل لكثير من أيام العرب وأحوالهم فى الجاهلية والإسلام .

(٢) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . ويصح أن تكون أم بمعنى بل أى الإضراب .

(٣) المراح : الاختيال والتبختر .

(٤) الظعائن جمع ظعينة : المرأة فى الهودج . يجتزعن : يتمايلن أى يجتزعن بقدود كالرماح .

(٥) القراح : قرية بين النهرين ، وربما كانت للنصارى .

(٦) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفرده سبخة : أرض ذات نز وملح . ملاح : مالحة .

(٧) يكفيك : يكف عنك . أرحبى : جمل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . اللياح : الثور الوحشى أو الأبيض الناصع . الفرد : السيف لا نظير له أى سأستريح من العواذل بهذا الجمل أركبه الى الخليفة . وهذا الجمل كالسيف فى مضاء سيره .

(٨) يعز : يشتد . ابترك : جثا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

تَعـــزَّت أمُّ حَزْرَةَ ثُم قالتْ : رأيتُ الواردِينَ ذوِى امتناح (١)
تُعَـــلِّلُ وهْى ســاغِبةٌ بَنِيهــا بأنفــاسٍ من الشَّبِمِ القَــراحِ (٢)
سَأَمْتاحُ البحــورَ فجنِّبِينِى أذاةَ اللــومِ وانتــظرى امتياحِى (٣)
ثِقِى باللهِ ليس لَــهُ شَـــرِيك ومن عنــدِ الخليفــةِ بالنجاحِ
أغِثْنِى — يا فداكَ أبى وأُمى — بِسَيْبٍ منكَ ، إنكَ ذُو ارتِيــاحِ (٤)
فإنِّى قــد رأيتُ علىَّ حَقًّــا زِيارَتِىَ الخليفــةَ وامتِــداحِى
سَأَشكُرُ إنْ رَدَدتَ علىَّ رِيشى وأنبتَّ القــوادِمَ فى جَناحِى (٥)
ألَسْتُمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وأندَى العــالَمِينَ بُطونَ رَاحِ (٦)
وقَومٍ قــد سَمَوتَ لهم فــدانُوا بدُهْــمٍ فى مُلَملَمَــةٍ رَداحِ (٧)
أبَحْتَ حِمى تِهامَةَ بعــد نَجْــدٍ وما شىءٌ حَمَيْتَ بِمُستَبَاحِ (٨)

---

(١) أم حزرة : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهى . ساغبة : جائعة . الشبم : البارد من الماء . القراح الصافى .

(٣) متح الماء : استقاه واستخرجه من البئر والمراد العطاء الذى يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذو ارتياح أى الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش وضدها الخوافى . والمراد إن أعززتنى .

(٦) المطايا : جمع مطية . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم . الململمة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة .

(٨) أبحت : حللت . الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه فى بلاد العرب .

لَكُمْ شُمُّ الجبـالِ من الرواسِى وأعظمُ سَـيلِ مُعْتلِجِ البِطـاحِ (١)

دعوتَ الملحدينَ أبَا خُبَيبٍ جِمـاحًا هل شَفيتَ من الجِمـاحِ؟ (٢)

فقـد وَجدوا الخليفــةَ هِبْرِزِيًّا أَلَفَّ العِيصِ ليسَ من النـواحِى (٣)

فمـا شَجَراتُ عِيصِـكَ فى قُرَيشٍ بِعَشَّاتِ الفُـروعِ ولا ضَـواحِى (٤)

رأى النـاسُ البَصيرةَ فاستقامُوا وبيَّنَتِ المِــراضَ من الصِحاحِ (٥)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها — يابن المراغة — ويهجو الأخطل ومحمد بن عُمير بن عُطارد :

لِمَنِ الديارُ بِــبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ إذْ لَا نَبيــعُ زمانَنـا بِزَمَانِ (٦)

إن زُرتُ أهلَكِ لم يُبالوا حَاجَتِى وإذا هَجَــرتُكِ شَـفَّنِى هِجرانِى (٧)

هَــلْ رَامَ جَوُّ سُوَيقَتَينِ مَكانَه أو حُلَّ بعــدَ مَحَلِّنَـا الــبَرَدَانُ (٨)

(١) شم الجبال : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نبتها ، والأمواج : التطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير الى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيــه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزى : الأسوار من أساورة الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحى : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عشات الفروع : لثيات أصول نبتها . ضواح : بادت ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا . العبرة والفطنة . المراض جمع مريض : الباطل والمعوج وضدّه الصحيح .

(٦) البرقة : الأرض الغليظة ، وبرق بلاد العرب كثيرة منها برقة الروحان . يقول : لمن هذه الديار بتلك البرقة حيث تقضينا زمنا لا نبغى به سواه . والاستفهام للتعظيم أى هى لمحبوبة كريمة علىّ .

(٧) شفنى : أحزننى وهزلنى .

(٨) رام : فارق مضارعه يريم . السويقتان واحده سويقة : اسم لعــدة مواضع بالحجاز وغيره . ولعل موضعهما هنا نجد .

البردان مثنى برد بضم فسكون : غديران بنجد . والاستفهام معناه الحسرة والتلهف على أماكن لهوه المزعومة .

وَأَجَنَّتْ بعد سُلُوهن صبابةً وعرفتُ رسمَ منازلٍ أبكانى (١)
أصبحنَ بعد نعيمِ عيشٍ مؤنقٍ قفرًا وبعد نواعمٍ أخدانِ (٢)
قد رابنى نزعٌ وشيبٌ شائعٌ بعد الشباب وعصرِه الفينانِ (٣)
شعفَ القلوبَ وما تُقضى حاجة مثلُ المها بصريمةِ الحومانِ (٤)
نزل المشيبُ على الشباب فراعني وعرفتُ منزلَه على أخدانى (٥)
حورُ العيونِ يمسنَ غيرَ جوادفٍ هزَّ الجنوبِ نواعمَ العيدانِ (٦)
واذا وعدنك نائلا أخلفنه واذا غنيتَ فهنَّ عنك غوانِ (٧)
أصحا فؤادُك أىَّ حينِ أوانِ أم لم يرعكَ تفرّقُ الجيرانِ (٨)
أخطا الربيعُ بلادَهم فتيمَّنوا ولحبِّهم أحببتُ كلَّ يمانى (٩)

---

(١) الصبابة : الشوق والولع الشديد . رسم الدار : آثارها . يقول : لما رأيت خراب المنازل ودروسها أبكانى ذلك .

(٢) مؤنق : حسن معجب . أخدان جمع خدن : الصاحب .

(٣) النزع : انحسار الشعر من جانبي الجبهة . الفينان : الحسن الشعر الطويله .

(٤) شعف : غلب . المها مفرده مهاة : البقرة الوحشية . الصريمة : القطعة من معظم الرمل . الحومان جمع حومانة : المكان الغليظ . يقول : ان النساء الجميلات يتعبن قلبي دون فائدة أحظى بها .

(٥) راعنى : أفزعنى . عرفت : تبينت .

(٦) حور جمع حوراء : شديدة سواد العين مع شدة بياضها . يمسن يختلن و يتبخترن . جوادف : قصيرات . الجنوب : ريح تخالف الشمال : العيدان : النخل الطويل المفرد عيدانة ، يشبه النساء متبخترات بالنخيل تهزها الريح .

(٧) نائلا : وصلا . غوان : مستغنيات لا يبالين من ينصرف عنهن .

(٨) أى هل ترك قلبك العشق ، وقد حان وقت ذلك . يروع : يفزع .

(٩) أخطأ الربيع : لم ينزل المطر . تيمنوا : قصدوا اليمن .

بَكَرَتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ مَحْزُونَةٌ تَدْعُو الهَدِيلَ فَهَيَّجَتْ أحزانى (١)
لَا زلت فى غَلَلٍ يَسُرُّكِ ناقِعٍ وظِـلالِ أخضرَ ناعِمِ الأغصَانِ (٢)
وَلَقَدْ أَبِيتُ ضَجِيعَ كُلِّ مُخَضَّبٍ رَخْصِ الأنامِلِ طَيِّبِ الأرْدَانِ (٣)
عَطِرِ الثِّيَابِ مِنَ العَبِيرِ مُذَيَّلٍ يَمْشِى الهُوَيْنَى مِشْيَةَ السَّكْرَانِ (٤)
صَدَعَ الظعائنُ يومَ بِنَّ فؤادَهُ صَدْعَ الزُّجَاجَةِ مَا لِذَاكَ تدَانِ (٥)
هَلْ تُؤنِسانِ ودَيرُ أَرْوَى بيننَا، بِالأَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرَ الأظعَانِ (٦)
رَفَعَتْ مائرةَ الدُّفُوفِ أمَلَّهَا طولُ الوَجِيفِ على وَجَى الأَمْرانِ (٧)
حَرْفًا أضَرَّبِهَا السِّفَارُ كأنَّهَا جَفْنٌ طَوَيْتَ بِهِ نِجَادَ يَمَانِ (٨)

---

(١) بكرت : قامت مبكرة صباحا . الأيكة : الشجرة العظيمة . الهديل : صوت الحمام أى تغرد .

(٢) غلل : ماء يجرى بين الأشجار . أخضر أى روض خصب ناضر .

(٣) رخص : ناعم . الأردان جمع ردن : أصل الكم . طيب : عطر .

(٤) العبير : أخلاط من الطيب . الهوينى : التؤدة والرفق تصغير هونى مؤنث أهون . يشبه تمايل المرأة وهى ماشية بمشية السكران .

(٥) صدع : شق . تدان : التئام .

(٦) تؤنسان : تبصران والخطاب لصاحبيه المفروضين على عادة العرب فى ذلك . دير أروى : بالشام . الأعزلان : واديان ، الريان والظمآن ، لبنى حنظلة .

(٧) رفع البعير : حمله على الإسراع . مائرة : ناقة سهلة السير سريعة . الدفوف جمع دف : الجنب . أملها : أسأمها . الوجيف : ضرب من سير الإبل والخيل . الوجى : الحفا . الأمران ما يلين به الخف اذا حفى .

(٨) حرفا : ناقة ضامرة أو مهزولة . الجفن : الغمد . نجاد السيف : حمائله . يمان : منسوب الى اليمن : أصلها يمنى بياء النسب أتى بالألف بدل إحدى الياءين ، وحذفت هنا الأخرى على قاعدة المنقوص كقاض . يشبه ناقته فى الضمور بغمد السيف .

وإذا لَقيتَ علَى زَرُودَ مُجَاشِعًا ... تَرَكُوا زَرُودَ خَبِيثَةَ الأعطَانِ (١)
قَتَلوا الزُّبيرَ وَقِيلَ إن مُجَاشِعًا ... شَهِدُوا بِجَمْعِ ضَيَاطِرٍ عُزْلَانِ (٢)
مِنْ كُلِّ مُنْتَفِخِ الوَرِيدِ كأنَّهُ ... بَغْلٌ تقَاعَسَ، فَوقَهُ خُرْجَانِ (٣)
يَا مُسْتَجِيرَ مُجَاشِعٍ يَخْشَى الرَّدَى ... لَا تَأْمَنَنَّ مُجَاشِعًا بِأمَانِ (٤)
إنَّ ابنَ شعرَةَ والقرِينَ وضوطَرِىَ ... بئسَ الفوارسُ لَيلَةَ الحِدْثانِ (٥)
أَبَنِى شَعْرَةَ إن سَعْدًا لَم تَلِدْ ... قَيْنًا بِلِيتَيْهِ عَصِيمُ دُخَانِ (٦)
أبِنَا عَدلْتَ بنِي خَضَافِ مُجاشِعا ... وعَدَلْتَ خالَكَ بالأَشَدِّ سِنَانِ (٧)
شهِدَت عشيةَ رَحرَحانَ مُجاشعٌ ... بِجَارِفٍ بُجُفِ الخَزِيرِ بِطَانِ (٨)
وطِئَت سَنابكُ خَيلِ قيسٍ مِنكمُ ... قَتْلَى مُصَرَّعَةً على الأعطانِ (٩)

(١) زرود: مكان فيه يوم بين تغلب ويربوع، وماء لبنى مجاشع على طريق مكة . الأعطان جمع عطن: موطن الابل ومبركها حول الحوض .

(٢) كان الزبير بن العوام جارا لمجاشعيّ فلم يجره وذلك بعد وقعة الجمل . ضياطر جمع ضيطر: الضخم اللئيم . عزلان جمع أعزل .

(٣) الوريد: أحد عرقين عظيمين فى العنق . تقاعس: تأخر .

(٤) الردى: الهلاك . ومجاشع قبيلة الفرزدق كما سبق .

(٥) حدثان الدهر: نوبه . ابن شعرة محمد بن عمير . القرين: حكيم بن زياد المجاشعى . وضوطرى من مجاشع كذلك .

(٦) القين: الحداد . الليتان مثنى ليت (بكسر اللام): صفحة العنق . عصيم أثر . أى ليس فينا حدادون .

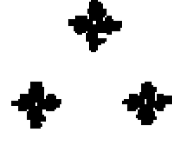
(٧) عدلت: سويت . سنان بن خالد: خال جرير، وخال الفرزدق العلاء الضبي . أى كيف تسوى بين قومى وقومك أو بين خالى وخالك مع بعد ما بينهما فى المجد والشرف؟

(٨) رحرحان: جبل قرب عكاظ فيه يوم لعامر على دارم . مجارف، جمع مجرفة مبالغة فى شدة شرههم والمعنى أنهم يلتهمون الطعام . بجف: مرضى البطون من الجفاف، وهو مشيها . الخزير: طعام شبه عصيدة . بطان: عظام البطون .

(٩) سنابك: أطراف الحوافر، المفرد سنبك كقنفذ . قيس: أصل بنى عامر قرينة تغلب هد مصرعة: مطروحة .

أَنَسِيتَ ـ وَيْلَ أَبِيكَ ـ ! غَدْرَ مُجَاشِعٍ ... وَمَجَرَّ جِعْثِنَ لَيْلَةَ السِّيدَانِ (١)

وَنَسِيتَ أَعْيُنَ والرِّبَابَ وَجَارَكُمْ ... وَنَوَارَ حَيْثُ تَصَلْصَلَ الجُلْجُلَانِ (٢)



لِلَّهِ دَرُّ يَزِيدَ يَوْمَ دَعَاكُمُ ... والخَيْلُ مُجْلِبَةٌ عَلَى حَلَبَانِ (٣)

لَاقَوْا فَوَارِسَ يَطْعَنُونَ ظُهُورَهُمْ ... نَشْطَ البُزَاةِ عَوَاتِقَ الخِرْبَانِ (٤)

لَا يَخْفَيَنَّ عَلَيْكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ... مِنْ نَسْلِ كُلِّ صِفَنَّةٍ مِبْطَانِ (٥)

إِنْ رُمْتَ عَبْدَ بَنِي أُسَيْدَةَ عِزَّنَا ... فَانْقُلْ مَنَاكِبَ يَذْبُلٍ وَذِقَانِ (٦)

إِنَّا لَنَعْرِفُ مَا أَبُوكَ بِحَاجِبٍ ... فَالْحَقْ بِأَصْلِكَ مِنْ بَنِي دُهْمَانِ (٧)

(١ و ٢) ويل أبيك : كلمة دعاء ، أى شرّ وهلاك له . غدر مجاشع أى بالزبير . جعثن : بنت غالب أخت الفرزدق ، وقصتها أن غالبا جاور طلبة بن قيس بن عاصم بالسيدان ، فكانت ظمياء بنت طلبة تتحدث الى جعثن فاشتهى الفرزدق حديثها وشغلت أخته ليلة فأخذ الفرزدق الجلجل الذى كانت جعثن تصفق به لظمياء لتجىء ثم حرك الجلجل فجاءت ظمياء للعادة فارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت الى رحلها فلما سمع بأمرها تجمع فتيان من مقاعس فاستخرجوا جعثن من خبائها ثم سحبوها ليشهروا بها ، فعيره بذلك جرير وبالغ فيه .

(٣) مجلبة : مجتمعة . حلبان : موضع باليمن قرب نجران . يذكر الشاعر وقعة لهم .

(٤) نشط : جذب خفيف . البزاة : الصقور جمع باز . عواتق جمع عاتق : فرخ الطائر أول ما يطير . الخربان ، جمع خرب : الحبارى الذكر . يقول انهم هزموا فولوا ظهورهم حيث طعنوا طعنا خفيفا سريعا كما تفعل البزاة بالخربان .

(٥) محمد بن عمير بن عطارد . الصفنة من النساء الضخمة المسترخية . يعيره بذلك . المبطان : من همه بطنه .

(٦) عبد أسيدة : محمد بن عمير . أسيدة : أم مالك القشيرى يذبل ، وذقان : جبلان . يقول له : ان أحسابنا كالجبال الراسية ؛ فهل تستطيع نقلها حتى تفاخرنا .

(٧) أبوك : يعنى عمير بن عطارد . بنو دهمان من بنى نصر بن معاوية .

لَمَّا انهزمتَ كَفَى الثُّغُورَ مُشَيَّعٌ … منَّا غَـداةَ جَبُنْتَ، غيرُ جَبَانِ (١)
شَبَثٌ نَخرتُ به عليكَ ومَعْقِلٌ … وبِمَالِكٍ وبفَارِسِ العَلْهَانِ (٢)
هَـلَّا طَعَنْتَ الخيلَ يومَ لَقِيتَها … طَعْنَ الفَوارِسِ مِنْ بَنِي عُقْفَانِ (٣)
أَلْقَوا السِّلاحَ الى آلَ عُطارِدٍ … وتَعَاظَمُوا ضَرطًا عَلَى الدُّكَّانِ (٤)
يَاذَا العَبَاءةِ إِنَّ بِشرًا قد قَضَى … أَلَّا تَجُوزَ حُكُومةُ النَّشوانِ (٥)
فَدَعُوا الحكومةَ لَسْتُمُ من أهلِها … إِنَّ الحُكُومةَ فى بَنِي شَيْبَانِ (٦)
بَكْرٌ أحقُّ بأَنْ يكونُوا مَقْنَعًا … أَو أَنْ يَفُوا بحقيقةِ الجِيرانِ (٧)
قَتَلُوا كُلَيبكُم بِلَقْحَةِ جارِهِمْ … يَا خُزْرَ تَغْلِبَ لَسْتُمُ بِهِجانِ (٨)

---

(١) انهزمت : يعنى أن محمد بن عمير كان على أذربيجان فأغار على أهل موقان فهزموه وأخذوا لواءه فثار اليهم عتاب بن ورقاء الرياحى فاسترد لواء محمد . كفى الثغور : حمى الحدود . مشيع : شجاع وغير صفته .

(٢) شبث ومعقل الرياحيان : العلهان : عبد الله بن الحارث اليربوعى . لأنه فى يوم (بنى غبر جلهم) ثأر لأخيه بناس كثير وأصل العلهان الذى لا يعقل .

(٣) بنو عقفان بن يربوع : حى من خزاعة دفعوا الخوارج عن الكوفة أيام الحجاج ، ففرض لهم ألفى درهم فى السنة وهى درجة الشرف وهذا يسمى يوم البطين الخارجى .

(٤) آل عطارد من تميم رهط الفرزدق . الدكان : الحانوت جمعه دكاكين .

(٥) ذو العباءة الأخطل والعباءة مسح نصرانى (كساء) . بشر بن مروان بن الحكم . النشوان : السكران . يعيره بما رشاه به محمد بن عطارد من زق خمر وحلة ليفضل الفرزدق على جرير .

(٦) بنو شيبان من بكر . والأخطل تغلبى وكانت بين بكر وتغلب عداوة ومنافسة .

(٧) مقنع إقناع وكفاية . حقيقة : حق وحمى .

(٨) كليب : فارس وشاعر جاهلى . وهو خال امرئ القيس . وكان تغلبيا قتل فى حرب البسوس . لقحة : ناقة . خزر : ضيقو العيون أى لئام . الهجان : الخيار .

كَذَبَ الأُخَيطِلُ إن قَومِى فِيهِمُ ... تَاجُ المـــلوكِ ورَايةُ النُّعْـمَانِ (١)

مِنْهم عُتَيبَـــةُ والمُحِـــلُّ وقَعنبٌ ... والحَنْتَفَانِ ومِنْهُـــم الرِّدْفَانِ (٢)

إِنّى لَيُعرَفُ فى السُّرَادِقِ مَنزِلِى ... عِنْدَ المُلوكِ وعِنْدَ كُلِّ رِهَانِ (٣)

مَا زَالَ عِيصُ بَنِى كُلَيبٍ فِى حِمًى ... أَشِبٍ أَلَفَّ مَنَـابِتِ العِيصَـانِ (٤)

الضَّارِبينَ إِذا الكُمَاةُ تَنَازَلُوا ... ضَرْبًا يَقُـــدُّ عَـوَاتِقَ الأَبْدَانِ (٥)

وحَمَى الفَوارِسُ من غُدَانَةَ إنَّهُمْ ... نِعْـــمَ الحُمَـاةُ عَشِـيَّةَ الإِرْنَانِ (٦)

إنَّا لَنستَلِبُ الجَبَـابِرَ تَاجَهُـــمْ ... قَابُوسُ يَعْـــلَمُ ذاكَ والجَـونَانِ (٧)

ولَقَد شَفَوْكَ مِنَ المُكَوَّى جَنبُهُ ... واللهُ أَنْزَلَهُ بِـــدَارِ هَـــوَانِ (٨)

جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الجِـــرَاءِ بِنَـابِهِ ... رَوْقٌ شَبِيبَتُـــهُ وَعُمْـــرُكَ فَانِى (٩)

(١) تاج الملوك . يشير الى أن الخلافة فى قومه مضر إذذاك . راية النعمان : أى قديما لأنهم أسروا قابوس بن المنذر .

(٢) هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بمحامدهم .

(٣) السرادق : ما يمد فوق صحن البيت . و يريد المجتمع أو النادى .

(٤) العيص : الأصل . أشب : شجر متكاثف . العيصان : جمع عيص . بنو كليب : قبيلة جرير من تميم . يقول إن أصلنا عزيز منيع لا يرام .

(٥) يقد : يقطع . عواتق جمع عاتق : مابين المنكب والعنق . الكماة : الأبطال المفرد كمى . الأبدان : الدروع المفرد بدن .

(٦) الفوارس : هم وكيع بن حسان ومن شهده من بنى غدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان . عشية الارنان : يريد عشية تكثر فيها الأصوات .

(٧) نستلب الخ : نغتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس . الجونان : حسان ومعاوية من كندة . (راجع كتاب النقائض بين جرير والفرزدق صفحة ٤٠٥ طبع أوربا) .

(٨) المكوى جنبه : رجل يسمى الشمرذى من بكر حرق جنبه ثم قتله قيس بالبليخ .

(٩) المطلع : الضابط الأمر القوى عليه . الجراء : المفاخرة . روق الشباب أوله . أى فاجرت من هو أقوى منك .

مَا زِلتُ مُذْ عَظُمَ الخِطَارُ مُعَاوِدًا ضَـبْرَ المِئِينَ وسَبَقَ كُلِّ رِهَانِ (١)

مَا زَالَ مَـنْزِلُنَـا لِتَغْلِبَ غَالِبًـا وَاللهُ شَرَّف فوقَهُـمْ بِنْيَـانِى (٢)

فَاقْبِضْ يَدَيْكَ فإنَّنِى فِى مُشْرِفٍ صَعْبِ الذُّرَا مُتَمَنِّعِ الأرْكَـانِ (٣)

وَلَقَدْ سبقْتُ فَمَـا ورائِى لَاحِقٌ بَدْءًا وَخُلِّىَ فى الجِـراءِ عِنَـانِى (٤)

نَزَعَ الأُخَيْطِـلُ حِينَ جَدَّ جِرَاؤُنَا حَطِمَ الشَّـوَى مُتَكَسِّرَ الأسْـنَانِ (٥)

قُلْ لِلْمعَرِّضِ والمشَـوِّرِ نفْسَـهُ مَنْ شَاءَ قَاسَ عِنَانَهُ بِعنَـانِى (٦)

(١٢) قال القطامى يمدح زفر القيسى وكان قد أسره فى معركة ثم عفا عنه (٧)

ما اعتادَ حبُّ سُلَيمَى حِينَ مُعْتَادِ وَمَا تَقَضَّى بَوَاقى دَيْنِهَا الطَّادِى (٨)

إلّا كَمَا كُنت تَلْقَى مِنْ صَـواحِبِها وَلَا كيومِكَ مِن غَرَاء وَرَّاد (٩)

---

(١) الخطار: جمع خطر: السبق يتراهن عليه . الضبر: الوثب . المئين أراد المئين من الغلاء جمع غلوة: رمية السهم . والمعنى أنى ما زلت غالبا مذ قامت المهاجاة والمفاخرة بيننا .

(٢) أى أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم . (٣) المشرف العالى : يريد نسبه . صعب الذرا لا يرام لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشىء . متمنع الأركان : صعب الجوانب لا يرتقى .

(٤) بدء: أول الأمر : أى منذ بدأ السباق . العنان : سير اللجام ، وترك العنان يكون للفرس غير الصعب معتاد السباق ، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والفوز فيها .

(٥) نزع : كف لما علم أنه مسبوق بالشرف . حطم : متكسر . الشوى : القوائم . يشبه الأخطل فى تخلفه بالكلب الذى تكسرت قوائمه وأسنانه فى العراك فقر هاربا .

(٦) المشور : المجمل أو المروض المختبر . يريد من شاء مفاخرتى بالمجد تقدم ليرى مكانتى .

(٧) عمير بن شييم القطامى من تغلب نشأ كالأخطل واتصلت حياته بحروب قومه مع بنى تغلب يصف حروبها وينتصر لقومه وأكثر مدحه فى زفر القيسى وأسماء الزارى . والقطامى ذو شعر مستوى الأسلوب والقوة رائع جيد يتناول الفخر والحماسة والنسيب والوصف والمديح ويدل على خلق نبيل وشخصية ممتازة .

(٨) معتاد : اعتياد . تقضى : تأدى . الطادى : الثابت . أى لم يأت حبها فى معاده ولم تؤد ما عليها من ديون الوصل والرضا . (٩) الغراء : الحسناء . وراد : أبوها أو قيمها . أى أن شأنها شأن صواحبها فى المطل . ولكن يومها فى التجنى والدل لا يشبهه يوم .

بَيْضاءُ مخطُوطَة المتنين بَهْكَنَةٌ رِيًّا الروادِفِ لم تُمْغِــل بأولادِ (١)
ما لِلكواعِبِ ! وَدّعن الحياةَ كَمَا ودَّعنَنى واتخذْنَ الشيْبَ ميعادِى (٢)
أبصــارُهُنّ الى الشبان مائلةٌ وقــد أُراهنّ عنى غيرَ صُـدّاد (٣)
إذ باطِلى لم تقشّــعْ جاهليتــهُ عنّى ، ولم يَتْرُكِ الخُلّانُ تَقوادِى (٤)
كَنِيَّةِ الحىّ من ذى الغَضية احتَملُوا مستحقبين أسيراً مَالَهُ فَادِى (٥)
بَانُوا ، وكانتْ حَيَاتِى فى اجتماعِهِمُ وفى تفرقهم قتلى وإقصادى (٦)
أَرمى قصيدَهمُ طَرفى ، وقد سلكوا بطن الجُبَيْمِرِ فالروحاء فالوادِى (٧)
مُحَدِّدِينَ لبَرقٍ صاب فِى خيَمٍ وبالقُــرَيَّة رادُوهُ بِــرُوّادِ (٨)

(١) مخطوطة : لطيفة . المتنان : مثنى متن وهما مكتنفا الصلب . بهكنة : شابة غضة ممتلئة الجسم . ريا : نامية . الروادف جمع ردف وهو العجز . تمغل : تلد كل سنة .

(٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى . يدعو عليهن بالموت لما هجرنه لحلول شيبه . اتخذن معطوف على ودعننى .

(٣) صداد : جمع صادة : المعرضة .

(٤) الباطل : الضلال : تقشع : تذهب . جاهليته : سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق تقوادى : قيادتى الى اللهو .

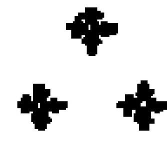
(٥) كنية الحى متعلق بودعننى : أى كما ودعنى حى كنت به كلفا ، النية : البعد والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فؤاده . ذو الغضية مكان .

(٦) بانوا : رحلوا . اقصادى : اهلاكى

(٧) القصيد : الناحية . الطرف : النظر . الجبيمر : أرض لفزارة . الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينــة . الوادى : منعرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره .

(٨) محددين : ناظرين بحدة . صاب : انصب مطره . خيم : جمع خيمة . القرية بضم القاف وفتح الراء وتشــديد الياء : موضع لطى . رادوه طلبوه . الرواد : جمع رائد وهو الرسـول يبعثه القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه .

يَخْفَوْنَ طورًا وأطوارا اذا طلَعُوا ... نَجداء بدالىَ من أَجْمالِهم بادِى (١)
وفى الخُدورِ غمامَات برَقْن لَنَا ... حتى تَصيدنَنا من كُلِّ مُصطَاد (٢)
يقتُلنَنا بحديثٍ لَيس يعلَمُه ... من يتَّقين ولا مكتُومه بَادى (٣)
فهنّ ينبِذنَ مِن قولٍ يُصبنَ بِه ... مواقِعَ الماءَ مِنْ ذِى الغُلَّةِ الصادى (٤)



مَن مُبْلغ زُفَر القيسِىّ مِدْحَتَهُ ... من القطَامِى قولًا غيرَ إفْنَاد (٥)
أَنّى وان كَانَ قومِى لَيس بَيْنَهُم ... وبينَ قومِك الا ضَربةُ الهادِى (٦)
مُثنٍ عَلَيك بمَا استبقَيْتَ معرِفتى ... وقد تعرّضَ مِنّى مَقْتَلٌ بادِى (٧)
فَلَنْ أُثيبَكَ بالنَّعماءِ مَشتَمةً ... ولَنْ أبدِّلَ إحسانًا بإفسادِ
فإن هجوتُك ما تمّتْ مُكارمتى ... وان مدحتُ لقد أحسنتَ إصفادى (٨)

---

(١) طورا : مرة . النجد : المرتفع من الأرض . بدا : ظهر . أجمال : جمع جمل .

(٢) الخدور جمع خدر : الهودج أو مسكن الجارية . غمامات : جمع غمامة السحابة البيضاء ، والمراد المرأة الجميلة . برقن لنا : أطمعننا . مصطاد : مصيد اسم مفعول أو مكان .

(٣) يتقين : يخفنه . باد : ظاهر .

(٤) ينبذن : يرمين و يتكلمن . الغلة : حرارة العطش ، الصادى : العطشان — أى يقع كلامهن منا كموقع الماء من شديد العطش . وكلاهما أحسن ما يكون وقعا .

(٥) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر . وكان قد عفا عن القطامى وفك أسره لما هزم مع قومه فى احدى الوقائع فدحه بهذه القصيدة . الإفناد : الكذب .

(٦) الهادى : النصل .

(٧) مثن عليك : مادحك . بما استبقيت أى بابقائك علىّ لمعرفتك إياى . تعرّض : ظهر وانكشف . مقتل : موضع أقتل منه .

(٨) مكارمتى : مفاخرتى لك بالكرم . إصفادى : إعطائى .

قَتلتَ بكرًا وكلبـا واشتَلَيتَ بِنَـا وقد أردْتَ بأن يَستَجمعَ الوادى (١)

لَولَا كَتائبُ من عَمْرٍو تَصُول بها أُرديتَ يا خيرَ مَن يندو له النادى (٢)

إذْ لا تَرى العـينُ الا كلَّ سَلْهَبَةٍ وسابحٍ مثلِ سِـيدِ الرَّدْهَةِ العادى (٣)

إذ الفوارسُ من قَيسٍ بشِكَّتهِـم حـولى شُهودٌ وما قـومى بِشُهَّاد (٤)

إذ يَعـتَريكَ رِجالٌ يسألونَ دَمِى ولو أطعتَهُـــمُ أبكيتَ عُـوَّادى (٥)

فقـد عَصَيتَهُمُ والحـربُ مُقبِـلةٌ لا ، بلْ قَدحْتَ زِنَادا غيرَ صَـلَّاد (٦)

والصِـيدِ آل نُفَيلٍ خيرُ قومِهِـم عنـدَ الشـــتاءِ اذا مَاضُنَّ بالزاد (٧)

المـانِعونَ غَـــداةَ الروعِ جارَهُمُ بِالمشرفيَّـــةِ مِنْ ماضٍ ومُنآد (٨)

---

(١) بكر وكلب : قبيلتان من عدنان . اشتليت : تداركت وأنقــذت . يستجمع الوادى : يتم لك كل ما يسرك قبلنا .

(٢) الكتائب : جمع كتيبة : القطعة من الجيش . تصول : تسطو . أرديت : هلكت . ينــدو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادى : مجلس القوم .

(٣) سلهبة : فرس طويلة . السيد : الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العـادى : الهاجر يشبه الفرس بالذئب المعتدى فى السرعة .

(٤) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة الممدوح وتغلب قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٥) يعتريك : يغشاك . يسألون دمى : يطلبون قتلى . عوادى جمع عائد : الزائر .

(٦) قدح الزند : حاول إخراج النار منــه . الزناد : جمع زند وهو العود يقتدح به النار . صلاد لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجميل .

(٧) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأســه كبرا . آل نفيل : آل الممدوح . ضن بالزاد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين يبخل الناس .

(٨) المـانعون : الحامون ، الروع : الفزع . الجار : المجاور أو المستجير . المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف الشام : وهى قرى عربيــة تدنو من ريفه . المـاضى : السيف المستقيم القاطع . المنآد : المعوج .

أيّامَ قومِي، مكانِي مُنصِبٌ لهـمُ ولا يظُنُّـونَ إلا أنّنِي رَادِي (١)

فانْتَـاشَنِي لكَ من غَبراءَ مُظلمـةٍ حَبلٌ تضمّنَ إصـدارِي وإيرادِي (٢)

ولا كَرَدِّكَ عَـنِّي بعـدَ ما كَرَبت تُبـدِي الشَّناءةَ أعدائِي وحُسَّادِي (٣)

فإن قـدَرتُ على يوم جَزَيْتُ به واللهُ يَجعَـلُ أقـوامًا بمِرصَادِ (٤)

نفسِي فـداءُ بَني أُمٍّ هُم خَلَطـوا يـومَ العَـروبَةِ أوْرادًا بأورادِ (٥)

بِيضًا صَـوارِمَ كالشُّهْبانِ نَعسِفُها في البِيضِ من مسـتقِيماتٍ ومنآدِ (٦)

نُبيتُ قيسًا على الحَشَّاكِ قد نزلوا منّـا بحَيٍّ على الأضـيافِ حشّادِ (٧)

في المجدِ والكَرمِ العالِي ذَوِي أَمَلٍ وفي الحَيـاةِ وفي الأمـوالِ زُهّادِ

الضّارِبِينَ عُمَـيرًا عن بُيُـوتِهم بالتّـلِّ يومَ عمـيرٌ ظالمٌ عادِي (٨)

(١) منصب: متعب يشق عليهم بلوغه. راد: هالك.

(٢) انتاشني: تداركني. الغبراء: الداهية. حبل: عهد وذمة. الإصدار: الإرجاع عن الماء. الإيراد: إحضاره المورد. والمعنى أن عهدك قام بحفظي وحراستي.

(٣) كربت: دنت. الشناءة: البغض والشماتة. أي ليس من الفعال ما يشبه ردّك الشر عني وقد كاد يشمت بي الأعداء لقرب ضياعي.

(٤) قدرت على يوم: أي اذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا: لما سمع زفر هذا قال: لا أقدرك الله. المرصاد: الطريق ومكان الرصد.

(٥) يوم العروبة: يوم لتغلب على قيس. أورادا جمع ورد: الجيش أو الجماعة أو السيف.

(٦) بيضا صوارم: سيوفا قاطعة. الشهبان جمع شهاب: الكوكب أو المنقض منه. نعسف: نضرب على غير هدى.

(٧) الحشاك: نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات. حشاد جمع حاشد: المستعد المتأهب. أي نزلت قيس علينا للحرب فوجدتنا مستعدين للقائها وشبه الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب.

(٨) عمير بن الحباب القيسي، قتل يوم العروبة، وهو يوم لتغلب على قيس. ضربه عن بيته: صدّه عنه.

ثابتْ له عُصَبٌ من مالكٍ رُجُحٌ ... عنـد اللّقاءِ مَسارِيعٌ إلى النـادى (١)

ليست تَجَرَّحُ فُرَّارًا ظُهـــورُهُمُ ... وفى النُّحـورِ كُلـومٌ ذاتُ أَبْلادِ (٢)

لا يُغمِدونَ لهمْ سـيفا وقد عَلِموا ... أَنْ لم تكنْ لهمْ أيامُ إغمـادِ (٣)

لا يُبعِـدِ اللهُ قومًا مِن عَشيرتِنـا ... لم يخذُلونا علَى الجُلَّى ولا العَـادِى (٤)

مَحْمِيَــةً وحِفَاظًا إنَّهـا شِيَمٌ ... كانتْ لِقومىَ عاداتٍ من العَـادِ (٥)

لم تَرَقَــومًا هُم شَرٌّ لإخوتِهـــم ... مِنَّا عَشـيةَ يَجـرى بالدمِ الوادى (٦)

حَالَ الحوادِثُ والأيامُ دُونَهُـــمُ ... ونحنُ مِنْ بَعْـدِهِمْ لسنا بِخُـــلادِ (٧)

---

(١) ثابت : اجتمعت . عصب جمع عصبة : الجماعة من الرجال أو الخيل . رجح : جرارة ثقيلة . مساريع : مسرعون . اللقاء : القتال . النادى : مجتمع القوم للحديث أو الكرم . يصف قومه بالشجاعة والجـــد .

(٢) فرارا جمع فار : الهارب المنهزم . النحور جمع نحر : أعلى الصدر . كلوم جمع كلم : الجرح . أبلاد : آثار المفرد بلد . أى يثبتون فى القتال ، فتجرح صدورهم . ولا يفرون حتى يطعنوا فى ظهورهم .

(٣) أغمد السيف : وضعه فى الغمد ، سيوفهم مسلولة دائما لكثرة الحروب والاستعداد لها .

(٤) أبعده الله : نحاه عن الخير ولعنه . العشيرة : القبيلة أو بنو الأب الأقربون . الجلى : الأمر العظيم . العادى : الجائر المعتدى . والجملة الأولى دعائية .

(٥) محمية : حماية ومنعا . حفاظا : دفعا عن المحارم . شيم جمع شيمة : الخلق والعادة والطبيعة . العاد : جمع عادة .

(٦) شر لاخوتهم أى لقاتلهم ، و يريد قيسا . العشية : أول الظلام ، والمراد هنا وقت القتال .

(٧) فرقت بين الأخوة الحروب التى قتلتهم والدهر الذى أفناهم ، ونحن سنلحقهم ، و يريد بالاخوة بنى قيس وتغلب فكلاهما نزارى .

(١٣) قال ذو الرُّمَّة يمــدحُ بلالَ بن أبي بُرْدَة ابن أبي موسى الأشعرى والى البصرة : (١)

أَرَاحَ فَــرِيقُ جِيرَتِكَ الجِمَــالَا ... كَأَنَّهُمُ يُرِيدونَ احْتِمَالَا (٢)
فَبِتُّ كأنَّنى رَجُلٌ مريضٌ ... أَظُنُّ الحىَّ قد عزَمُوا الزِّيالَا (٣)
وباتُوا يُبرِمُون نَوًى أرادَتْ ... بهم لِسِوَاء طِيَّتِكَ انفتــالَا (٤)
وَذِكْرُ البَينِ يَصْدَعُ فى فُؤَادِى ... ويُعْقِبُ فى مَفَاصِلِى امْذِلَالَا (٥)
فَأَرْغَوْا بالسَّــوادِ فَذَرَّ قَرْنٌ ... وَقَدْ قَطَعُوا الزِّيارَةَ والوِصَالَا (٦)
فَكِدْتُ أَمُوتُ من شَوْقٍ عَلَيْهِم ... وَلَمْ أَرَ نَاوِىَ الأَظْعَانِ بَالَى (٧)
فأشرفْتُ الغَزَالَةَ رأسَ حوضَى ... أُرَاقِبُهُمْ ، ومَا أَغْنَى قِبَــالَا (٨)
كأنى أَشْهَــلُ العَيْنَيْنِ بَازٍ ... عَلَى عَلْيَــاء شُــبِّهَ فَاسْتَحَالَا (٩)

---

(١) هو غيلان بن عقبة صاحب مية وخرقاء . نشأ فى بيت أهله شعراء فكان أنبههم ذكرا وأبعدهم صيتا . وكان هواه مع الفرزدق على جرير لعصبية نسبية . وعلى شعره مسحة البادية وصدق العشق فى أسلوب جزل ولفظ غريب ، يتناول النسيب ووصف الإبل والبادية والمديح ، وكانت وفاته بالبادية سنة ١١٧ هـ .

(٢) الاحتمال : الرحيل . (٣) الزيال : الفرقة .

(٤) يبرمون : يدبرون ويحكمون . سواء : غير . طيتك : نيتك ووجهك . انفتال : انصراف . أى عزموا على سفر لا أريده . (٥) يصدع : يشق . امذلالا : خدر وفتور .

(٦) أرغوا جمالهم : حركوها ليجعلوا عليها أكوارها استعدادا للسير فصوتت . السواد : القرى أو العدد الكثير . ذر قرن : يعنى قرن الشمس ، وقرنها : أولها . وذر : بدا وظهر .

(٧) الأظعان : النساء فى الهوادج . بالى : اهتم بى .

(٨) الغزالة : ارتفاع الضحا . أشرفت : علوت . القبال : زمام النعل . أى علوت رأس حوضى وقت الضحا لأراقبهم ولكن لم يفد نظرى شيئا . (٩) الباز : ضرب من الصقور . أشهل العينين : فى سوادهما زرقة . علياء : مكان مرتفع مشرف . شبه : خيل اليه أنه رأى شيئا . استحال : نظر .

رأيتهم ، وقد جعلوا فتاخًا وأجرعه المقابلة الشمالا (١)
وقد جعلوا السبيّة عن يمين مقاد المهر، واعتسفوا الرمالا (٢)
كأن الآل يرفع بين حزوى ورابية الخوى بهم سيالا (٣)
وفى الأظعان مثل مها رماح علته الشمس فادّرع الظلالا (٤)
تجوف كلّ أرطاة ربوض من الدهنا تفرعت الحبالا (٥)
أولاك كأنهن أولاك إلا شوى لصواحب الأرطى ضئالا (٦)
وأنّ صواحب الأظعان جمّ وأن لهن أعجازًا ثقالا (٧)
وأعناق الظباء رأين شخصًا نصبن له السوالف أو خيالا (٨)

---

(١) فتاخ : أرض بالدهناء ذات رمال . الأجرع : رملة مستوية لا نبت فيها . أى كان هذان الموضعان عن يسارهم .

(٢) السبية : رملة بالدهناء . اعتسفوا الرمال : عدلوا عنها فى سيرهم .

(٣) الآل : السراب . حزوى : جبل بالدهناء . الخوى : بطن واد . السيال : نبات له شوك أبيض طويل يشبه الشاعر به الأظعان . يقول إن الآل يرفع هذه الظعائن كأنه يرفع سيالا .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . رماح : موضع بالدهناء . ادّرع الظلال : استتر بها . يشبه النساء الظاعنات بالمها فى جمال العيون .

(٥) تجوف : تدخل وتستتر . الأرطاة : شجرة ثمرها كالعناب . ربوض : عظيمة . تفرعت : علت . الحبال جمع حبل : الرمل المستطيل .

(٦) أولاك : الأولى للنسوة ، والثانية للبقر . الشوى : اليدان والرجلان . ضئال : دقاق . أى انهما متشابهان الا أن أطراف النسوة بدان سمينة .

(٧) جم جمع جماء : المرأة الملساء . الأظعان هنا : الهوادج المفرد ظعينة .

(٨) السوالف جمع سالفة : صفحة العنق عند معلق القرط . يقول رأين شخصا أو خيالا فنصبن له السوالف . وأعناق معطوفة على (أعجازا) قبله . يشبه أعناقهن بأعناق الظباء طولا .

رَخِيمَاتُ الكَلَامِ مُبَطَّنَاتٌ جَوَاعِلُ فِى البُرَى قَصَبًا خِدَالَا (١)
جَمَعْنَ فَخَامَةً وخُلُوصَ عِتْقٍ وحُسْنًا بَعْدَ ذَلِكَ واعْتِدَالَا (٢)
كَأَنَّ جُلُودَهُنَّ مُمَوَّهَاتٌ عَلَى أَبْشَارِهَا ذَهَبًا زُلَالَا (٣)
ومَيَّةُ فِى الظَّعَائِنِ وهْىَ شَكَّتْ سَوَادَ القَلْبِ فَافْتَتَلَ افْتِتَالَا (٤)
عَشِيَّةَ طَالَعَتْ لِتَكُونَ دَاءً جَوًى بَيْنَ الجَوَانِحِ أَوْ سُلَالَا (٥)
تُرِيكَ بَيَاضَ لَبَّتِهَا ووَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا (٦)
أَصَابَ خَصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلًا كَلَا وانْغَلَّ سَائِرُهُ انْغِلَالَا (٧)
وأَشْنَبَ واضِحًا حَسَنَ الثَّنَايَا تَرَى مِنْ بَيْنِ ثُنْيَتِهِ خِلَالَا (٨)
كَأَنَّ رُضَابَهُ مِنْ مَاءِ كَرْمٍ تَرَقْرَقَ فِى الزُّجَاجِ وقَدْ أَحَالَا (٩)

---

(١) رخيمات : رقيقات . مبطنات : ضوامر البطون . البرى جمع برة وهى هنا الخلخال والسوار . القصب : الأذرع والسيقان . خدال : ضخمة مستديرة ، يشبه سيقانهن بالقصب الضخم المستدير .

(٢) الفخامة : عظم القدر والضخامة . العتق : الأصل والشرف .

(٣) أبشار جمع بشر : ظاهر الجلد . زلالا : صافيا أى كأن جلودهن مطليات ذهبا .

(٤) مية : صاحبة الشاعر . شكت : طعنت . سواد القلب : حبته . افتتل : لوى وأسر .

(٥) طالعت : نظرت . الجوى : حرقة العشق . الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر واحدتها جانحة . السلال : داء فى الرئة ، هو السل أو الهزال .

(٦) اللبة : موضع القلادة . قرن الشمس : أول ما يبدو منها . أفتق : بدا من بين السحاب . زال : اختفى .

(٧) الخصاصة : فتق السحاب . كليلا : ضعيفا . كلا كقولك لا فى القلة . انغل : دخل السحاب . السائر : الباقى .

(٨) الأشنب : الفم البارد العذب . الواضح : الأبيض . الثنية : احدى مقدم الأسنان ، خلالا : فروجا أى أنها مفلجة الأسنان . وأشنب معطوف على كلمة (بياض) السابقة .

(٩) الرضاب : الريق . ماء كرم : خمر . ترقرق : تحرك . أحال : أتى عليه حول فصار عتيقا .

يُشَجُّ بمـاءِ سَـارِيَةٍ سَـقتْهُ ... عَلَى صَمَّانَةٍ رَصَـفًا فَسَـالَا (١)
وأسْحَمَ كالأسَـاوِدِ مُسْـبَكِرًّا ... على المَتْنَيْنِ مُنْسَـدِلًا جُفَالَا (٢)
وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا ... وَسَـالِفَةً وأَحسـنُه قَـذَالَا (٣)
ولَمْ أَرَ مثلَها نَظَـرًا وعَيْنًـا ... ولا أُمَّ الغَـزَالِ ولا الغَـزَالَا (٤)
هِيَ السُّـقْمُ الذى لا بُرْءَ مِنْـهُ ... وبرءُ السُّـقْمِ لو رَضَخَتْ نَوالَا (٥)
كَذاكَ الغَانِيـاتُ فَرَغْن مِنَّـا ... على الغَفلاتِ رَمْيًا واحتِيالَا (٦)
فَعَدِّ عَنِ الصِّبَا، وعليك هَمًّا ... تَوَقَّشَ فى فُـؤَادِكَ، واختِيالَا (٧)
فَبِتُّ أَرُوضُ صَعْبَ الهَمِّ حَتَّى ... أَجَلْتُ جَمِيعَ مِرَّتِهِ مَجَـالَا (٨)

---

(١) يشج : يمزج . السارية : السحابة — تأتى ليلا . صمانة : حجارة صلبة . ماء الرصف : المنحدر على الصخور يكون صافيا . يشبه ريق فيها فى اللذة والإسكار بالخمر المعتق الممزوج بالماء الصافى .

(٢) أسحم : أسود . يصف الشعر . الأساود جمع أسود : العظيم من الحيات وفيه سواد . مسبكر : مسترسل . المتنان : جانبا الظهر وناحيتاه مما يجاور الصلب . الجفال : الكثير .

(٣) الثقلان : الانس والجن . القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٤) نظرا : التفاتا .

(٥) رضخت : بذلت قليلا . ولو شرطية أو للتمنى .

(٦) الغانيات : الجميلات . فرغن منا : قتلننا . رميا واحتيالا : أى كالصائد الذى يحتال على الصيد ليدركه .

(٧) عدّ عن الصبا : انصرف عنه . عليك هما أى الزم هما . توقش : تحرك . الاختيال : الاضطراب وفساد العقل . انتقل من التشبيب إلى وصف همه الذى رحل به الى الممدوح .

(٨) أروض الهم : أعالجه لأصرفه عنى . أجلت الهم مجاله ، وجهت وجهه الى الممدوح . المرة العقل والإحكام .

الى ابنِ العـامرىِّ الى بِلَالٍ قَطَعْتُ بِنَعْفِ مَعْقُلَةَ العِدَالَا (١)
قَرَوْتُ بِهَا الصَّرِيمَـةَ لَا شِخَاتَا غَداةَ رَحِيلِهِنَّ ولا حِيَالَا (٢)

* * *

وَرُبَّ مَفَازَةٍ قَـذَفٍ جَمُوحٍ تَغُولُ مُنَحَّبَ القَرَبِ اغْتِيَالَا (٣)
قَطَعْتُ إِذَا تَجَوَّفَتِ العَوَاطِي ضُرُوبَ السِّـدْرِ عُبْرِيًّا وضَالَا (٤)
عَلَى خَوْصَاءَ تَذْرِفُ مَأْقِيَاهَا مِنَ العِيدِىِّ قَـدْ لَقِيَتْ كَلَالَا (٥)
إِذَا بَرَكَتْ طَرَحْتُ لَهَـا زِمَامًا وَلَمْ أَعْقِـلْ بِرُكْبَتِهَا عِقَالَا (٦)
وَشِـعْرٍ قَدْ أَرِقْتُ لَهُ غَرِيبٍ أُجَنِّـبُهُ المُسَـانِدَ والمُحَـالَا (٧)
فَبِتُّ أُقِيمُـهُ وأُقُـدُّ مِنْـهُ قَـوَافِيَ لَا أُعِدُّ لَهَـا مِثَـالَا (٨)

---

(١) بلال بن أبى بردة : الممدوح . قطعت العـدال : قطعت الشك فى قصدى اليه . والعـدال : المعادلة بين شيئين أيهما يفعل . نعف معقلة : مكان . النعف : ما سفل من الجبل .

(٢) قروت : سـقت . بها أى بالإبل . الصريمة هنا : العزيمة على الأمر . لاشخاتا : لادتاتا والشخت الرقيق . الحيال التى لم يحملن .

(٣) المفازة : الفـلاة . قذف : بعيـدة . جموح : تجمح براكبها فتـذهب به على غير قصـد . تغول : تهلك . المنحب : الناذر . يقال قضى نحبه أى نذره . القرب : سـير الليل الى المـاء لبلوغه من الغد . وخبر مفازة البيت التالى .

(٤) تجوفت السـدر : دخلت فى جوفه من شـدّة الحر . العواطى : الظباء تعطو أى تتناول الورق لتأكله . والسـدر : نوعان عبرى هو العظيم وضال وهو الصغير . والمعنى قطعت هذه المفازة فى وقت الهاجرة .

(٥) خوصاء : ناقة غائرة العينين . تذرف مأقياها أى من الإعياء والكلال . العيدى : قوم من مهرة معروفون بكرائم النوق ينسب ناقته اليهم .

(٦) العقال : حبل يشدّ به البعير فى وسط ذراعه يقول أتركها بلا قيد لكرمها .

(٧) أرقت : سهرت . المساند الشـعر فيه سناد وهو اختلاف ما يراعى فى القافيـة من الحروف والحركات وهو عيب فى الشعر .

(٨) أقيمه : أصلحه . أقد : أنظم . لا أعدّ الخ أى ارتجلتها دون تقليد مثال .

غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أُفْقٍ مِنَ الآفَاقِ تُفْتَعَـلُ افْتِعَـالَا (١)
فَـلَمْ أَقْذِفْ لِمُؤمِنَـةٍ حَصَانٍ بِحَمْـدِ اللهِ مُوجِبَـةً عُضَالَا (٢)
وَلَمْ أَمْدَحْ لأُرْضِيَهُ بِشِعْرِى لَئِـيماً أَنْ يَكُونَ أَصَـابَ مَالَا (٣)
وَلَكِنَّ الكِرَامَ لَهُمْ ثَنَـائِى فَلَا أَخْزَى إِذَا مَا قِيـلَ : قَالَا (٤)
سَمِعْتُ النـاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فَقُلْتُ لِصَيدَحَ: انتَجِعِى بِلَالَا (٥)

(١٤) وقال عُبيد الله بن قَيس(٦) الرُّقَيَّات يمدح عبد العزيز بن مروان :

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبِهْ وميـلِهِ فى الهـوى وفى لَعِبِـهْ (٧)
أهلًا وسهلًا بمن أتاكَ من الرَّ قةِ يسرى اليـك فى سُخُبِـه (٨)

(١) الأفق : الناحية من نواحى الأرض والسماء . تفتعل : تختلق .

(٢) حصان : عفيفة . موجبة : توجب النار والحد . العضال : الداهية .

(٣) أى لم أمدح لئيما لغناه . (٤) يريد بذلك اذا قال النـاس قال ذو الرمة كذا لا يقال أخزاه الله وهـذا بضم الألف فى أخزى واذا فتحت فالمعنى لا أستحى ولا أخجل .

(٥) ينتجعون يطلبون . الغيث المطر . صـيدح : ناقة الشاعر . بلال هو المـمدوح . أى اذا طلب الناس الغيث لأنه سبب الخصب والحياة فإنى أطلب بلالا اذ هو عندى خير من الغيث بكرمه .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى من شعراء الغزل والسياسة نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقـا على بنى أمية اعتزازهم باليمن منتصرا لابن الزبير، حتى اذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن اليهم وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينـة حتى نال الأمان ولزم عبـد العزيز ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعانى ولا سيما فى الغزل والرثاء وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافى والى الموضوعات التى يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربى بغداد وغيرهما . السخب : جمع سخاب قلادة من قرنفل وغيره . والخطاب فى البيت لنفسه او لفؤاده ملتفتا إليـه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

بأتَتْ بحُلوانَ تبتغيك كما أرسل أهلُ الوليد فى طَلَبه (١)
فَدَلَّها الحُب فاشتَفيت كما تَشفِي دماءُ الملوك من كَلَبِه (٢)
سَقيا لحُلوانَ ذى الكُروم وما صُنِّف من تينه ومن عنبه
نخلٍ مواقيرَ بالفِناء من البَرْنِيِّ غُلْبٌ يهتزُّ فى شَرَبه (٣)
أسْوَدُ سُكانه الحَمام فما تنفكُّ غِربانُه على رُطَبِه
لتَهنِه مصرُ والعراقُ وما بالشأم من بَزِّه ومن ذَهَبه (٤)
فيهمْ بَهاء اذا أتيتُهمُ ونائل لا يَغيضُ من حَلَبِه (٥)
أثْنِ على الطيِّبِ ابن ليلى اذا أثْنَيتَ فى دينه وفى حَسَبه (٦)
من يَصدقُ الوعدَ والقتالَ ويخشى الله فى حِلْمه وفى غَضَبِه (٧)
ومَن تُفيض الندى يداه ومَن يَنْتَهِبُ الحمدَ عندَ مُنتهَبِه (٨)
أُمُّكَ بيضاءُ من قُضاعةَ فى البيتِ الذى يُستظَلُّ فى طُنُبِه (٩)

---

(١) حلوان مصر هى المرادة هنا . تبتغيك : تطلبك . الوليد : الصبي .

(٢) الكلب : داء عضة الكلب يشفى بدماء الملوك فى زعمهم .

(٣) مواقير : جمع موقر . النخلة الثقيلة الحمل . البرنى : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة . الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ريها .

(٤) تهنه : تسره . البز : الثياب ؛ من الكتان والقطن .

(٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما فى الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(٦) ابن ليلى : الممدوح . الحسب : الشرف .

(٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه .

(٨) ينتهب الحمد : يسبق اليه .

(٩) قبيلة عظيمة تنسب الى قحطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به سرادق البيت والمراد يحتمى به .

وأنتَ فى الجوهرِ المهذَّب من عَبـدِ منافٍ، يداكَ فى سَبَبه (١)
يَخْلُفُكَ البيضُ من بَنِيـكَ كما يُخَلف عودُ النُّضارِ فى شُـعَبِه (٢)
لَيسُوا من الخروع الضَّعيفِ كما جَلَّتْ صُقُورُ الصَّليبِ من حَدَبِه (٣)
نحنُ على بيعـــةِ الرسولِ وَمَا أُعطِىَ من عُجمِـه ومن عَرَبِه (٤)
بهـا نُصرنَا على العـــدُو ونَرْ عَى الغَيبَ فى نأيِه وفى قُربِه (٥)
نأبى اذا ما دَعوتَ فى الحَلَقِ الـ ـمَاذِى أبـــدانه وفى جَبِبـه (٦)
نُهدى رِعالًا أمامَ أرعَنَ لا يُعرف وجهُ البَلقاءِ فى لَجَبِـــه (٧)
فيهـم كُرَيبٌ يقـود حميرَلا يَعدِل أهلُ القضاء عن خُطَبِه (٨)
وعارضٌ كالجبال من مُضر الـ ـحمراء يَشفِى ذَا العُرِّ من جَرَبِه (٩)
وابنـا نزارٍ اذا هُمـا اجتمعا لم يَترُكا هارباً على هَرَبِه (١٠)

(١) الجوهر : الطبيعة والجبلة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الحبل .

(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الغصون . الشعب : الغصون .

(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصليب : جبل . حدبه : أعلاه . جلت : نظرت ، أى ليسوا مستضعفين فيستذلهم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قمته الطيور .

(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .

(٥) نرعى الغيب : نحفظ العهد .

(٦) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجبب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح .

(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعدك .

(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .

(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العر : الجرب والمراد الزيغ .

(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مُصعبَ بن الزبير و يَفتخر بقريش :

أَقفرت بعدَ عبـدِ شمسٍ كَداءُ فَكُدَىٌّ فالركنُ فالبَطحاءُ (١)

فِمنًى، فالجمـارُ مِن عبدِ شمسٍ مقفـراتٌ فبـلْدَحٌ فَحِـراءُ (٢)

فالخيامُ التى بِعُسفانَ فالجُحْـ ـفَةُ مِنهـمْ ، فالقـاعُ فالأبواءُ (٣)

مُوحِشاتٌ الى تعـاهِنَ فالسقـ ـيا قِفارٌ من عبد شمس خَلاءُ (٤)

قـد أراهم وفى المواسِمِ إذ يَغـ ـدُونَ حِلمٌ ونائِل وبَهـاءُ (٥)

وَحِسانٌ مثـل الدُّمَى عَبْشَمِيًّا تٌ عليهِنَّ بَهْجةٌ وحَيـاءُ (٦)

لا يَبِعنَ العِيابَ فى موسم النـا سِ إذا طاف بالعياب النساءُ (٧)

ظاهِراتُ الجمالِ والسَّروِ، ينظُر نَ كما ينظُرُ الأَراكَ الظِباءُ (٨)

حَبَّذا العيشُ حينَ قومى جميع لم تُفـرّق أمورَها الأهــواءُ (٩)

---

(١) عبد شمس بن عبد مناف : جد الأمويين . كداء : جبل بأعلى مكة ، وكدى جبل بأسفلها . الركن : جانب الكعبة . البطحاء : مسيل واسع فيه حصى دقيق يقال قريش البطحاء نسبة الى بطحاء مكة .

(٢) الجمار : موضع بمنى . بلدح : واد قبل مكة أو جبل بطريق جدة . حراء : جبل بمكة فيه غار .

(٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . الجحفة : قرية على ٨٢ ميلا من مكة جهة الشام . القاع : موضع عند المدينة . الأبواء : مكان عند ودان .

(٤) تعاهن : موضع بالحجاز . السقيا : بالمدينة .

(٥) نائل : كرم . بهاء : حسن وظرف .

(٦) الدمى جمع دمية : الصورة من العاج . عبشميات : منسوبات الى عبد شمس أبى أمية .

(٧) العياب : جمع عيبة ما تجعل فيه الثياب . والمراد أن النساء كريمات مخدرات .

(٨) السرو : المروءة فى شرف . فالنساء ينظرن كالظباء حين تتطاول الى الشجر لتتناول ورقة ، وهذه النظرة بديعة تشعر بدلال وعزة .

(٩) وجميع مؤتلفون . الأهواء جمع هوى : الميـل عن الصواب . يأسف على تفرق قريش شيعا تحارب على الملك .

قبل أن تطمع القبائل فى ملـ ـك قُرَيشٍ وتَشمَتَ الأعداء
أيُّهـا المشتهى فَنـاءَ قُـريشٍ بِيَـــد اللهِ عُمــرُها والفَنـاءُ
إن تُوَدِّع من البِــلادِ قُريشٌ لا يَكُنْ بعــدَهمْ لِحَىٍّ بَقاء (١)
لو تقَفَّى وتَتْرُكُ النــاسَ كانوا غنَمَ الذئبِ غَابَ عنهـا الرِّعاء (٢)
هــل تَرى مِن مُخَلَّدٍ غيرِ أن الـ ـلهَ يَبقَى وتذهبُ الأشــياء
يأمُلُ الناسُ فى غدٍ رُغَبَ الدهـ ـرِ، ألا فى غَدٍ يكون القضاء (٣)
لم نَزَلْ آمِنِينَ يحسُدنا النــا سُ ويَجرى لنــا بذاك الثَّراءُ (٤)
فَرضِينا بـ فَمُتْ بِدَائك غَمًّـا لا تُميتَنَّ غــيرَكَ الأدواءُ
لَو بَكتْ هـــذه السماءُ على قو مٍ كِرامٍ بكت علينـا السماء

* * *

إنمـا مُصعبٌ شهاب من اللـ ـهِ تجلَّتْ عن وجهِهِ الظَّلْمـاء (٥)
مُلكه مُلكُ قُوَّة ليس فيـــهِ جَــبَروتٌ ولا بِهِ كِبرِياء
يتَّقِى اللهَ فى الأمور وقـــد أفـ ـلَحَ من كان همَّه الاتِّقاء

* * *

عينُ فابكى على قريش وهل يَر جِعُ ما فات إن بكيتِ البكاءُ

---

(١) تودع : تهلك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقفى : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغائبه .

(٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

مَعْشَرٌ حَتْفُهُمْ سيوفُ بَنِي العَـ ـلّاتِ يخشَون أن يضيعَ اللّواء (١)
تركَ الرأسَ كالثَّغامَة مِنّي نَكَباتٌ تَسرى بها الأنْباء (٢)
مثلُ وقْعِ القَدُوم حَلَّ بِنَا فالنـ ـاسُ مما أصابَنَا أخْلاءُ (٣)
ليسَ للهِ حُرمةٌ مثلُ بيتٍ نحن حُجّابُه عليه المُلاء (٤)
خَصَّهُ اللهُ بالكرامةِ فالبا دُون والعاكِفونَ فيه سواءُ (٥)
حَرَقَتْهُ رِجالُ لَخْمٍ وعَكٌّ وجُذامٌ وحِميرٌ وصُداءُ (٦)
فبَنيناه بعد ما حرَّقوهُ فاستوى السَّمك واستقلَّ البناء (٧)
كيفَ نومي على الفِراشِ ولمَّا يَشْمل الشأمَ غارةٌ شَعْواءُ (٨)
تُذهِلُ الشيخَ عن بَنيه وتُبدِي عن بُراها العقيلةُ العَذْراء (٩)

---

(١) الحتف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتّى من أب واحد . يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها فى سبيل الملك ، فمن هلك منها فبيد بنيها .

(٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .

(٣) أخلاء جمع خلو : أى خال أى ليس عليهم وزرفيا نحن فيه من شقاق .

(٤) الحرمة : المهابة . والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاءة : الريطة والثوب يلبس على الأفخاذ .

(٥) العاكف : المقيم فى المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من فى مكة وخارجها .

(٦) لخم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .

(٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل ثخين . استقل : ارتفع .

(٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .

(٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدّرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفزع .

أَنَا عنكمْ بَنِى أميَّةَ مُزْوَرٌّ، وأنتمْ فى نفسىَ الأعداء [١]

إنَّ قتلَى بالطَّفِ قد أوجعَتْنِى كانَ منكمْ لئن قُتِلْتُمْ شفاء [٢]

(١٥) قال قَطَرِىُّ بن الفجاءة فى يوم "دُولَابَ" بين الخوارج وأهل البصرة : [٣]

لعمرُكَ إنِّى فى الحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وفى العيش، مالم ألْقَ أمَّ حَكيِمِ [٤]

منَ الخَفِرَاتِ البِيضِ لم يُرَ مثلُها شِفاءً لذى بَثٍّ ولا لسَقِيمِ [٥]

لعمرُكَ إنى يومَ ألطِمُ وجهَها على نَائِبَاتِ الدهرِ جِدُّ لئيمِ [٦]

ولو شَهِدَتْنِى يومَ دُولابَ أبْصَرت طِعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذَميِمِ [٧]

---

(١) مزور : مائل وكاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بنى أمية والزبيريين . وترى فى الأبيات حدبه على قريش عامة وكرهه بنى أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) يعد قطرى بن الفجاءة المازنى المالكى من زعماء الخوارج الأشداء وقادتهم الأكفاء نشأ متأدبا بآداب الإسلام مخلصا لتعاليمه ورعا تقيا خرج أيام عبد الله بن الزبير يقاتل جند السلطان، وينكل بجيوش الدولة، ويسلم عليه اتباعه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ ﻫ . وكان قطرى خطيبا شأن الزعماء. وكان شاعرا تحس فى شعره نغمة الإخلاص والفناء فى العقيدة مع حماسة ورقة نفس وإباء فى أسلوب قوى جميل .

(٤) لعمرك : وحياتك قسمى . أم حكيم : زوجه .

(٥) الخفرات جمع خفرة : المرأة الحيية . البث : أشد الحزن .

(٦) جد لئيم : شديد اللوم، لئيم جدا . نائبات جمع نائبة : المصيبة .

(٧) دولاب : بلدة بالأهواز التى عندها الخوارج بزعامة نافع الأزرق مع البصريين وقتل نافع هذا اليوم . طعان : طعن .

غَداةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بن وائلٍ وَعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَميمِ (١)
وكان لعبدِ القيسِ أولُ جَدِّها وأحلافِها من يَحْصُبٍ وسَليمِ (٢)
وظلّت شيوخُ الأزدِ فى حَوْمَةِ الوغى تعومُ وظلنا فى الجِلادِ نَعُومُ (٣)
فلم أرَ يومًا كانَ أكثرَ مَقْعَصًا يَمُجّ دمًا من فائظٍ وكَليمِ (٤)
وضاربةٍ خدًّا كَريمًا على فتًى أغرَّ نجيبِ الأمهاتِ كريمِ (٥)
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تكُ موطنًا له أرضُ دولاب ودَيرُ حَميمِ (٦)
فلو شهِدَتْنا يومَ ذاك وخيلُنا تُبيحُ من الكُفّارِ كل حَريمِ (٧)
رَأت فِتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم بجنّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعيمِ (٨)

(١) طفت : قتلت والقيت فى الماء فظهرت عليه . علماء أصله على الماء تحذف إحدى اللامين تخفيفا . عجنا صدور الخيل : عطفناها بالجم . بكر بن وائل وتميم من إعدائهم .

(٢) جدها : جهاد الخيل . الأحلاف : جمع حلف : الصديق يحلف على عدم الغدر يحصب وسليم : حيان من حلفاء عبد القيس .

(٣) حومة الوغى : معظمها . الجلاد : المقاتلة . وفى البيت إقواء بتغيير حركة الروى من الكسرة الى الضمة وهو عيب فى القافية .

(٤) مقعصا : قتلا . فائظ : ميت . كليم : جريح . لم أر يوما كان أكثر من هذا اليوم قتلا وطعنا بسيلان الدماء .

(٥) وضاربة : رب امرأة لاطمة . أغر : سيد شريف . نجيب الأمهات : أى من نساء يلدن أنجب الأبناء . يقصد نافع بن الأزرق .

(٦) دير حميم : موضع بالأهواز . ودولاب : قرية هناك .

(٧) يقصد بالكفار هنا أعداء الخوارج من المسلمين . الحريم للرجل ما يدفع عنه و به سميت النساء .

(٨) باعوا الإله نفوسهم : أرخصوا نفوسهم فى الجهاد طمعا فى الجنات والنعيم فى الآخرة .

(١٦) وقال عِمران بن حِطّان[١] يخاطب رَوح بن زِنباع لمـا دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان، فارتحل وقد ترك له هذه الأبيات :

يا رَوحُ كم مِن أخى مَثـوًى نزلتُ به ... قد ظَن ظَنَّـك من لَخمٍ وغَسّانِ[٢]
حتى إذا خِفتُـه فارقتُ مـنزلَه ... من بعدِ ما قِيلَ : عِمرانُ بن حِطّان ![٣]
قد كنتُ جارَك حولًا ما تُروِّعُنِى ... فيـهِ روائعُ من إنسٍ ومِن جَانِ[٤]
حتىٰ أردتَ بىَ العُظمى فأدركنِى ... ما أدْرَكَ الناسَ من خَوفِ ابن مَرْوان[٥]
فاعذِر أخاكَ (ابنَ زِنبـاع) فإنّ لَه ... فى النّائبـات خُطـوبا ذاتَ ألْوانِ[٦]
يومًا يمـانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لقيتُ معَـدِّيًا فعَـدْنانِى[٧]
لو كنتُ مستغفرًا يوما لطَاغيـةٍ ... كنتَ المقدَّمَ فى سِرِّى وإعلانى[٨]
لكنْ أبتْ لِىَ آياتٌ مُطَهَّـرةٌ ... عنـدَ الوِلاية فى طـهَ وعِمرانِ[٩]

---

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسى بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعرا مجيدا صادقا فى شعره دينا وورعا . ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام . وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩ هـ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة .

(٢) المثوى : منزل الضيافة . أخو : صاحب . ظن ظنك : رأى فى رأيك من أنى رجل هين . لخم وغسان من اليمن من كهلان .

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقتى تركته . (٤) تروعنى : تفزعنى .

(٥) العظمى : لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى . وكان حربا على الخوارج .

(٦) الخطوب : جمع خطب الأمر العظيم .

(٧) يمان : أى أنا يمان أنتسب الى اليمن . وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه فهو عند ابن زنباع أزدى، وعند زفر بن الحارث أوزاعى . (٨) الطاغية : الجبار .

(٩) أبت : منعتنى الاستغفار لك . الولاية : السياسة . طه وعمران : سورتان فى القرآن . وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

وقال يخاطب زُفَر بن الحارث الكلابى، وكان قد نزل به بعد روح بن زِنباع مُخفيا نسبه، فلما حاول زفر معرفته هرب وخلّف له رُقعة فيها :

إنّ التى أصبحتْ يَعيا بها زُفَرٌ أعْيَتْ عَياءً على رَوحِ بنِ زِنباعِ(١)
ما زالَ يَسألُنى حَولًا لِأُخبرَه والناسُ من بَينِ مخدوعٍ وخَدّاع(٢)
حتى إذا انقَطعَتْ عنّى وسائلُه كَفَّ السؤالَ ولم يُولَع بإهلاع(٣)
فاكفُف كما كفَّ عنى إنّنى رَجُل: إمّا صَميمٌ، وإما فَقْعَةُ القَاعِ(٤)
واكفُف لسانَك عَنْ لَومى ومسألَتى ماذا تُريد إلى شيخٍ لأَوْزَاع!(٥)
أما الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكها كُلُّ امرئٍ للذى يُعْنَى به ساعِ(٦)
أكرِم برَوح بن زِنباعٍ وأُسرتِه قومٌ دعا أَوَّليهم للعُلا دَاع(٧)
جَاوَرتُهم سَنةً فِيما أُسَرُّ به عِرضى صحيحٌ ونَومى غيرُ تَهْجَاع(٨)
فاعمَل، فإنك مَنْعِىٌّ بِواحدةٍ حَسبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من نَاع(٩)

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .
(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ماكر محتال .
(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشىء : يحبه و يتعلق به جدا . إهلاعى : إفزاعى .
(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لاعروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .
(٥) الأوزاع : الجماعات . وبطن من همدان .
(٦) يعنى به : يهتم به .
(٧) أوليهم جمع أول : أى آباءهم، فهم أمجاد .
(٨) فيما أسر به : من الأنس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .
(٩) منعى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : تمييز . هذا فاعل . الشيب بدل .

(١٧) قال الكُميت فى بَنِى هَاشم : (١)

طَرِبتُ وما شوقًا الى البيضِ أطربُ ولا لَعِبًا منّى وذو الشَّيب يلعَبُ (٢)
ولم يُلهِنى دارٌ ولا رَسمُ منزلٍ ولم يتطرّبنى بنانٌ مُخَضَّبُ (٣)
ولا أنا مِمّن يَزجُر الطيرَ همُّه : أصاحَ غُرابٌ أم تَعَرَّض ثعلبُ (٤)
ولا السانحاتُ البارِحاتُ عشيّةً أمَرَّ سليمُ القرنِ أم مرّ أعضَبُ (٥)
ولكن إلى أهلِ الفضائلِ والنُّهى وخيرِ بَنِى حوّاءَ، والخيرُ يُطلَبُ (٦)
إلى النَّفَرِ البِيضِ الذين بحُبّهم إلى اللهِ فيما نالَنِى أتقرّبُ (٧)
بَنِى هَاشِمٍ رهطِ النبى ؛ فإنّنى بِهِم وَلَهُم أرضَى مِرارًا وأغضَبُ (٨)

(١) كان الكميت بن زيد الأسدى شاعرا خطيبا نشأ فى الكوفة وتأدب على علمائها وأخذ عن الأعرابـ وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال بجوائزهم . وقد لقى فى سبيل مذهبه الشيعى والعدنانى بلاء كثيرا وتوفى سنة ١٢٦ هـ . وتلمح فى شعر الكميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك فى هذه القصيدة التى نشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطرّبنى : يحملنى على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلة .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار الى اليمين وهذا فأل حسن عند العرب . البارحات : عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول : ليست تعنينى هذه الأمور التى تشغل الناس والشعراء وإنما همى أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهية : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيلة .

خَفضتُ لهم منِّى جَناحى مَوَدّةٍ — إلى كَنَفٍ عِطفاهُ أهلٌ ومرحبُ(١)
وكنتُ لهم من هؤلاءِ وهؤلا — مِجَنًّا على أنى أُذَمُّ وأُقصَبُ(٢)
وأُرمَى وأَرمى بالعَداوةِ أهلَها — وإنى لأُوذَى فيهم وأُؤنَّبُ
فما ساءنى قول امرئٍ ذى عَداوةٍ — بِعَوراءَ فيهم يجتَدينى فأُجذَبُ(٣)
فقُل للذى فى ظِل عمياءَ جَونةٍ: — تَرَى الجَور عدلا أين (لا أين) تذهَبُ!(٤)
بأىِّ كتابٍ أم بأية سُنَّةٍ — تَرَى حُبَّهم عاراً علىَّ وتحسَبُ؟(٥)

* * *

يُشيرون بالأيدى إلىَّ وقولُهم — ألا خابَ هذا، والمشيرون أخيَبُ
فطائفةٌ قد كفَّرتنى بحُبِّكم — وطائفةٌ قالوا: مُسيءٌ ومُذنب
فما ساءنى تكفير هاتيكَ منهم — ولا عيبُ هاتيك التى هىَ أعيَبُ
يعيبوننى من خِبِّهم وضَلالهم — على حُبِّكم بل يَسخَرون وأعجَبُ(٦)
وقالوا: تُرابىٌّ هَواهُ ورأيه، — بذلك أُدعى فيهم وأُلَقَّبُ(٧)
على ذاك إجريّاىَ، فيكم ضَريبتى — ولو جَمعوا طُرًّا علىَّ وأجلَبوا(٨)

(١) الكنف: الجانب والظل. عطفاه: جانباه، أى أهل لى مرحبون بى.
(٢) المجن: الترس وما يتقى به. أقصب: أشتم.
(٣) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة. يجتدينى: يطلب منى اتباعه.
(٤) عمياء: ضلالة. جونة: سوداء.
(٥) كتاب: قرآن. سنة: كلام الرسول، والمراد بأى حق.
(٦) الخب: الخبث.
(٧) ترابى نسبه الى على بن أبى طالب الملقب بأبى تراب.
(٨) إجرياى: خلق. ضريبتى: طبيعتى. أجلبوا: ...عوا الجموع أو توعدوا بالشر.

وأحمِـلُ أحقادَ الأقارب فيكـمُ ... ويُنْصَبُ لِي فى الأبعدين فأنصَبُ(١)

بِخَاتَمِكم غصبًا تجوزُ أمورُهم ... فلم أر غصبًا مثلَه يُتَغَصَّبُ(٢)

بحقكمُ أمست قُريشٌ تقُودنا ... وبالفَذِّ منها والرديفَين تَركَبُ(٣)

إذا اتَّضَعونا كارِهينَ لِبَيعةٍ ... أناخُوا لأخرى والأزِمَّةُ تُجـذَبُ(٤)

رِدافًا علينا لم يُسِيمُوا رَعيّةً ... وهَمُّهمُ أن يَمتروها فيَحلُبوا(٥)

لِيَنْتِجوها فِتنةً بعد فِتنةٍ ... فيَفتَعِلُوا أفلاءَها ثم يَركبوا(٦)

أقارِبُنا الأدنون منكم لِعِلّةٍ ... وساسَتُنا منهم ضِباعٌ وأذْؤُبُ(٧)

لنا قائدٌ منهم عَنيفٌ وسائقٌ ... يُقحِّمُنا تلك الجرائمَ مُتعِبُ(٨)

---

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : مايختم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ . يتغصب : يغتصب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذى استلبوه .

(٣) الفذ : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثنى رديف وهو كل ما تبع شيئا أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة فى الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متتابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمترى الناقة : يمسح ضرعها لتدر . والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : عنى بها حتى تضع . افلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افتعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذؤب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحمه فى الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائم جمع جرثومة : وهى الأصل أو قرية النمل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالُوا : ورِثنَاها أبانا وأمّنا ، وما ورّثتهم ذاكَ أمٌّ ولا أبُ! (١)
يَرون لهُم حقًّا على النّاسِ واجِبا سَفاهًا ، وحقُّ الهاشميّين أوجبُ (٢)

(١٨) قال جَميل بنُ مَعمَر (٣)

ألا ليتَ أيامَ الصفاءِ جَديدُ ودَهْرًا تولى يا بُثينَ يعود
فتغنَى كما كُنّا نكونُ وأنتمُ صديقٌ وإذ ما تبذُلين زهيدُ (٤)
يموتُ أنسَ مِلأشياءِ لا أنسَ قولَها وقد قرَّبتْ نِضوى أمِصرَ تُريدُ؟ (٥)
ولا قولَها : لولا العُيونُ التي تَرى أتيتُك، فاعذِرْني . فَدَتْك جُدودُ! (٦)
خليليَّ ما أُخفِي من الوجْدِ ظاهرٌ ودمعي بما أُخفِي الغَداةَ شَهيدُ (٧)
ألا قد أرَى واللهِ أنْ ربَّ عَبرةٍ إذَا الدّارُ شطّتْ بيْنَنا ستَزيدُ (٨)

---

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاها : جهلا و باطلا

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذرى مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية وأحب ابنة عمه بثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقى فى سبيل حبه العنت والنفى حتى لجأ الى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٢ هـ وشعر جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة و يعده النقاد فى البادية نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة وكلاهما حجازى خضعا لعوامل متقاربة .

(٤) نغنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبذلين : أى ما تنيلين من الوصل .

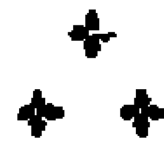
(٥) ملأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنس من شىء فلست أنسى قولها لى وقد قربت ناقتى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعو له بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افترقنا . ستزيد خبر عبرة والجملة خبر أن المخففة .

إذا قلتُ : مَابِي يا بُثَينَـــةُ قاتِلِي — من الحُبِّ ! قالتْ : ثابِتٌ ويَزِيدُ !(١)
وإن قُلْتُ : رُدِّى بعض عَقْلِي أَعِشْ بِهِ — مع الناس ، قالت : ذاكَ منك بَعِيدُ
فلا أنا مَرْدُودٌ بمـا جِئتُ طالِبًا — ولا حُبُّهـا فيمَا يَبِيـدُ يَبِيـدُ (٢)
جزَتْكِ الجَوازِى يا بُثَيْنَ مَلامَةً — إذا ما خليـلٌ بَانَ وهُوَ حَمِيـدُ !(٣)
وقُلتُ لهـا : بَيْنِي و بينَكِ فاعلَمِي — من الله ميثاق لَهُ وعُهُـودُ
وقـد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًـا وتالِدًا — وما الحُبُّ إلا طارِف وتلِيدُ (٤)
و إنَّ عَرُوضَ الوصل بيني و بيْنَها — و إنْ سهَّلَتْه بالمُنَى لصَعُودُ (٥)
فأَفْنيْتُ عيْشِي بانتظاري نَوالهـا — وأَبْليْتُ ذاك الدَّهرَ وهْوَ جَدِيدُ



أَلا لَيْتَ شِـعْرِي هل أَبِيتَنَّ ليلة — بَوادِي القُـرَى إِنِّي إذًا لَسـعِيدُ (٦)
وهل أَهْبِطَنْ أَرْضًا تَظَلُّ رِياحُهَا — لهـا بالثَّنَايا القَاوِيات وئِيــدُ (٧)

(١) أى اذا قلت لها إن الحب سيقتلنى قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا .

(٢) أى فلم أنل ما طلبت من بعض عقلى ولا الحب يفنى لأستريح .

(٣) الجوازى : جمع جازية وهى المكافأة . يقول : اذا جوزى الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك فى نفسى الا العتب واللوم . والبيت فى الأصل جملة دعائية .

(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .

(٥) العروض : الطريق فى عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .

(٦) وادى القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة .

(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طريق فى الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وئيد : صوت شديد . أى هل أحيا ثانية فى تلك الأرض الخالية التى تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذرى .

وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدَّهرِ مرةً وما رَثَّ من حبل الصَّفاء جَديد (١)
وقد تَلْتَقِي الأهواءُ من بعـد يأسَةٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهيَ بَعِيدُ
وهـل أزجُرَنْ حَرْفًا عَلاةً شِمِـلَّةً بِخَـرْقٍ تُبَارِيهـا سَـوَاهِمُ سُـودُ (٢)
على ظَهْر مَرهوبٍ كأن نُشُـوزَهُ إذا جازَ هُـلَّاكُ الطريق رُقُـودُ (٣)
سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ وسْطَ رَبْرَب وصَـدْرٍ كفاثُور اللُّجَيْن وَجِيـدُ (٤)
فمن يُعْطَ في الدُّنيا قَرِينا كَمِثْلِها فذلك في عَيْش الحياة رَشِـيدُ (٥)
يموت الهَوَى مِنِّي إذا ما لَقِيتُهـا ويحيـا إذا فارقتُهـا فيعـودُ
يقولون : جاهِـدْ يا جميلُ بِغَزْوَةٍ وأيَّ جِهـادٍ غيرهُنَّ أُرِيدُ؟
لِكُل حديثٍ بينهن بَشَاشَـةٌ وكُلُّ قتيـلٍ بينَهُنَّ شَهِيـدُ (٦)
ومن كان في حُبِّي بُثَينةَ يَمْـتَرِي فبَرقاءُ ذِي ضَـالٍ عَلَيَّ شَهِيدُ (٧)
ألم تَعلَمِي يا أُمَّ ذِي الوَدْع أنني أُضاحِكُ ذِكراكُمْ وأنتِ صَـلُودُ (٨)

(١) رث : بلى . ما مبتدأ خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصيح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الخرق : القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهي الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نشوز جمع نشز : المكان المرتفع . رقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كأن . (٤) سبتني : أسرتني . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الربرب : القطيع من بقر الوحش . الفاثور : الطست والجفنة . اللجين : الفضة . الجيد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف .

(٥) القرين : الصاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : سرور وبهجة .

(٧) يمترى ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شيء فيه سواد وبياض . وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من موافقه فيها شاهدا على حبه الشديد .

(٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية وهو محار صغير أبيض معروف . صلود : بخيلة .

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : [1]

قال لى صاحبى ليَعْـــلمَ مابى: أتُحِبُّ القَتُولَ أُختَ الرَّباب؟[2]
قلتُ : وجْدِى بها كَوجدِك بالعذْ ب إذا ما مُنِعتَ طَعْمَ الشَّراب [3]
مَنْ رَسُولى الى الثُّرَيَّا بأَنِّى ضِقْتُ ذَرْعا بهجرها؟ والكتّاب ![4]
أزْهَقتْ أُمُّ نَوْفَــل إذْ دَعتْهـا مُهْجتى، ما لِقاتِلى من مَتَاب [5]
حين قالت لها : أجيبى ! فقالَتْ : مَنْ دعانى؟ قالت : أبو الخطَّاب [6]
فأجابت عنـــد الدُّعَاءِ كما لَبَّـ ى رجالٌ يرجون حُسْنَ الثَّواب [7]
أبْرزُوهَا مِثْـلَ المَهَاةِ تَهَـادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَاب [8]

---

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبى ربيعة القرشى بالمدينة فى بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا . يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان فى الغـــزل ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف فى مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .

(٢) القتول : القاتلة . الرباب : اسم امرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أى كشوقك الى المـاء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت على : إحدى صواحبات الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا احتمله . والكتّاب : القرآن يقسم به .

(٥) أزهقت : أهلكت . مهجتى : روحى . أم نوفل رسول عمر إلى الثريا ، والمتاب التوبة يريد أن قاتله لا يرى قتله ذنبا يستغفر أو يتوب منه .

(٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أى أجابت اجابة الحاج يبغى الجزاء الجميل .

(٨) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة الثدى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، ومن فى سنك .

وهى مَكْنونةٌ تحيَّرَ منها ... فى أديمِ الخدَّينِ ماءُ الشباب (١)

دُميةٌ عندَ راهبٍ ذى اجتهادٍ ... صَوَّرُوهَا فى جانبِ المحراب (٢)

ثم قالُوا : تُحبُّها؟ قلتُ بَهْرًا ! ... عَدَدَ النجمِ والحصَى والتُّراب ! (٣)

حين شَبَّ القتولَ والجيد منها ... حُسنُ لونٍ يَرِفُّ كالزِرْيَاب (٤)

أَذْكَرَتْنِي من بَهجةِ الشَّمسِ لمّا ... طَلَعتْ مِن دُجُنَّةٍ وسَحاب (٥)

فارْجَحَنَّتْ فى حُسنِ خَلْقٍ عَمِيمٍ ... تتهادى فى مَشيِها كالحُباب (٦)

غَصَبتْنِي مَجَاجَةُ المِسكِ عقلِي ... فسلُوها ماذا أحلَّ اغتصابى (٧)

قلَّدُوهَا من القَرَنفُلِ والدر ... رِ سِخَاباً واهاً لَه مِن سِخَاب (٨)

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أَلَمْ تَسأَلِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعَا ... ببطنِ حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلقَعَا (٩)

إلى الشَّرْيِ من وادِى المغمَّس بُدِّلَتْ ... معالِمُه وَبْلاً ونكباءَ زعزعا (١٠)

---

(١) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردّد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء الشباب : رونقه وبهجته . (٢) الدمية : الصورة من العاج أو الرخام . الراهب : المنقطع للعبادة . المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قويا . (٤) شب : زاد فى الحسن . يرف : يلمع . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجنة : الظلمة .

(٦) ارجحنت : مالت واهتزت : عميم : تام . الحباب : الحية . تتهادى : تمايل .

(٧) مجاجة المسك : ينتشر منها أريجه . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : من النبات الطيب الرائحة . واها له : عجبا من حسنه على جيدها .

(٩) الاطلال جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الديار . المتربع : مكان إقامة الربيع . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أى زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالمه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح . زعزعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادى الذى بدلت معالمه أمطارا ورياحا .

فَيَخلُن أو يُخبِرنَ بِالعِلمِ بعــد ما نَكأنَ فُؤادًا كانَ قِدمًا مُفَجَّعا(١)
بِهِنــد وأتراب لهنــد إذِ الهَــوَى جَميعٌ وإذ لم نَخشَ أن يتصــدّعا(٢)
واذ نحن مثــلُ المـاءِ كانَ مزاجُه كما صفَّق الساقى الرحيــقَ المُشَعشَعا(٣)
وإذ لَا نُطيعُ العاذلينَ ولا نَرى لواشٍ لدينـا يطلبُ الصَّرمَ مَطمعا(٤)
تَنُوعتنَ حتى عاودَ القلبَ سُقمُه وحَتَّى تذكرتُ الحــديثَ المُوَدَّعا(٥)
فقلتُ لمطريهنَّ بالحُسنِ : إنمـا ضَرَرتَ ، فهل تَسْطيعُ نَفْعًا فَتَنفَعا؟(٦)
وأَشرَيتَ فاستَشرَى وان كانَ قد صحا فُؤادٌ بامثـالِ المهَـا كانَ مُوزَعا(٧)
وهَيَّجتَ قلبًا كانَ قد وَدَّعَ الصِّـبا وأشـياعَهُ ، فاشفعْ عسَى أن تُشَفَّعا(٨)
لَئن كانَ ماحدَّثت حقًّا فمـا أرى كمثلِ الأُلَى أطريتَ فى الناسِ أربعا(٩)
فقالَ : تعالَ انظر . فقلتُ : وكيفَ بِى أخافُ مُقاما أن يَشيعَ فَيَشنَعا؟(١٠)

---

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه . مفجعا : موجعا بهند وأترابها .

(٢) جميع : مجتمع . يتصدّع : يتفرق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حــول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضلها . المشعشع : الممزوج . يقول : كنا ممتزجين امتزاج المـاء بالخمر فى الشدّة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشى : النمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تنوعتن : تووصفن . أى أن كلا وصــفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب : مرضه من الحب . المودّع : المـاضى .

(٦) المطرى : المـادح المبالغ . ضررت : باذكاء الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهنّ .

(٧) أشريت فؤادى : حركته الى الهوى فتحرّك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشـياع : جمع شيعة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك فيصلنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشنع : يقبح .

فقالَ : اكتفِلْ، ثم التثِم، فأْتِ باغيا   فسلِّم، ولا تُكثر بأنْ تتورَّعا(١)
فإنى سأُخفى العينَ عنكَ فلا تُرى   مخافةَ أنْ يَفْشُو الحديثُ فيُسمَعا
فأقبلْتُ أهوِى مثلَ ما قالَ صاحبِي   لِموعِده أُزْجى قَعُودًا مُوَقَّعا(٢)
فلمَّا تواقفْنا، وسلَّمتُ أشرقتْ   وُجوهٌ زهاهَا الحسنُ أنْ تتقنَّعا(٣)
تبالَهنَ بالعِرفانِ لما عرفنَنِي   وقُلنَ : امرُؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضَعا(٤)
وقرَّبنَ أسبابَ الهَوى لمتيَّمٍ   يَقيس ذِراعا كلّما قِسنَ إصبَعَا(٥)
فلمَّا تنازعْنَا الأحاديثَ قُلنَ لِي :   أخِفتَ علينَا أنْ نُغَرَّ ونُخدَعا؟(٦)
فبالأمسِ أرسلنَا بذَلكَ خالِدًا   إليكَ، وبيَّنَّا لهُ الشأنَ أجمعَا(٧)
فما جئتَنَا إلا على وَفْقِ مَوْعِدٍ   علَى مَلإٍ منَّا خرجْنَا له معَا(٨)

---

(١) اكتفل : استتر بالكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير. التثم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تورّع : تحشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعده الراعى فى كل حاجة . الموقع : الذى ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٤) تبالهن : ادّعين البله، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيا ونصب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .

(٥) المتيم : الذى دلّهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشأن أجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة .

(٨) الوفق : المطابقة . الملأ : الجماعة .

رأينَـا خَلاءً من عُيـونٍ ومجلسًا ... دَميثَ الرُّبا سهلَ المَحَـلَّةِ مُمـرِعا[1]

وقُلنَ : كريمٌ نالَ وصـلَ كرائمٍ ... فَحُـقَّ لَهُ فى اليومِ أن يتمتَّعا

(٢٠) قال كُثَيِّر عزةَ : [2]

خَليلَيَّ هـذا رَبعُ عَزةَ فاعقِلا ... قَلوصيكما ثم ابكِيَا حيثُ حَلَّتِ [3]

وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةَ ما الهوى ... ولا مُوجِعاتِ الحزنِ حتى تولَّتِ

فَقد حلَفتْ جَهدا بما نَحرتْ لَهُ ... قُرَيشٌ غَداةَ المأزِمَـينِ وصَلَّت [4]

أُناديكَ ما حجَّ الحَجيـجُ وكبَّرت ... بِفَيفَا غَـزالٍ رُفقَـةٌ وأَهلَّت [5]

وكانَتْ بقطعِ الحَبلِ بيني وبينها ... كَناذرةٍ نَـذْرا فأوْفت وحَلَّت [6]

---

(١) الدميث : اللين ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . ممرع : مخصب .

(٢) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة فى الشرف والشعر الغزلى ما كان لجميل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا فى الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق تقاته السياسى وتردده بين الشيعة وبنى أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ . وما بقى من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وان كان لا يبلغ فى صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٣) الربع : الدار . عقل البعير : شد وظيفه الى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربع صاحبته والبكاء عنده وفاء لها .

(٤) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت فى اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، ويقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعنى .

(٥) أناديك : أجالسك من النادى والندى وهما المجلس كما فى الأمالى . الحجيج : جمع حاج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرفقة : مثلثة الراء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٦) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدته ولم تغدر حلت : خرجت من عهدته لما أوفته .

فَقُلْتُ لهــا : يا عَزُّ كلُّ مُصيبةٍ اذا وُطِّنَتْ يومًا لها النفسُ ذَلّت (١)
ولم يَلْقَ انسان من الحُب مَيْعــةً تَعُــم ولا غَمَّــاءَ إلا تَجلّت (٢)
كأنى أنادِى صَخْرةً حين أعرضَت من الصُّمِّ لو تَمشى بها العُصم زَلّت (٣)
صَفوحًا فمــا تلقاكَ الا بَخيــلةً فمن مَلّ منها ذلكَ الوصــلَ ملّت (٤)
أباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ الناسُ قبلَها وحَلَّتْ تِلاعًا لم تكنْ قَبلُ حُلَّت (٥)
فليتَ قَلوصِى عنــدَ عَزةَ قُيِّدت بحبْلٍ ضعيفٍ غُرَّ منهــا فَضَلَّت (٦)
وغُودِرَ فى الحيِّ المقيمينَ رَحلُهــا وكانَــ لهــا باغٍ سِوَاى فبَلَّت (٧)
وكنتُ كذى رِجلَينِ رجلٍ صَحيحةٍ ورجلٍ رَمَى فيهــا الزمان فشَلَّت (٨)
وكنتُ كذاتِ الظَّلع لمــا تحامَلت على ظَلعِها بعــد العثار استَقَلَّت (٩)

(١) وطنت : مهدت وأعدّت . ذلت : سهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدّة وأوّل الشيء وأصله . الغماء : الكرب . تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل فى ذراعيــه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت يقول : لمــا أعرضت عنى لا تجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .

(٥) الحمى : ما يحمى و يدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته . يرعاه الناس يدخلون اليه . التلاع : جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، و يريد أنها ملكت عليه نفسه بالحب حين لم يستطع ذلك سواها .

(٦) غر منها: قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت:نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان . أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو يبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها : تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيها . يتمنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

أُريدُ الثواءَ عِنـــدها ، وأظنُّهـا إذا ما أطَلْنا عندها المكثَ مَلَّت (١)

فمـا أنصفتْ : أما النساء فبغَّضت إلَيَّ ، وأمّا بالنـــوالِ فضَنَّت (٢)

فإن تَكن العُتْبَى فأهلًا ومرحبًـا ! وحَقَّت لهـا العُتبَى لدينَـا وقلَّت (٣)

وان تكُن الأخرى فإنَّ وراءنا مَنادِحَ لو سَارت بها العيسُ كَلَّت (٤)

خَليلىّ إنّ الحـاجِبيّةَ طَلَّحَت قَلوصيـكما ونَاقتِى قـــد أكلَّت (٥)

فوالله ثم اللهِ ما حَـــلَّ قبلَهـا ولا بعدَها مِن خُلةٍ حيث حَلَّتِ

وما مرَّ مِن يومٍ علىَّ كيومِها وان عظُمت أيامُ أخرَى وجَلَّت

وأضحتْ بأعلَى شاهقٍ من فؤادِه فلا القلب يسلاها ولا العينُ ملَّتِ (٦)

فَيَاعَجبًا للقلبِ كيفَ اعترافُه وللنفس لمّـا وُطِّنت كيفَ ذلَّت (٧)

وإنى وتَهيامِى بِعـــزَّةَ بعـــد مَا تَخَلَّيتُ ممـــا بينَنـا وتخلَّت (٨)

لكا لمرتجِى ظِـــلَّ الغَمامَةِ كلّمـا تبـوّأ منهـا للمَقيـــل اضمحلَّتِ (٩)

---

(١) الثواء : الاقامة . (٢) ضنت : بخلت .

(٣) العتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته إذا نزعت عما عاتبنى عليه . أى إذا عدلت عن القطيعة والصد سررنا وأعتبناها كذلك . قلت : أى هى شىء قليل محتمل .

(٤) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنادح : الواسعة البعيدة من الأرض . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . كلت : أعيت من السير .

(٥) طلحت : أكلت وأتعبت . والحاجبية : لعله لقب عزة .

(٦) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها .

(٧) اعترافه : صبره . يريد قوة صبره على أهوال الحب . وخضوع نفسه لو يلاته .

(٨) التهيام : كالجنون من العشق . تخلى من الشىء : تركه .

(٩) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلقه بعزة بعد القطيعة باللاجئ الى ظل سحابة ، ووجه الشبه الطمع فى غير مطمع .

كأنّي وإياها سَحَابةُ مُمْحِلٍ رجَاها فلمّا جاوزته استهلّت (١)
فإن سَأل الواشون : فيم هجرتَها فقلْ : نفسُ حرٍّ سُلِّيت فتَسلّت!

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسولِ اللهِ الى هِرَقْلَ عظيمِ الروم ، سلام على مَن اتّبَعَ الهُدى . أما بعدُ فإنّي أدعوك بدعايةِ الإسلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِك اللهُ أجْرَكَ مرَّتَيْن . فإنْ تَوَلّيْتَ فإنّ عليك إثمَ الأرِيسيِّين (٢) . ويأهل الكتابِ تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيْنَنَا وبينكم ألّا نعبُدَ إلا اللهَ ولا نُشرِكَ به شيئاً ولا يَتّخذَ بعضُنا بعضًا أرْبابًا مِن دُونِ اللهِ فإنْ تَوَلّوْا فَقُولُوا اشهدُوا بأنّا مُسلِمُون .

وكُتِبَ فى صلح الحُدَيْبِيَةِ (٣) بينه وبين قريش :

بِاسْمِكَ اللّهمَّ ، هذا ما صالح عليه محمدُ بنُ عبدالله ، سُهيلَ بْنَ عمرٍو ، اصطلحا على وَضْعِ الحرب عَنِ الناسِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَأْمَنُ فيهنّ النّاسُ ويَكُفُّ بعضُهم عن بعض على أنّ مَنْ أتَى محمدًا مِن قُرَيش بغَيرِ إذْنِ وَلِيِّه رَدَّهُ عليهِمْ ، ومن جاء قريشا مِمّن مع

(١) الممحل : المجدب يعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصدا مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار وبعد تراسل بينهما تصالحا على ما فى هذه الصحيفة .

محمد لم يردُّوه عليه، وأن بينَنَـا عَيْبَةً مَكْفُوفةً(١)، وأنه لا إسْلَالَ ولا إغْلَالَ(٢)، وأنه مَن أحب أن يدخل فى عَقْـد محمد وعَهْدِهِ دخل فيه، ومن أحَبَّ أن يدخل فى عَقْد قُرَيش وعهدِهم دخل فيه، وأنك تَرْجِعُ عنَّـا عامَكَ هذا فلا تَدْخُلْ علينا مكة، فإذا كان عام قابل خَرَجْنَا عنهـا فَدَخَلْتَهَا بِأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً، وإنَّ معكَ سلاحَ الرَّاكب والسُّيوفَ فى الرُّكب؛ فلا تَدْخُلْها بغيرِ هَذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقَفَ على بَاب الكعبة ثم قال :

لَا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، صـدق اللهُ وَعْدَهُ(٣) ، ونَصَرَ عَبْـدَه وهزَم الأحزَابَ وحدَه ، ألَا كُلُّ مأثُرَةٍ أو دَمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهـو تحتَ قدَمَىَّ هَاتين(٤) ، إلَّا سِدَانَةَ البَيت وسِقَايَةَ الحَاجِّ(٥)، ألَا وقَتِيلُ الخطأ العَمْدِ بالسَّوْطِ والعَصَا فيه الديَةُ مُغَلَّظَةً فيها أربعون خَلِفَةً(٦)، فى بطونها أولادُهَا . يَا معْشَر قُرَيش إنَّ اللهَ قَد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية(٧) وتَعظُّمَهَا بالآباء . الناس من آدمَ وآدمُ خُلِق من تُرابٍ . ثم تَلا هذه الآية : ﴿ يأيها النـاسُ إنَّا خلقناكم من ذَكرٍ وأُنْثَى وجعلناكُمْ شُـعُوبا وقبائلَ لِتَعَارَفُوا إن أكرمكم عندَ الله أتقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾ .

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة للابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ماوعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأثرة : الجميل . الدم : القتل .

(٥) سدانة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسدانة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نخوة الجاهلية : جهالتها وسفهها .

يا معشرَ قريش ! ما تَرَوْن أنى فاعلٌ بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخٌ كريمٌ وابنُ أخ .

قال : اذهَبُوا فأنتم الطُّلَقاءُ[1] .

ومن خطبته فى حَجة الوداع[2]

الحمدُ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يَهدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادىَ له . وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم عبادَ الله بتقوى اللهِ ، وأحثُّكُمْ على طاعَتِه ، وأَسْتَفتِحُ بالذى هو خيرٌ « أما بعدُ » أيها النّاسُ اسمعوا مِنّى أُبَيِّنْ لَكُمْ ، فإنّى لا أَدْرِى لَعلّى لا أَلْقاكُمْ بعدَ عامى هذا ، فى موقِفِى هذا . أيُّهَا النّاسُ إنَّ دماءَكم وأموالَكم حَرامٌ[3] عليكُمْ الى أن تلْقَوْا ربَّكم ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا فى شَهرِكُمْ هذا فى بَلَدِكم هذا ، أَلَا هلْ بَلَّغْتُ ؟ اللّهُمَّ اشْهَدْ ! فمن كانتْ عندَهُ أمانةٌ فليُؤَدِّها إلى من ائْتَمَنَهُ عليها . وإن رِبَا الجاهلية مَوضُوعٌ[4] ، وإنّ أوّلَ رِبًا أبدأُ به ربا عَمّى العباسِ بن عبد المطلب . وإن دماءَ الجاهِلِيّة موضوعة ، وإن أولَ دمٍ أَبدأُ به دمُ عامرِ بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثرَ الجاهلية موضُوعَةٌ

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذى يؤسر ثم يخلى عنه .

(٢) انظر ترجمة له .

(٣) حرام سفك الدماء واغتصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السِّدَانَةِ والسِّقَايَة . والعَمْدُ قَوَدٌ(١)، وشِبْهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجَر، وفيه مائةُ بَعيرٍ، فمن زادَ فهو مِنْ أهل الجاهلِيَّة . أيها الناسُ : إن الشيطان قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ فى أرضِكُم هذه، ولكنَّهُ قد رَضِى أن يُطَاعَ فيما سِوَى ذلك مما تَحْقِرُون من أعمالكم .

أيهــا الناس إن لِنسائكم عليكم حَقًّــا ولكم عليهن حقٌّ . لكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، ولا يُدْخِلْن أحدًا تَكْرَهونَه بُيوتَكُمْ إلا بإذنكم، ولا يأتِينَ بِفاحِشَةٍ، فإن فَعَلْنَ فإن اللهَ قد أذِنَ لكم أن تَعْضُلُوهنَّ(٢) وتَهْجُروهُنَّ فى المضاجع وتَضرِبُوهُنَّ ضَربًا غيرَ مُبرِّحٍ(٣)؛ فإن انتهين وأطعنكُمْ فعليكم رِزْقُهُنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف؛ فاتَّقُوا اللهَ فى النساءِ، واستَوْصُوا بهِنَّ خيرا ، ألَا هل بلَّغتُ؟ اللهُمَّ اشهد ! أيهــا الناسُ إنمــا المؤمنون إخوة ؛ فلا يَحِــلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عَنْ طِيبِ نفس مِنــه ، ألا هل بلَّغتُ ؟ اللهمَّ اشهَد ! فلا تَرْجِعُنَّ بعدِى كُفَّارًا يَضربُ بعضُكم رِقَابَ بعض؛ فإنى قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذْتُمْ به لم تَضِلُّوا بعده : كتابَ الله . ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! أيهــا الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمُكم عند الله أتْقَاكُمْ، وليس لعربى على عجمى فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد! قالوا : نعم! قال فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائبَ . والسلام عليكم ورحمة الله !

---

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : التضييق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إن مَثَل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثلِ غيثٍ أصاب أرضًا فكان منها طائفةٌ طيبةٌ قبلت الماءَ ، فأنبتت الكلأَ والعُشبَ الكثير ، وكان منها أجادبُ (١) أمسكت الماءَ ، فنفع الله تعالى بها الناسَ فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفةً منها أخرى إنما هي قيعانٌ (٢) لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً (٣) ؛ فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلِم وعلَّم ، ومثلُ من (٤) لم يرفع بذلك رأسًا ، ولم يقبل هدى الله الذى أُرسلتُ به .

إنما مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ استوقد (٥) نارًا ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفَراشُ وهذه الدوابُّ التى تقع فى النار تقع فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن (٦) فيها ؛ فأنا آخذ بحُجزكم (٧) عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها .

أَدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنك ، ولا تخُن من خانك .

إن الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب (٨) .

مثلُ المؤمنين فى توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد اذا اشتكى منه عضوٌ تداعى (٩) له سائر الجسد بالسهر والحمَّى .

---

(١) أجادب : قيل جمع أجدب ، جمع جدب . (٢) القيعان جمع قاع : أرض مهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال . (٣) ذلك اشارة الى المثل الاول : الطائفة الطيبة . (٤) اشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم فى الشىء : دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجزة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهى عن الشر فى الجماعات والشعوب . (٩) دعى بعضها بعضا لمشاركته فى الألم .

انْصُر أخاكَ ظَالِمًا أو مَظْلُومًا : قيل : أَنْصُرهُ إذا كان مظلومًا ، فكيف أنْصُره ظالمًا ؟ قال : تَحْجزُهُ عن الظُّلمِ ؛ فان ذلك نَصْرُه .

ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسنِّه الا قَيَّضَ الله تعالى له مَنْ يُكْرِمهُ عِنْدَ سنِّهِ .

مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرا يُفَقِّهْهُ فى الدين .

نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مِنَّا شيئًا فَبَلَّغَهُ كما سمعه ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سَامع .

وَيْلٌ(١) للّذى يُحَدِّثُ بالحديث لِيَضْحَكَ منه القوم فيَكذبَ وَيلٌ له ، وَيلٌ له !

لا يكن أحدُكُمْ إمَّعَةً(٢) : يَقُولُ : أنَا معَ الناسِ ، إن أحسن الناسُ أحسنتُ ، و إن أَساءوا أَسأْتُ ، ولكنْ وَطِّنُوا أنْفُسَكُمْ إنْ أحسن النَّاسُ أن تُحْسِنُوا ، و إن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إسَاءتَهُمْ .

(٢) لأبى بكر الصديق(٣)

خطبتُه يوم السَّقِيفَة(٤)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناسُ نحن المُهَاجِرُونَ أَوَّلُ الناسِ إسلامًا ، وأكرمُهم أَحْسَابًا(٥) ، وأوسَطُهم دارًا ، وأحسنهم وُجُوهًا ، وأكثرُ الناسِ وِلَادةً فى العربِ ، وأمسُّهم رحِمًا برسول الله

(١) ويل له : أى شر أو هلاك يحل به تستعمل فى التهويل والإنذار .

(٢) الإمعة : المتردد لا يثبت على رأى كما يفسر ذلك سائر الحديث .

(٣) هو عبد الله عتيق بن أبى قحافة القرشى ولد فى الجاهلية ثم كان أسبق الرجال اسلاما وألزمهم للرسول وأكثرهم بلاء فى خدمة الدين ، ولما توفى الرسول عليه السلام حلفه على سياسة الدولة الناشئة فكان مثال الحكمة والتضحية ؛ حتى توفى سنة ١٣ ﻫ وكان لعلمه ونشأته القرشية وتأدبه بالأدب الاسلامى أثر كبير فى بلاغته التى تلمس فى آثاره .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب فى سقيفة بنى ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر فيمن يخلفه وتنافس فى ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلّمَ . أَسْلَمْنَا قبلكم ، وقُدِّمْنا فى القرآن عليكمْ ، فقال تبارك وتعالى (والسابقُون الأولونَ من المهاجرين والأنصارِ وَالذين اتّبعوهُم بإحسانٍ) فنحنُ المهاجرُون، وأنتُم الأنصارُ، إخوانُنا فى الدِّينِ وشُركاؤنا فى الفَيْءِ (١) وأنصارُنا على العَدُوّ. آويتُمْ وواسيتُمْ . فجزاكم اللهُ خيرا ! فنحنُ الأمراءُ وأنتُم الوزراءُ . لاتَدِين العربُ إلا لهذا الحَيِّ من قريش ؛ فلا تَنْفَسُوا (٢) على إخوانِكُمْ المهاجرينَ ما منَحهم اللهُ من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إنى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بعدِى ومُوصِيكَ بتَقْوى الله . إن لله عملا بالليل لا يقبلُه بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل . وإِنَّهُ لا تُقبَلُ نافلةٌ (٣) حتى تُؤدَّى الفريضةُ ؛ فإنما ثَقُلَت موازينُ من ثَقُلَتْ موازينه يوم القيامة باتِّباعِهِمْ الحق فى الدُّنيا وثِقله عليهِمْ، وحُقَّ لِميزانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكونَ ثقيلًا ، وإنما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينه يومَ القِيامَةِ باتباعهم الباطلَ وخِفَّتِهِ عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفا . إن الله ذكَرَ أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوزَ عن سيئاتهم؛ فإذا ذكرتهم قُلْتَ : إنى أخاف ألّا أكونَ من هؤلاءِ، وذَكَرَ أهل النار فذكَرَهُمْ بأسوإِ أعمالهم ولم يذكر حَسَنَاتِهِمْ، فإذا ذَكَرْتَهُمْ قلت:إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء، وذَكَرَ آيةَ الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ،

(١) الفيء : الغنيمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التى لا يجب أداؤها بل يستحب . والفريضة : ما يجب أداؤه من أمور الدين .

ولا يمنى على الله غير الحق ، ولا يُلْق بيــده إلى التَّهْلُكَةِ (١) ، فإذا حفظت وصيتى فلا يَكُنْ غائبٌ أَحبَّ اليكَ من الموت وهو آتيكَ (٢) ، و إن ضيّعتَ وَصيَّتِى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموتِ ولست بِمُعْجِز الله .

ودخل عليه عبــد الرحمن بن عوف فى علته التى مات فيها فقال له أراك بارئا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَا إِنِّى على ذلِكَ (٣) لشديدُ الوجَعِ ، ولَمَا (٤) لَقِيتُ منكم يا معشر المهاجرينَ أَشَدُّ عَلَىَّ من وجَعِى . إنِى وَلَّيتُ أمورَكُم خيرَكُم فى نفسى ، فَكلكُم وَرِمَ أنفــه (٥) أن يكونَ له الأمرُ من دُونه . والله لتتخذُنَّ نَضائِدَ الدِّيباجِ (٦) وسُــتُورَ الحرير ، ولتألَمُنَّ النومَ على الصُّوفِ الأَذْرِبِىّ (٧) كما يَأْلَمُ أحدُكم النومَ على حَسَكِ السَّعْدَانِ (٨) . والذى نفسِى بيَدِه لأن يُقَــدَّمَ أحدُكم فَتُضربَ عنقُــه فى غيرِ حَدٍّ خيرٌ له من أن يَخُوضَ غمراتِ الدنيــا (٩) . يا هَادِىَ الطريقِ جُرْتَ (١٠) . إنما هو والله الفَجْرُ أو البَجْرُ (١١) .

---

(١) التَّهْلُكَة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب اليه كما أن تضييعها يبغضه فى الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك اشارة الى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشدّ .

(٥) ورم أنفــه : أى امتلأ غيظا ، وذكر الأنف . لتأثره بالغضب ، كما يقال شمخ بأنفه للتكبر ، أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد فى البيت من أثاث . الديباج : الثوب : سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربى : نسبة الى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها التى تحير الناس . (١٠) جرت : حدت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : ان انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وان سلكت الظلماء وقعت فى المكروه . وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداهية .

(٣) نبذة من كلام عائشة (١)

قالت على قبر أبيها :

نَضَّر اللهُ يا أبتِ وَجْهَكَ (٢) وشكَرَ لكَ صالحَ سعيكَ ؛ فلقد كنتَ للدنيا مُذِلًّا بإدْبارِكَ عنها ، وللآخرةِ مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أعظمَ المصائبِ بعدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ رزؤُك ، وأكبرَ الأحداث بعدهُ فقدُك — (٣) فإنَّ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ لَيَعِدُنا بالصَّبرِ عنكَ حُسْنَ العِوَضِ منكَ ، وأنا مُسْتَنْجِزَةٌ (٤) من اللهِ مَوْعِدَه منكَ بالصبرِ عنكَ ، ومستعينةٌ كثرةَ الاستغفارِ لكَ . فسَلامُ اللهِ عليكَ توديعَ غيرِ قاليةٍ (٥) لحياتِكَ ، ولا زاريةٍ على القضاءِ فيكَ .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب (٦)

رسالته فى القضاء الى أبى موسى الأشعرى (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ بنِ الخطَّاب أميرِ المؤمنين الى عبد الله بن قيس : سلامٌ عليك ، أما بعدُ فإنَّ القضاءَ فريضةٌ مُحكَمَةٌ وسُنَّةٌ متَّبعةٌ . فافهمْ اذا أُدْلِيَ (٨) اليكَ ؛ فإنَّهُ

(١) هى السيدة عائشة بنت أبى بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوّجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدّبة بالأدب العالى . وقد كان لها فى الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نضر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فان كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عائبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى ولد فى الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولى الخلافة بعد أبى بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . ويعدّ عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأنقدهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف معروف فى مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدّم اليه المتقاضون بحججهم .

لا ينفع تكلمٌ بحق لا نفاذ له . آسِ[(١)] بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حَيْفك[(٢)]، ولا ييئس ضعيف من عدلك . البينةُ على من ادَّعى، واليمين على من أنكر . والصُّلح جائز بين المسلمين إلّا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرّم حلالًا . لا يمنعنك قضاءٌ قضيته اليوم، فراجعت فيه عقلك، وهُديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق؛ فإن الحق قديم، ومراجعةُ الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج[(٣)] فى صدرك مما ليس فى كتاب[(٤)] ولا سُنة . ثم اعرف الأشباه والأمثال؛ فقس الأمور عند ذلك، واعمِدْ الى أقربها الى الله، وأشبهها بالحق . واجعل لمن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بينةً أمدًا ينتهى اليه، فاذا أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلا استحللت عليه القضية؛ فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا فى حدّ أو مجرّبًا عليه شهادة زور أو ظنينًا[(٥)] فى ولاء أو نسب؛ فان الله تولّى منكم السرائر ودرأ[(٦)] بالبينات والأيمان . وإياك والقلق والضجر[(٧)] والتأذّى بالخصوم والتنكّر عند الخصومات؛ فان الحقّ فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر، فمن صحّت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه

---

(١) آس بين الناس : سو بينهم .

(٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه .

(٣) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

(٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .

(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .

(٧) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبينَ الناسِ . ومن تَخَلَّق(١) للناس بما يعلم الله أنه ليسَ من نفسه شَانَهُ(٢) الله ، فما ظَنُّكَ بثوابِ غَيْرِ(٣) الله عزّ وجلَّ فى عَاجِلِ رِزْقِهِ وخزائن رحمته ، والسلام .

وكتب الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسم اللّه الرّحمن الرّحيم

من عُمرَ بنِ الخطاب الى أبى عُبيدَة عامر بن الجراح ومُعاذِ بن جَبل ، سلام عليكما فانى أحمد الله الذى لا إلهَ إلّا هُوَ (أما بعد) فقد جَاءنى كتابكما تزعُمانِ أنه بَلَغكما أنى وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة أحمرِها وأسودِها(٤) يجلِسُ بين يَدَىَّ الصديقُ والعدُو والشريفُ والوضيعُ ، وكتبتُما أنِ انظُرْ كيفَ أنت يا عُمرُ عند ذلكَ ، وإنّهُ لا حول ولا قُوّةَ لِعُمر عندَ ذلك إلا باللهِ . وكتبتُما تُحَذِّرانى ما حُذِّرَتْ به الأممُ قبلَنا ، وقديما كان اختلافُ الليلِ والنهار بآجالِ الناس(٥) يُقَرِّبَانِ كُلَّ بعيد ويُبْليان كُلَّ جديد ، ويأتيان بكل مَوعُود ، حتى يصير الناسُ الى منازِلهم من الجنةِ أو النار ، ثم تُوَفَّى كلُّ نفس بما كَسَبت إن الله سريع الحساب . كتبتُما تزعُمان أن أمرَ هذه الأمة ، يرجع فى آخر زمانها أن يكونَ إخوانُ العَلانيــة أعْدَاءَ السريرة ولستم بذلك . وليس هَــذا ذَلِك الزمانُ ، ولكنَّ زَمَان ذلك حينَ تظهر الرغبــة والرهبة ؛ فتكون رغبةُ بعض الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورَهبةُ بعض الناسِ إصلاح دُنياهم . وكَتَبْتُما تُعوِّذانى بالله أن أُنْزِل كتابكما مِنّى سِوَى المنزل الذى نَزَل من قُلُوبكما . وإنما كتبتما نصيحةً لى. وقد صدقتما، فتعهَّدانى منكما بكتاب؛ فلا غِنَى بى عنكما . والسلام عليكما !

(٥) من خطب عثمان بن عفّان(١) :

إنّ لكل شىء آفة . وإن لكلّ نعمة عاهةً . وإن آفة هـذه الأمة وعاهة هذه النعمة عَيّابُون طَعّانُون، يظهرون لكم ما تحبون، ويُسِرُّون ما تَكْرَهُونَ، يقولون لكُمْ وتَقُولون، طَغَامٌ(٢) مثلُ النَّعامَ، يتبعُون أوّلَ ناعق، أحبُّ موارِدهم إليهم النازح(٣). لقد أقررتم لابنِ الخطّاب بأكثرَ مما نَقَمْتُم علىَّ، ولكنه وقَمَكُمْ(٤) وقَمَعَكُمْ وزجركم زجر النعَامِ المُخَزَّمةِ؛ والله إنى لأقربُ ناصرا وأعز نفرا، وأقمَنُ إن قلتُ هَلُمَّ! أن تجاب دَعْوتى من عُمَر. هل تَفْقِدُون من حُقوقكم شيئا؟ فما لى لا أفعلُ فى الحق ما أشاء؟ إذًا فلِمَ كنتُ إماما ؟

---

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموى القرشى . ولد فى الجاهلية وسبق الى الاسـلام، وأبلى فى نصرته . ثم ولى الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق بحجة إيثاره أقاربه . وحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأرجحهم لفظا وأسلسهم أسلوبا بحكم نشأته القرشية ودراسته القرآن الكريم .

(٢) الطغام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نزحت البئر قل ماؤها أو نفد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقمكم : قهركم .

كتابُه الى عليّ يستنجده حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ فقد بلغ السيلُ الزُّبى(١)، وجاوز الحزامُ الطُّبيين(٢)، وطمع فيّ من لا يدفعُ عن نفسِه، ولم يغلِبْكَ مثلُ مُغلَّب(٣) . فأقبلْ إليَّ صَديقًا كنتَ أو عدُوا .

فان كُنْتُ مأكُولًا فكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلَّا فأدْرِكْنِي ولمَّا أُمَزَّقِ

(٦) بلغ عليَّ بن أبي طالب(٤) أن خَيلا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان، فخرج مُغْضَبا وخطب الناس

أما بعدُ،فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة،فتحه اللهُ لخاصَّةِ أوليائه وهو لباسُ التقوى ودِرْعُ اللهِ الحَصِينةُ وجُنّتهُ(٥) الوثيقَةُ ؛ فمن تركَهُ رغبةً عنه ألْبَسه اللهُ ثوبَ الذُّلّ، وشَمِلَهُ البلاءُ، ودُيِّثَ(٦) بالصَّغار والقَماءة، وضُرِبَ على قلبِه بالأسداد ، وأُديلَ

(١) الزبى : جمع زبيـة : مصيدة الأسد وتكون فى قلة أو رابية أو هضبة : والتركيب : كناية عن بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبية .

(٢) الطبيان مثنى طبي والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلمات الضرع) ومجاوزة الحزام الطبيين كناية عن الإشراف على الهلاك .

(٣) المغلب : الضعيف الذى يغلب كثيرا ، فاذا قدر عليك لا يرجع عنك . وهـذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد على بن أبي طالب قبيل الاسـلام ونشأ فى بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان ثم صاحب الدولة الاسلامية فى أوليتها مجاهدا وناصرها بعـد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان وبايعه أهل الحجاز قام فى وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل على غيلة سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه فى الخطابة وتملكه زمام البلاغة التى تنطق بها آثاره الصحيحة .

(٥) الجنة : الوقاية .

(٦) ديث : ذلل . والقماءة : الذل والمهانة .

الحقُّ مِنهُ بتضييع الجهاد (١)، وسِيمَ الخسفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ (٢). ألا وَإنِّى قد دعوتُكم إلى قتـالِ هؤلاء القومِ ليـلًا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزُوهُمْ قبـل أن يَغزُوكُمْ ؛ فوالله ماغُزِىَ قومٌ قط فى عُقْرِ دارهم (٣) إلا ذَلُّوا . فتواكلتم وتخاذلتم (٤) حتى شُنَّتْ الغَارَاتُ عَلَيكُمْ، ومُلِكَتْ عَلَيكُمُ الاوطانُ . وهذا أخو غَامِدٍ (٥) قـد وردت خيلُه الأَنْبـار (٦) ؛ وقد قَتَـل حَسَّانَ بن حَسَّانِ البَكرِىّ، وأزال خَيْلَكُمْ عن مَسَالِحِها (٧) . ولقد بَلَغَنى أنّ الرجلَ منهم كَان يَدخُل على المرأةِ المسلمةِ والأخرى المُعَاهِـدَة ، فَينْتَزِعُ حِجْلَهَا (٨) وقُلْبَهَا (٩) وقلائدها ورِعَاثَها (١٠)، ما تمنع عنـه إلا بالاسْتِرْجَاع (١١) والاسـترحام . ثم انصرَفوا وافِرِين (١٢) ، ما نال رجُلا منهـم كَلْمٌ (١٣) ، ولا أُرِيقَ لهم دم، فلو أن امرءًا مُسْلِمًا مات من بعد هذا أسَفًا ما كان به مَلُومًا، بل كان به عندى

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) تواكلتم : اتكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعثه معاوية مغيرا على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٧) المسالح : جمع مسلحة وهى الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعاث : جمع رعثة بالفتح وتحرك : القرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله و إنا اليه راجعون) .

(١٢) أى لم ينل أحد منهم فى مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جَديرا . فياعَجبا والله يُميت القلب ويَجْلِبُ الهم : اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقُكُم عن حَقكم ، فقُبْحا لكم وتَرَحا (١) حين صرتم غَرضًا يُرمَى، يُغَار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزَوْنَ ولا تَغزُون . ويُعصَى اللهُ وتَرضَوْن ، فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحرِّ قلتم: هذا حَمَارَّةُ القيظ (٢)، أمهِلنا ينسلخ (٣) عنا الحَرُّ . وإذا أمرتكم بالسيرِ إليهم فى الشتاء قُلتم : هـذه صَبَارَّةُ القُرِّ (٤)، أمهِلْنا يَنْسَلِخْ عنا البردُ . كلُّ هـذا فرارًا من الحر والقُرِّ فأنتم والله من السيف أفَرُّ . يا أشباهَ الرجالِ ، ولا رِجَال! حُلُومُ الأطفال، وعقُولُ رَبَّات الحِجَالِ (٥). لوددت أنّى لم أرَكُمْ ولم أعرِفْكم! معرفةٌ والله جَرَّتْ نَدمًا، وأعقَبَتْ سَدَمًا (٦) . قاتلكم الله! لقد ملأتُم قلبى قَيْحًا، وشَحَنْتُم صدرى غَيْظًا، وجرعتمونى نُغَبَ التَّهْمام (٧) أنفاسًا، وأفسدتُم علىَّ رأيِى بالعصيان والخذْلان ، حتى لقد قالتْ قُريش : إن ابنَ أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا علْمَ له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لهـا مِرَاسًا وأقْدمُ فيها مَقامًا منّى ؟ لقد نَهَضتُ فيها وما بلَغْتُ الْعِشْرِين وهأنذا قد ذَرَّفْتُ (٨) على الستين، ولكن لا رَأىَ لمن لا يطاع (٩) .

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القيظ : شدة الحر .

(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .

(٤) أى شدة البرد .

(٥) ربات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالستور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أى لا ينفع رأى للذى لا يسمع له .

وكتب الى مُعاوية جوابا عن كتاب منه (١) :

أمَّا طَلَبُكَ إلىَّ الشامَ فإنى لم أكُنْ لأعطِيكَ اليوم مامَنَعْتُكَ أمسِ . وأما قولُكَ إنَّ الحربَ قد أكلَتِ العربَ إلا حُشَاشَاتِ (٢) أنفُسٍ بقِيَت، ألا ومَنْ أكَلَهُ الحقُّ فإلى الجنة، ومن أكَلَهُ الباطلُ فإلى النار . وأما استِواؤُنا فى الحرب والرجال فلستَ بأمضى على الشكِّ مِنِّى على اليقين ، وليس أهـلُ الشام بأحرصَ على الدُّنيا من أهل العِراقِ على الآخرة . وأما قولُك إنَّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُمَيَّـةُ كهاشم، ولا حَرْبٌ (٣) كعبـد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب . ولا المهـاجر كالطليق (٤)، ولا الصريح كاللَّصِيقِ (٥) ، ولا المُحِقّ كالمُبطِلِ، ولا المؤمن كالمُدْغِلِ (٦)، ولبئس الخَلَفُ يتبع سَلَفًا هوَى فى نَارِ جهنَّم . وفى أيدينا بعدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ التى أذللنا بها العزيز ونَعَشْنَا بها الذليـلَ . ولـمَّـا أدخل الله العرب فى دينه أفْوَاجًا أسْلَمَتْ له هذه الأُمَّةُ طوعًا وكَرْها وكنتم مِمَّن دخل فى الدِّينِ إما رغبة وإما رهْبَةً (٧) على حين فازَ أهلُ السَّبقِ بسبقِهم وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجْعَلْ للشيطان فيك نصيبًا ولا على نفسك سبيلا .

---

(١) كتب معاوية الى على يطلب منـه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحروب ويخوفه ويذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جدّ معاوية ، وعبد المطلب : جدّ على .

(٤) الطليق : من أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب فى ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى اليهم وهو أجنبى .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أى رغبة فى خير أو خوفا من شر أي غير مخلصين .

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة (١)

حمدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد، فإني والله ما وَليتُها بمحبة علمتُها منكم، ولا مسرةٍ بولايتي، ولكن جالدتكم (٢)(٣) بسيفي هذا مُجالَدَةً . ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ٱبن أبي قُحافة (٤)(٥)، وأردتُها على عمل عُمَر فنفرت من ذلك نِفارًا شديدًا، وأردتُها على سُنَيَّات عثمان فأَبَتْ عليَّ . فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعةٌ، مؤاكلةٌ حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولايةً . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له . وإن لم يكن منكم إلا ما يَستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دُبرَ (٦) أذني وتحت قدمي . وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلِّه فاقبلوا مني بعضَه . فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا جاء أثرى، وإن قَلَّ أغنى (٧) . وإياكم والفتنةَ فإنها تُفسِدُ المعيشةَ وتكدِّر النعمة .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ولد إبان ظهور الاسلام وورث عن أهله حصافة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت بينهما أحداث وفتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل علي وخلفه الحسن وشغب عليه جنده صالح الحسن ابن علي معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة الأموية على يد معاوية وكان معاوية بليغا وان كان لا يبلغ شأو علي ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أي الخلافة .

(٣) جالدتكم : ضاربتكم .

(٤) ذللتها ومرنتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذني : خلفها ، أي أتركه .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأغناهم جعلهم مكتفين لا يحتاجون .

(٨) خطبة زياد(١) البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها من قبل معاوية

أما بعدُ، فإن الجهالةَ الجهلاءَ(٢)، والضلالةَ العمياءَ(٣)، والغيَّ الموفِىَ بأهله على النارِ، ما فيه سُفهاؤكم ويشتملُ عليه حُلَماؤكم(٤)، من الأمور العظامِ، ينبُت فيها الصغيرُ، ولا يتحاشى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله، ولم تسمَعُوا ما أعد الله من الثَّواب الكريم لأَهلِ طاعتِه، والعذابِ العظيم لأهلِ معصيتِه، فى الزمن السَّرْمدى(٥) الذى لا يزول. أتكونون كمَن طرفَتْ عينيْه الدنيا، وسدَّتْ مسامعه الشهواتُ(٦)، واختارَ الفانيةَ على الباقية، ولا تَذكرون أنكم أحدثتُمْ فى الإسلام الحدَثَ الذى لم تُسبَقوا اليه، من ترككم الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُه. ما هذه المواخيرُ(٧) المنصوبة، والضعيفةُ المسلوبة فى النهار المبصر، والعددُ غيرُ قليل؟ ألم يكن منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواةَ عن

---

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبى سفيان. ولد فى السنة الأولى للهجرة. وكان منذ صغره ذكيا هماما سديد الرأى ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكياسة. ثم استلحقه معاوية أخا له بعد مقتل على. وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ. وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة صارمة فيها للدين والسياسة، تعدّ حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد فى تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد فى أسلوب جزل. وقالوا: انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك.

(٢) جهالة جهلاء: شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء: التى لا هدى معها.

(٤) السفيه: سيئ الخلق وضده الحليم.

(٥) السرمدى: الدائم.

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا.

(٧) المواخير: جمع ماخور: بيت الريبة والفحش.

دَلَجِ الليل وغارةِ النهار(١)، قرّبتم القرابة، وباعدتُم الدينَ، تعتذرون بغير العُذر، وتَغُضّون على المختلس، كلُّ امرئ منكم يذُبّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لا يخاف عاقبةً، ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتّبعتم السفهاء فلم يزلْ بكم ما ترَون من قيامكم دونهم(٢) حتى انتهكوا حُرَم الإسلام، ثم أطرقُوا وراءكم كُنوسا في مَكانس الرِّيَب(٣). حرامٌ عليَّ الطعامُ والشَّرابُ حتى أُسَـوِّيَها بالأرض هَدْمًا وإحراقًا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يَصلُح إلا بما صَلَح به أوّلُه: لين في غير ضعف، وشِدّةٌ في غير عنف. وإني أُقسم بالله لآخُذَنَّ الوليَّ بالمَوْلَى(٤)، والمُقيمَ بالظَّاعن، والمُقْبِلَ بالمُدْبِر، والمطيعَ بالعاصي، والصحيحَ بالسقيم، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: انْجُ سَعْدُ فقد هلك سُعيد(٥) أو تستقيمَ قَنَاتُكم(٦)! إنّ كِذْبَةَ الأميرِ بلقاءُ مشهورة، فاذا تعلّقتم عليَّ بِكِذْبةٍ فقد حَلّتْ لكم معصيتي، فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها فِيَّ(٧)، واعلموا أنَّ عندي أمثالَها. مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامنٌ لما ذهب من مَاله. فإيايَ ودَلَجَ الليلِ، فإني لا أُوتَى بمُدلِجٍ إلا سَفكْتُ دمه، وقد أجّلْتُكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبرُ الكوفةَ ويرجع اليكم. وإيايَ ودَعْوَى الجاهلية(٨)، فإني لا أجد أحَدًا دعا بها إلا قَطَعْتُ لسانَه. وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن،

(١) دلج الليل: السير فيه. والمراد التلصص والفتك.

(٢) قيامكم دونهم: دفاعكم عنهم.

(٣) الكنوس: جمع كانس، وهو الظبي يدخل في كناسه أي مأواه. والمراد أنهم عكفوا على المعاصي.

(٤) الولي: السيد. والمولى: العبد. والمراد أنه يأخذ السيد بذنب عبده. وكذا الباقي.

(٥) مثل يضرب لتتابع الشر. وأصله أن أخوين خرجا في طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد.

(٦) المراد حتى تستقيموا. وشبههم بالقناة وهي عود الرمح.

(٧) اغتمزوها في: عدّوها من عيوبي.

(٨) دعوى الجاهلية: كناية عن التناصر بتأثير العصبية سفها وجهالة، وأصلها يا لفلان استغاثة.

وقد أحدثنا لكلِ ذنب عقوبةً ،فمن غرَّق قوماً أغرقناه،ومن أحرق قوماً أحرقناه، ومَن نَقَبَ بيتاً نقَّبنا عن قلبه، ومَن نبش قبراً دَفَنَّاه فيــه حياً . فكُفُّوا عَنِّى أيديكُم وألسِنتكم أكْفُفْ عنكم يدى ولسانِى . ولا تظهرْ من أحدكم ريبةٌ بخلاف ما عليـه عامّتُكُم إلا ضَربتُ عُنُقَهُ . وقد كانت بَينِى وبَينَ أقوامٍ إحَنٌ (١) ، فجعلتُ ذلك دَبْرَأذُنى (٢) وتحت قَدَمِى ، فمَن كان منكم محسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومَنْ كان منكم مُسيئاً فلينزِعْ عن إساءته . إنِّى لو علمتُ أنَّ أحدكم قد قتلَه السُّل من بُغْضِى لم أكشِف له قِناعاً ، ولم أهْتِك له سِتْراً حتى يُبْـدِىَ لى صفحته (٣) ؛ فإذا فَعَلَ ذلك لم أُناظِرْهُ . فاستأنفوا أموركم ، وأعِينُوا على أنْفسِكُم ؛ فرُبَّ مُبتئسٍ بِقُدُومِنا سيُسَرُّ ومسرورٍ بقدومنا سيَبتئس . أيها الناس! أنَّا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً (٤) : نَسُوسُكُم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونَذُود عنكم بِفَىْءِ الله الذى خَوَّلَنَا (٥) ؛ فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحْبَبْنَا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا ؛ فاستوجِبوا عدلنا وفيأنا بمُنَاصَحتِكُم لنـا . واعلموا أنى مهما قَصَّرت عنــه فلن أقصِّر عن ثلاث : لستُ محتجِباً عن طالِب حاجةٍ منكم ؛ ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا حابِساً عطاءً ولا رزقاً عن إبَّانه (٦) ، ولا مُجَمِّراً (٧) لكم بعثاً . فادعُوا الله بالصلاح لأئمتكم ؛ فإنهم ساسَتُكم المؤدِّبون لكم ، وكَهفُكُم الذى اليــه تأوون ، ومتى يصلُحُوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أى خلفها : والمراد أنى طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) ذادة : حماة ، جمع ذائد أى مدافع .

(٥) الفىء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى .

(٦) إبان الشىء : أوانه .

(٧) تجمير الجند أو البعث حبسهم فى أرض العدوّ .

تَصلُحُوا . ولا تُشْرِبُوا قلوبَكم بُغْضَهم فيشتد لذلك غيظُكم ، ويطُول له حُزْنُكم ، ولا تُدْرِكُوا حاجتكم ، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شرًّا لكم (١) . أسأل الله أن يُعين كُلًّا على كُلّ . وإذا رأيتُمونى أُنفذُ فيكم الأمر فأنفذوه على أَذْلاله (٢) . وايمُ الله إن لى فيكم لَصرعَى كثيرةً ؛ فليحذَر كل امرئ منكم أن يكون من صَرْعاى .

(٩) خطبة عبد الله بن الزُّبير بعدَ أن قُتِل أخُوهُ مُصْعَب (٣)

الحمد لله الذى لَهُ الخَلْقُ والأمر ومُلْكُ الدنيا والآخرة يُعزُّ مَن يشاء ويذلُّ من يشاء . ألا إنه لم يَذِلّ والله مَنْ كانَ الحقُّ مَعَهُ ، وإن كان مُفْرَدًا ضَعيفًا ، ولم يَعِزَّ مَن كانَ الباطلُ مَعَهُ ، وإن كانَ فى العُدَّةِ والعَدد والكَثْرة . إنه قد أتانا خبرٌ مِنَ العِراق بلدِ الغَدْرِ والشِّقَاقِ ، فساءنا وسرنا : أتانا أنَّ مُصعَبًا قُتِلَ ، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه ، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفِراق الحميم لَذْعةً يجدها حَميمُه عند المصيبة ، ثم يرعوِى (٤) بعدُ ذُو الرأى والدين الى جَميل الصبر ، وأما الذى سرَّنا منه فإنا قد علمنا أن قَتْلَهُ شهادةٌ لَهُ وأنه عز وجل جاعلٌ ذلك لنا وله ذخيرة إن شاء اللهُ تعالى . إن أهلَ

---

(١) أى لو دعوتم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طرقه ووجوهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا خبيب . ولد بعد الهجرة بقليل ، وكان شجاعا باسلا خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل اليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه واليا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أَسـلَمُوه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوهُ وعمُّـه وأخُوه وكانوا خِيار الصالحين . إنَّا والله ما نموت حَتْفَ أُنُوفِنَا (١) ، ما نَموتُ إلا قتلا ، قَعْصًا (٢) بالرِّماح وتحت ظِلَال السُّيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِل منهم رجل فى جاهليـة ولا إسلامٍ قَطُّ . وانمـا الدنيا عارِيَةٌ (٣) من الملِكِ القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يَبِيدُ مُلْكُه ، فإن تُقْبِلِ الدنيا علىّ لا آخُذهَا أخذ الأَشِر البَطِر (٤) ، وإن تُدْبِر عنى لا أَبْكِ عليها بكاءَ الخرِف المهِين (٥) .

(١٠) خطبة لِقَطَرِىّ بن الفُجَاءة (٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمَّا بعدُ ، فإنى أُحَذِّرُكُمْ الدُّنيا فإنها حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، حُفَّتْ بالشهوات ، وراقَتْ بالقَليل (٧) وتَحَبَّبتْ بالعاجِلة ، وحَلِيتْ بالآمال ، وتَزَيَّنَتْ بالغرور . لا تَدُوم حَبْرتُها (٨) ، ولا تُؤْمَنُ فَجْعَتُها ، غَرَّارَةٌ ضَرَّارة ، خوَّانة غَدَّارة ، وحائلة (٩) زائلة ، ونافدةٌ بائدة ، أَكَّالةٌ غوَّالةٌ .

---

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله فى مكانه .

(٣) أى شىء مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والمهين : الذليل الوضيع .

(٦) قطرى بن الفجاءة المازنى خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهـم . خرج زمن بنى أمية ، ودعا لنفســه بالخلافة عشرين ســنة حتى قتل بطبرستان ســنة ٧٩ هـ . وقد ترجمنا له فى قسم شعراء السياسة .

(٧) راقت الأعين بقلة متاعها ، وتحببت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها .   (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعْدُو إذا هي تناهتْ إلى أُمنيَّةِ أهل الرغبةِ فيها والرضا عنها أن تكونَ كما قال الله تعالى (١) ﴿ كماءٍ أنزلناهُ من السماءِ فاختَلَطَ به نباتُ الأرضِ فأَصْبح هَشِيما (٢) تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وكان اللهُ على كُلِّ شيءٍ مقتدرا ﴾ مع أنَّ امرأ لم يكن منها فى حَبْرةٍ إلَّا أَعْقَبَته بعدها عَبرةً (٣)، ولم يلق من سرَّائها بَطْنًا إلَّا منحتْهُ من ضَرَّائها ظَهْرًا (٤)، ولم تَطُلَّه فيها غَيْثَةُ رخاء إلا هَطَلت عليه مُزْنَةُ بلاء (٥)، وحرِيٌّ إذا أصبحتْ له مُنْتَصِرَةً أن تُمْسِى له خاذِلة متنكرةً، وإنْ جانبٌ منها اعْذَوْذَبَ (٦) واحْلَولى، أمَرَّ عليه جانب وأَوْبا (٧). وإن آتتْ امرأ من غَضَارتها (٨) ورفَاهتها نِعمًا أرهقته من نَوائبها نِقمًا. ولم يُمْسِ امرؤٌ منها فى جناح أمن إلا أصبح منها على قَوادِمِ خَوْفٍ (٩). غرَّارةٌ، غَرُورٌ ما فيها، فانٍ ما عليها، لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى. من أقلَّ منها استكثر مما يُؤَمِّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُهُ (١٠) ويُطيل حُزنه، ويبكى عينيه. كم واثقٍ بها قد فَجَعتهُ، وذى طُمَأنينة اليها قد صَرَعتهُ، وذى احتيالٍ فيها قد خدعتهُ، وكم مِنْ ذِى أُبَّهَةٍ بها، قد صيَّرته حقيرًا وذِى نَخْوةٍ قد ردَّته ذليلا.

---

(١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية.

(٢) الهشيم: النبت اليابس المكسر.

(٣) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض أى أحزنته.

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار.

(٥) طلت السماء الأرض: قطرت عليها الطل. والطل: المطر الضعيف. والمزنة: السحابة المطرة.

(٦) أى عذب. (٧) أوبا: أصله أوبأ أى صار ذا وباء.

(٧) الغضارة: النعمة والسعة والخصب.

(٩) القوادم: الريش الكبير فى مقدم الجناح، و يقابلها الخوافى.

(١٠) يوبقه: يهلكه.

(١١) خطبة للحجاج حين ولى العراق(١)

أنا ابن جَلَا وطلَّاعُ الثَّنَايا   مَتَى أضَعِ الْعِمامَةَ تَعْرِفُونِى (٢)

يأهـل الكوفة ! إنى لأرى رُءُوسا قد أَيْنَعَتْ(٣) وحَانَ قِطَافُها ، وإنّى لَصَاحِبُها ، وكأنى أنظُر إلى الدماء بَيْنَ العمائم واللِّحَى .

ثم قال :

هذا أوان الشَّدّ فاشْتَدِّى زِيَمْ   قد لَفَّها اللَّيْــلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ (٤)

ليس براعِى إبـلٍ ولا غـنـم   ولا بجـزَّارٍ على ظَهْـرِ وَضَمْ (٥)

ثم قال :

قد لَفَّها الليل بِعَصْلَبِىّ   أرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِّىّ (٦)

مُهاجِرٍ ليس بأعرابِىّ

(١) يعد الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهـدها الأول ، أولهم على بن أبى طالب ، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحاكما مستبدا . خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبته على خواصه النفســية ومذهبه فى السياسة والحكم ، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصـعاب . الثنايا جمع ثنيــة : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذى لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلبى : الشديد . والأروع : الذكى . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخرّاج من كل غماء شديدة .

وقال :

قد شَمَّرتْ عَن ساقِها فَشُــدُّوا وجَدَّتْ الحَرْبُ بِكم فَجِــدُّوا (١)
والقَــوسُ فِيهــا وَتَرٌ عُرُدُّ مثــلُ ذِراعِ البَــكْرِ أو أشــدُّ (٢)
لَا بُدَّ مِمَّــا لَيسَ منه بُدُّ (٣)

إنِّى واللهِ يأهــلَ العِراقِ ما يُقعقَعُ لى بالشِّنانِ (٤) ، ولا يُغْمَزُ جانبى كَتَغْمازِ التِّين . ولقــد فُرِرْتُ عن ذَكاءٍ (٥) ، وفُتِّشْتُ عن تَجربة . وإن أميرَ المؤمنين — أطال الله بقاءه — نَثَرَ كِنَانَتَهُ بين يَدَيه (٦) ، فعجَمَ عِيدَانَها ، فوجدنى أمَرَّها عُودًا ، وأصلَبَها مَكْسِرًا (٧) ، فرماكم بى ؛ لأنكم طالمــا أَوْضَعتُم فى الفِتْنَةِ (٨) ، واضطجعتُم فى مَرَاقِد الضَّلال . والله لأَحْزِمَنَّكُم حَزْمَ السَّلَمَةِ (٩) ، ولأضرِبَنَّكُم ضربَ غرائِبِ الإبِلِ (١٠) ؛ فإنكم لَكأَهلِ قَرْيَةٍ كانت آمِنَــةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رَغَدًا مِن كُلِّ مكانٍ فكفَرتْ بأَنْعُمِ الله فأذَاقها الله لباسَ

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .
(٢) عرد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .
(٣) أى لا بد من وقوع المحتم .
(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا قعقع أى ضرب نفرت الابل منه ؛ يضرب ذلك مثلا لنفسه أى أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .
(٥) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وفر عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة اختاره حاكما لحدة ذكائه وصحة تجاربه .
(٦) الكنانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه اختبر أعوانه فوجدنى أصلح لحكمكم .
(٧) أى أقواها .
(٨) أى أسرعتم فى الشر .
(٩) السلمة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .
(١٠) وهى تضرب عند الهرب أو الحوض .

الجُوع والخوفِ بما كانوا يصنعونَ . وإنى واللهِ ما أقول إلا وفيْتُ ، ولا أهُمُّ إلا أَمضيتُ ، ولا أخلُق[1] إلا فَرَيْتُ[2] . وإن أميرَ المؤمنين أمرنى بإعطائكم أَعْطِياتِكُمْ ، وأن أوجهكُم لمحاربة عَدُوِّكم مع المُهَلَّب بن أبى صُفرة[3] . وإنى أقسمُ بالله لا أَجِدُ رجلا تَخَلَّف بعد أخذِ عطائه بثلاثة أيام إلّا ضربتُ عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى[4] التى أوصى فيها الكتّاب

بِسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ — حَفِظكم اللهُ يا أهلَ صِناعَةِ الكِتَابةِ وحَاطَكُم ووفّقكم وأرشدكم — فإن اللهَ عزَّ وجلّ جعلَ الناسَ بعد الأنبياء والمرسَلين صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين، ومِنْ بَعْدِ الملوكِ المكرَّمين أصنافا ، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً ، وصَرَّفهم فى صُنُوف الصناعاتِ وضُرُوبِ المحاولات ، الى أسبابِ مَعايشهم ، وأبوابِ أرزاقهم ، فجعلكم معشرَ الكُتَّاب فى أشرفِ الجهاتِ أهلَ الأدب والمُرُوءات والعِلم والرَّزَانة ، بكم تَنْتَظِم للخلافة مَحاسِنُها ، وتَستقيم أمورُها ، وبنصائحكم يُصْلِحُ الله للخَلْقِ سُلْطَانَهم ، وتَعمُرُ

(١) خلق الأديم شقه . (٢) فريت : قطعت .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة الأزدى البصرى قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبهامات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صحب مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفيا له فى محنته حتى قتلا سنة ١٣٢ هـ . ويعدّ عبد الحميد شيخ كتّاب الرسائل فله الفضل فى تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طيعة لا يجاريه فى ذلك أحد وقد ذكرنا له فى الجزء الأول رسالة من قصار رسائله وله رسائل طوال منها رسالته الى الكتّاب التى نورد هنا قسما منها .

بُلْدَانُهُم . لا يَسْتَغْنِي المِلكُ عنكم، ولا يُوجَدُ كافٍ إلَّا منكم؛ فموقعُكم من الْمُلوكِ موقعُ أَسْمَاعِهم التي بها يَسْمعون، وأبصارِهم التي بها يُبصِرُون، وألسنتِهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطِشُون (١) . فَأَمْتَعَكُمْ الله بما خصَّكُمْ مِن فَضْلِ صِناعَتِكُمْ، ولا نَزَعَ عنكم، ما أَضْفَاهُ (٢) من النِّعْمَةِ عليكم . وليس أحد من أهل الصناعات كُلِّها أَحْوَجَ الى اجتماع خِلال الخيرِ المحمودة وخِصالِ الفَضْلِ المذكورةِ المعدودة منكم ، أيها الكُتّابُ : اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صِفَتِكُمْ ، فإن الكاتبَ يحتاجُ فى نفسِه ويحتاجُ منه صاحبُه الذى يثق به فى مُهِمَّاتِ أموره أن يكونَ حليماً فى موضع الحِلم، فَهِيماً فى موضِع الحُكْمِ، مِقْدَاماً فى موضِع الإقدام، مِحْجَاماً فى مَوْضع الإِحجام، مُؤْثِراً للعَفَافِ والعدلِ والإِنْصاف ، كَتُوماً للأَسرارِ، وَفِيّاً عندَ الشدائد عالماً بما يأتِى من النَّوازِل، يَضَعُ الأمور فى مَوَاضِعِها والطَّوَارِقَ فى أماكِنها، قد نظر فى كُلِّ فنٍّ من فُنونِ العِلْم فأحكَمَهُ ، و إن لم يُحْكِمْه أخَذَ منه بمقدار ما يُكتَفَى به ، يعرِفُ بغَرِيزَةِ عَقلِه وحُسْنِ أدبِه وفضلِ تجربتِه ما يَرِدُ عليه قبل وُرُودِه، وعاقبة ما يَصْدُرُ عنه قبلَ صُدُوره؛ فَيُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّته وعَتَادَه؛ ويُهيِّئُ لكل وجه هيئَتَهُ وعادَتَه . فتنافَسوا يا معشر الكُتّاب فى صُنُوفِ الآداب، وتفَهَّموا فى الدِّين وابدءُوا بعلم كتاب الله عزَّ وجل والفرائض، ثم العربية؛ فإنها ثِقَافُ ألسنتِكم، ثم أجيدوا الخطَّ فإنه حلْيةُ كُتُبِكُم وارْوُوا الأشعَار، واعرِفوا غَرِيبَها ومَعَانِيَها وأَيَّامَ العَرَبِ والعجمِ وأحاديثَها وسِيَرَها ؛ فإن ذلك مُعِينٌ لكم على ما تسمو اليه هِمَمُكُمْ . ولا تُضَيِّعُوا النَّظَر

(١) يبطش : يفتك و يعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فى الحِسَاب؛ فإنه قِوَام كُتَّاب الخَرَاج . وارغَبُوا بأنفُسِكم عن المطامع سَنِيِّها ودَنِيِّها وسَفْسَافِ الأمور ومَحَاقِرِها ؛ فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب . ونزِّهُوا صناعَتَكم عن الدناءة وارْبَئُوا بأنفسِكم عن السِّعَاية والنميمة وما فيه أهل الجَهَالَاتِ . وإياكم والكِبْرَ والسُّخْفَ والعَظَمة ؛ فإنها عداوة مُجْتَلَبَةٌ من غير إِحْنَةٍ . وتحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتِكم وتواصَوْا عليهـا بالذى هو أليقُ لأهلِ الفضلِ والعدلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكم .

(د) طَـائفةٌ من أمْثَـال العَرب

فى جاهليتهـا وإسلامهـا(١)

بَلَغ السَّيلُ الزُّبَى(٢) — بينهـم عِطْرُ مَنْشِم(٣) ، تجوعُ الحُرَّةُ ولا تأْكُل بثَدْيَيْها(٤) — تُخْبِرُ عن مجهولِه مَرْآته(٥) — تَرَى الفِتْيَانَ كالنخلِ ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ(٦) — ثار حابِلُهم على

(١) المثل قول مأثور يمتاز بالايجاز و إصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية ، وهو مثال الجملة العربية فى أسمى أشكالها ، وللمثل مورد قيل فيه أولا سواء أكان حقيقيا أم فرضيا ، ومضرب وهو ما يقال فيه بعد فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى ليفيد الكلام قوة ووضوحا .

(٢) الزبى : جمع زبية ، وهى مصيدة الأسد تكون فى قلل الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفا يضرب لبلوغ الأمر أشده .

(٣) يضرب فى الشر العظيم ، ومنشم عطارة كانت تطيب المحاربين من طيبها فيفنون فى الحرب . فكان يقال أشأم من عطر منشم .

(٤) أى لا تكون ظئرا ، وان آذاها الجوع . يضرب لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب .

(٥) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .

(٦) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

نابِلهم (١) — جعجعة ولا أرى طِحنا (٢) — جَرْيُ المُذَكِّيات غِلاب (٣) — جَوِّعْ كَلْبَكَ يتْبَعْك (٤) — حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَه (٥) — حَذْوَ القُذَّة بالقذة (٦) — حَرِّكْ لها حِوارَها تَحِنّ (٧) — صار الزُّجُّ قُدَّام السِّنان (٨) — عند الصَّباح يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرى (٩) — عند النِّطاح يُغلَبُ الكَبْشُ الأَجَم (١٠) — عند جُهَيْنَةَ الخَبرُ اليَقين (١١) — في بيته يؤتَى الحَكَم (١٢) — قَبْلَ الرِّماءِ تُملأُ الكَنائِنُ (١٣) — كان كُراعًا فصارَ ذِراعًا (١٤) — كَلامٌ كالعَسَل وفِعْلٌ كالأَسَل (١٥) — كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا (١٦) — كُلُّ فَتاةٍ بأبيها مُعجَبة (١٧) .

---

(١) الحابل : صاحب الحبالة . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشر فى القوم .

(٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهر الخلاب ليس وراءه نفع . والجعجعة : صوت الطحن .

(٣) المذكية من الخيل : التى مضت سنة أو سنتان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن يفوز على أقرانه فى الفضل .

(٤) مثل يضرب فى اللئام وكيف يعاملون .

(٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .

(٦) أى مثلا بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشيئين .

(٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهج له . قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قميصه . ليفزعوا إلى الحروب .

(٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، و يقابله السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير أهلية لذلك .

(٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السير ليلا .

(١٠) الأجم : الذى لاقرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعدّ له .

(١١) يضرب للرجل يعرف الشىء على حقيقته .

(١٢) يضرب للرجل تذهب إليه لحاجتك .

(١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكنائن . جمع كنانة : خريطة السهام .

(١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويا . والكراع : مستدق الساق .

(١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .

(١٦) الفرا : الحمار الوحشى . يضرب لمن يفضل أقرانه .

(١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أبيـات تجـرى مجرى الأمثـال

خَلِيـلَىَّ لا تَسْتَعْجِلا وانظُـرا غَدًا عَسَى ان يَكونَ الرِّفْقُ فى الأمرِ أرْشَدَا(١)

* * *

فهـل مِنْ خالدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وهَـلْ بالمَـوْتِ يا لَلنَّـاس عارُ؟(٢)

* * *

ومن يَلْقَ خيْرًا يَحْمَـدِ النـاسُ أَمرَهُ ومن يَغْوَ لا يَعْـدَمْ على الغَىِّ لائمـا(٣)

* * *

وما شَابَ رأْسى مِنْ سِنِينٍ تتَابَعَتْ عَلَىَّ، ولَكِنْ شَيَّبَتْنِى الوَقَائـعُ(٤)

* * *

كَنَاطِحٍ صَخْـرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهـا فـلم يَضِرْها وأَوْهَى قَـرْنَهُ الوَعِلُ(٥)

---

(١) لتميم بن مقبل • يريد . التريث خير من العجلة •

(٢) لعدى بن زيد فى الاطمئنان الى القضاء الحتم •

(٣) للرقش الأصغر، للرجل يلقى مغبة عمله •

(٤) قائلة عروة بن الورد ، يكون فى الشيء يأتى من غير مظانه •

(٥) يستعمل لمن يحاول مالا يستطيع فيذهب بمواهبه دون جدوى ·

العصر العباسى الاول

(أ) الشعر

(١) ابن هَرْمة[1]

قال يمدح ابراهيم بن طلحة :

أَرَّقَتْنِي تَلُومُنِي أُمُّ بَكْرٍ ... بَعْدَ هُدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤْذِينِي (٢)

حذَّرَتْنِي الزَّمانَ ثُمَّتَ قالَتْ ... لَيْسَ هَذَا الزَّمانُ بالمأْمُونِ (٣)

قُلْتُ لَمَّا هَبَّتْ تُحَذِّرُنِي الدَّهْـ ... ـرَ: دَعِي اللَّوْمَ عَنْكِ واستبقينى (٤)

إنَّ ذَا الجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا ... هِيمَ يَعْنِيهِ كُلُّ ما يَعْنِينِي (٥)

---

(١) ابراهيم بن على بن هرمة المنتسب إلى قريش ، نشأ بالمدينة وأخذ عن الرواة والمتأدبين كثيرا وقال الشعر وأجاده ومدح به الولاة والخلفاء وأصاب مالا كثيرا إلا أنه كان متلافا عاكفا على النبيذ . وشعره جزل يغلب عليه المديح . وقد توفى سنة ١٥٠ هـ .

(٢) أرق الرجل يأرق من باب علم : ذهب عنه النوم فى الليل . وأرقه بتشديد الراء : أذهب عنه النوم . والهدء بضم الهاء وفتحها : الهزيع من الليل .

(٣) المراد بالزمان هنا أهله .

(٤) هب الرجل يفعل كذا أى طفق يفعل .

(٥) يقول لها : إنك اذا حسبت أن البر والوفاء قد ذهبا عن الناس فان هذا الممدوح يهمه من أمرى كل ما يهمنى . وليس بعد ذلك بر ووفاء .

قَدْ خَبَرْنَاهُ فى القَدِيمِ فَأَلْفَيْـ ـنَا مَوَاعِيدَهُ كَعَيْنِ اليَقِينِ (١)

قُلْتُ مَا قُلْتُ لِلَّذِى هُوَ حَقٌّ مُسْتَبِينٌ لَا لِلَّذِى يُعْطِينِى (٢)

نَصَحَتْ أَرْضَنَا سَمَاؤُكَ بَعْدَ الْـ ـجَدْبِ منها وَ بَعْدَ سُوءِ الظُّنُونِ (٣)

فَرَعَيْنَا آثَارَ غَيْثٍ هَرَاقَتْـ ـهُ يَدَا مُحْكَمِ القُوَى مَيْمُونِ (٤)

وقال من قصيدة يمدح بها المنصور :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافَىْ سَرِيرِهِ إذا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ (٥)

فَأُمُّ الذِى أَمَّنْتَ آمِنَةُ الرَّدَى وَأُمُّ الذِى خَوَّفْتَ بِالثُّكْلِ ثَاكِلُ (٦)

---

(١) خبر الشىء يخبره من باب نصر : علمه عن تجربة . وألفى مواعيده الخ وجدها جد صادقة لا يعتريها الخلف .

(٢) يريد أنه نعته بما نعته به لا من أجل عطاياه بل لأنه إنما يقرر الحق الواضح . والمستبين هنا : الواضح .

(٣) نصحت : أمطرت . والجدب بفتح الجيم وسكون الدال ضد الخصب بكسر الخاء . يقال أجدبت الأرض : انقطع عنها المطر فيبست . التفت الشاعر فى هذا البيت الى خطاب الممدوح فذكر أنه أغناه بعد الفقر و بعد إساءة الظن بالأيام والخوف من إلحاح الحاجة . كما يحيى المطر الارض بعد يبسها .

(٤) رعت الماشية الكلأ : سرحت فيه وأكلته . والغيث : المطر . وآثاره : ما تخرج الأرض به من الزرع . وهرق الماء وهراقه : صبه . والميمون : المبارك .

(٥) حفاف الشىء بكسر الحاء : جانبه . وكرها : أرجعها . والنائل : العطاء . يقول إن الخليفة من صدق النظر وعظم الهمة ما لا يكون لأحد ، فان له نظرات وهو جالس على سريره تقع على صميم الأمور ، فسرعان ما يثيب المحسن و يعاقب المسىء .

(٦) الردى : الموت . وثكلت المرأة ولدها : فهى ثاكل : أى فقدته . التفت الشاعر فى هذا البيت الى الممدوح فقال : ان من أمنته فقد اطمأنت عليه أمه ، ومن خوفته بالموت فأمه ثاكل أى فهو هالك .

وقال يمدح آل البيت :

وَمَهْمَا أُلَامُ عَلَى حُبِّهِمْ فَإِنِّى أُحِبُّ بَنِى فَاطِمَهْ (١)
بَنِى بِنْتِ مَنْ جَاءَ بِالْمُحْكَمَا تِ وَالدِّينِ والسُّنَنِ القَائِمَهْ (٢)

ومن قصيدة له يمدح فيها السَّرِىَّ بن عبد الله :

فَقُلْ لِلسَّرِىِّ الوَاصِلِ البِرِّ ذِى النَّدَى مَدِيحًا إِذَا مَا بُثَّ صُدِّقَ قَائِلُهْ (٣)
جَوَادٌ عَلَى العِلَّاتِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَمَا اهْتَزَّ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ (٤)
نَفَى الظُّلْمَ عَنْ أَهْلِ اليَمَامَةِ عَدْلُهُ فَعَاشُوا وَرَاحَ الظُّلْمُ عَنْهُمْ وبَاطِلُهْ
وَنَامُوا بِأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ وشِدَّةٍ بِسِيرَةِ عَدْلٍ مَا تُخَافُ غَوَائِلُهْ (٥)
وَقَدْ عَلِمَ المَعْرُوفُ أَنَّكَ خِدْنُهُ وَيَعْلَمُ هَذَا الجُوعُ أَنَّكَ قَاتِلُهْ (٦)

---

(١) فاطمة : هى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) المحكمات : المتقنات . ويريد بها آيات الكتاب العزيز . ومن جاء بها هو النبى عليه السلام .

(٣) الواصل البر : الدائم الخير . والندى : الجود والعطاء . وبث الخبر : أذاعه ونشره .

(٤) العلات : جمع علة . وهى هنا الحدث يشغل صاحبه . والعضب : بسكون الضاد السيف القاطع . والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . يقول انه عظيم الكرم يجود برغم ما يشغله من أحداث الزمان . ويهتز للعطاء بما يدخل عليه من السرور وارتياح النفس للكرم ، كما يهتز فى يدى البطل السيف قد جلاه شاحذوه .

(٥) يقال رجل عدل بفتح العين وسكون اللام : عظيم العدل . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الشر والحقد الباطن . ويقال قتله غيلة بكسر الغين اذا خدعه فذهب به الى مكان فقتله . والمراد أنه ليست له غوائل حتى يخافها الناس .

(٦) المعروف : الاحسان . الخدن بكسر الخاء وفتحها مع سكون الدال فيهما : الحبيب والصاحب . يقول إنك لا يفارقك الاحسان أبدا حتى علم الاحسان أنك حبيبه وصاحبه ، وهذا على المبالغة ، فان الاحسان ليس مما يعقل . كذلك فانك لكثرة عطائك وبرك بالناس قد دفعت الجوع عنهم حتى علم الجوع أنك قاتله ، وهذا على المبالغة أيضا .

(٢) بشار بن بُرْد (١)

قال فى الغــزل :

يا لَيلَــتِي تزدادُ نُكـرا   مِن حُبِّ من أَحبَبْتُ بِكْرَا (٢)
حَــوْراءُ إنْ نَظَـرتْ إليـ   ـكَ سَقَتْكَ بالعينين خمْــرا (٣)
وكَأَنَّ رَجْـعَ حَدِيثِهـا   قِطَعُ الرِّياضِ كُسِـينَ زَهْرَا (٤)
وكَأنَّ تحتَ لسانهـا   هَارُوتَ يَنْفُثُ فيــهِ سِحرا (٥)
وتَخَـــالُ ما جَمَعَتْ عليـ   ـهِ ثِيَابَهـا ذَهَبًـا وعِطْـرَا (٦)
وكأنَّهـا بَرْدُ الشَّــرا   ب صَفَا وصادَفَ مِنكَ فِطرَا (٧)

---

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أصل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبي فآل ملك أبي بشار لبنى عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ عنهم العربية وتعلم الشــعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدرى فصار قبيح المنظر ولكنه كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة فى الشعر قوية يعدّ من أكبر شعراء عصره ، وفى مقدمة المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعانى المخترعة فى الشعر العربى . وكان كثير الهجاء للناس ، ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة لايبالى مايقول ، ولا مايفعل ، ولا ما رتكب من التهتك والكلام فى أعراض الناس . وقد تصرف بشار فى فنون الشــعر ومعانيه وذاع شعره فى زمانه ، وصار إماما بين الشعراء . وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ .

(٢) النكر : الأمر الشديد القبح .

(٣) الحوراء : شديدة بياض العين وسوادها . يقول : انها اذ تنظر اليك يسكرك جمال عينيها .

(٤) رجع الحديث : ترديده . يشبه كلامها فى جماله بالرياض المزدهرة .

(٥) هاروت : كان يعلم الناس السحر بمدينة بابل . يريد الشاعر أن كلامها يسحر الناس بروعته وجماله .

(٦) ماجمعت عليها ثيابها : هو جسمها الصافى الذكى الرائحة .

(٧) برد الشراب : الشراب البارد . صادف منك فطرا : أى شربته على عطش ولهف .

جِنِّيَّـــــةٌ إِنسِـــــيَّةٌ أو بينَ ذاكَ أَجَلُّ أمرًا (١)
وكفاكَ أنى لم أُحِــطْ بِشَكاةِ من أحبَبْتُ خُبْرًا (٢)
إلَّا مَقَــــــالَةَ زائــرٍ نَثَرتْ لِيَ الأحزانَ نَـثْرًا (٣)
مُتَخَشِّـــعًا تحتَ الهــوَى عَشْرًا وتحت الموتِ عَشْرًا (٤)

وقال يرثى ولدا له :

أَجَارَتَنَـا لا تجـــزعى وأَنِيبِى أتانِى مِنَ المَــوتِ المُطِلِّ نَصِيبِى (٥)
بُنَىَّ عَلَى رَغْمِى وسُخْطِى رُزِئْتُــهُ وبُدِّلَ أحجارًا وجالَ قَلِيبِ (٦)
وكَانَ كَرَيحانِ الغُصـونِ تَخَالُهُ ذَوِى بَعْـدَ إِشْراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ (٧)
أُصِيبَ بُنَىَّ حين أورق غُصـنُهُ وألقَى علىَّ الهمَّ كُلُّ قَرِيب
عَجِبْتُ لإِسراعِ المنِيَّـــةِ نحوه ومَا كَانَ لَو مُلِّيتُــهُ بعَجِيب (٨)

ومن قوله يمدح عُمَرَ بن هُبَيرة حين وفد عليه بالعراق :

وجيْشٍ كَجُنْحِ الليلِ يزحَفُ بالحَصَى وبالشـوكِ والخَطِّىُّ حُمْرٌ ثَعَالِبُـهْ (٩)

---

(١) جنية : نسبة إلى الجن . أنسية : نسبة إلى الانس . أى جمعت بين محاسن هذين الجنسين وفاقتهما .
(٢) الشكاة : الشكوى وهى هنا الشكوى من ألم العلة . لم أحط خبرا : لم أخبر شكاتها ولم أعرف حقيقتها .
(٣) الزائر : الرسول الذى أرسلته يعتذر بالمرض .
(٤) المتخشع : المتكلف الخشوع وهو الخضوع . والمتضرع أيضا فهو مقسم بين أهوال الحب والهلاك .
(٥) أنيبى : ارجعى الى هداك . المطل : المؤذى . يقول لجارته لتكن فى مصيبتى أسوة لك وعزاء .
(٦) رزئته : فقدته . الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .
(٧) ذوى الغصن : يبس . الإشراق هنا : النضارة .
(٨) مليته : نعمت ببقائه .
(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة إلى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى السنان . وهى حمر من دماء الأعداء .

غَدَوْنَا لَهُ والشمسُ فى خِدرِ أُمِّها تُطالِعُنا والطَّلُّ لم يَجرِ ذَائِبُــه (١)

بِضَرْبٍ يذوقُ الموتَ من ذاقَ طَعمَه وتُدرِكُ مَن نَجّى الفِرارُ مثَالِبُهْ (٢)

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكِبُهْ (٣)

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوتَ الفُجَاءةِ، إِنّنا بَنُو الموتِ خَفَّاقٌ علينا سَبَائِبُه (٤)

فَرَاحُوا فريقٌ فى الإسارِ ومثلُه قَتيلٌ ومِثْلٌ لاذَ بالبحرِ هَارِبُه (٥)

إِذَا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِليهِ بالسُّيوفِ نُعَاتِبُه (٦)

إِذَا كُنتَ فى كُلِّ الأمورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذى لا تُعَاتِبُه (٧)

فعِشْ واحِدًا أو صِلْ أخاكَ فإنّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرّةً ومُجَانِبُه (٨)

إذا أنتَ لم تَشربْ مِرَارًا علَى القَذَى ظَمِئتَ وأىُّ الناسِ تصفو مَشَارِبُه (٩)

---

(١) غدونا : خرجنا أوّل النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .

(٢) بضرب متعلق بغدونا فى البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهى فاعل تدرك . ونجى : نجاه بحذف العائد يقول : ان عدوّنا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .

(٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .

(٤) الفجاءة : البغتة . السبائب : جمع سبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتّان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .

(٥) الإسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .

(٦) صعر خدّه : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم وزراية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .

(٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفى فى الناس صديقا اذ لا يسلم أحد من الهفوات . (٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٩) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه . أى اذا لم تتحمل الحياة على ما بها من نقص تعبت وليس فى الدنيا انسان كامل الخلال .

وقال يمدح عقبة بن سلم :

يا طَلَـلَ الحيِّ بِذات الصَّمْدِ ... بالله خَبِّر كيف كنتَ بَعدى (١)
أوحَشْتَ من دَعدٍ وتربِ دعْد ... سَقياً لأسماءَ ابنةِ الأشَدِّ (٢)
قامتْ تَراءى إذ رأتنِي وَحدى ... كالشمسِ تحتَ الزِّبرِجِ المنقَدِّ (٣)
صَدَّت بخَدٍّ، وَجلَت عن خَدِّ ... ثُم انثنَتْ كالنفَسِ المرتَدِّ (٤)
عَهدى بها ـ سَقْيًا لَهُ من عَهْدِ ـ ... تُخلِفُ وعـدًا وتَفِي بِوَعدِ (٥)
فَنحنُ مِن جَهْد الهوى فى جَهدِ ... وزاهرٍ مِن سَبِطٍ وجَعْدِ (٦)
أَهـدَى لَهُ الدهرُ ولم يَستَهْدِ ... أفوافَ نَوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ (٧)
يَلقَى الضُّحَى رَيحانَه بِسَجْد ... بُدِّلْتُ مِنْ ذَاكَ بُكًى لا يُجدِى (٨)
وافق حَظًّا مَنْ سَعَى بِجَدِّ ... ما ضَرَّ أهلَ النَّوْكِ ضَعفُ الجَدِّ (٩)

---

(١) ذات الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع .

(٢) أوحشت : أقفرت وخلوت من ساكنك ، والترب للانسان : من ولد معه ومن فى سنه .

(٣) تراءى : تتراءى وتتصدى . والزبرج : الزينة من وشى أو جوهر والسحاب الرقيق فيه حمرة يشبه به ثوبها . والمنقد : المنقطع .

(٤) صدت : أعرضت . وجلت : كشفت ثم انثنت الخ ، أى رجعت بسرعة كالنفس المتردد .

(٥) عهدى بها : أعهدها وأعرفها ، والجملة (سقيا الخ) دعائية اعتراضية .

(٦) جهد الهوى : آلامه . وقوله : فى جهد أى فى عنت . وزاهر أى وورب شعر أشيب . السبط : المرسل وضده الجعد .

(٧) الأفواف جمع فوفة : البياض فى أظفار الأحداث ، وثوب مفوف رقيق ذو خطوط بيض . والنور : الزهر الأبيض . والحبر : برود اليمن المفرد حبرة . والمجد : كا جدّه الحائك أى قطعه ، فهو جديد يصف بذلك مشيبه .

(٨) الريحان فى الأصل : كل نبات طيب الرائحة ، يشبه به الشعر .

(٩) النوك : الحمق . والجد بفتح الجيم : الحظ . وبكسرها : الاجتهاد .

الحُرُّ يُلحَى والعَصَا لِلعَبْدِ ... وليس لِلمُلحِف مثلُ الرَّدِّ (١)

والنَّصْفُ يكفيكَ من التَّعَدِّى ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المِمَدِّ (٢)

حملتُه فى رُقعةٍ من جِلدى ... أَرقبُ منه مثل يوم الوِرْدِ (٣)

حتَّى مضَى غيرَ فَقيدِ الفَقْدِ ... وما درَى ما رَغبتى مِن زُهدِى (٤)

اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ ... مفتاحَ بَابِ الحَدَثِ المُنْسَدِّ (٥)

مُشتَرَكَ النَّيلِ وَرِىَّ الزَّندِ ... أغرَ لَبَّاسَ ثِيابِ الحَمْدِ (٦)

ما كان مِنِّى لكَ غيرُ الوُدِّ ... ثم ثناءٌ مثلُ ريحِ الوَردِ

نَسجتُه فى محكَاتِ النَّدِّ ... فَالبَسْ طِرازِى غير مُسْتَرَدِّ (٧)

لِلّهِ أيامُكَ فى مَعَدِّ ... وفى بنى قَحطانَ غيرَ عَدِّ (٨)

---

(١) يلحى : يلام و يعاب ، أى يكفيه اللوم فيرتدع ، وأما غيره فلا يرتدع إلا بالعنف . والملحف : المتشدّد فى الطلب المبالغ فيه ، أى ليس له دواء كردّه وحرمانه .

(٢) النصف : الانصاف والعدل . وصاحب : أي ورب صاحب . الممد : ذو القيح (المدة) .

(٣) حملته الخ : أى حرصت عليه متوقعا أذاه وشره . والورد : من أسماء الحمى .

(٤) مضى غير فقيد الفقد الخ : أى ذهب ولم آس على ذهابه وقد صانعته فى قربه حتى لم يعرف أأكرهه أم أحبه .

(٥) الحدث : المصيبة ، والأمر المنكر أو الحادث ، ومعنى الشطر الثانى أنك مفرج الكروب .

(٦) النيل : العطاء ، يصفه بالكرم الشامل . ورى الزند : ناجح الأمر ، والزند : العود الأعلى تقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره عند القدح . والأغر : السيد الشريف . ومعنى (لباس ثياب الحمد) أنه يكسب الثناء بجميل فعاله .

(٧) نسجته أى الثناء . والند : عود يتبخر به ، والمعنى ذكرته فى كلمات جيدة وأسلوب عال . والطراز : علم الثوب و يراد به هنا الثوب كله أى ثوب الثناء ، ومن معانى الطراز الموضع تنسج فيه الثياب الجيدة .

(٨) لله أيامك : أيامك مباركة . ومعد وقحطان : شعبا العرب الرئيسيان ، وقوله غير عدّ : أى كثيرة . والعد : بالفتح الاحصاء والحساب ، فهى لا تحصى .

يَومًا بِذِي طِخْفَــةَ عِندَ الحَــدْ ومثــله اودَعْتَ أرضَ الهِنــد (١)

بِالمُرهَفَاتِ والحَــديدِ السَّرْد والمُقْرَبَاتِ المبعــدات الجُــرْد (٢)

إذا الحَيَا أَكْدَى بِهـا لا تُكدِي تُلحِم أمرًا وأمــورا تُســدِى (٣)

وابنُ حَكِيمٍ إنـ أتاكَ يَردِى أَصمُّ لا يَســمعُ صــوتَ الرَّعدِ (٤)

حَيَّتُــهُ بِتُحفَــةِ المِعــدْ فانهَدَّ مثــلَ الجَبَــلِ المُنهَــدِّ (٥)

كل امرئٍ رهنٌ بمـا يُؤدِّى ورُبَّ ذِى تَاجٍ كَريمِ الجَــدّ (٦)

كآلِ كِسرَى وكآلِ بُردِ أنكبَ جافٍ عن سَبيلِ القَصْدِ (٧)

فصَــلْتَهُ عَن مَالِــهِ والــوُلْدِ (٨)

---

(١) طخفة : موضع فى طريق البصرة إلى مكة ، ويوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

(٢) المرهفات : السيوف الرقيقات الحدود ، والحديد السرد : الدروع ذات الحلقات المحكمة . والمقربات : الخيول الكريمة يقرب مربطها ومعلفها لكرمها . والمبعدات : التى تبعد براكبها فى الجرى . والجرد : قصار الشعر . المفرد : أجرد ، وهى جرداء وهذا من علامة كرم الخيل .

(٣) الحيا : المطر . وأكدى بخل ولم يمطر ، ومعنى (لا تكدى) لا تبخل فأنت كريم فى أوقات الشدة . ألحم الثوب : نسج لحمته وهى ما نسج عرضا ، وضده السدى وهو ما نسج طولا ، والمعنى أنك تدبر الأمور كلا بما يلائمه .

(٤) ابن حكيم : شاعر . يردى : يعدو . ويردى على الخمسين (مثلا) من عمره : يزيد .

(٥) المعد : المستعد أو القرن .

(٦) رهن بما يؤدى : مرتبط به ومحاسب عليه . ورب الخ : أى ورب ملك عتيد .

(٧) آل كسرى : ملوك الفرس . وآل برد : أسرة بشار . أنكب : جائر يميل عن الحق ، وجاف مبتعد . والقصد : الاعتدال والانصاف .

(٨) أى قتلته ففارق أهله وماله ، وهذا خبر ما بعد رُبَّ

(٣) السيد الحميرى (١)

كتب من الحبس إلى يزيد بن مذعور مولى أبى بُجير أمير الأهواز :

قِفْ بالديارِ وحيِّها يا مَرْبَعُ ... واسأَلْ وكَيْف يُجيبُ مَنْ لا يَسْمَعُ (٢)
إنّ الديارَ خَلَتْ وليسَ بجوّها ... إلّا الضَّوابحُ والحَمامُ الوُقَّعُ (٣)
ولقَدْ تكونُ بها أوانِسُ كالدُّمَى ... جُمْلٌ وعَزّةُ والرَّبابُ وبَوْزَعُ (٤)
حُورٌ نَواعِمُ لا تُرى فى مِثْلِها ... أَمْثالُهُنّ مِنَ الصِّيانةِ أرْبَعُ (٥)

* * *

فاسْلَمْ فإنّكَ قد نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ ... عِنْدَ الأميرِ تَضُرُّ فيه وتَنْفَعُ (٦)
تُؤْتَى هَواكَ إذا نَطَقْتَ بِحاجَةٍ ... فِيه وتَشْفَعُ عِنْدَه فتُشَفَّعُ (٧)

---

(١) اسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميرى (بكسر الحاء وفتح الياء) العربى اليمنى . علوى المذهب مخلص له غالٍ فيه إلى درجة الخرف . وقد قضى حياته يمدح عليا وآله حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .
والسيد الحميرى شعر كثير سهل يلائم المذهب السياسى قصد فهمه وشيوعه و إن لم يحفظ منه إلا القليل .

(٢) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن آلها السابقين ، عاد فأنكر ذلك السؤال إذ لا سبيل الى إجابة الديار التى ليس من شأنها السمع .

(٣) ضبحت الأرانب والثعالب : صوّتت . الضوابح : المصوّتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوّت والحمام النازل بالأرض .

(٤) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال . والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٥) حور : جمع حوراء ، وهى الشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيه فى عفتهن .

(٦) المراد بالمنزل المكانة . فاسلم : جملة دعائية ، يرجو للممدوح السلامة من الشر .

(٧) هواك : سؤلك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ للأميرِ اذا ظَفِرْتَ بِخَلوَةٍ ... منه ولم يكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هبْ لِي الذي أحببتهُ فى أحْمَدٍ ... وبَنيهِ إنّكَ حاصِدٌ ما تَزْرعُ (١)
يختص آلُ مُحمّدٍ بِمَحَبّةٍ ... فى القلْبِ قَدْ طُويَتْ عَلَيْها الأَضْلُعُ

جلس المهدى يوما يعطى قريشا صِلات لهم وهو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد الحميرى فرفع الى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة للامير فَأَوْصِلْها اليه فأوصلها فاذا فيها :

قُلْ لابنِ عَبّاسٍ سَمِيِّ مُحَمّدٍ ... لا تُعطِيَنَّ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمَا (٢)
احرِمْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ إنهم ... شَرُّ البَرِيّةِ آخِرًا ومُقَدَّمَا
إنْ تُعْطِهِمْ لا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً ... ويُكافئوكَ بأنْ تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإنِ ائْتَمَنْتَهُمُ أَوِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ ... خَانُوكَ واتَّخَذُوا خَراجَكَ مَغْنَمَا (٣)
ولئن منعتَهُمُ لقد بدءوكُمُ ... بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعُوا تُراثَ محمدٍ أعمامَهُ ... وبَنِيهِ وابنتَه عديلةَ مَريما (٤)
وتأمّروا من غير أن يُستَخلَفُوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما (٥)
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمّدٍ إنْعامَهُ ... أفيَشْكُرونَ لِغَيْرِه إنْ أَنْعَمَا

(١) هب لى فلانا : أى أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدى .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا، أى ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أى يكونوا خلفاء .

وَاللهُ مَنَّ عَلَيهِم بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمُ وَكَسَا الجُنُوبَ وأطْعَمَا (١)

ثُمَّ انبَرَوا لِوَصِيِّهِ وَوَلِيِّهِ بِالمُنكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ العَلْقَما (٢)

(٤) مروان بن أبي حفصة (٣)

قال يمدح المهدى ويحتج لبنى العباس :

طرقتكَ زائرةٌ فَحَيِّ خيالَها بيضاءُ تخلِطُ بالجمالِ دَلالَها (٤)

قادت فؤادَك فاستقادَ ومثلُها قادَ القلوبَ الى الصِّبا فأمالَها (٥)

فكأنما طرقتْ بنَفحةِ رَوضةٍ سَحَّتْ بها دِيَمُ الربيعِ طِلالَها (٦)

باتت تسائل فى المنامِ مُعَرِّسا بالبِيدِ أشعثَ لا يَمَلُّ سُؤالَها (٧)

فى فتيةٍ هجعوا غِرارًا بعدما سَئِموا مُراعَشةَ السُّرى ومطالَها (٨)

---

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريد بوصيه ووليه على بن أبى طالب . جرعوه العلقم : سقوه المر .

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أميــة ولكنه لم يشتهر إلا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدى ومعن بن زائدة الشيبانى وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا . (٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع سحبه . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف . يريد أنها عنــد زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل مايفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة . والبيد : جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : الســير فى الليل . و يقال للناقة التى تهتز فى السير لرعشها : رعشاء . ومطالها : مطلها وتسويفها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول : إنهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

فكأنَّ حشوَ ثيـابهم هنـديةٌ ... نَحِلتْ وأغفلت القُيُونُ صقالَها (١)

طَلَبتْ أميرَ المؤمنينَ فواصلتْ ... بَعْـدَ السُّرَى بغُدُوِّها آصالَهـا (٢)

نَزَعتْ إليكَ صواديًا فتقاذفتْ ... تطْوى الفَلاةَ : حُزُونَها ورمالَها (٣)

أحْيـا أمـيرُ المؤمنيـنَ محمدٌ ... سُـنَنَ النبي حَرامَها وحلالَهـا (٤)

مَلِكٌ تفَرّعَ نبعـةً من هاشم ... مَدَّ الإلهُ على الأنامِ ظِلالَهـا (٥)

ثَبْتٌ على زَلَلِ الحوادثِ راكبٌ ... مِنْ صَرْفِهنّ لِكلِّ حالٍ حالَها (٦)

كِلْتا يديْكَ جَعلْتَ فَضْلَ نَوالِها ... لِلْمُسْلمينَ ولِلْعَدُوِّ وبالَهـا (٧)

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجُومَها ... بأكُفِّكُمْ أمْ تَحْجُبونَ هِلالَهـا (٨)

---

(١) الهندية : السيوف المصنوعة فى الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونحلت من باب علم : هزلت ورقت . والقيون : جمع قين وهو الحـداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهـم أمسوا من شدة التعب وطول السـفر ناحلين مهزولين حتى كانوا فى رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التى لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .

(٢) طلبته : قصـدت إليه . والغـدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول إنها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .

(٣) الصوادى : الشـديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شـديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .

(٤) يريد باحيائه حلال السنن وحرامها إبانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .

(٥) النبعة : واحدة شجر النبـع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصـل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .

(٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث : انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : إنه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله (راكب لكل حال حالها) .

(٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .

(٨) التفت فى هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخـلافة دون بنى العباس .

أمْ تجحدُون مقَالَةً عن ربِّكُم جبْريلُ بلَّغَها النبيَّ فقَالَها (١)
شَهِدَتْ من الأَنْفَالِ آخرُ آيةٍ بتُرَاثِهِمْ فأردتمو إبطَالَها (٢)

وقال يمدح المهدى — عند ما عقد البيعة لابنه الهادى — ويحتج للعباسيين على الطالبيين :

يا بنَ الذى ورِثَ النبيَّ محمدًا دونَ الأقاربِ من ذَوِى الأرْحامِ (٣)
الوحىُ بينَ بَنِى البنَاتِ وبينكم قطعَ الخصامَ فلاتَ حينَ خِصام (٤)
مَا للنساءِ معَ الرجالِ فريضَةٌ نَزَلَتْ بِذَلِك سُورةُ الأنعَامِ (٥)
خَلُّوا الطريقَ لمعشَرٍ عاداتُهم حَطْمُ المناكب كُلَّ يومِ زِحَامِ (٦)
ارْضَوا بما قَسَمَ الإلهُ لكمْ بهِ وَدعُوا وِراثَةَ كُلِّ أَصْيَدَ حَامِ (٧)
أنَّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائن لِبَنِى البَنَاتِ وِراثةُ الأعمَامِ (٨)

---

(١) تجحدون، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحى : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد على بن أبى طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم فى الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرها . ويوم زحام : يوم تنافس فى مجد، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصيد : الملك أو السيد . والحامى : من يحمى ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد علىّ من فاطمة رضى الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهى فى الميراث .

أَلْغَى سِهامَهـم الكِتابُ فَحـاوَلُوا ... أن يَشْـرَعوا فيها بِغَيْـر سِهامِ (١)
ظَفِرَت بنُو ساقِي الحَجِيجِ بِحَقِّهم ... وغُرِرْتُمُ بِتَـوَهُّم الأَحْـلامِ (٢)
عُقِدتْ لمُوسى بالرُّصافَةِ بيعَـةٌ ... شَـدَّ الإلهُ بِهـا عُرَا الإسـلامِ (٣)
مُوسى الذى عَرفَتْ قُرَيشٌ فَضْلَه ... ولهَـا فَضِيلَتُها علَى الأَقـوامِ

(٥) العَبَّـاسُ بنُ الأَحْنَفِ (٤)

قال :

عَدْلٌ من اللهِ أَبْكاني وأَضْحَكَها ... فَالحمدُ لِلهِ عَدْلٌ كُلُّ ما صنعا
اليوْمَ أَبكى على قَلْـبِي وأَنْدُبُهُ ... قَلْبٌ أَلَحَّ عليه الحُبُّ فانْصَدَعا (٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد الى خراسان وطال مقامه بها ثم خرج الى أرمينية :

قالُوا خُراسَانُ أَقْصَى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفُولُ فقَـدْ جئنا خُرَاسَانا (٦)

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك فى الجاهليـــة .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدّت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ فى بغـداد فى حال يسر و رخاء . لم يصطنع المدح والتكسب بالشـعر ، بل توفر على الغزل فى محبو بته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيـدا موفقا حتى مات سـنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شـعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعانى ، فهو من شعراء الغزل العـذريين وان لم يحكهم تماما .

(٥) ألح فى السؤال : واظب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول انهـم قالوا إن أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود ؟

ما أقدرَ اللهَ أنْ يُدْنِي على شَحَطٍ ... سُكانَ دِجْلَةَ من سُكَّانِ جَيحَانا (١)

يَا لَيتَ مَنْ نَتمنى عِنْـدَ خَلْوَتِنَا ... إذا خَلَا خَلْوةً يَـوماً تمنـانا (٢)

وقال :

سَلَبتْنِي من السُّرورِ ثِيـابا ... وكَسَتْنِى من الهُمُـومِ ثِيَابَا

كُلَّمـا أغلقتَ من الوصْلِ بابًا ... فَتَحتْ لِى إلى المَنِيَّـةِ بَابَا

عَذَّبِينِى بِكُل شيءٍ سِوَى الصّـ ... ـدِّ فمـا ذُقْتُ كالصُّدُودِ عَذَابا (٣)

وقال :

إنْ قَالَ لم يَفْعل وإن سِيلَ لم ... يَبذُلْ وإنْ عُوتِبَ لم يُعتِبِ (٤)

صَبٌّ بِعِصْيانِى ولَو قَالَ لِىَ ... لا تَشْرَبِ البـاردَ لم أشْرَبِ (٥)

إليكَ أشْكُو رَبِّ ما حَلَّ بِى ... من صَدِّ هذا المذنِبِ المُغْضَبِ

وقال :

قَلْـبِى إلى ما ضَرَّنِى دَاعِ ... يُكْثِرُ أَسْـقَامِى وأَوْجَاعِى

كَيْفَ احْتِراسِى من عدُوّى إذا ... كان عَدُوِّى بَيْنَ أَضْـلاعِى (٦)

---

(١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد، ودجلة : نهر تقع عليه هـذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) تمنى : تمناه .

(٣) الصد والصدود : الإعراض .

(٤) سيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فأعتبنى استرضيته فرضى .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر فى بلادهم . ومثل هذا قول الشاعر :

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذى بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذى يدعوه إلى ما يضره فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظَلُوم سَمِيَّـــةُ الظُّلْمِ ... مالِي رَأَيْتُـكَ ناحِلَ الجِسْمِ (١)

يا مَن رَمَى قَلْبِي فأقْصَـدَهُ ... أنتَ العَلِيمُ بِمَوْضِـعِ السَّهْمِ (٢)

(٦) أبو نُـــوَاس (٣)

قال يصف الخمـــر :

دعْ عنكَ لَومِى فإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ ... وداوِنى بالتى كانتْ هى الداءُ (٤)

صَفراءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ سَاحَتَها ... لو مَسَّها حَجَــرٌ مسَّـتْه سرَّاءُ (٥)

---

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده : السهم لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانئ . نشأ نشأته الأولى فى البصرة ، ولم يكن يقرض الشعر وإن كان يكلف به و بمن يجيدون قرضه . ثم تحوّل الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ، ثم تحوّل معه الى بغداد .

و برع أبو نواس فى الشعر حتى بز أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها . وكان ماجنا مستهترا . توفر عمره على تحصـــيل اللذائذ ما يبالى فى ذلك شيئا . وقرض الشـعر فى أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرّج .

ولقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسى ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له ــ حتى بعد أن قتل ــ ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نواس بعظم افتنانه ، وقوّة تصرفه فى الشعر ، ومتانة أسلو به ، وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعدّ من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعدّ من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك و يقال (أغراه بالشىء يغريه إغراء) حضه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لا تلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه و يريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرّابها ، وترقى فى هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور !

رَقَّتْ عن المـاءِ حتى ما يُلائمها ... لَطَافَةً، وجَفَا عن شكلها المـاء (١)

فلو مزجْتَ بها نُورا لمـازجَها ... حتى تَوَلَّد أنوارٌ وأضــواءُ (٢)

دَارَت على فِتْيةٍ دَانَ الزَّمانُ لهم ... فَمـا يُصيبهمُ إلا بمـا شَـاءُوا (٣)

لِتِــلك أَبكى ولا أبكى لمَنْزِلةٍ ... كانت تَحُـلّ بها هِندٌ وأسْمَـاءُ (٤)

وقال أيضا فى الخمر:

ودَارِ نَدَامَى عَطَّــلوهَا، وأدلَجُـوا ... بهـا أثرٌ منهـمْ جَـديدٌ وَدَارِسُ (٥)

مَسَاحِبُ من جَرِّ الزِّقَاقِ على الثَّرى ... وأضْغَاثُ رَيْحـانٍ جَنِيٌّ ويَابِسُ (٦)

---

(١) يلائمها: يوافقها. وجفا هنا: بمعنى قلق ولم يطمئن. يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والرقة مالم يبلغ المـاء.

(٢) تولد بحذف احدى التائين: أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منهما أنوار وأضواء.

(٣) دان: ذل وأطاع. التفت الشاعر فى هذا البيت إلى أصحابه الذين يشاربهم، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار إلى حدّ أن الزمان يذل لهم؛ فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشىء إلا ما يريدونه هم وما يبتغــونه!

(٤) المنزلة هنا هى الدار. يريد أن شوقه إنمـا هو إلى الخمر، فهو اذا بكى بكى لهـا، لا للنازل التى كانت تسكنها المعشوقات، كما يصنع غيره من الشعراء.

(٥) النــدامى: جمع ندمان، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب. عطلوها: أخلوها. أدلج القوم إدلاجا: ساروا الليل كله أو فى آخره. والدارس: البالى. يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر. فهجروها ومضوا، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة، وأخرى قديمة بالية.

(٦) الزقاق: جمع زق، وهو وعاء من جلد يحمل فيه المـاء ونحوه. الثرى: التراب الندى، ويريد هنا الأرض، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من الحشيش. وجنى أى جنى لساعته. بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق. فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر عليها وما تركوا هناك من أضغاث الريحان، بين قديم مقطوف لوقته ويابس لطول العهد على قطافه.

حبستُ بها صحبي وجدّدت عهدَهم ، وإنّى على أمثـال تلك لحـابِسُ (١)
تدورُ علينـا الراحُ فى عَسْــجديّة حبَتْهـا بأنواعِ التصـاوير فارسُ (٢)
قـرارتَها كِسْرَى ، وفى جَنَباتِهـا مَهًا تدّريهـا بالقِسِيِّ الفـوارسُ (٣)
فللخمرِ ما زُرّتْ عليـه جيوبهـم وللمـاءِ ما دارت عليـه القلانسُ (٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وإذا المَطِىُّ بنـا بلغْنَ محمّدا فظهورهنّ عـلى الرِّجالِ حرامُ (٥)
قرَّبْنَنا من خيرِ مَنْ وطِئَ الحَصَى فلهـا علينـا حُرمـةٌ وذِمامُ (٦)
رفعَ الحِجَابَ لنَـا فلاحَ لنـاظرٍ قمـرٌ تقطّــعُ دونَه الأوهامُ (٧)

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبث ، إذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب. وحباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس: الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهى هنا : ظرف مكان . والمهى : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بهـا المثل فى حسن العيون . ادّرى الصيد : ختله وادّرى غفلته بمعنى تحينها . والقسى : جمع قوس ، والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محلاة من أسفلها بصورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصور فرسان يتحينون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلانس : جمع قلنسوة ، وهى أشبه (بالبرنيطة) التى يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : إنهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالمـاء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم ، وخاصة فى أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التى تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنـين ينبغى ألا يركبها أحد إكراما لها بمـا فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بحذف إحدى التاءين . يقول الشاعر إنه حين بدا الأمين فاذا هو قمر لا تستطيع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبهاء طلعته .

مَلِكٌ إذا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ ... لا يَعْتَرِيكَ البُؤْسُ والإعْدَامُ (١)

فَالبَهْوُ مُشْتَمِلٌ بِبَدْرِ خِلَافَةٍ ... لَبِسَ الشَّبَابَ بِنُورِهِ الإسْلَامُ (٢)

سَبْطُ البَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ ... فَرَعَ الجَمَاجِمَ والسِّمَاطُ قِيَامُ (٣)

إنَّ الذي يُرْضِي الإلهَ بِهَدْيِهِ ... مَلِكٌ تَرَدَّى المُلْكَ وهُوَ غُلَامُ (٤)

مَلِكٌ إذا اعْتَسَرَ الأُمُورُ مَضَى بِهِ ... رَأْيٌ يَفُلُّ السَّيْفَ وهُوَ حُسَامُ (٥)

دَاوَى بِهِ اللهُ القُلُوبَ مِنَ العَمَى ... حَتَّى أَفَقْنَ وما بِهِنَّ سَقَامُ (٦)

أَصْبَحْتَ يَابْنَ زُبَيْدَةَ بِنْتِ جَعْفَرٍ ... أَمَلًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ اسْتِحْكَامُ (٧)

فَسَلِمْتَ لِلأَمْرِ الذي تُرْجَى لَهُ ... وتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الأَيَّامُ (٨)

---

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبؤس : الفقر . والإعدام كذلك . يصف كرم الممدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل مزدان . ومعنى الشطر الثانى أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذى لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدتها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حمائل السيف التى يعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سماط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة صبيا .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور اذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ سديد .

(٦) عمى القلوب : زيغها وضلالها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجهم بك فلا يخيب رجاؤهم . وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : إن أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

وَلَقَد تَجوبُ بِيَ الفَلَاةَ إِذَا ... صَامَ النَّهَـارُ وقالت العُفْرُ (١)
شَدَنِيَّةٌ رَعَت الحِمَى فَأَتَتْ ... مِلءَ الجِبَالِ كَأَنَّها قَصْــرُ (٢)
تَثْنِي علىالحاذَيْنِ ذَا خُصَلٍ ... تَعْـمَالُه الشَّزَرَانُ والخَطْرُ (٣)
أَمَّا إِذَا رفعتَــهُ شَامِــذَةً ... فتَقُــولُ رَنَّقَ فَوْقَهَا نَسْرُ (٤)
أَمَّا اذَا وَضَعَتْهُ عَارِضَـــةً ... فَتَقُولُ أُرْخِيَ فَوْقَها سِــتْرُ (٥)
وَتَسِــفُّ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهـا ... مُــتَرَسِّمًــا يَقْتَــادُهُ أَثْرُ (٦)
فَإِذَا قَصَرْتَ لَهَا الزِّمَامَ سَمَا ... فَــوْقَ المَقَادِمِ مَلْطَمٌ حُرُّ (٧)

---

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار اذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : « قال الرجل يقيل » اذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى انها لتجوب به الصحراء فى الوقت الذى ينتصف فيه النهار ، وتقيل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلأ أكلته . وحمى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الجبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمتنع على غيرها ، فقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الحاذان : واحدهما حاذ ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصل : جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا ، وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .

(٤) شامذة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالى الأمامية . الملطم : الخد . حر : أصيل .

وقال :

أثنِ علَى الخمــرِ بآلائهـا وسَمِّهـا أحسنَ أسمائِهـا (١)
لاتجعـل المـاءَ لها قاهرا ولا تُسَلطها علَى مائهـا (٢)
كَرْخيَّةٌ قــد عُتِّقت حِقبةً حتى مضَى أكثرُ أجزائِهـا (٣)
فــلم يكَدْ يُدرِكُ خمّـارُها منهـا سِوى آخِرِ حَوبائِها (٤)
دارَتْ فأحيَتْ غيرَ مذمُومَةٍ نفُــوسَ حَرّاهَا وأنْضَائِهـا (٥)
والخمرُ قــد يشربُهـا معشرٌ ليسوا اذا عُدُّوا بأكفائهـا

وقال فى الطَّرَد ينعت كلب الصيد :

لمـا تبَدّى الصبحُ من حِجابِهِ كطَلعةِ الأشمطِ من جِلبابِهِ (٦)
وانعَدلَ الليــلُ الى مآبِهِ كالحبَشى افترَّ عن أنيابِهِ (٧)
هِجنا بكلبٍ طالمـا هِجنا به ينتَسِفُ المِقوَد من كَلّابِهِ (٨)

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محلة ببغداد وغيرها . وعتقت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن ، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها . والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) افتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الحبشى (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا . (٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كأنَّ مَتنَيه لَدى انسـلَابِه مَتنا شُجاعٍ لَجَّ فى انسـيابه (١)
كأنَّمـا الأظفورُ فى قِنابِه مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فى نِصابِه (٢)
تَراهُ فى الحُضْرِ إذا هَاهَى بِه يكاد أن يخرجَ مِنْ إهابه (٣)

وكان لأبى نواس صديقة اتصلت بصديق له ، فأنشأ القصيدة الآتية فى مدحه العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور ، وجعل مطلعها معرضا لهذه القصة :

أَيُّهـا المنتابُ عن عُفُـرِهْ لستَ من ليـلى ولا سَمَرِهْ (٤)
لا أذودُ الطيرَ عَنْ شَجَـرٍ قَدْ بَلَوْتُ المرَّ مِنْ ثَمَرِه (٥)
قد لَبِستُ الدهرَ لِبسَ فَتًى أخذَ الآدابَ عَنْ غِيَرِه (٦)
فاتصِلْ إنْ كُنتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَنْ أنتَ مِن وَطَـرِه (٧)
خفتُ مأثورَ الحديثِ غَدًا وغَـدٌ أدنَى لِمنتَظِـرِه (٨)

(١) انسلابه : اسراعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب فى مروقه بالحية المنسابة سرعة وتلويا . (٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض الموسى (اليد) ؛ فالظفر فى أصل المخلب ، كحديدة الموسى فى النصاب .

(٣) هاهى به : زجره . والاهاب : الجلد ؛ أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغاية فى أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون و بضمتين : طول العهد ، ولست من ليلى الخ : لست من سمارى ليلا ، والخطاب لتلك المرأة يبرأ منها وان كان فى الظاهر لمذكر اذ المقصود الشخص . (٥) البيت تمثيل ، يقول : لا أحميك بعد خيانتك .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصلات ، أى اتصلى بمن يحب الاتصال بك دونى . (٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

خابَ من أسرَى إلى بَلَدٍ غيرِ معلومٍ مَدَى سَفَرِه (١)
وسِّدَتْهُ ثِنْىَ ساعِدِه سِنَةٌ حلَّت إلى شُفُرِه (٢)
فامض لا تَمْنُن علَىَّ يَدًا، مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِه (٣)
رُبَّ فِتيانٍ رَبَأْتُهُمُ مَسقَطَ العَيُّوقِ مِن سَحَرِه (٤)
فاتَّقَوا بِى ما يَرِيبُهُمُ إنَّ تَقوَى الشَّرِّ مِنْ حَذَرِه (٥)
وابنِ عَمٍّ لا يُكاشِفُنَا قَد لبِسناهُ علَى غَمَرِه (٦)
كَمَنَ الشنْآنُ فيه لنَا ككُمُونِ النارِ فى حَجَرِه (٧)
ورُضابٍ بِتُّ أَرشُفُه يَنقَعُ الظمآنَ مِن خَصَرِه (٨)
عَلَّنيهِ خُوطُ أسحِلَةٍ لانَ مَتناهُ لمُهتَصِرِه (٩)

(١) الأشبه أن يكون هذا البيت تمثيلا لحاله معها اذ اتصل بها دون أن يتبصر فى العواقب فخانته . وأسرى : سافر . والمدى : الغاية والنهاية .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهـذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثانى أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربأتهم : حرستهم فكنت لهم ربيئة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الثريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربأتهم فى الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يتحدث عن نفسه .

(٥) يريبهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنآن : البغض . وكمن : استتر ، فالبغض كامن فى نفسه مثل كون النار فى الحجر .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد و يسق . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنيه : سقانيه مرات ، والخوط : الغصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد إسحل : شجر عظيم ينبت بأعالى نجد . والمهتصر : الذى يجذب الغصن (مثلا) و يميله .

ذَا ، ومُغْــبرٍّ مَخَـارِمُه تَحسِرُ الأَبصارُ عن قُطُـرِه (١)
لا ترى عينُ البَصيرِ بِه مَا خلَا الآجالَ من بَقَـرِه (٢)
خاضَ بِي لُجَّيـهِ ذو جَرَزٍ مُقفِـرُ الصُّقلَينِ من ضُمُرِه (٣)
يكتسِي عُثنــونُه زَبَدًا فتَصِــيلاهُ إلى نُخَـرِه (٤)
ثم يَعــتَمُّ الحِجاجُ بِهِ كاعتمامِ الفُـوفِ فى عُشَرِه (٥)
ثم تذرُوهُ الرِّياحُ كما طارَ قُطنُ النَّدفِ عن وَتَرِه (٦)
ذُلِّلَت تلكَ الفِــجاجُ لَه فهو مُجتـازٌ علَى بَصَـــرِه (٧)
كُلُّ حاجَاتِي تَناوَلهـا وهو لم تُنقَضْ قُوَى أَشَرِه (٨)
ثم أدنَانِي إلى مَـلِكٍ يأمنُ الجَانِي إلَى حُجَرِه (٩)

(١) ذا ، أى فعلت هـذا الذى ذكر ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحسر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصـير به : من يعرفه . والآجال : جمع إجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعيرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطخ به مشافر الفـرس . وتصيلان : مثنى تصـيل : حجر مستطيل يدق به يشبه به لحى الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحييه ويحيط بخرق أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والعشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذروه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر يهدى بصيرته .

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السـير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الحبل . ونقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجئ إليه . والحجر : حضن الإنسان .

تأخذُ الأيدى مظالِمها ثم تستذرى إلى عَصَره (١)
كيفَ لا يُدنيكَ مِن أمَلٍ مَن رسولُ اللهِ مِن نَفَرِه (٢)
فاسلْ عن نوء تُؤمِّلُه حسبُك العباسُ مِن مَطَرِه (٣)
مَلِكٌ قَلَّ الشبيهُ لهُ لم تقعْ عينٌ على خَطَرِه (٤)
لا تَغَطَّى عنهُ مَكرُمَةٌ بِرُبًا وادٍ ولا خَمَرِه (٥)
سَبقَ التفريطَ رائدُهُ وكفاهُ العينَ مِن أَثَرِه (٦)
وإذَا مَجَّ القَنا عَلَقًا وتَراءَى الموتُ فى صُوَرِه (٧)
رَاحَ فى ثِنْيَى مُفَاضَتِه أَسَدٌ يَدمَى شَبَا ظُفُرِه (٨)

(١) تستذرى : تلتجئ . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدى مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم و يقصدون إليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .

(٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الممدوح إلى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .

(٣) النوء : النجم يمطر الناس إبان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .

(٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .

(٥) لا تغطى : لا تختفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يستترك من شجر وغيره ، أى لا يترك مكرمة إلا فعلها .

(٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وأرسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : إن العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل و يعرف ببصيرته المستور . ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة .

(٧) مج : لفظ ورمى . والقنا . الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعين بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .

(٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ما كف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : إنه يعود من الحرب مدرعا كالأسد وقد احمرت شباته من دماء الأعداء .

تتأبى الطـــيرُ غـــدوتَهُ ثقةً بالشِّبعِ من جزره(١)
وترى السـاداتِ مائـــلةً لسَـليل الشمس من قمره(٢)
وكريمِ الخـالِ من يمنٍ وكريمِ العمِّ من مُضَره(٣)
فهـمُ شــتّى ظنونهـمُ حذرَ المكنونِ من فكره(٤)

(٧) أبانُ اللاحقيّ (٥)

من قوله يمدح الرشـيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم فى الخـلافة دون بنى علىّ رضى الله عنهما :

نَشَدتُ بحقِّ اللهِ من كانَ مُسلِمًا أَعَمَّ بما قد قلتُــهُ العجمَ والعَــرَبْ (٦)
أعمُّ رسُــولِ اللهِ أقربُ زُلفَـــةً لديه أمِ ابنُ العمِّ فى رتبـــةِ النَّسبْ (٧)

---

(١) تتأبى : تتعمد وتنتظر. والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قمره للدوح . (٣) الممدوح : خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة متنوعة يقول : إن السادات متنوعو الأفكار عما يضمره هو بالنسبة لهم وما يقضى فى شئونهم مخافة منه وإجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحقى من الشعراء السياسيين الموالى المتعصبين للفرس على العرب فى مداراة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشـيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبى حفصة وسواهما توفى سنة ٢٠٠ ﻫ .

ويمتاز شـعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمى ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة . (٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القربة . يستحلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرســول صلى الله عليه وسـلم أقرب اليه فى درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وبِعَهْدِهِ ... وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبْ (١)

فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكُمُ ... وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى سَبَبْ

فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمُ يَرِثُونَهُ ... كَمَا العَمُّ لِابْنِ العَمِّ فِي الإِرْثِ قَدْ حَجَبْ (٢)

وبعث بهذه الأبيات الى الفضل بن يحيى :

يَا عَزِيزَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الجَوْ ... هَرِ مِن آلِ هَاشِمٍ بِالبِطَاحِ (٣)

إِنَّ ظَنِّي، وَلَيْسَ يُخْلِفُ ظَنِّي، ... بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ

إِنَّ مِنْ دُونِهَا لَمُصْمَتَ بَابٍ ... أَنْتَ مِن دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِي (٤)

تَاقَتِ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ ... نَحْوَ بَحْرِ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَاحِ (٥)

ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ الـ ... ـلَّهَ عِنْدَ الإِمْسَاءِ وَالإِصْبَاحِ (٦)

وَامْتَدَحْتُ الأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّـ ... ـهُ بِشِعْرٍ مُشَهَّرِ الأَوْضَاحِ (٧)

---

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق فى الخلافة .

(٢) يقول فى البيتين : إنه اذا كان العباس أحق بالإرث باعتباره العم، وعلىّ مؤخر عنه فى الرتبة، لأنه ابن العم، فالواجب أن ينتقل ما ورثه العباس الى أبنائه، والعم يحجب ابن العم، أى يمنعه من الإرث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظير. والندى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولمكة بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على الممدوح يسير .

(٥) تاقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجارى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضح اسم للغرة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا من بُغْيَــةِ الأَمِيرِ وَكَنْزٌ ... مِن كُنُوزِ الأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحِ (١)

كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ ... نَاصِحٌ زَائِدٌ عَــلَى النُّصَّاحِ

شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخَفُّ مِن الرِّيـ ... ـشَةِ أَوْ مَا يَكُونُ تَحْتَ الجَنَاحِ (٢)

* * *

إِنْ دَعَانِي الأَمِيرُ عَايَنَ مِنِّي ... شَمَّرِيّاً كَالبُلْبُــلِ الصَّيَّاحِ (٣)

(٨) مســلم بن الوليــد (٤)

قال :

إِذَا المرءُ لم يَبْذُلْ مِن الوُدِّ مثلَ مَا ... بَذَلْتُ لـــهُ فاعلَمْ بأَنِّى مُفَــارِقُهْ

فَلَا خَــيرَ فى وُدِّ امرئٍ مُتَكَارِهٍ ... عَلَيْكَ، ولَا فى صَاحِبٍ لا تُوافِقُه

وقال :

دلَّتْ على نفسِها الدُّنيَا، وَصَدَّقَها ... مَا اسْتَرجَعَ الدهرُ مِمَّا كانَ أعطَانِى (٥)

ما كنتُ أَدَّخِرُ الشَّكْوَى لِحَـادِثَةٍ ... حَتَّى ابْتَلَى الدهرُ أسْرَارِى فأشْكَانِى (٦)

---

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطنعه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده . (٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون تحت الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضى فى الأمور . والبلبـل : طائر صغير الجسم حسن الصوت يضرب به المثل فى حسن الصوت .

(٤) نشأ صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره وممن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى رمى بإفساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث معرقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ . (٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابى الذى استرجعته منى الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابى شكوت . والأسرار هنا : ما يضن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دِعْبِل بن علي الخُزَاعي الشاعر :

أما الهِجاءُ فـدَقَّ عِرضُـكَ دُونَهُ والمـدحُ عنكَ كما علمتَ جليـلُ (١)
فَاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرضكَ إنَّهُ عِرضٌ عززْتَ به وأنتَ ذليـلُ (٢)

ومن قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبي :

لا تَدْعُ بِي الشوقَ إنى غَيْرُ معمُودِ نهى النُّهَى عن هَوَى البيضِ الرعَاديدِ (٣)

* * *

مُوَحَّدُ الرأيِ تَنْشَقُّ الظنونُ لَهُ عَن كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْها ومعْقُودِ (٤)
كالليثِ بل مِثْلُهُ الليثُ الهَصُورُ إذا غَنَّى الحـديدُ غِناءً غيرَ تَغْـريدِ (٥)
يلقَى المنيـةَ فى أمثَـالِ عُدَّتِهـا كالسيل يَقْـذِفُ جُلمودا بجُلْمُودِ (٦)
نَفْسِي فِـداؤُكَ يَا داودُ إذ علِقَتْ أيدى الرَّدَى بنَواصِي الضُّمَّرِ القُودِ (٧)
تجُودُ بالنفسِ إن ضَنَّ الجوادُ بِهَا والجودُ بالنفسِ أقْصَى غَايةِ الجُودِ

(١) دق : صغر فلا تحتمل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو و بذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه والواقع أنك ذليل .

(٣) لا تدع بى الشوق : لا تنسبنى إليه . المعمود : من هده العشق . النهى : جمع نهية بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب . التغريد للطائر : رفع الصوت بالغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر . يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر : جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القـود : جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر إعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

وما أبقتِ الأيامُ منّى ولا الصبا … سوى كَبِدٍ حَرَّى وقلبٍ مُقتَّلِ(١)
ويومٍ من اللذاتِ خالستُ عيشَهُ … رقيبًا علَى اللذاتِ غيرَ مُغفَّلِ(٢)
فكنتُ نديمَ الكأسِ حتّى إذا انقضتْ … تعوضتُ منها رِيقَ حوراءَ عيطَلِ(٣)
نَهانِى عنها حُبُّها أن أريبَها … بسُوءٍ ؛ فلم أفتِكْ ولم أتبتَّلِ(٤)
سقتْنِي بعينَيْها الهوى وسقيتُها ، … فدَبَّ دبيبَ الرَّاحِ فِى كلِّ مَفْصِلِ(٥)
فلمَّا استمرَّتْ مِن دُجى الليلِ دَولةٌ … وكادَ عمودُ الصُّبحِ بالصُّبحِ ينجلِى(٦)
تراءَى الهوى بالشَّوقِ ، فاستحدثَ البُكا … وقالَ لِلذاتِ اللقاءِ : ترحَّلِى(٧)
فلَمْ ترَ إلا عَبرةً بعدَ عَبرةٍ … مُرَقْرَقةً أو نظرةً بتأمُّلِ(٨)

وقال :

يا رُبَّ خِدْنٍ قد قرعتُ جبينَهُ … بالطَّاسِ والإبريقِ حتَّى مالا(٩)
أنهضتُه مِن بعدِ ما أسكرتُه … فمشَى كأنَّ برجلِه عقَّالا(١٠)

(١) الكبد الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل : قتله العشق .
(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . يريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .
(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديدان . العيطل : الطويلة العنق فى حسن .
(٤) أفتك : ابتذل . أتبتل : أمتنع متحرجا . يقول : إن حبى لها أكرم موضعها عندى فلم أسرف ولم أتحرج وإنما كان هو معتدل .
(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .
(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .
(٧) تراءى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .
(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرقة : تدور فى باطن العين .
(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الإناء يشرب فيه . يريد ساقيه الخمر .
(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لا يستطيع المشى لشدة السكر .

* * *

فإذا نَظَرْتَ رأيتَ قومًا سَادَةً ... ونجابةً ومَهابةً وجَمالا
ولَدَيْهِمُ كَرْخِيَّةٌ شمسيَّةٌ ... قد خُلِّيَتْ في دَنِّها أحْوالا(١)
حتَّى إذا بَلَغَتْ، وحانَ خِطَابُها ... سَاوَمْتُ صاحِبَها البِيَاعَ فَغَالَى(٢)
وكأنَّما السَّاقِي لَدَى إبريقِهِ ... بدرٌ أنارَ ضِيَاؤُه فتلالا(٣)
يَسقيكَ بالعيْنَينِ كأسَ صَبابَةٍ ... ويُعيدُهَا من كَفِّه جِرْيالا(٤)
أصْبحتُ كالثَّوبِ اللبِيسِ قد أخْلَقَت ... جِدَّاتُه مِنْه فَعاد مُذَالا(٥)
وبَقيتُ كالرَّجُلِ المُدَلَّهِ عقلُه ... أشْكُو الزمانَ وأضربُ الأمثالا(٦)
سَالَمَت عُذَّالِي فَأَبَوا بالرِّضَا ... مِنِّي، وكنتُ أحارِبُ العُذَّالا(٧)
ولقد علمتُ بأنه ما مِنْ فتًى ... إلّا سَيُبْدَلُ بعدَ حَال حالا

وقال من وَزْن مُوَلَّد :

يأيُّها المعمودُ ... قَدْ شَفَّكَ الصدُودُ (٨)
فأنتَ مُسْتَهامٌ ... حالفَكَ السُّهُودُ (٩)

(١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهي محلة ببغداد . شمسية : أنضجتها الشمس . الدن : وعاء كبير تختزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول ، وهو العام .

(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهي دعوة المرأة للزواج . ساوم المشترى السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد في الثمن وزاد . (٣) تلالا : تلألأ وأضاء .

(٤) الصبابة : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين إحداهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .

(٥) اللبيس : الذى أخلقه كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديدا . مذالا : مهينا مبتذلا .

(٦) المدله : الذاهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل إذا أسن وخرف .

(٧) العذال : اللائمون . أبوا : رجعوا .

(٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحلك . والصدود هنا : إعراض الحبيب ، يتحدث الشاعر عن نفسه . (٩) المستهام : الذاهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبِيتُ ساهِرًا قَـدْ وَدَّعَكَ الهُجـودُ (١)
وفِي الفُــؤادِ نَارٌ لَيسَ لهـا خُمـودُ
تَشُـبُّها نِيرانٌ من الهَوى وقُـودُ (٢)
إذَا أقــولُ يَومًا قَـدْ أُطفِئتْ تَزِيدُ
يَا عاذِلَيَّ كُفَّا فإنَّنِي مَعمـودُ
أكْثرتُمَا تَفنِيـدِى لو يَنفَعُ التفنيـدُ (٣)
قَد أقْصَدَتْ فُؤادِى خُمْصَانَةٌ خَرِيـدُ (٤)
هِجرانُهـا قَـريبٌ ووَصلُهـا بَعِيـدُ

* * *

مَن لامَ فى هـواها فنُصـحه مَردودُ
يا سِحـرُ واصِلينِي فإنَّـنى عَميـدُ (٥)
إنِّى لِمَـا أُلاقِي من حُبِّكُمْ مجهـود
جُـودِى لِمُستَهامٍ عَـذَّبَه التَّسـهِيدُ
نَسهَرُ من هَواكُمْ وأَنـتمُ رُقُـودُ
حَتَّى مَـتَى مُنَـاىَ لا يُنجَـزُ الموعـودُ
صَارَ الهـوَى بِقَلْبي يُبْـدِى كما يُعيـدُ

---

(١) الهجود : النوم .
(٢) تشبها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .
(٣) التفنيد : اللوم .
(٤) أقصدت فؤادى : طعنته . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحيية .
(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

* * *

وَسَادَةٍ سَـــراةٍ ... مافيهـمْ مَسُــودُ (١)

كُلُّهـمْ جَلِيــدٌ ... مَافِيهــمْ حَرِيدُ (٢)

بَانَ السَّفَاهُ عَنْهـمْ ... فَرأيُهــمْ سَــدِيدُ (٣)

يُسْقَوْنَ صَفْوَ راحٍ ... لَذيذُها مَوجـــودُ

كانتْ بِعهـدِ نُوحٍ ... وهُمْ لهـا جُنُــودُ (٤)

حتَّى إذَا أُبِيـــدُوا ... أُورِثَهـا ثَمُــودُ (٥)

شَمْسِـيَّةٌ شَمُــولٌ ... شَـيطانُهـا مَرِيدُ (٦)

مُدَامَـــةٌ لهَـا فِي ... خُـدودِنَا تَورِيدُ

كأنَّ شَارِبِيهَـا ... فِي سُـوقِهِمْ قُيُـودُ (٧)

حتَّى انثَنَتْ عُيُـونٌ ... واحمرَّتِ الخُـدُودُ

فى مَجلِسٍ نَضِيــرٍ ... يَزِينُـهُ الشُّـهودُ (٨)

---

(١) السراة : جمع سرى، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت إلينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول : خمر أو باردها . المريد : المتمرد الخبيث، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم، يقول : إن شاربيها أقعدهم السكر فكأنهم مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطارِفٌ كِرَامٌ   بِيضُ الوُجوهِ صِيدُ (١)
مِنْ فَوقِهِم أطيارٌ   صِيَاحُهَا تَغْرِيدُ
وتَحتَهُمْ جِنَانٌ   نَبَاتُهَا نَضِيدُ (٢)
وعِنْدَهُمْ دِفَافٌ   وزَامِرٌ وعُودُ (٣)
خَاضُوا بِبَحْرِ قَصْفٍ   تجرِى لَهُ مُدُودُ (٤)
حَتَّى انتَشَوا وقَامُوا   مَجْلِسُهُمْ مَحْمُودُ
مَنْ نَالَ مِثلَ هذَا   فإنَّهُ سَعِيدُ
هَذَا الخُلودُ عِنْدِى   لَوْ دَامَ لى الخُلودُ

وقال :

أَدِيرِى عَلَىَّ الراحَ سَاقِيَةَ الخَمْرِ   ولاتَسأليِنِى واسألِى الكَأسَ عن أمرِى (٥)
كأنَّكِ بِى قَدْ أظهرَتْ مُضْمَرَ الحشَا   لَكَ الكَأسُ حَتَّى أَطْلَعَتكِ عَلَى سِرِّى (٦)
وقَدْ كُنتُ أَقْلِى الرَّاحَ أن يَستَفِزَّنِى   فَتَنْطِقَ كَأسٌ عَن لِسانِى ولا أدرِى (٧)

(١) غطارف : جمع غطرف وغطريف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى اذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك تريني وقد اطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب أو الصدر مما هو مكان السر، والسكران لا يعى شيئا فلا جرم أن يبوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفنى لذهاب وعيي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى فيظهر سرى دون أن أشعر .

وَلكنَّنى أعْطيتُ مِقْوَدِى الصِّبَا فَقَادَ بَنَاتِ اللهوِ مَخْلوعَةَ العُذْرِ (١)

إذَا شِئتُ غَادانِى صَبُوحٌ مِنَ الهوى وإن شِئتُ مَا سَانِى غَبُوقٌ من الخمرِ (٢)

ذَهبتُ وَلَمْ أُحدِدْ بعَينِى نَظرةً وأيقَنتُ أنَّ العينَ هَاتِكةُ سِتْرِى (٣)

جَعلنَا عَلَاماتِ المَودَّةِ بَيننا مَصَايِدَ لَحْظٍ، هُنَّ أخْفَى من السِّحْرِ (٤)

فأعرِفُ منهَا الوصلَ فى لِين طَرفِهَا وأعرِفُ منهَا الهجرَ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ (٥)

وفى كُلِّ يَومٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا أبِيتُ عَلَى ذَنْبٍ، وأغدو على عُذْرِ (٦)

ومُلْتَطِمِ الأمْواجِ يَرمِى عُبَابُهُ بِجَرجَرَةِ الآذِىِّ لِلعِبْرِ فالعِبْرِ (٧)

مُطَعَّمَةٍ حِيتَانُهُ ما يُغِبُّهَا مَآكِلُ زَادٍ مِنْ غَرِيقٍ ومِن كَسْرِ (٨)

---

(١) العذر : جمع عذار : الحياء، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك فى الغى . يقول : ولكننى عدلت عن بعض الراج، واتبعت دواعى الصبا، فقادنى مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا، وضده الغبوق . وغادانى : باكرنى . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفطن لها أحد .

(٥) النظر الشزر : يكون بجانب العين إعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترميني بذنب لم أفعله . وأغدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج : ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سفينة، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الغرقى والأمتعة، يصف النهر بالهول .

إذَا اعتَنَقَتْ فيـهِ الجَنوبُ تكفَّأتْ جَوَاريهِ أو قَامَتْ مع الرِّيحِ لا تَجرِي(١)
كأنَّ مَدَبَّ الموجِ في جَنَبَاتِهـا مَدَبُّ الصَّبَا بَينَ الوِعاثِ من العُفـرِ(٢)
كشفْتُ أهَاوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ بِجَارِيَةٍ مَحمُـولَةٍ حَامِلٍ بِكْرِ(٣)
لَطَمْتُ بخَدَّيْهَـا الحَبَابَ فأصبَحتْ مُوَقَّفَـةَ الدَّأيَاتِ مَرثُومةَ النَّحـرِ(٤)
إذَا أقبلَتْ رَاعتْ بِقُنَّـةِ قَرهَبٍ وإن أدبَرَتْ راقَتْ بقَـادِمَتَي نَسرِ(٥)
تَجَافَى بهـا النُّوتِيُّ حَتَّى كأنَّمـا يَسِيرُ مِنَ الإشـفَاقِ فى جَبَلٍ وَعْرِ(٦)
تَخَلَّجُ عَنْ وَجـهِ الحَبَابِ كما انثَنَتْ مُخَبَّأةٌ مِنْ كِسرِ سِتْرٍ إلى سِتْرِ(٧)
أطَلَّتْ بمِجذَافَيْنِ يَعتَـوِرانِهـا وقَوَّمَهـا كَبحُ اللِّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ(٨)

---

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبيــة . تكفأت : انقلبت . والجوارى : السفن ، فالسفن مع تلك الريح تتكفأ أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبا : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحرك الريح بين الرمال فتحمل أجزاءها متنقلة .

(٣) عاد الى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله : هول النهر . محمولة : يحملها الماء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب هنا الموج ، موقفة لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكتف أو غضار يف الصـــدر . مرثومة : بها صبغ من حمرة أو بياض فى مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج فى جانبى السفينة خطوطا خضرا أو حمرا . وهى مرثومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى فى صدر المركب . راقت : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجذافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه . والاشـــفاق : الخوف . يقول : إن النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير فى جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تتنقل فى نواحى البيت وأستاره مستترة .

(٨) يعتورانها : يتـــداولانها . واللجام هنا : سكان المركب يوجه به كما يقاد الفرس باللجام . والدبر : الخلف .

فَحَامَتْ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عُقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرِ (١)
أَنَافَ بِهَادِيهَا وَمَدَّ زِمَامَهَا شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَمِلُ الظَّهْرِ (٢)
إِذَا مَا عَصَتْ أَرْخَى الْجَرِيرَ لِرَأْسِهَا فَمَلَّكَهَا عِصْيَانَهَا وَهْيَ لَا تَدْرِي (٣)
كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ نَسِيمَ الصَّبَا مَشْيَ الْعَرُوسِ إِلَى الْخِدْرِ (٤)
يَمَّمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِأَرْبَعٍ بِجَاءَتْ لِسِتٍّ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ (٥)
فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى الطَّلَاحُ خَفِيرُهَا وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللِّحَاءِ مِنَ الْقِشْرِ (٦)
وَحَتَّى عَلَاهَا الْمَوْجُ فِي جَنَبَاتِهَا بِأَرْدِيَةٍ مِنْ نَسْجِ طُحْلُبِهِ خُضْرِ (٧)
رَمَتْ بِالْكَرَى أَهْوَالُهَا عَنْ عُيُونِهِمْ فَبَاتَتْ أَهَاوِيلُ السُّرَى بِهِمُ تَسْرِي (٨)

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديها : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكأنه حملها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا السفينة تترفق فى مشيها فتشبه فى ذلك مشى العروس إلى خدرها ، وهو ما تستتر به من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها الممدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والإعياء وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الخافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : القشر الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : إن أهوال السفينة منعت ركابها النوم ، فباتوا يسيرون فى أهوال ، والأهاويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تؤمُّ محـــلَّ الراغبـــينَ وحيثُ لا تُـــذَادُ إذا حلّت به أرحُلُ السَّـــفْرِ(١)

ركبْنا إليـــه البحـــرَ فى مُـؤخراته فأوفتْ بنـا من بعـــدِ بحرٍ إلى بحرِ(٢)

(٩) أبو العتـــاهيـــة(٣)

قال :

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أيُّهـا القَلْبُ الجَمُوحُ(٤)

لِدَواعِى الخَـيْرِ والشَّـ ـرِّ دُنُـــوٌّ ونُزُوحُ(٥)

هَـــلْ لمطْلُوبٍ بِذَنْب تَوْبةٌ منـــه نَصُوحُ(٦)

كَيْفَ إصلاحُ قُلُوب إنَّمـا هُنَّ قُـــرُوحُ(٧)

أحْسَنَ اللهُ بِنـا أنَّ الخطَايَا لا تفُـــوحُ

فإذا المَســـتُورُ منَّـا بَيْنَ ثوبَيْــــهِ فَضُوحُ(٨)

(١) تؤم : تقصد أى السفينة . تذاد : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون فى الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) فى مؤخراته : أى فى أواخر ركوبه . يقول إن السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليعا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديد البخل ، غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . و يمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة و يكاد شعره من السهولة يكون نثرا .

(٤) الطرف : العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمور كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصى الآثم . نصوح : صادقة . والاستفهام للتمنى .

(٦) المطلوب بذنب : العاصى الآثم . نصوح : صادقة . والاستفهام للتمنى .

(٧) قروح : جمع قرح . وهو الجرح (الإثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوى .

كَمْ رأيْنا مِنْ عزيزٍ ... طُوِيَتْ عنهُ الكُشُوحُ (١)
صاحَ منهُ برحيلٍ ... صائحُ الدَّهرِ الصَّدُوحُ (٢)
سيصيرُ المرءُ يومًا ... جسدًا ما فيه رُوحُ
بينَ عينَيْ كُلِّ حيٍّ ... عَلَمُ الموتِ يلوحُ (٣)
كُلُّنا في غفلةٍ والـ ... ـموتُ يغدو ويرُوحُ (٤)
نُحْ على نفسِكَ يا مسـ ... ـكينُ إن كُنتَ تنوحُ
لتموتَنَّ وإنْ عُمِّـ ... ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ (٥)

ومن قوله :

ألم ترَ رَيبَ الدهرِ في كلِّ ساعةٍ ... لهُ عارضٌ فيهِ المنيَّةُ تلمعُ (٦)
أيا بانيَ الدُّنيا لغيرِكَ تبتَني ... ويا جامعَ الدنيا لغيرِكَ تجمعُ
أرى المرءَ وثّابًا على كلِّ فُرصةٍ ... وللمرءِ يومًا لا مَحالةَ مصرعُ
تباركَ مَنْ لا يملكُ المُلكَ غيرُهُ ... متى تنقضي حاجاتُ من ليس يشبعُ (٧)
وأيُّ امرئٍ في غايةٍ ليس نفسُهُ ... إلى غايةٍ أخرى سواها تَطَلَّعُ

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو ما بين السرة والظهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلا منبوذا .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رحيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أي يحصد النفوس دائبا يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلا .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون في السحاب استعارة مكنية .

(٧) في الشطر الثاني استفهام تعجبي من طمع الإنسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية :

رحَلتُ عن الربع المُحيـل قَعُودى إلى ذى زُحوفٍ جَمَّـةٍ وجنود (١)
وراعٍ يُراعى اللّيل فى حفظ أمّةٍ يُدافعُ عنها الشـرَّ غيرَ رَقودِ
بألويةٍ ، جبريلُ يقـدُم أهلها وراياتِ نصرٍ حَوله وبُنـود (٢)
تَجافَى عن الدنيا وأيقن أنّهـا مفـارقةٌ ليستْ بدار خلود
وشدّ عُرا الإسلام منـهُ بِفتية ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عهـود
هُمُ خَيرُ أولادٍ ، لهمْ خيرُ والدٍ لهُ خيرُ آباء مضَت وجُدود
تُقلِّبُ ألحاظَ المهابةِ بينهـم عيونُ ظِباء فى قلوب أسودِ (٣)
خدودهمُ شمسٌ أتَتْ فى أهِـلّةٍ تبـدّت لراءٍ فى نجُوم سـعود (٤)

وقال :

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أبٍ وجَدّ ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المَجْدِ
ما الفَخْرُ إلا فى التُّقَى والزُّهْدِ وطاعةٍ تُعْطِى جِنَانَ الخُلْدِ
لا بدَّ من وِرْدٍ لأهْلِ الوِرْدِ إما إلى ضَحْلٍ وإمّا عِـدّ (٥)

---

(١) القعود : الجمل الفتى يقتعده الراعى فى كل حاجة ورحلته ركبته . المحيل : الدارس . الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول إن لهم عيونا كعيون الظباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسود جرأة ، ولعيونهم ألحاظ تبعث الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعدّ : الماء الذى له مدد لا ينقطع .

وقال :

أيُّ عيش يكونُ أبلغَ من عيـ ـشٍ كَفافٍ قوتٍ بقدرِ البَلاغِ (١)
صاحبُ البَغيِ ليس يَسلَمُ منه وعلى نفسِـهِ بَغى كُلُّ باغِي
رُبَّ ذي نعمةٍ تعرَّضَ منها حائلٌ بينه وبينَ المساغِ
أَبلَغَ الدهرُ في مَواعِظه بل زَادَ فيهنَّ لي عَلَى الإِبْلاغِ
غَبَنَتْني الأيامُ عَقْـلِي ومالِي وَشَبابِي وصِحَّتِي وفَراغِي

وقال :

لِدُوا للموت وابْنُوا للخَرابِ فكُلُّكُمُ يصيرُ إلى تَبَابِ (٢)
أَلا يا موتُ لم أرَ منكَ بُدًّا أَتَيْتَ وما تَحِيفُ وما تُحَابِي
كأنكَ قد هَجَمْتَ على مَشيبي كما هَجَمَ المشيبُ على شَبَابِي

وقال في الغزل :

قال لي أحمدُ ولم يَدْرِ مابي أَتُحِبُّ الغداةَ عُتْبَةَ حَقًّا
فتنفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُبَّـ ـا جرى في العروقِ عِرْقًا فعِرْقا
لو تَجُسِّينَ يا عُتَيْبَةُ قَلْبِي لوجدتِ الفؤادَ قرحًا تَفَقَّا (٣)
قد لَعَمْرِي مَلَّ الطَّبِيبُ ومَلَّ الـ ـأهلُ مِنِّي مما أُقَاسِي وأَلْقَى
لَيْتَنِي مِتُّ فاستَرَحْتُ فإنِّي أبدًا ما حَيِيتُ مِنْهُ مُلَقَّى (٤)

---

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .
(٢) التباب : الهلاك .
(٣) تفقأ الجرح : انفتح وسال .
(٤) ملقى : ملاقٍ شره .

جملة من أمثاله :

حَسْــبُكَ مِمَّـا تَبْتَغِيــهِ القُوتُ ما أكثَرَ القـوتَ لمن يَمُوتُ

* * *

الفقـــرُ فـيما جاوز الكَفَافَا مَن اتَّــقَى ٱللهَ رَجَا وَخَافَا

* * *

هى المقـادير فلُمْــنِى أو فَــذَرْ إن كُنْتُ أخطأتُ فما أَخْطَا القَدَرْ

* * *

ما ٱنْتَفَــعَ المرءُ بمثــل عَقْـلِهِ وخَيْرُ ذُخْرِ المـرءِ حسنُ فِعْــلِهِ

* * *

إن الشـــبابَ والفراغَ والجِـدَه مَفْسَــدَةٌ للمـرءِ أىُّ مَفْسَــدَه

* * *

ما زالتِ ٱلدنيـا لنا دَارَ أَذَى مَمْزُوجَةَ الصَّـفْوِ بألوان القَـذَى

* * *

الخـــيرُ والشـــرُّ بهـا أزواجُ لــذا نِتَـاجٌ ولــذا نتـاجُ

* * *

من لك بالمَحْضِ وليس مَحْضُ يَخْبُثُ بَعْضٌ و يطيب بَعْضُ

* * *

إنك لــو تَسْــتَنْشِق الشَّحِيحَا وجــدته أنتنَ شىءٍ ريحَـا

* * *

والخـــير والشر إذا ما عُــدَّا بينهما بَوْنٌ بعيــدٌ جــدا

(١٠) أبو تمام[1]

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد، ويذكر فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ[2]

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ[3]

وَالعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ[4]

أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ؟

تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ[5]

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائى نسبة الى قبيلة طيء . ولد فى قرية جاسم من بلاد حوران بالشام، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الأدب، وأكثر من حفظ الشعر، قصيده وأراجيزه، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم سائر شعراء عصره . و يمتاز فى شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء : جمع نبأ ، وهو الخبر يقول : إن السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها فى هذا الأوان ، وقالوا إنا نجد فى الكتب أنها لا تفتح إلا فى وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : إن السيوف البيضاء هي التى تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الأرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هى : الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : إن العلم الحق إنما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والنبع : شجر صلب ، ينبت فى رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو ، ينبت على الأنهار ، أى أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل لها .

عَجَائِبًا زَعَمُوا الأيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ(١)
وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
وَصَيَّرُوا الأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرَتَّبَةً ... مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ(٢)
يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ ... مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ(٣)
لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالأَوْثَانِ وَالصُّلُبِ
فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ
فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشُبِ
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنْكَ الْمُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ(٤)
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ ... وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ(٥)
أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا ... فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ(٦)
وَبَرْزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا ... كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ(٧)

(١) يقول: إنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير.

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام — أربعة منقلبة — وهي الحمل والسرطان والميزان والجدى، وأربعة ثابتة، وأربعة ذوات جسدين. ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع فى برج ثابت فعلوه وان كان فى منقلب لم يفعلوه.

(٣) يقول: إن النجوم نفسها غافلة عما يحدثون به و يأفكون.

(٤) المنى: ما يتمناه الإنسان. وحفل: جمع حافل، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها. والحلب: الحلبة من اللبن، ومعسولة: حلوة. يقول: إن أمانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقق ما أملت.

(٥) الصبب: الانحدار.

(٦) يقول: إن عمورية كانت عزيزة عليهم كأمهم، و إنها كانت ركنا عظيما من أركانهم.

(٧) البرزة: الحسنة الوجه: الفائقة فى الجمال. وكسرى: ملك فارس. وأبو كرب: ملك من ملوك التابعة باليمن. يقول: إن عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب.

مِنْ عَهْدِ إسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ... شَابَتْ نَوَاصِى اللَّيَالِى وَهْىَ لَمْ تَشِبِ

بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ... وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ

حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللهُ السِّنِينَ لَهَا ... مَخْضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحِقَبِ(١)

أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً ... مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرَبِ(٢)

جَرَى لَهَا الْفَأْلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ ... إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحَبِ(٣)

لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ(٤)

كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ... قَانِى الذَّوَائِبِ مِنْ آنِى دَمٍ سَرِبِ(٥)

بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّىِّ مِنْ دَمِهِ ... لَا سُنَّةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ(٦)

لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ(٧)

غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ(٨)

---

(١) مخض اللبن : خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفى ما فى اللبن من زبدة . يقول : إن الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة : متحيرة والضمير فى منها واسمها يرجع على عمورية . يقول : إن الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها فى حروبهم .

(٣ و ٤) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤما على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قانى الذوائب : أحمر الضفائر . والآنى : الحار جدا . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما من النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : إن الليل المظلم صار نهارا باشتعال النيران التى كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ … عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّـمْسَ لَمْ تَغِبِ

ضَـوْءٌ مِنَ النَّـارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ … وَظُلْمَـةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

فَالشَّمْسُ طَالِعَـةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ … وَالشَّـمْسُ وَاجِبَـةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ(١)

تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا … عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ(٢)

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى … بَانٍ بِأَهْـلٍ وَلَمْ تَغْـرُبْ عَلَى عَزَبِ(٣)

مَا رَبْعُ مَيَّـةَ مَعْـمُورًا يُطِيفُ بِهِ … غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ(٤)

وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَـلٍ … أَشْهَى إِلَى نَاظِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ(٥)

سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّـا الْعُيُونُ بِهَـا … عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ(٦)

وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْـدُو عَوَاقِبُـهُ … جَاءَتْ بَشَاشَـتُهُ عَنْ سُـوءِ مُنْقَلَبِ

لَمْ يَعْـلَمِ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ … لَهُ الْمَنِيَّـةُ بَيْنَ السُّـمْرِ وَالْقُضُبِ

تَدْبِـيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِـمٍ … لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللهِ مُرْتَقِـبِ

---

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول : إن النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهي لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .

(٢) تصرح : تكشف . يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعني بطهره ما كان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب ديني ، ويعني بجنابته ما كان فيه من سبي وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التي أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر في التراب .

(٦) يقول : إن منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل في العيون من منظر جميل .

وَمُطْعَمِ النَّصرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ (١)

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ (٢)

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَاللهُ مِفْتَاحُ بَابِ المَعْقِلِ الأَشِبِ (٣)

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ (٤)

أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ القَنَا السُّلُبِ

إِنَّ الحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ (٥)

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ الكَرَى وَرُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ (٦)

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ المُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الحَصِبِ (٧)

---

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق . وكهمت أسنته : كلت . (٢) نهد الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بأمن إذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : إن السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية . والرضاب : الريق . والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحببة لزوجها .

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو . والثغور الثانية : أسنان الحسان . وسلسالها : ريقها . الحصب : العذب .

أَجَبْتَــهُ مُعْلِناً بالســيف مُنْصَلِتاً ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَــيْرِ السَّــيْفِ لَمْ تُجِبِ(١)

حتى تَرَكْتَ عَمُــودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِرا ... ولم تُعَــرِّجْ عــلى الْأَوْتَادِ والطُّنُبِ

لَمَّـا رأَى الْحَرْبَ رَأْىَ الْعَيْنِ تَوفَلِسٌ ... والْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ(٢)

غَــدَا يُصرِّفُ بِالْأَمْــوَالِ جِرْيَتَها ... فَعَــزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والْحَــدَبِ(٣)

هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ ... عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزوِ مكتسبِ

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُــرْبِى لِكَثْرَتِهِ ... عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فَقْــرٌ إِلَى الذَّهَبِ(٤)

إِنَّ الأُسُــودَ أُسُــودَ الغَابِ هِمَّتُهَــا ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِى الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

وَلَّى وَقَــدْ أَلْجَمَ الْخَطِّىُّ مَنْطِقَــهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَــا الأَحْشَــاءُ فِى صَخَبِ(٥)

أَحْذَى قَرَابِينَه صَرْفَ الردى وَمَضَى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ(٦)

مُوَكَّلا بِيَفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُــهُ ... مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ(٧)

إن يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فقــد ... أَوْسَــعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحطبِ(٨)

---

(١) الضمير فى أجبته يعود على الصوت الزبطرى ، وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم . والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول إن توفلس آخذ يرشى بالمال ليدفع عنــه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب . ويعنى بالبحر الجيش العظيم . وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير فى ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير فى ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أحذى : أعطى . وقرابينه : أى المقربين له . يقول : إن توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الدهر وفر هو على أسرع مطاياه وأنجبها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : إن فر توفلس من حرّ النار فرار النعام فذلك لأنك أضرمت نارا لا عهد له بها .

تِسْعُونَ أَلْفاً كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالعِنَبِ (١)
يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ ... طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِالمِسْكِ لَمْ تَطِبِ (٢)
وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ ... حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ
والحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِجٍ ... تَجْثُو الكُمَاةُ بِهِ صُغْراً عَلَى الرُّكَبِ (٣)
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ ... وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ (٤)
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا ... إِلَى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ (٦)
بِيضٌ اذا انْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ ... أَحَقَّ بِالبِيضِ أَبْدَاناً مِنَ الحُجُبِ (٧)
خَلِيفَةَ اللهِ ! جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ وَالحَسَبِ
بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ (٨)

---

(١) يقول : إن جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفى هذا تهكم بقول المنجمين الذى ذكر فى أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولجج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : إن قطع الرقاب كان سببا فى فتح عمورية والضمير فى بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلتة : مشهورة . والقضب الثانية : الغصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغماد . يقول : إن هذه السيوف أحق أن تغمد فى صدور الأعداء البيض أبدانا من أن تغمد فى جرابها . (٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا ... وَبَيْنَ أَيَّامِ « بَدْرٍ » أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَاسْمِهِمِ ... صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ الْعَرَبِ(١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب .

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ(٢)
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ(٣)
عَلَى كُلِّ مَوَّارِ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ ... عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهْ(٤)
رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً ... رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ(٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كُلَّمَا ... هَبَطْنَا مَلًا صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهْ(٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ ... وَآمِلُهُ غَادٍ عَلَيْهِ فَسَالِبُهْ(٧)

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلا . يقول : إن هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهي كور الجمال التي تشبه الأسنة في الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته .

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أي أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ولكن ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كناية عن الضمور .

(٥) الفيافي : فلوات لا ماء بها ، والواو للحال : أي أن هذه الإبل كانت ترعى الفيافي أيام نضارتها وهي الآن ترعاها الفيافي فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضا . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أثنت عليه . والسباسب : جمع سبسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وآمله : طالب العطاء منه : يقول : إنا سرنا إلى من يسلب الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَـدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعِزَازَ كَتَائِبُهْ
سَمَا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ (١)
فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهْ
وَأَيْنَ بِوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا مَرَائِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهْ (٢)
أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ مَهَايِعُهُ الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهْ (٣)
فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرٍ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْيَ مَوَاهِبُهْ (٤)
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ (٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِتَصَرُّفِ الْأَحْرَاسِ (٦)
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ (٧)
الْقَوْمُ ظِلُّ اللهِ أَسْكَنَ دِينَهُ فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ (٨)

---

(١) يريد بجانبي العلا الشجاعة في الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت . وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للشكلات . ومرائى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايع واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأ ومعروف مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول ومعروف السماء : المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم ما رجوا .

(٨) الفرند : رونق الشيء .

هَدَأَتْ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَـــدَ هِمَّتِي وَأَطَـافَ تَقْلِيـــدِى بِهِ وَقِيَامِى (١)
وَالْحَمْـــدُ بُرْدُ جَمَـالٍ اخْتَالَتْ بِهِ غُرَرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدَ لِبَـاسِ
أَبْلَيْتَ هَـــذَا الْمَجْـدَ أَبْعَـدَ غَايَةٍ فِيـــهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنِحَاسِ (٢)
إِقْـــدَامُ عَمْرٍو فِى سَمَـاحَةِ حَاتِمٍ فِى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاءِ إِيَاسِ (٣)
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَـلًا شَرُودًا فِى النَّدَى وَالْبَـاسِ
فَاللهُ قَـــدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُـورِهِ مَثَـلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ (٤)
غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُـــومِى بِالَّذِى أَظْهَرْتَ مِنْ بِرِّى وَمِنْ إِينَـاسِى
عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَبْرَةٍ لَكِنَّـــهُ مِنْ يَاسِ (٥)
أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِى الْفُـــؤَادِ وَإِنَّمَـا أَثَرُ السِّـــنِينَ وَوَسْمُهَا فِى الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

لمـا وَرَدْنا سَاحةَ الحَسَنِ انقضَى عنّـا تعجرُفُ دَولةِ الإمحـالِ (٦)
أحيَـا الرجاء لنـا برغمِ نوائب كثُرتْ بهنَّ مصارِعُ الآمالِ (٧)

(١) يقول : إن همتى استقرت بعد أن أملت أحمد بن المعتصم ، وتقليدى للناس فى السعى اليه وتجار به حققت آمالى .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . والنحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معديكرب ، وحاتم الطائى المشهور بالكرم ، و إياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بنى تميم .

(٤) إشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : إن مشيبى تحوّل إلى شباب ولم يكن مشيبى من كبر ولكنه من يأس ، فلما قصدتك زال همى ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الإمحال : الجدب .

(٧) مصارع . جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أغلى عذارى الشعرِ أن مُهورَها ... عند الكرامِ وإن رُخُصنَ غوالى (١)

تَرِدُ الظنونُ بنا على تصديقِها ... ويُحَكِّم الآمالَ فى الأموالِ (٢)

ورأيتَنى فسألتَ نفسك سَيْبَها ... لِىَ ثم جُدتَ، وما انتظرتَ سُؤالى (٣)

كالغيث ليس له — أُريدَ نوالُه ... أو لم يُرَدْ — بُدٌّ من التَّهطالِ (٤)

وقال فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لكَ القَلمُ الأعلَى الذى بشَباتِه ... تُصابُ من الأمرِ الكُلَى والمفاصِلُ (٥)

لُعابُ الأفاعِى القاتِلاتِ لُعابُه ... وأَرْىُ الجَنَى اشتارَتْه أيدٍ عواسِل (٦)

له ريقةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقعَها ... بآثارِه فى الشرقِ والغربِ وابل (٧)

فَصيحٌ اذا استنطقتَه وهو راكبٌ ... وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجِل (٨)

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التى لم تبتذل .

(٢) يقول : إن ما نظنه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليه فنجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملناه فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتنى فاقتضيت نفسك إعطائى دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشباة : من الزج ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشباة أشكل بالمعنى الذى أراده . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق إلى الحكمة والإصابة حتى لا يقع رأيه فى تدبير الأمور إلا فى الصميم .

(٦) الأرى : عسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعه . واللعاب : الريق . يريد أنه إذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، وإذا رضى كان فى حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وإن لم يصب من المداد إلا يسيرا فان أثره فى شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه إنما يعتمد على رجليه .

اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت عليـــه شِعَابُ الفِكرِ وهى حَوافل (١)
أطاعتـــه أطرافُ القنا، وتَقَوَّضتْ لنجواه تقويضَ الخيـام الجحـافِلُ (٢)
اذا اســتَغْزَر الذهنُ الجلىُّ وأقبلتْ أعاليه فى القِرطاس، وهى أسافِلُ (٣)
وقد رفَدتْهُ الخِنْصرانِ، وسَــدَّدتْ ثلاثَ نواحيـــه الثلاثُ الأناملُ (٤)
رأيتَ جَليــلاً شأنُه وهْوَ مُرهَفٌ ضَـنًى وسَميناً خَطبُــه وهو ناحِلُ (٥)

وقال يرثى محمد بن حُميد الطوسى :

كذَا فليجِلَّ الخطبُ، وليَفْدَحِ الأمرُ فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُــذْرُ (٦)
تُوفِّيت الآمالُ بعـــدَ محمـــدٍ وأصبح فى شُـغلٍ عن السفرِ السَّفْرُ (٧)
وما كانَ إلَّا مالَ مَنْ قـلَّ مالُه وذُخْرًا لمن أمسى، وليس له ذُخر (٨)
وما كانَ يَدرى مُجتدِى جودِ كفِّهِ اذا ما استهلّت أنهُ خُـلِقَ العُسر (٩)

(١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل. واللطاف: الدقاق. والشعاب: جمع شعبة وهى هنا مناحى التفكير. وحوافل: جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة.

(٢) القنا جمع قناة وهى الرمح. وأطرافها أسنانها. والجحافل: جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد.

(٣) القرطاس: ويجمع على قراطيس الورق. ويريد بأعالى القلم أسلته (سنه).

(٤) رفده: أعانه وأمده. ويريد بالخنصرين: الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق العمران على أبى بكر وعمر، والقمران على الشمس والقمر.

(٥) المرهف: المرقق الحاد. الضنى المرض. الخطب الشأن والقدر. الناحل: النحيف.

(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل. والفوادح: النوازل.

(٧) السفر: المسافرون. يقول: إنه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملون إلا فيه. وشغلت الناس الرزيئة فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم.

(٨) الذخر والذخيرة: ما يحفظ لوقت الحاجة.

(٩) اجتدى يجتدى: سأل العطية، والمراد بـ(استهلت) كفه: استدّت، والمعنى أنه كان يجزل العطايا حتى إن سائليه ما كانوا يدرون أن العسر قد خلق.

أَلَا فى سبيلِ اللهِ مَن عُطِّلَتْ له ... فِجَاجُ سبيلِ الله ، وانثغر الثغرُ(١)

فتًى كلما فاضت عيونُ قبيلةٍ ... دمًا ضحكت عنهُ الأحاديثُ والذكرْ(٢)

فتى دهرُه شطرانِ فيما ينوبه ... فَفِي بأسه شطرٌ ، وفى جُوده شطر(٣)

فتًى مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً ... تقومُ مقامَ النصْرِ إذ فاته النصر(٤)

وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفه ... من الضرب،واعتلَّت عليه القَنا السُّمر(٥)

وقد كانَ فَوتُ الموتِ سَهلا فردَّهُ ... اليه الحفاظُ المُرُّ والخُلقُ الوَعْرُ(٦)

ونَفْسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما ... هُوَ الكُفر يومَ الرَّوع أو دُونَه الكفر(٧)

فأثبتَ فى مستنقَعِ الموتِ رِجلَه ... وقال لها: من تحت أَخْمَصِك الحشر!(٨)

غَدَا غُدوةً ، والحمدُ نسجُ رِدائه ... فلم ينصرف إلَّا وأكفانُه الأجر(٩)

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق . وانثغر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : إنه ما من قبيلة دحرت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها إلا ذكره الناس بالفخر لأنه هازمها . (٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : إنه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر .

(٥) مضرب السيف : حده . واعتلت : اعتذرت وتثاقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح ونعتت بالسمرة كما نعتت السيوف بالبياض . يقول : إنه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ما ضرب به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد الأنفة يقول : إنه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمعه فى بطن الوادى . وأخمص القدم ما لا يصيب الأرض من باطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجله الى أن يموت حتى كأن الحشر من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مثوبا مأجورا .

تَرَدَّى ثِيَابَ الموتِ حُمْراً ، فما دَجَا ... لها الليلُ إلا وهْيَ من سُندسٍ خضرُ (١)

كأنَّ بنِي نبهانَ يومَ وفاتِه ... نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ (٢)

يُعزَّون عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا ... ويبكى عليه البأسُ والجودُ والشعرُ (٣)

وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضَى ... الى الموتِ حتى استُشهدا هوَ والصبرُ (٤)

فتًى كان عذبَ الروحِ لا مِنْ غَضاضةٍ ... ولكنَّ كِبراً أن يقالَ به كِبْرُ (٥)

فتًى سلبَتْهُ الخيلُ وهْوَ حِمًى لها ... وبَزَّتْهُ نارُ الحربِ وهْو لها جَمْرُ (٦)

وقد كانتِ البيضُ المآثيرُ فى الوغى ... بواترَ، فهْيَ الآنَ مِنْ بعدِه بُترُ (٧)

أمِنْ بعدِ طَيِّ الحادثاتِ محمداً ... يكونُ لأثوابِ الندى أبداً نَشرُ (٨)

إذا شجراتُ العُرفِ جُذَّتْ أصولُها ... ففى أى فرعٍ يُوجَدُ الورقُ النضْرُ؟ (٩)

لئنْ أُبغِضَ الدهرُ الخئونُ لفقدِه ... لَعهْدِى بهِ ممنْ يُحَبُّ لهُ الدهرُ (١٠)

(١) تردّى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير .

(٢) بنو نبهان : قوم المرثى .

(٣) ثاو : ثوى بالمكان يثوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم فى قبره ما يبرحه .

(٤) استشهد الرجل بالبناء للمجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتيل بالصبر عليه وقد مات ومات معه غريزة الصبر فى قومه واللائذين به .

(٥) الغضاضة هنا بمعنى الذلة . يقول : إنه كان كريم النفس لين الجانب لا من ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال إن فيه تكبرا . (٦) بزّته : يقال بزه ثوبه وابتزه : سلبه .

(٧) المآثير : جمع مأثور . والسيف المأثور : القديم المتوارث . والوغى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت فى حياته حادّة قاطعة فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ وإذ مات لم يبق لها قوة على النضال . (٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .

(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .

(١٠) يريد أن الدهر اذا كره لموته فان الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظائم ومفاخر فى الحياة .

لئن غدرتْ فى الروع أيامُـه به فما زالتِ الأيامُ شيمتُها الغـدر(١)

لئن أُلبست فيـه المصيبةَ طيّئٌ فما عَرِيتْ منها تميمٌ ولا بكر(٢)

كذلك ما نَنْفَكُّ نفقـدُ هالكا يُشاركنا فى فقـده البدو والحضْر

سقى الغيثُ غيثًا وارتِ الأرضُ شخصَهُ وإن لم يكنْ فيه سَحابٌ ولا قَطر

وكيف احتمالى للغيوثِ صَنيعَةً بإسقائها قبراً ، وفى لحـده البحرُ(٣)

مضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى إلا اشتهت أنها قبْر

ثوى فى الثَّرى منْ كان يحيا به الثَّرى ويَغمرُ صرفَ الدهرِ نائـلُه الغمْر(٤)

عليكَ سلامُ الله وقفًا فإننى رأيتُ الكريمَ الحـرَّ ليسَ لهُ عمرُ

(١١) دِعْبِل(٥)

قال :

أينَ الشبابُ ؟ وأيَّةً سلكا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا(٦)

لا تعجَبِي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضحِك المشيبُ برأسِه فبَكى(٧)

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيء وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) تميا وبكرا .

(٣) كيف احتمل للطر جميلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا . (٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبل بن على بن رزين يمنى من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء ، خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ، فعاش مكروها مرهوبا حتى توفى سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذى الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريئة فى وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله إلى الإرهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أى سبيل . (٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يا ليت شـعرى كيفَ يومُكما   يا صاحِــبَىَّ إذا دَمِى سُــفِكا
لا تأخذا بظُــلامتِى أحــدًا ؛   قلبى وطرْفِى فى دمى اشــترَكا (١)

ومن قوله يَرثى ابنَ عم له من خُزاعةَ :

كانتْ خُزاعةُ مِلءَ الأرض مااتَّسعَتْ   فَقصَّ مَرُّ الليـالى من حَواشــيها(٢)
هذا أبو القاسِم الثـاوى بِبَلْقَعَــةٍ   تَســفِى الرياحُ عليــه من سَوافيها(٣)
هبَّتْ وقد عَلِمَتْ أنْ لا هُبوبَ بِهِ   وقــد تكونُ حَســيرا إذْ يُبَارِيها(٤)
أَضحى قِــرًى للنـايا إذ نَزلنَ به   وكان فى سالِفِ الأيام يَقْــرِيها(٥)

وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

أَلَمْ يَأْنِ للسَّــفْرِ الذينَ تحمَّلُوا   إلى وَطنٍ قبلَ المَمـات رُجوعُ (٦)
فقلتُ ولم أملِك سَوابِقَ عَبرةٍ   نَطقْنَ بمـا ضُمَّتْ عليه ضُلوعُ (٧)

---

(١) الظلامة بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشى : الجوانب . والمفرد حاشية .

(٣) الثاوى : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفى بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها فى حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يسرع هو الى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حى يقدم الى الموت ضحايا من قتلاه فى الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأنى : يقرب ويحضر ، والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق برجوع ، والاستفهام للإنكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمعة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والأهل .

تَبَيَّنْ ! فكم دارٍ تفرّقَ شملُها ! وشملٍ شتيتٍ عادَ وهوَ جميعُ (١)
كذاكَ الليالى صَرْفُهنّ كما ترى ؛ لِكُلِّ أُناسٍ جَدْبَةٌ ورَبيعُ (٢)

وكانت مودّةٌ بين دِعبل ومسلم بن الوليد أعقبتها جفوة، فكتب إليه دعبل :

أبا مَخْلَدٍ كُنّا عَقِيدَىْ مَودّةٍ هَوانا وقلبانا جميعاً معاً معا (٣)
أَحوطُكَ بالغيبِ الذى أنت حائطى وأَجْزَعُ إشفاقًا مِنَ أن تَتَوجَّعَا (٤)
فصيَّرتَنِي بعدَ انْتكاثِك مُتْهمًا لِنفسى، عليها أرهبُ الخلقَ أجمعَا (٥)
غَشَشْتَ الهوَى حتى تَداعتْ أُصولُه بِنَا، وابتذلتَ الوصلَ حتى تَقَطَّعَا (٦)
وأنزلتَ من بينِ الجوانحِ والحشَا ذخيرةَ وُدٍّ طالما قد تَمَنَّعَا (٧)
فلا تَلْحَيَنِّى ؛ ليس لى فيكَ مَطمعٌ تَخرَّقْتَ حتى لم أَجِد لك مَرقَعَا (٨)
فَهبْكَ يَمِينِى استأْكَلَتْ فقطعتُها وجشَّمتُ قلبى صَبْرةً فتَشَجَّعَا (٩)

---

(١) الشمل : ما اجتمع من الأمر أو ما تفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالتا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاقد والمعاهد، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لا نتخالف .

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائبا فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك، وأخشى أن تتألم لشىء ما .

(٥) انتكاثك : انصرافك عنى، ومعنى متهم لنفسى الخ : أننى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس جميعا بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتذلت الوصل : امتهنته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما، والمراد بما بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب، أى لا أمل فى إصلاحك .

(٩) يمينى : يدى اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأتكل منه . ومعنى الشطر الثانى : صبرت قلبى على قطيعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وَليس حَيٌّ منَ الأحيـاءِ نَعلمُـه ... مِن ذِي يَمانٍ، ومن بَكرٍ، ومِن مُضَرِ (١)
إلّا وهُمْ شُــركاءُ فى دِمائِهــم ... كما تَشَـارك أَيْسَـارٌ عــلى جُزُرِ (٢)
قَتْـلٌ، وأسرٌ، وتَحريقٌ، ومَنْهبَةٌ ... فعلَ الغُــزاةِ بأرض الروم والخَزَرِ (٣)
أَرَى أُمَيَّـةَ مَعــذورينَ إن قَتَلُوا ... ولا أَرَى لبَني العباسِ من عُذُرِ (٤)
اِربَعْ بِطُوسَ على قبرِ الزَّكِيِّ إذا ... ما كُنتَ تَربَعُ من دِينٍ علَى وطَرِ (٥)
قَبرانِ فى طُوسَ خيرُ الناسِ كُلِّهم ... وقَبرُ شَرِّهم؛ هــذا من العــبَرِ
ما ينفعُ الرِّجْسَ من قُربِ الزَّكِيِّ ولا ... علَى الزَّكِيِّ بِقُربِ الرجسِ من ضَرَرِ (٦)
هيهاتَ! كُلُّ امرِئٍ رهنٌ بما كسبَتْ ... له يداه؛ فخُــذ ما شئتَ أو فَذَرِ (٧)

---

(١) الأحياء : البطون والعشائر، مفردها : حى، والشطر الثانى : بيان للأحياء .

(٢) الأيسار : المقامرون . المفــرد يسر، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للقامرة عليها، يقول اشترك الأحياء فى قتل آل البيت كاشتراك المقامرين فى نحر الجزر .

(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .

(٤) يقول : إن الأمويين معذورون فى قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .

(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبر على الرضا من آل على بن أبى طالب الذى مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغيــة أى إذا كنت محتاجا إلى أداء حق دينى فعرج على ذلك القبر (قبر على الرضا) .

(٦) الرجس : القبيح والقذر .

(٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف ، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر ... فكل امرئ محاسب على ما عمل .

وقال فى آل بيت الرسول :

مَدارِسُ آياتٍ خلَتْ مِن تِلاوةٍ ومنزِلُ وَحْيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ (١)

لِآلِ رَسول اللهِ بالخَيف مِنْ مِنى وبالرُّكنِ والتعريف والجَمَراتِ (٢)

ديارُ علِيٍّ والحُسَينِ وجَعفَرٍ وحمزةَ والسَّجادِ ذى الثَّفِنَاتِ (٣)

ديارٌ عفَاها كُلُّ جَونٍ مُبَادِرٍ ولم تَعفُ للأيامِ والسنواتِ (٤)

قِفَا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أهلُها : مَتَى عَهدُها بالصَّومِ والصلواتِ

وأينَ الأُلَى شطَّت بهم غُربةُ النَّوى أفانينَ فى الآفاقِ مُفتَرِقاتِ (٥)

وما النَّاسُ إلا حاسِدٌ ومُكَذِّبٌ ومُضطغِنٌ ذو إحنَةٍ وتِرَاتِ (٦)

إذَا ذَكَرُوا قَتْلَى بِبَدرٍ وخيبرٍ ويوم حُنَينٍ أسبَلُوا العَبَراتِ (٧)

---

(١) المقفر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام .

(٢) أسماء مواضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكام بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفنات هو على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر فى ثفناته .

(٤) عفاها : محاها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفرده فن . والمعنى أن النوى ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد . والإحنة : العداوة والحقد . والترات جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه إبان الدعوة الى الإسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

* * *

لهـم كـل حين نومة بمضاجع ... لهـم فى نواحى الأرض مختلفات

وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغـاوير يختارون فى السروات(١)

ملامك فى أهـل النبى فإنهـم ... أحباى ماعاشوا وأهـل ثقاتى(٢)

تخـيرتهم رشـداً لأمرى فإنهم ... على كل حال خـيرة الخـيرات(٣)

فيارب زدنى من يقينى بصـيرة ... وزد حبهم يا رب فى حسـناتى

بنفسى أنتم من كهول وفتية ... لفـك عنـاة أو لحمـل ديات(٤)

أحب قصى الرحم من أجل حبكم ... وأهجر فيـكم أسرتى وبنـاتى(٥)

وأكتم حبيكم مخـافة كاشح ... عنيـد، لأهل الحق غير موات(٦)

لقـد حفت الأيام حولى بشرها ... وإنى لأرجو الأمن بعـد وفاتى

ألم ترأنى مـن ثلاثين حجـة ... أروح وأغـدو دائم الحسرات

أرى فيئهـم فى غـيرهم متقسما ... وأيديهم مـن فيئهم صـفرات(٧)

(١) المغاوير : جمع مغوار، وهو كثير الغارات. والسروات : السادات، المفرد : سراة .

(٢) ملامك : أى دع لومك إياى، فى أهل النبى أى فى مدحهم والتعصب لهم.

(٣) الخيرات : جمع خيرة وهى من الشيء أو القوم الأفضل .

(٤) بنفسى أنتم : أفديكم بنفسى . والعناة : جمع عان وهو الأسير. والديات : جمع دية، وهى مايدفع من المال فى دم القتيل، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عمن تلزمه .

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء : القرابة كالرحم . والقصى : البعيد، يقول : أحبكم وإن كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية .

(٦) الكاشح : من يضمر العداوة . الموانى : الموافق والمناصر .

(٧) الفيء : الخراج والغنيمة . وصفرات : خاليات، يريد أن مال الخراج لا يصل إليهم مع أن لهم فيه حقا

قَآلُ رَسولِ اللهِ نُحْفٌ جُسومُهُمْ وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ القَصَراتِ (١)

بَنَاتُ زِيادٍ فى القُصور مَصونَةٌ وآلُ رَسولِ اللهِ فى الفَلَوَاتِ (٢)

إذَا وُتِرُوا مَدُّوا إلى أَهلِ وِتْرِهِمْ أَكُفًّا من الأَوتارِ مُنْقَبِضاتِ (٣)

فَلولا الذِى أرجوهُ فى اليومِ أو غَدٍ تَقَطَّعَ قلبِى إثرَهم حَسَراتِ (٤)

(١٢) على بن الجَهْم (٥)

قال فى الفراق :

يَارَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ بِالبَلَدِ النَّـا زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا (٦)

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالعَيْشِ من بَعْدِه وَلَا انْتَفَعَا (٧)

---

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس ، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شىء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة فى ذلك . ولما اتهم فى أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام فى قافلة تخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائى .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الهَـوَى بجوَى هُوَ الحَقُّ ... ومَلَكْـتَنِي فَلْيَهْنِـكَ الرِّقُّ (١)

رِفْقـا بِقَلْـبِي يَا مُعَـذِّبَهُ ... رِفقًا وليس لظـالِمٍ رِفْـقُ

وإذا رأيتُـكَ لا تُكَلِّمُـنِي ... ضَـاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ والأُفْقُ (٢)

وقال :

اعْلَمِي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّـا ... أَنَّ شَوْقِي إِلَيْكِ قَاضٍ عَلَيَّـا

إنْ قَضَى اللهُ لى رُجُوعًا اليكُمْ ... لا ذَكَرْتُ الفِرَاقَ ما دُمْتُ حيًّا

إنَّ حَرَّ الفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْـمِي ... وَكَوَى القَلْبَ مِنِّيَ الشَّوْقُ كَيًّا

وقال :

لَأَكْتُمَنَّ الذى فى القلبِ من حُرَقٍ ... حتَّى أَمُوتَ ولم يَعْـلَمْ بِهِ النَّـاسُ

وَلا يُقَالُ شَـكَا مَن كَانَ يَعْشَـقُهُ ... إنَّ الشَّكَاةَ لِمَنْ تَهْوَى هِيَ اليَـأْسُ (٣)

وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ ... عِنْدَ الجُلُوسِ إذَا ما دَارَتِ الكَاسُ (٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْـدَكَ لم تَنْظُرْ الى حَسَنٍ ... والنَّفْسُ بَعْدَكَ لم تَسْكُنْ الى سَكَنِ (٥)

كَأَنَّ نَفْسِي إذَا مَا غِبْتَ غَائِبَـةٌ ... حَتَّى إذا عُدْتَ لِي عادَتْ إلى بَدَنِي (٦)

(١) الجوى : شدّة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يُهنئ معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبداً .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ماسا الأرض . (٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول إنه لا يبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى بجلاسه إذا شربوا الخمر على الرغم من أن الخمر تحل عقد الألسن ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف : البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والدال : الجسم .

وكتب من حبسه الى الخليفة المتوكل يستغيث به و يسأله العفو :

أَقِلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لم يَزَلْ ... يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى (١)
وَيَغْذُوكَ بالنِّعَمِ السَّابِغَا ... تِ وَلِيدًا وذا مَيْعَةٍ أَمْرَدَا (٢)
وَتَجْرِى مَقَادِيرُهُ بِالذِى ... تُحِبُّ الى أنْ بَلَغْتَ المَدَى (٣)
وَيُعْلِيكَ حتى لَوَانَّ السَّمَاءَ ... تُنَالَ لَجَاوَزْتَهَا مُصْعِدَا (٤)
فَشُكْرًا لأَنْعُمِهِ إنَّهُ ... إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا (٥)
وعَفْوَكَ عن مُذْنِبٍ خَاضِعٍ ... قَرَنْتَ المُقِيمَ به المُقْعِدَا (٦)
إذا ادَّرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى به ... الى الصُّبْحِ مِن قَبْلِ أن يَرْقُدَا (٧)
عَفَا اللهُ عَنْكَ أَلَا حُرْمَةٌ ... تَعُوذُ بِفَضْلِكَ أَنْ أُبْعَدَا (٨)

---

(١) أقاله : صفح عنه . والردى : الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسابغات : الواسعات . وليد : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوّله . والأمرد : الشاب الذى لم تنبت لحيته . يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد الى أن صارفتى .

(٣) المدى : الغاية . وفى هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : إن المقادير مازالت تجرى بكل ما يحب حتى وصل الى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل اليها . و يقال أصعد فى الأرض فهو مصعد ذهب من أرض الى اعلى منها . والمراد هنا مجرّد الارتفاع .

(٥) الأنعم بسكون النون: جمع نعمة . والشاعر فى عجز البيت يلمح الى قول الله تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذى يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس . والمراد بادراع الليل الدخول فيه . وأفضى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعوذ عياذا ومعاذا بفتح الميم : لجأ اليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ ولم أعْتَمِـدْ   لَأَنْتَ أَجَـلُّ وأَعْلَى يَدَا (١)
أَلَمْ تَرَ عَبْـدًا عَدَا طَـوْرَهُ   وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِـيدًا هَـدَى (٢)
ومُفْسِـدَ أَمْـرٍ تَلافَيْتَـهُ   فَعَادَ فَأَصْـلَحَ ما أَفْسَـدَا (٣)
فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيما أَمَرْ   تَ حتى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَـدَا (٤)
وإِلَّا فَخَـالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ   وخُنْتُ الصَّـدِيقَ وعِفْتُ النَّدَى (٥)

وقال يذم مغنيا :

كُنتُ فى مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغَنِّى الـ   ـقومِ كَم بيْنَنَا و بين الشِّـتَاءِ
فَذَرَعْتُ البِسَـاطَ مِنِّى اليهِ   قُلْتُ هذا المِقْدَارُ قَبلَ الغِناءِ (٦)
فَاذَا مَا عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَّى   آذَنَ الحرُّ كُلُّهُ بِانْقِضَاءِ (٧)

---

(١) لم أعتمد : لم أعتمده ، أى لم أقصده . واليد : المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد أنه سيقيم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء يعافه : كرهه فتركه . يقول إنه بعد هـذا العهد إذا خرج عن طاعة الخليفة فقـد عصى الله وخان الصديق و برئ من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذرعه من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء التعريض بالمغنى و برودة غنائه وطبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب : أنذره بها . يقول إنه إذا غنى فقـد ولى الصيف وحل الشتاء ببرودته .

(١٣) الحسين بن الضحاك (١)

قال :

أَىُّ دِيبَاجَةِ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةَ حُزْنِى (٢)
إِذْ رَمَانِى الْقَمَرُ الزَّا هِرُ عَنْ فَتْرَةِ جَفْنٍ (٣)
بِأَبِى شَمْسُ نَهَارٍ بَرَزَتْ فِى يَوْمِ دَجْنٍ (٤)
قَرَّبَتْنِى بِالْمُنَى حَتَّ ى إِذَا مَا أَخْلَفَتْنِى (٥)
تَرَكَتْنِى بَيْنَ مِيعَا دٍ وَخُلْفٍ وَتَجَنِّى (٦)
مَا أَرَى فِىَّ مِنَ الصَّبْ وَةِ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّى (٧)
إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدْ رِ لِمَا تَعْرِفُ مِنِّى (٨)
أَسْتَعِيذُ اللهَ مِنْ إِعْ رَاضِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّى (٩)

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيما الأمين، ثم عاد إلى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفى سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة إجادة الخمريات والمديح فى أسلوب موسيق متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكاهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف، وهى صفة تستحب فى عيون الملاح . و يقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الداء وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون، وهى هنا بمعنى إدخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما لم يفعله فى دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب المتاع فى الشباب إلا رجاء فى حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء فى هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصفَ البَدرُ حسنَ وجهكَ حتّى ... خلتُ أنّى ، وما أراكَ ، أراكا (١)

وإذا ما تنفّس النّرجسُ الغَـ ... ـضُّ توهّمتُــهُ نسيــمَ شذاكا (٢)

خُــدَعٌ لِلْمُــنَى تُعلِّلُني فيـ ... ـكَ بإشراقِ ذا ونفحةِ ذاكا (٣)

لأدومنَّ ياحبيبي على العهـ ... ـدِ لهَـــذا وذاكَ إذْ حكيَاكا (٤)

وقال :

إذا خُنتمُ بالغيب وُدّى فما لكُمْ ... تدلُّونَ إدلالَ المُقيمِ على العهْـــدِ (٥)

ولِي منـــكَ بُدٌّ فاجتنبني مُذمَّمـا ... وإنْ خلتَ أنى ليسَ لِي منكَ من بُدّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الإمامِ أشـدُّ مِن أدَبِهْ ... وقدِاستجرتُ وعذتُ من غضَبِهْ (٧)

أصبحتُ معتصمًا بمعتصمٍ ... أثنَى الإلهُ علَيْــهِ فِي كُتُبِهْ (٨)

---

(١) يقول : إن البدر ليشبهك حتى إننى إذ رأيته حسبت أنى رأيتك مع أنى لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخـدع به . والمنى : جمع منيـة بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : إشارة إلى البدر فى البيت الأول . وذاك : إشارة الى النرجس فى البيت الثانى . (٤) حكياك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : إن الثابت على العهـد قد يكون له الحـق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والمذمم : المذموم . يقول : إنى مستطيع أن أتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وإن حسبت أنى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والإمام : الخليفة . يقول : إن غضب الخليفة أشدّ عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشيء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة إلا اليـه ولا يعوذ منه إلا به . وفى هـذا ما فيه من لطف الجناس . ولعـل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِي لَمْ يُبْقِ لِي سَبَبًا أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِهْ (١)
مَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ أَشْفَى عَلَى عَطَبِهْ (٢)

(١٤) ابن الرومي (٣)

قال يهجو خالدًا القحطبي :

أخالدُ ما أغراكَ بي من عداوةٍ ولا تِرَةٍ لولا الشقاءُ المُقدَّرُ (٤)
حداكَ إلى الحَيْنِ حتى استثرتني عليكَ، وإني في عَرِيني لمُخدِرُ (٥)
فدونكَ ما حاولتَه فبلغتَهُ وردْتَ، ولكنْ لا إخالُكَ تصدُرُ (٦)
فقد كنتَ نِسْيًا لا تُمَسُّ ولا تُرى زمانًا طويلًا، فاصبِرِ الآنَ تُذكَرِ (٧)

---

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل له الى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق . وأشفى : أشرف . و يقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة إلا حقه عليه بحكم الولاء له . وكذلك الشأن في كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطق والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف والهجاء . مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدر : مقيم يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أي تخرج من هذا المأزق الذي وقعت فيه .

(٧) أي اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

ستَرْوِى رُواةُ الشعر فيك قصائدا — يُغَنَّى بِهـا ، ما نودِىَ : الله أكبرُ (١)
سَـداهَا مَخازيك التى قـد علمتَها — ولُحْمَتُهـا مِـنِّى الكلامُ المُحَـبَّرُ (٢)
وإن كنتُ لا أهجوكَ إلا كحالِمٍ — يَرى ما يَراهُ النائمون فيهجُـرُ (٣)

وقال :

أأيامَ لَهـوى هل مَواضيك عُوَّدُ — وهل لِشبابٍ ضَلَّ بالأمس مَنْشَدُ؟ (٤)
أقولُ وقد شابَت شَواتِى، وقُوِّستْ — قَنَاتِى، وأضحتْ كِدْنَتِى تَتَخَـدَّدُ (٥)
ولذّتْ أحاديثُ الرجالِ، وأعرضَت — سُليمى ورَيّا عن حديثى ومَهْدَدُ (٦)
وبُدِّل إعجـابُ الغَـوانِى تَعَجُّباً ، — فهُنَّ رَوانٍ يَعتَبِرْنَ وصُـدَّدُ (٧)
لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صُروفِها — يكونُ بُكاءُ الطفـلِ ساعةَ يُولَدُ (٨)
وإلا فما يُبكِيه منها ، وإنها — لأفسحُ ممـا كان فيـه وأرغَدُ ؟ (٩)

---

(١) ما نودى الخ : أى دائماً مادام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام المحبر : المحسن .

(٣) يقول : إنى لا أكاد أشعر بك فى الصحو إلا كحالم إذ لا وجود لك . يهجر : يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شاب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمنته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديثى تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيذا لديهن .

(٧) الإعجاب بالشىء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والإنكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صـدد : معرضات . يقول : بعـد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لديهن فهن ينظرن الىّ متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيب .

إذا أبصر الدُّنيا استهلَّ كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يُهَدَّدُ (١)
وللنفس أحوال تظلُّ كأنها ... تُشاهِدُ فيها كُلَّ غيب سيُشهَد (٢)

وقال يرثى ابنه محمدًا :

بُكاؤُكُما يَشفِي وَإِنْ كانَ لا يُجْدِى ... فَجُودا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُما عِنْدِى (٣)
أَلا قاتَلَ اللهُ الْمَنايا وَرَمْيَها ... مِنَ الْقَوْمِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدِ
تَوَخَّى حِمامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ (٤)
عَلى حِينَ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحاتِهِ ... وَآنَسْتُ مِنْ أَفْعالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ (٥)
طَواهُ الرَّدَى عَنِّى فَأَضْحَى مَزارُهُ ... بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ (٦)
لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ الْمَنايا وَعِيدَها ... وَأَخْلَفَتِ الْآمالُ ما كانَ مِنْ وَعْدِ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لُبْثُهُ ... فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِى اللَّحْدِ
أَلَحَّ عليه النَّزْفُ حتَّى أَحالَهُ ... الى صُفْرَةِ الْجادِىِّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ (٧)
وظَلَّ على الأَيْدِى تَساقَطُ نَفْسُه ... ويَذْوِى كما يَذْوِى الْقَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ (٨)

---

(١) استهل الصبي : رفع صوته بالبكاء .
(٢) يورد هذا البيت تأكيدا لحسن تعليله إذ يقول إن النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجد ابن الرومى فى شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .
(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدى : لا ينفع . وأودى : هلك .
(٤) توخى : تحرى .
(٥) شمت الخير : توقعته .
(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .
(٧) الجادىّ : الزعفران . وهو أصفر . يقول : إن النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران .
(٨) الرند : النار . وقد يسمى به الآس وهو نوع من الريحان .

فيالك من نفس تساقط أنفسا ... تساقط دُرٌّ من نظام بلا عقد
عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
وما سرّني أن بعته بثوابه ... ولو أنه التخليد فى جنة الخلد
ولا بعته طوعاً ولكن غصبته ... وليس على ظلم الحوادث من معد (١)
وإنى وإن متعت بابنى بعده ... لذاكره ما حنّت النيب فى نجد (٢)
وأولادنا مثل الجوارح أيها ... فقدناه كان الفاجع البيّن الفقد (٣)
لكلّ مكانٌ لا يسدّ اختلاله ... مكانُ أخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفى مكانه ... أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى
لعمرى لقد حالت بى الحال بعده ... فياليت شعرى كيف حالت به بعدى
ثكلت سرورى كله إذ ثكلته ... وأصبحت فى لذات عيشى أخا زهد
أريحانة العينين والأنف والحشا ... ألاليت شعرى هل تغيرت عن عهدى
سأسقيك ماء العين ما أسعدت به ... وإن كانت السقيا من الدمع لا تجدى (٤)
أعينىّ جودا لى فقد جدت للثرى ... بأنفس مما تسألان من الرفد (٥)
كأنى ما استمتعت منك بضمة ... ولا شمة فى ملعب لك أو مهد
ألام لما أبدى عليك من الأسى ... وإنى لأخفى منك أضعاف ما أبدى
محمد ما شىء توهم سلوة ... لقلبى إلا زاد قلبى من الوجد

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأعان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة . (٣) الجوارح : أعضاء الإنسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت . (٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّنْدِ
اذا لعبا فى مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعا ... فُؤَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بل حَزَازَةٌ ... يَهِيجَانِهَا دُونِي وأَشْقَى بِهَا وَحْدِي
وَأَنْتَ وإنْ أُفْرِدْتَ فى دار وَحْشَةٍ ... فَإِنِّي بِدَارِ الأُنْسِ فى وَحْشَةِ الْفَرْدِ
عليك سلامُ اللهِ منى تحيةً ... ومِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التَّوَّزِى الشِّطْرَنْجِى وَيَمْدَحُه :

يا أخى أينَ عَهْدُ ذَاكَ الإِخَاءِ ... أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ ؟
كَشَفَتْ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ ... غُطِّيَتْ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللِّقَاءِ (١)
تركتني ولم أكُنْ سَيِّئَ الظَّنْ ... نِ أُسِيءُ الظُّنُونَ بِالْأَصْدِقَاءِ
يا أخى هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعْـ ... ـيِكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخَلَاءِ
أفلا كانَ مِنْكَ رَدٌّ جميلٌ ... فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ
أَجَزَاءُ الصَّدِيقِ إِيطَاؤُهُ الْعَشْـ ... ـوَةَ حَتَّى يَظَلَّ كَالْعَشْوَاءِ (٢)
تَارِكًا سَعْيَهُ اتِّكَالًا عَلَى سَعْـ ... ـيِكَ دُونَ الصِّحَابِ وَالشُّفَعَاءِ
كَالَّذِى غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَا خَيَّـ ... ـلَ حَتَّى هَرَاقَ مَا فِى السِّقَاءِ
يا أبا الْقَاسِمِ الَّذِى كُنْتُ أَرْجُو ... هُ لِدَهْرِى قَطَعْتَ مَتْنَ الرَّجَاءِ
لا أُجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّا ... يَ غُرُورًا وُقِيتَ سُوءَ الْجَزَاءِ

---

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهى الشىء الصغير . يقول إن طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقائك إياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطأه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَا ... كَ لِبُخْلٍ عَلَيْكَ بِالإِغْضَاءِ
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي ... غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الأَقْذَاءِ
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الأَمْـ ... ـرِ يَحُلُّ الْفَتَى ذُرَا الْعَلْيَاءِ
بَذَلَ الْوَعْدَ لِلأَخِلَّاءِ سَمْحًا ... وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ الْعَطَاءِ
فَغَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْـ ... ـنِ وَيَأْبَى الإِثْمَارَ كُلَّ الإِبَاءِ (١)
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرٍ ... تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

* * *

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي ... أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَأْسَاءِ (٢)
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبْـ ... ـعِ وَأَدْنَى رِضَاكَ فِي الإِرْبَاءِ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاةِ مِنْكَ وَإِعْصَا ... فُكَ بِالأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
عَنْ تَدَابِيرِكَ اللِّطَافِ اللَّوَاتِي ... هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسَرِّ الْهَبَاءِ
بَلْ مِنَ السِّرِّ فِي ضَمِيرِ مُحِبٍّ ... أَدَّبَتْهُ عُقُوبَةُ الإِفْشَاءِ
فَإِخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى الْقَوْ ... مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الأَرْحَاءِ
وَأَظُنُّ افْتِرَاسَكَ الْقِرْنَ فَالْقِرْ ... نَ مَنَايَا وَشِيكَةَ الإِرْدَاءِ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الأَدَمِ الأَحْـ ... ـمَرِ أَرْضًا عَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشِّطْـ ... ـرَنْجِ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعَبَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى ... مِنْ دَبِيبِ الْغِنَاءِ فِي الأَعْضَاءِ

---

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرأى ولا يثمر .

(٢) انتقل الى وصف أبى القاسم فى إجادة لعب الشطرنج وقد قيل إنه كان يجيد اللعب ويغلبه ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع .

أَوْ مسيرِ الْقَضَاءِ فِي ظُلَمِ الْغَيْـ ـبِ إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَاءِ (١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْـ ـعَةِ طِبًّا بِالْقِتْلَةِ النَّكْرَاءِ (٢)
غَيْرَ مَا نَاظِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي الدَّسْـ ـتِ وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسَلَاءِ (٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرُ الظَّهْـ ـرِ بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنًا يُوَلِّي وَهْوَ يُرْدِي فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِيُّ لِلْطُرُقِ الْمُعْـ ـرِضِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُؤَدِّيـ ـهِ جَمِيعًا كَأَحْفَظِ الْقُرَّاءِ
وَتَلَقَّى الصَّوَابَ فِيمَا سِوَى ذَا لَكَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ (٤)
فَتَرَى أَنْ بُلْغَةً مَعَهَا الرَّا حَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ
وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُو بٍ مِنَ الْمُتْرَفِينَ وَالْأُمَرَاءِ
وَرَفَضْتَ التِّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرِّبْـ ـحِ وَمَا فِي مِرَاسِهَا مِنْ جَدَاءِ (٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عِيشَةٍ بِفُضُولٍ دُونَهُ خُبْثُ عِيشَةٍ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النَّفْسِ وَالْمَهَانَةُ وَالذِّلَّـ ـةُ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ (٦)

---

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيل ، وهو الموافق لك فى النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته فى لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى ذاك ما سوى اللعب .

(٥) ما فى مراسها من جداء : أى ما فى مزاولتها من غنى وثراة .

(٦) تعب النفس : بدل من خبث عيشة فى البيت قبله .

بل اطّعت النُّهى ففُـــزت بحظٍّ قصّرت عنـــهُ فِطنـــةُ الأغنياءِ

راحـــةِ النَّفس والصِّـيانةِ والعفّـةِ والأمنِ في حيـاءٍ رُواء (١)

عالمـا بالّذي أخـــذت وأعطيـت حكيماً في الأخـــذ والإعطاءِ

جُهـــدُ العقلِ لا يفوتك شيءٌ مثـــلُه فات أعينَ البصراءِ

قائلا للمُشـــيرِ بالكذِج مهلا ما اجتهادُ اللّبيب بعـــد اكتفاءِ

قرّب الحـرصُ مركبا لشـــقيٍّ إنّمـا الحرصُ مركبُ الأشـقياءِ

مرحبـا بالكفاف يأتي هنيئا وعـــلى المُتعبات ذيلُ العفاءِ

ضـلّةٌ لامرئٍ يُشـــمّرُ في الجمع لعيشٍ مُشـــمّرٍ للفنـاءِ

دائبـا يكنزُ القناطيرَ للـــوارثِ والعمرُ دائبٌ في انقضـاءِ

حبـــذا كثرةُ القناطيرِ لو كانت لربِّ الكنوزِ كنزَ بقاءِ

يحسبُ الحظَّ كلَّهُ في يديهِ وهو منـــهُ على مـدى الجوزاءِ

ليس في آجـــلِ النّعيمِ له حـظٌّ وما ذاق عاجـــلَ النّعماءِ

ذلك الخائب الشـــقيُّ وإن كان يرى أنّهُ من السُّـــعداءِ

حسْبُ ذي إربةٍ ورأيٍ جـــليٍّ نظـــرت عينُـــه بـــلا غلواءِ (٢)

صحّـــةُ الدّينِ والجوارحِ والعِرضِ وإحرازُ مُسّـــكةِ الحـــوباءِ (٣)

تلك خيرٌ لعـارفِ الخـــيرِ ممّـا يجمعُ النّـاسُ من فضُـولِ الثّراءِ

---

(١) راحة النفس : يدل من حظ فى البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الإربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء مايحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب فى البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ المنغص عيشٌ إنما عيش عَائِشٍ بِالْهَنَاءِ
يا أبا القاسم الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وسِوَاهُ مِن غَامِضِ الأشْيَاءِ
ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ رُبَّمَا عزّ مِثْلُهُ بِالغَلَاءِ
لا لَعَمْرُ الإلَه لكِنْ تَعَاشَيْـ ـتَ بَصِيرًا فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءِ (١)
ظَالِمًا لِي مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَـ ـزَّ حُقُوقَ الكِرَامِ لِلُّؤَمَاءِ
ثَقُلَتْ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَأَضْحَتْ وَهْيَ عِبْءٌ مِنْ فَادِحِ الأَعْبَاءِ
فَتَوانَيْتَ والتَّوَانِي وَطِيءُ الظَّـ ـهْرِ لكِنَّهُ زَنِيمُ الوِطَاءِ (٢)
كُنتَ مِمَّنْ يَرَى التَّشَيُّعَ لَكِنْ مِلْتَ فِي حَاجَتِي إِلَى الإِرْجَاءِ (٣)
ظُلِمَتْ حَاجَتِي فَلاذَتْ بِحِقْوَيْـ ـكَ فَأَسْلَمْتَهَا لِكَفِّ القَضَاءِ (٤)
وَقَضَاءُ الإِلَهِ أَحْوَطُ لِلنَّا سِ مِنَ الأُمَّهَاتِ وَالآبَاءِ
غير أن اليَقِينَ أَضْحَى مَرِيضًا مَرَضًا بَاطِنًا شَدِيدَ الخَفَاءِ
ما وجدتُ امْرَأً يَرَى أَنَّهُ يُو قِنُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
لَوْ يَصِحُّ اليَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّا غِبُ إِلَّا إِلَى مَلِيكِ السَّمَاءِ
وعسيرٌ بُلُوغُ هَاتِيكَ جِدًّا تِلْكَ عُلْيَا مَرَاتِبِ الأَنْبِيَاءِ

---

(١) ادعيت عدم الإبصار. (٢) الزنيم: الدعى واللئيم. وزنيم الوطاء: لئيم الموطئ.

(٣) التشيع: مذهب ديني يرى تفضيل على على سائر الصحابة والإرجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشيء في الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى و يقول كنت متشيعا لى ثم لما طلبت منك مطلبا وقفت على الحياد وأرجأت الحكم على مطلبي.

(٤) الحقو: الكشح. ولاذت بحقويه: التجأت إليه.

وعزيزٌ عليـــك عضّـــيك باللّو ... م ولكن أصبْتَ صـدْرِى بِداءِ
أنت أدويْتَ صدْرَ خِلّك فاعذرْ ... هُ عـــلى النّفث إنّهُ كالدّواءِ
قـــدْ قضينا لُبانةً من عِتابٍ ... وجميـــلٌ تعاتُبُ الأكفاءِ
والّذى أطلقَ اللّسانَ فعاتبْـ ... ـتُكَ عـــدّيكَ أوّلَ الفُهمـاءِ
وأنا المـــرءُ لا أسُـــوم عتابى ... صاحِبًا غيْرَ صـفْوةِ الأصْفِيـاءِ
ذا الحِجا مِنْهُـمُ وذا الحِلْمِ والعِلْـ ... ـم وجهْـــلٌ ملامةُ الجُهـــلاءِ
إنّ منْ لامَ جاهِـلًا لطبيبٌ ... يتعـاطى عِـــلاجَ داءٍ عيـاءِ

وقال يصف العنب الرازقى (١) :

ورازِقىٍّ مُخطَفِ الخُصـــورِ ... كأنّهُ مخازنُ البـــلُّورِ (٢)
قدْ ضُمّنتْ مِسْكًا إلى الشُّطُورِ ... وفى الأعالى ماءُ وَرْدٍ جُورى (٣)
لمْ يبْـــقِ مِنْـهُ وهجُ الحَـرُورِ ... إلّا ضِيـاءً فى ظُرُوفِ نُـــورِ (٤)
لوْ أنّهُ يبْـــقى على الدّهُـــورِ ... قرّطَ آذانَ الحِسانِ الحُورِ
لهُ مذاقُ العَســـلِ المشُـــورِ ... ونكْهةُ المِسْـــكِ معَ الكافورِ
باكرْتُهُ والطّيرُ فى الوُكُـــورِ ... وعُذُرُ اللّذّاتِ فى البُكُـــورِ (٥)
بِفِتْيَـــةٍ مِنْ وَلدِ المنْصُـــورِ ... أملأَ للعَـــيْنِ مِنَ البُـــدُورِ

(١) العنب الرازقى : نوع من العنب أبيض طويل الحب .
(٢) مخطف الخصر : هزيله .
(٣) الجورى : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه .
(٤) الحرور : حر الشمس .
(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ (١)

ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافَيْ جَدْوَلٍ مَسْجُورِ (٢)

أَبْيَضَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمُنْصُلِ الْمَشْهُورِ (٣)

يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطَيْ شَجَرٍ مَسْطُورِ (٤)

فَنِلْتُ الْأَوْطَارَ مِنْ سُرُورِ تَعِلَّةً عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ

وَمُتْعَةً مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٥) البُحْتُرِى (٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بالبرِّ صُمْتَ وأنت أفضلُ صائمٍ وبسنَّة الله الرَّضيَّةِ تُفطِر

فانْعَمْ بيوم الفطر عيدًا إنه يومٌ أغرُّ من الزمان مُشَهَّر

أظهرتَ عِزَّ الملكِ فيه بجحفلٍ لَجِبٍ، يُحاطُ الدينُ فيه ويُنْصَر (٦)

(١) الناطور : حارس العنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة . والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف . يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا ، وقد عاش بعدهما حتى سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خِلنا الجِبالَ تَسيرُ فيه وقد غَدَتْ عُدَدًا يسيرُ بها العَديدُ الأكثر

فالخيلُ تَصهَلُ، والفوارسُ تَدَّعي، والبيضُ تلمعُ، والأَسِنَّةُ تَزْهَر (١)

والأرضُ خاشِعةٌ تَميدُ بثِقْلِها، والجو مُعتكِر الجوانب أغبرُ (٢)

والشمسُ ماتِعةٌ توقَّدُ بالضُّحا طورًا، ويُطفئها العجاجُ الأكدَر (٣)

حتى طلعْتَ بضوءِ وجهك فانجلتْ تلك الدُّجى وانجابَ ذاك العِثْيَرُ (٤)

وافتنَّ فيك الناظِرون: فأصبعٌ يُومَى إليك بها، وعينٌ تنظُر

يَجِدُون رؤيتك التى فازوا بها مِن أنعُمِ اللهِ التى لا تُكْفَر

ذكروا بطلعتِكَ النبيَّ، فهلَّلُوا لما طلَعْتَ من الصفوفِ، وكبَّروا

حتى انتهيتَ الى المصلَّى لابسا نُورَ الهدى، يبدُو عليك ويَظْهر

ومشَيتَ مِشيةَ خاشعٍ مُتواضعٍ لله لا يُزْهَى، ولا يتكبَّر

فلو آنَّ مُشتاقا تكلَّفَ فوق ما فى وُسعِه لَسَعَى إليكَ المِنبر

ومن قوله يصف الربيع :

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحكا من الحُسن حتى كادَ أن يتكلَّما

وقد نبَّه النيروزُ فى غَسقِ الدجى أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما (٥)

---

(١) البيض : السيوف . والأسنة : جمع سنان : نصل الرمح . تزهر : تضىء وتلمع .

(٢) تميد تتحرك وتضطرب . والجو معتكر أى من ضخامة الجيش أو من غباره .

(٣) ماتعة : مرتفعة . والعجاج : الغبار . والأكدر : الشديد الكدرة وهى ضد الصفاء .

(٤) الدجى : جمع دجية : الظلمة . ويقصد ظلمة العثير الذى هو الغبار .

(٥) النيروز عند الفرس أوّل أيام السنة الشمسية . غسق الدجى : ظلمة الليل . والمعنى أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد .

يُفتِّقُها بردُ النـدى فكأنه يَبُثُّ حديثا كان قبـلُ مُكَتَّما (١)
فمِن شجـرٍ رَدّ الربيـعُ لباسَهُ عليـه كما نَشَّرتَ وشْـياً مُنَمْنَما (٢)
أَحَلَّ فأبدَى للعيون بَشاشةً وكان قَذًى للعـين إذ كان مُحرِما (٣)
ورقَّ نسيمُ الريح حتى حسبتَه يجيءُ بأنفـاس الأحِبَّة نُعَّـما

وقال يمدح محمد بن على بن عيسى القُمّى :

ذاكَ وادِي الأراكِ فاحبِس قَليلا مُقْصِراً مِن صَـبابةٍ أو مُطيلا (٤)
قِف مَشُوقا، أو مُسعِدًا، أو حَزينا أو مُعِينًا ، أو عاذِرا، أو عَذُولا (٥)
إنَّ بينَ الكَثيبِ فالجـزْعِ فالآ رامِ، رَبعًا لِآلِ هِنـد مُحيـلا (٦)
أَبلتِ الـريحُ والـروائحُ والأيّـ ـامُ منـهُ مَعَالِما وطُـلُولا (٧)
وَخِلافُ الجميـلِ قَولُكَ لِلـذّا كِرِ عهدَ الأحبابِ: صَبراً جَميلا

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشى : نقش الثوب . منمنم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى حل كما أن أحرم بمعنى غاب وذلك كالمحل والمحرم فى الحج . والقذى : ما يقع فى العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبن أو نحوه .

(٤) وادى الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة . واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلا . والصبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب الى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الراحلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب إذا هاجه . ومسعدا : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك إذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيئ وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى السحابة التى تجىء عشيا أو المطرة . والمعالم : ما يستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلُمْـــهُ عَلَى مُواصَــلةِ الدَّمْـ ـعِ، ولُؤْمٌ لَوْمُ الخليــلِ الخليــلا

عَــلَّ ماءَ الدُّموعِ يُخمِــدُ نَارًا مِن جَوَى الحُبِّ أو يَبُلُّ غَلِيلا (١)

وبُكَـاءُ الدِّيارِ ممـا يَــرُدُّ الـ ـشَّوقَ ذِكْرًا والحُبَّ نِضْوًا ضَئِيلا (٢)

لم يكنْ يومُنا طـوِيلًا بنَعما نَ، ولكنْ كانَ البُكاءُ طـوِيلا

قَــد وجَــدْنَا محمــدَ بنَ علىٍّ غَايَةَ المجــدِ قائـلًا وفَعُــولا

ولَقِيــنَا شمائـلا تَنْــثُرُ المِسْـ ـكَ سَحِيقًا كما لَقِينا الشَّـــمولا (٣)

ورأَينا سِــيمَا نَــدىً وسَمَـاحٍ لم نُرِدْ بعــدَها عليــهِ دَليــلا

أَشْعَرِىٌّ، كفاهُ عِيسى بنُ موسى شَرَفًا باتَ للسِّماكِ رَسِــيلا (٤)

خَلَّفَ البُهــرَ للجيـادِ، وأَلْقَ فى مَدَى المجدِ، غُرَّةً، وحُجُولا (٥)

وَبنُو الأشْــعرِ الذى مَلأَ الأرْ ضَ رِجالا، ونَجــدةً، وخُيولا

شَوكــةٌ ما أَصابَت الدهرَ إلّا تركَتْ فى الغِــرارِ منــهُ فُلولا (٦)

---

(١) الغليل : شدّة العطش ، والمراد هنا حرقة الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضى فقط . والنضو : الكليل المتعب ، يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف لوعته . (٣) الشمول : الخمر أو الباردة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعرى : منسوب الى الأشعر جدّه . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك الأعزل ، والثانى الرامح . ورسيلا : مراسلا ومتصلا ، أى كفاه شرف آبائه السامى .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . والجياد : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس ، ومن كل شىء أوّله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل وهو البياض فى رجل الفرس ، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل الى غاية المجد بكريم أفعاله التى تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها . (٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حدّه . والفلول : جمع فل وهو الثلمة فى حدّ السيف . يقول : إن صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ المكْرُماتِ طُولا وعَرْضًا وتَناهَتْ اليه عَرْضًا وطُولا (١)
رَادةُ الحمدِ أوَّلًا وأخيرا وأُولو المجدِ واحِدا وقَبِيلا (٢)
وكأنَّ الأصولَ كانت فُروعًا وكأنَّ الفروعَ كانت أُصُولا (٣)
ونُجومٌ إذا توَقَّدنَ فى الخَطْبِ توَهَّمْتَ فى النُّجوم أُفُولا (٤)
ومُحِبُّونَ للنَّبِى وأهلِ البَيتِ حُبًّا يُرضُون فيه الرسولا
سَلَبُوا البيضَ بَزَّها وأقاموا بِظُبَاها التأويلَ والتَّنزِيلا (٥)
تَحسبُ الشِّيبَ فى الوَقيعةِ شُبَّا نًا إذا صافَحُوا الصفيحَ الصَّقيلا .
فإذا حارَبُوا أذَلُّوا عَزِيزًا وإذا سالَمُوا أعَزُّوا ذَليلا (٦)
وإذا عزَّ معشَرٍ زَال يومًا منعَ السيفُ عِزَّهُمْ أن يَزُولا
يا أبا جعفرٍ، لَقَدْ رَاحَ إفضا لُك خَطْبًا عَلَى الكِرامِ جَليلا (٧)
رَدَّ مَعروفُك الكثيرَ قليلًا وأرَى جُودُك الجَوادَ بَخيلا

(١) تناهت اليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون اليه .

(٣) يقول : إنهم متساوون فى المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكأن الأبناء هم بانوه وكأن البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأولى : رجال كالنجوم سموا ونفاذا ونباهة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون فى الشدائد فيخفون من عداهم حتى كأن نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والظبى : جمع ظبة : حدّ السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد أنهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أى هم فى الحروب ليوث وفى السلم يحمون الذليل و يكرمونه .

(٧) يقول : إن كرمك يضر الكرام لأن كثرة عطاياك العظيمة تزرى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل .

لا أظنُّ البُخّالَ يُوفُونَك الشُّكْـ ـرَ ولو كانَ بكرَةً وأَصيلا
جعلتْهـمْ مِن غيرِهِمْ دفعُ منْـ ـكَ أفادتْ حَمْدًا وأعطتْ جزيلا (١)
كَمْ لجَدواكَ مِن مَقامٍ، لعَمرِى كانَ من رَيِّقِ السحابِ بَديلًا! (٢)
عنـدَ وجهٍ طَلْقٍ إذا ما تَبـدّى لحُزُونِ الخُطُوبِ عادتْ سُهولا
يئسَ الحاسـدون منـكَ وكانُوا أَسَـفًا ينظُرون نحوَكَ حُولًا (٣)
ورأَوْا أنّهـم إذا وَصَـلوا تِلْـ ـكَ المساعِى بالفِكرِ ذَابُوا نُحولا (٤)
فثَنَـوْا عَنـكَ أَعيُنًا وقُلوبًا لم يرُدُّوا إلا حَسِـيرًا كَليـلا (٥)
وكفانِى على الذى يوجَدُ الفَضْـ ـلُ لديهِ بالحاسِـدينَ دَليـلا (٦)

---

(١) أى أن عطاياك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهـؤلاء الى درجة البخلاء .

(٢) الجـدوى : العطاء. وريق السـحاب : أفضله وأوله ، أى ان عطاياك لها أثر فى النعمـة والخير كأثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حولاء. والحول : ميل إحدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصدغ ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول إلى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسومهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك النامية ولا التفكير فى إدراكها ، لأن أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم متعبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضـل أين هو ، لكثرة حديثهم عنـه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضـيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وقال يمدح المتوكل :

لِي حبيبٌ قد لَجَّ فى الهَجرِ جِدّا ... وأعادَ الصدودَ منه وأبْدَى (١)
ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فى كُلِّ يَومٍ ... خُلُقًا من جَفَائِهِ مُستجِدّا
يتأبَّى منعًا، ويُنْعِمُ إسْعا ... فًا ، ويَدنُو وَصْلًا ، وَيبعُدُ صَدّا (٢)
أَغتَدِى رَاضِيًا وقد بِتُّ غضبا ... نَ، وأُمسِي مَولًى، وأُصبِحُ عَبدا (٣)
وبِنَفسِي أُفدِى على كُلِّ حَالٍ ... شَادِنًا ، لو يُمَسُّ بِالحُسنِ أَعدى (٤)
مَرَّ بِى خالِيًا فأطمَعَ فِى الوَصْـ ... ـلِ وعَرَّضْتُ بالسلام فَردّا
وَثَنَى خَدَّه إلَىَّ عَلَى خَو ... فٍ فَقبَّلْتُ جُلَّنَارًا ووَرْدَا (٥)
سَيِّدِى أنتَ، ما تَعرَّضتُ ظُلمًا ... فَأُجَازَى بِه، ولا خُنتُ عهدا
رِقَّ لِى مِن مدامع ليس تَرْقَا ... وأَرِثْ لِى مِن جَوانحَ ليس تَهْدا
أَترانِى مُسْتبدِلًا بك ما عِشْـ ... ـتُ بَدِيلًا، أو واجِدا مِنك نِدّا (٦)
حاشَ لِلّهِ، أنتَ أفتَنُ ألحا ... ظًا، وأَحلَى شَكلًا، وأحسنُ قَدّا (٧)
خَلَقَ اللهُ جعفرًا قَيِّمَ الدُّنـ ... ـيا سَدَادًا، وقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدًا (٨)

---

(١) لج فى الهجر : تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والإسعاف : المساعدة ، أى يرفه عنى قليلا فى بعض الأحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ، يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الظبية تشبه به الفتاة الظريفة ، ثم يقول : لو مسه أحد ناله منه عدوى الحسن .

(٥) الجلنار : زهر الرمان يشبه به الخد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أكرَمَ النـاس شيمـةً وأتمَّ النّـ ... ـاسِ خُلُقًا ، وأكثرَ الناسِ رِفْدا (١)
مَلِكٌ حَصَّنَتْ عزيمتـه المُلـ ... ـكَ، فأضحتْ لـهُ مَغاثًا ورِدْا (٢)
أظهرَ العدلَ ، فاستنارتْ بِهِ الأر ... ضُ، وعمَّ البـلادَ غَوْرا ونَجْـدا (٣)
وحَكَى القَطـرَ بـل أبرَّ على القطْـ ... ـرِ بِكَفٍّ على البَرِيَّةِ تَنْـدَى (٤)
هُوَ بحرُ السَّماحِ ، والجودِ ، فازدَدْ ... مِنه قُرْبا، تَزْدَدْ من الفَقرِ بُعـدا
يا ثِمالَ الدُّنيا عَطـاءً وبَـذْلا ... وجَمالَ الدنيـا ثنـاءً ومَجـدَا (٥)
وشَـبِيهَ النَّـبِيِّ خُلقًـا وخَلْقـا ... ونسِيبَ النَّبِي جَـدًّا فَجَـدَّا
بِكَ نَستَعتِبُ الليـالِيَ ونَسْـتَعْـ ... ـدِى على دَهرِنا المُسِيءِ فَنُعْـدَى (٦)
فابقَ عُمـرَ الزمانِ حتى تُؤَدِّى ... شُكرَ إحسانِك الذى لا يُؤَدَّى

وقال يصفُ الذئبَ حين لَقيه :

سـلامٌ عليكم، لا وفاءٌ، ولا عهـدُ ... أمَا لَكُمُ مِن هَجـرِ أحبابِكم بُدُّ؟
أأحْبابَنا قد أنجـزَ البينُ وَعدَهُ ... وشِيكًا، ولم يُنجَزْ لنا مِنكُمُ وَعْدُ! (٧)

---

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرفد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر واطمأن من الأرض وضده النجد، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الثمال : الملجأ والمعتمد . وثمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليالى : نطلب منها العتبى (الرضا) أو نعطيها العتبى (ضد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد . ووعدهم : هو القرب .

أأطلالَ دارِ العامريةِ باللِّوى سقتْ ربعَكِ الأنواءُ ! مافعلتْ هندُ؟(١)
أدارَ اللِّوى بينَ الشقيقةِ فالحِمى أمَا للنوى إلّا رسيسَ الهوى قصدُ؟ !(٢)
بنفسيَ مَنْ عذّبتُ نفسي بحبّهِ وإنْ لمْ يكنْ منهُ وصالٌ ولا ودُّ
حبيبٌ نأى عنّي مع القربِ والأسى مقيمٌ به ما أنَى دونَهُ البعدُ؟
إذا جُزتَ صحراءَ الغُويرِ مُغرِّباً وجازتْكَ بطحاءُ السواجيرِ يا سعدُ(٣)
فقُلْ لبني الضحّاكِ مهلاً ، فإنّني أنا الأُفعوانُ الصِّلُّ ، والضيغمُ الوَرْدُ(٤)
بَني ناهلٍ مهلاً ، فإنَّ ابنَ أختِكمْ له عزَماتٌ هزلُ آرائها جِدُّ(٥)
متى تهِجْموه لا تَهيجُوا سوى الرَّدى وإنْ كانَ خرقاً ما يحُلُّ له عقدُ(٦)
مَهيبٌ كنصلِ السيفِ لو ضُربتْ به ذُرا أجإٍ ظَلّتْ وأعلامُها وَهْدُ(٧)
يودُّ رجالٌ أنّني كنتُ بعضَ مَنْ طوتْهُ الليالي لا أروحُ ولا أغدو(٨)
ولولا احتمالي ثِقْلَ كلِّ مُلِمّةٍ تَسوءُ الأعادي ، لم يودّوا الذي ودّوا

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع أى سقتك . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبني كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . والضيغم : الأسد . والورد : الشجاع الجرىء من الأسود .

(٥) أضعف همه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ : قسم من جبل شمر جنوبي السماوة شمالي بلاد العرب . وذراه : أعاليه . وأعلامها : أعاليها . وهد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالي : هلك .

ذَرِينِي وإيَّاهم فَحَسْبِي صَرَامَتِي ... إذا الحربُ لم يَقْدَحْ لِخمِيدها زَنْدُ (١)

وَلِي صَاحِبٌ عَضْبُ المضارِبِ صَارِمٌ ... طَوِيلُ نِجادٍ، ما يُفَلُّ لَهُ حَدُّ (٢)

وبَاكيةٍ تَشْكو الفِراقَ بِأدمُعٍ ... يُبادِرنَها سَحًّا كما انتَثَرَ العِقدُ

رَشادَكِ، لا يُحزِنْكِ بَيْنُ ابنِ هِمَّةٍ ... يَتُوقُ إلى العَلياءِ ليسَ لَهُ نِدُّ (٣)

فمن كانَ حُرًّا فهو لِلعَزْمِ والسُّرَى ... ولِلَّيلِ مِن أفعالِهِ والكرَى عبدُ (٤)

ولَيلٍ كأنَّ الصُّبحَ فى أُخرَياتِهِ ... حُشاشةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفرِندَهُ غِمْدُ (٥)

تَسَرْبَلتُهُ والذِّئبُ وَسْنانُ هاجِعٌ ... بِعَينِ ابنِ لَيلٍ، مَا لَهُ بِالكرَى عَهْدُ (٦)

أُثِيرُ القَطا الكُدْرِىَّ عَنْ جَثَماتِهِ ... وتَألفُنِي فيهِ الثَّعالِبُ والرُّبْدُ (٧)

وأطلَسَ مِلءِ العَينِ يَحمِلُ زَوْرَهُ ... وأضلاعَهُ من جانِبَيْهِ شَوًى نَهْدُ (٨)

لَهُ ذَنَبٌ مِثلُ الرِّشاءِ يَجُرُّهُ ... ومَتْنٌ كَمَتْنِ القَوسِ أعوَجُ مُنْآدُ (٩)

---

(١) الصرامة : قوّة العزيمة والمضاء، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد فى إخمادها .

(٢) الصاحب هو السيف، عضب : قاطع . والنجاد : حمائل السيف، كناية عن طول قامته .

(٣) رشادك : قلت لها : الزمى رشادك . والند : المثل والنظير .

(٤) عبد خبر فهو .

(٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وإفرند السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد إلا نصلا .

(٦) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .

(٧) الكدرى : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كقصبة، أى أثير القطا عن مجاثمه ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .

(٨) وأطلس : ورب ذئب أطلس أى أغبر إلى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد فى لفظه جمع فى معناه . ونهد : بارز .

(٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومنآد : معوج .

طَواهُ الطَّوىَ حتّى استمرَّ مَرِيرُه · فما فِيهِ إلا العَظْمُ والرُّوحُ والجِلدُ (١)
يُقَضْقِضُ عُصْلًا فى أسِرَّتِها الرَّدى · كَقَضْقَضَةِ المقرُورِ أرعَده البَرْدُ (٢)
سَمَا لِى وَبِى من شِدَّةِ الجُوعِ ما بِهِ · بِبَيْداءَ لم تُعرَفْ بها عِيشَةٌ رَغْدُ (٣)
كلانا بِهَا ذئبٌ يُحَدِّث نَفسَهُ · بِصَاحِبِهِ، والجَدّ يُتْعِسُه الجَدُّ
عَوَى ثم أقعَى فارْتَجزتُ فهِجتُه · فأقبلَ مِثلَ البَرقِ يَتْبَعُه الرَّعْدُ (٤)
فأَوجَرْتُه خَرْقاءَ تَحسَبُ رِيشَها · على كوكب يَنقضُّ والليلُ مُسْوَدُّ (٥)
فما ازدادَ إلا جُرأة وصَرامةً · وأيقنتُ أنّ الأمرَ منهُ هو الجِدُّ
فأَتبعتُها أُخرى فأضلَلْتُ نَصلَها · بحيث يكون اللُّبُّ، والرُّعبُ، والحِقدُ (٦)
فَخَرَّ وقد أوردْتُه مَنهَلَ الرَّدَى · عَلَى ظَمَأٍ لو أنّهُ عَذُبَ الوِرْدُ
وقُمتُ فجَمّعتُ الحَصَى فاشتَوَيْتُه · عليه، ولِلرّمضاءِ مِن تحتِه وَقْدُ (٧)
ونِلتُ خَسِيسًا مِنه ثُم تركتُه · وأقلعتُ عَنهُ وهو مُنعَفِرٌ فَرْدُ (٨)

---

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه الجوع

(٢) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردى : الهلاك . والمقرور : من أصابه القرأى البرد .

(٣) سمالى : خرج لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقعى : جلس على مؤخره ، ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجزا .

(٥) أوجرته : طعنته ، والخرقاء : السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول : تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث الخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لقــد حكمت فينا الليالى بجوْرها وحكْم بنات الدهر ليس له قصـدُ (١)
أفى العـدل أن يشقى الكريم بجورها ويأخذ منها صفوها القعـددُ الوغدُ (٢)
ذرينى من ضرب القداح على السُّرى فعزمى لا يثنيـه نحسٌ ولا سـعدُ (٣)
سأحمل نفسى عنـد كل ملمة على مثل حدّ السيف أخلصه الهندُ (٤)
ليعلم من هاب السُّرى خشية الردى بأنّ قضـاء الله ليس له ردُّ
فان عشتُ محمودًا فمثـلى بغى الغنى ليكسب مالا أو ينثّ له حمـدُ (٥)
وإن متُّ لم أظفر، فليس على امرئ غدا طالبـا إلا تقصّيه والجهـد (٦)

وقال يمدح أبا نهشل :

ها هو الشيبُ لائمـا فأفيقى واتركيـه إن كان غير مفيق (٧)
فلقــد كفّ من عناء المعنَّى وتلافى من اشتياق المشوق (٨)
عذلتنا فى عشقها أمُّ عمـرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعدد : الجبان أو اللئيم ، والوغد : الأحمق الدنىء .

(٣) ضرب القـداح على السرى : استخبار القداح أأسـير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونهـا فى كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيا يعتزم ، وإن كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنينى هذا لقوة عزمى الذى لا يبالى سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهنـد : سيف أجادت الهنـد صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسى على الشدائد اذا حزبت الأمور .   (٥) ينث : يذاع و يفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية فى البحث ، ومعنى البيت أنى إذا لم أظفـر بمـا أبغى من الغنى أو الحمـد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدى .

(٧) لائمـا : يلوم العاشق على التمـادى فى العشق مع شيبه . والمفيق : الصاحى من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو .   (٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

ورأت لِمَّةً ألَمَّ بها الشَّيْـ ـبُ فَرِيعتْ مِنْ ظُلْمةٍ في شُروقِ (١)
ولَعَمْرِي لَوْلا الأقاحِي لأبصَرْ تَ أنيقَ الرِّياضِ غيرَ أنيقِ (٢)
وسَوادُ العيونِ لَوْلَمْ يُحَجَّرْ بِبَياضٍ ، ما كانَ بالمومُوقِ (٣)
ومِزاجُ الصَّهْباءِ بالماءِ أمْلَى بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وغَبُوقِ (٤)
أيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغيرِ نُجُومٍ أو سَحابٍ تَنْدَى بِغيرِ بُروقِ (٥)
وَقْفَةً في العَقِيقِ أطْرَحُ ثِقْلًا مِنْ دُموعِي بِوَقْفَةٍ في العَقِيقِ (٦)
ماثِلٌ بينَ أرْبُعٍ ماثلاتٍ يَنْزِعُ الشوقَ من فؤادٍ عَلُوقِ (٧)
أزْجُرُ العيْنَ عن بُكاهُنَّ والعيـ ـسُ الى المُبْتَغَى بِكُلِّ طَرِيقِ (٨)
واسْتَشَفَّتْ مُحمدَ بنَ حُمَيْـ ـدٍ ما سَحِيقٌ مِنَ الغِنَى بِسَحِيقِ (٩)

---

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت . ظلمة في شروق : سواد شعر الشباب في بياض المشيب .

(٢) الأقاحي : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أي لولا الأقحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب في الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة في بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفة مفعول لفعل محذوف تقديره أتمنى أوقف .

(٧) ماثل : قائم . يعني نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفؤاد علوق : شديد التعلق بأحبته .

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أي قصدته ، ومعنى الشطر الثاني أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيداً لمحب السعي إليه .

سَابِقُ النفْعِ يَستَقِي جُهدَ نَفْسٍ تُســتَزادُ ٱسْــتِزادَةَ المسبُوقِ (١)

قَلَّبَتْــهُ الأَيدِى قَدِيمًــا وِلِلْحَلْـ ـبَةِ تُنْضِى الجِيــادُ بالتَّعرِيقِ (٢)

كُلَّمــا أَجْرتِ ٱلخَلائقُ أَوْفَى رادِعًا فى خَلَائِقٍ كالخَـــلُوقِ (٣)

صَافياتٍ عَلى قُلوبِ المُصَافِيـ ـنَ، رِقاقٍ فى فَهْمِهِنَّ الرقيقِ (٤)

لو تَصَفَّحتَها لأخرجتَ منها أَلفَ مَعنًى من حاتمٍ مَسرُوقِ (٥)

ليسَ يَخلُو مِنْ فِكرةٍ فى جَليلٍ من أَفَانِينِ مَجـدِه أَوْ دقِيقِ (٦)

يَنظِمُ المجدَ مِثلَ ما تَنظِمُ العِقْـ ـدَ يَدُ الصانِـعِ الصَّناعِ الرَّفِيقِ (٧)

وقال يرثى المتوكل على الله عاشر خلفاء بنى العباس وكان حاضرا مقتله :

مَحَــلٌ عَلَى القَاطُولِ أَخلَقَ دَاثِرُهْ وَعَادتْ صُروفُ الدَّهرِ جَيشًا تُغاوِرُهْ (٨)

كأَنَّ الصَّبا تُوفِى نُذُورًا إذَا انبرتْ تُراوِحُــهُ أَذْيَالُهَــا ، وتُبَاكِرُه (٩)

(١) سابق النفع : يسبق إلى المحامد ، وإن رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحـروب ، ويستق الخ أى يستخرج من جهد نفسه كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه .

(٢) قلبته الأيدى : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .

(٣) أجرت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلوق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا . (٤) المصافون : المخلصون ، وصف لأخلاقه الحميدة .

(٥) حاتم : هو حاتم الطائى المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .

(٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه يفكر دائما فى عمل مجيد مهما تكن درجته .

(٧) الصناع : الماهر الحاذق .

(٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . وأخلق : بلى . والداثر : الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .

(٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تتناوبه فى الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا)، أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثَمَّ عَهْدُهُ ... تَرِقُّ حَوَاشِيهِ، وَيُورِقُ نَاضِرُه (١)
تَغَيَّرَ حُسْنُ الجعفريِّ وأُنْسُهُ ... وقُوِّضَ بَادِي الجعفرِيِّ وحَاضِرُه (٢)
تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً ... فعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ ومقَابِرُه (٣)
إذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أجَدَّ لنَا الأسَى ... وقد كانَ قَبْلَ اليومِ يُبْهِجُ زَائِرُه (٤)
ولَمْ أنْسَ وَحْشَ القَصرِ إذْ رِيعَ سِرْبُهُ ... وإذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وجآذِرُه (٥)
وإذْ صِيحَ فِيهِ بالرَّحِيلِ فهُتِّكَتْ ... عَلَى عَجَلٍ أسْتَارُه وَسَتَائِرُه
ووَحْشَتَهُ حَتَّى كأَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ ... أَنِيسٌ، ولَمْ تَحْسُنْ لعَيْنٍ مَنَاظِرُه
كأَنْ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الخلافَةُ طَلْقَةً ... بَشَاشَتُهَا، والمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُه (٦)
ولَمْ تَجْمَعِ الدُّنيَا إليهِ بَهَاءَهَا ... وبَهْجَتَها، والعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُه (٧)
فَأينَ الحِجَابُ الصَّعبُ حيثُ تَمَنَّعَتْ ... بِهَيْبَتِها أبْوَابُهُ ومقَاصِرُه (٨)

(١) زمان ناعم: ناعم أهله. حواشيه: جوانبه. وترق حواشيه: تسعد أوقاته. والشجر الناضر: الحسن، والمراد أنه عهد جميل.
(٢) الجعفرى: قصر المتوكل. وقوض: تهدم. وباديه: ظاهره. وحاضره: داخله.
(٣) سواء: متساوية فى إقفارها وخلوها من الأحياء.
(٤) أجدلنا الأسى: جدّد لنا الحزن.
(٥) وحش القصر: نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون. ريع: أفزع. والسرب: القطيع. والأطلاء: الظباء. المفرد طلا وطلو. والجآذر: أولاد البقرة الوحشية. المفرد جؤذر، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة.
(٦) طلقة: بهية ضاحكة. والزاهر: الحسن والمشرق من الألوان، أى تروع مظاهره.
(٧) مكاسره جمع مكسر: جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر. يقال: فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة.
(٨) المقاصر جمع مقصورة: الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة.

وأينَ عَميــدُ النــاسِ فى كُلِّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ وَنَاهِى الدَّهرِ فِيهِمْ وآمِرُه (١)
تَخَفَّى لَــهُ مُغتَالُــه تَحتَ غِرَّةٍ وأَوْلَى لِمَنْ يَغتالُهُ لَوْ يُجَاهِرُه (٢)
فمــا قَاتَلَتْ عَنــهُ المنــايَا جُنودُه ولا دَافَعتْ أَمــلاكُه وذَخَائِرُه
ولا نَصَر المعتزَّ مَنْ كانَ يُرتَجَى له ، وعَزيزُ القَــومِ مَنْ عَزَّ ناصِرُه (٣)
تَعرَّضَ نَصلُ السيفِ مِنْ دونِ فَتْحِه وغُيِّبَ عَنــهُ فى خُراسانَ طَاهِرُه (٤)
ولَو عَاشَ مَيْتٌ أو تَقَــرَّبَ نَازِحٌ لدارتْ مِنَ المكْرُوهِ ثَمَّ دَوائِرُه (٥)
وَلَوْ لِعُبيدِ اللهِ عَونٌ عَلَيهِــمُ لَضَاقَتْ عَلَى وُرَّادِ أَمْرٍ مَصَــادِرُه (٦)
حُلُومٌ أَضَلَّتهـا الأَمانِى ، ومُــدَّةٌ تَنَاهَتْ ، وحَتْفٌ أَوشَكَتهُ مقَادِرُه (٧)
ومُغتَصِبٍ للقَتْــلِ لم يُخْشَ رَهطُهُ ولم تُحتَشَــمْ أَســبابُه وأَوَاصِرُه (٨)

---

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملى على الدهر إرادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعدّ نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو يعان على قتله لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضاقت مصادره : عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تآمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السيوفُ حُشَاشَةً ... يَجودُ بها ، والموتُ حُمْرٌ أظَافِرُهْ (١)
أُدافِعُ عَنهُ باليَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَثْنِي الأعادِي أعْزَلُ الليلِ حَاسِرُه (٢)
ولَو كَانَ سَيفِي سَاعةَ الفتكِ فى يَدِى ... دَرَى الفَاتِكُ العَجْلانُ كيفَ أُسَاوِرُه (٣)
حَرَامٌ عَلَىَّ الراحُ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى ... دَمًا بدَمٍ يَجرِى عَلى الارضِ مَائِرُه (٤)
وهَلْ أرْتَجِى أن يَطلبَ الدمَ واترٌ ... يَدَ الدهرِ ، والمَوْتُورُ بالدَّمِ وَاتِرُه (٥)
أَكَانَ وَلِىُّ العَهدِ أضْمَرَ غَدْرَةً ... فَمِنْ عَجَبٍ أن وُلِّىَ العهدَ غادِرُه (٦)
فَلا مُلِّىَ البَاقِى تُرَاثَ الذى مَضَى ... ولَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعاءَ مَنَابِرُه (٧)
ولَا وأَلَ المشكوكُ فِيهِ ولا نَجَا ... مِنَ السيفِ ناضِى السَّيفِ غَدرًا وشاهِرُه (٨)
لَنِعمَ الدمُ المسفوحُ ليلةَ جعفرٍ ... هَرَقْتُم وجُنحُ الليلِ سُودٌ دَيَاجِرُه (٩)

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين اذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل فى الليل . والأعزل : من لاسلاح معه ، يعنى نفسه . وحاسره : لادرع معه فى هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أواثبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : الى أن أرى ، ومائره : جار به ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب فى جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذى قتله فهو واتر وموتور معا ؟ استفهام للنفى .

(٦) ولى العهد : المنتصر الذى خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا يخلفه و يدعى له على المنابر .

(٨) وأل : نجا . ناضى السيف : استله من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كأنكمُ لم تعلمــوا مَنْ وليُّـــهُ وباغيـهِ تحتَ المــرهَفاتِ وثائرُه (١)
وإنّى لأرجو أنْ تُردَّ أمــورُكم إلى خلَفٍ من شخصه لا يُغـادِرُه (٢)
مُقلِّبُ آراءٍ تُخــافُ أناتُـــهُ إذا الأخرقُ العجلانُ خِيفتْ بوادِرُه (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نفسى عمّا يدنّسُ نفسى وترفّعتُ عنْ جدا كُلِّ جِبْسِ (٤)
وتماسكتُ حينَ زعزعَنى الدّهـ ـرُ التماسًا منــهُ لتعسى ونكسى (٥)
بُلَغٌ منْ صُبابَةِ العيشِ عندى طفّفتْها الأيّامُ تطفيفَ بخْسِ (٦)
وبعيــدٌ مابيــنَ واردِ رفْـهِ عَلَلٍ شُـــربُه، وواردِ خِمْسِ (٧)
وكأنّ الزّمانَ أصبحَ محمُــو لًا هواهُ معَ الأخسِّ الأخسِّ (٨)

(١) وليه : صاحبه المطالب به . وباغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثائره : باعثه .

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويختــير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناة . والأخرق : ضعيف الرأى ، خيفت بوادره : يخشى من عجلتــه التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

(٥) تمـاسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى : حركنى بعنف أى حين نالنى خطوبه . التمـاسا منه : طلبا منــه ومحاولة . التعس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأســه ، أى الهزيمة والســـقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغــة وهى ما يكفى من العيش ولا يفضل . والصبابة : البقية . طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تبـاعا . والخمس بالكسر من أظماء الإبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد المـاء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الأنذال ، ويجور على الأخيار .

واشْـتِرائى العِراقَ خُطَّةُ غَبْنٍ بعدَ بَيْعِى الشآمَ بَيعَـةَ وَكْسِ (١)
لا تَرُزْنِى مُزاوِلًا لاختبارى عِندَ هَـذِى البَلْوَى فتُنكِرَ مَسِّى (٢)
وقديمًا عَهِـدتَنِى ذا هَنـاتٍ آبِيـاتٍ عَلَى الدَّنِيّـاتِ شُمْسِ (٣)
ولقَـدْ رابَنِى نُبُـوُّ ابنِ عَمِّى بعدَ لِينٍ مِنْ جانبَيهِ وأُنْسِ (٤)
وَإذَا مَا جُفِيتُ كُنتُ حَرِيًّا أنْ أرَى غَيرَ مُصبِحٍ حَيثُ أُمسِى (٥)
حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فوجَّهْـ تُ إلى أبيَضِ المدائنِ عَنْسِى (٦)
أتَسَـلَّى عَنِ الحُظُوظِ وآسَى لمحَـلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ (٧)
ذَكَّرَتْنِيهِـمُ الخُطُوبُ التَّوالِى ولقد تُذكِرُ الخُطُوبُ وتُنْسِى (٨)

---

(١) اشترائى العراق : إقامتى بها . وبيعى الشآم : رحلتى عنها مع أنها موطنى الأصلى .

(٢) رازه : جرّبه وقدّره . فتنكر مسى : تجدنى أبيا عنيفا منكر الجانب .

(٣) الهنات : خصـال (شر) . شمس : عنيـدة لا تذل ، وآبيـات على الدنيـات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابنى : أوقعنى فى الريب (الشك) أو أرانى ما أكره . والنبو : النفور والجفوة . وابن عمه : هو الخليفة المنتصر ، فالبحترى قحطانى والخليفـة عدنانى . وقحطان وعدنان كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبى العرب ، وهذا يدل على أن البحترى قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه إياه فى رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريا : خليقا . يقول إذا جفيت تنقلت فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .

(٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامى دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالى : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التى ألمت بالدولة العباسية فى خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

وَهُمُ خَافِضُونَ فى ظِـلٍّ عَالٍ … مُشْرِفٍ يَحسِرُ العيونَ ويُخْسِى (١)

مُغـلَقٍ بَابُهُ على جَبَــلِ القَبْـ … ـقِ الى دَارَتَىْ خِلَاطٍ ومُكْسِ (٢)

حِلَلٌ لم تَكُنْ كأَطلالِ سُعدَى … فى قِفَارٍ من البَسَابِسِ مُلْسِ (٣)

ومَسَاعٍ لولا المُحَـابَاةُ مِنِّى … لم تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وعَبْسِ (٤)

نَقَلَ الدَّهرُ عَهدَهُنَّ عن الجِدَّ … ةِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ (٥)

فَكأَنَّ الجِرْمازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ … ـسِ وإِخْلَالِهِ بَنِيَّـــةُ رَمْسِ (٦)

لَوْ تَرَاهُ علِمتَ أنَّ اللَّيَالِى … جَعَلَتْ فيه مَأْتَمًا بعدَ عُرْسِ

وهو يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ … لَا يُشَابُ البيَـانُ فِيهِم بِلَبْسِ (٧)

فإِذا مَا رأيتَ صُـورةَ أَنْطَا … كِيَّةَ ارتَعتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرْسِ (٨)

---

(١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش. فى ظل عال : فى قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخسى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبج والقبجاق . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعدد أممها .

(٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة طائفة من البيوت . والبسابس : القفار . ملس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار .

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنترة العبسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلاها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عاليا بجوار القصر . والرمس : القبر .

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فزعت .

وَالْمَنَايَا مَوَاثِلٌ وأَنُوشَرْ وَانَ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ (١)
فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى أَصْـ ـفَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسِ (٢)
وَعِرَاكُ الرِّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وإِغْمَاضِ جَرْسِ (٣)
مِنْ مُشِيحٍ يَهْوِي بِعَامِلِ رُمْحٍ وَمُلِيحٍ مِنَ السِّنَانِ بِتُرْسِ (٤)
تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا ءٍ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةُ خُرْسِ (٥)
يَغْتَلِي فِيهِمُ ارْتِيَابِي حَتَّى تَتَقَرَّاهُمُ يَدَايَ بِلَمْسِ (٦)

* * *

وَكَأَنَّ الإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْـ ـعَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسِ (٧)
يُتَظَنَّى مِنَ الْكَآبَةِ أَنْ يَبْـ ـدُو لِعَيْنَيْ مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي (٨)
مُزْعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أُنْسِ إِلْفٍ عَزَّ، أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِيقِ عِرْسِ

(١) مواثل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنو شروان : أحد الأكاسرة . يزجى : يسوق . والدرفس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجرس : الصوت .

(٤) المشيح : الحذر . والمليح : الذى يخاف ويحذر أيضا . والترس : المجن .

(٥) تصف العين : يخيل اليها .

(٦) يغتلى الخ : يزيد ارتيابى : شكى فى حياتهم ، تتقراهم : تتبعهم ، أى حتى ألمسهم فى الصورة بيدى لأتبين : أهم أحياء حقا كما يخيل الى .

(٧) الجوب : الخرق . والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل . الجلس : الجبل العالى ، فكأن الإيوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الإيوان وغيره من الغرف والمقاصير — خرق فى جانب جبل أرعن ، وجعل الجبل أرعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . أن يبدو : وقت أن يبدو ومزعجا مفعول ثان ليتظنى ، أى إنه يظن وقت ظهوره للعين مزعجا بفراقه أليفا أو عروسا .

عَكَستْ حظَّهُ الليالي وبَاتَ المُشْـ ... ـتَرِي فيـه وهو كوكَبُ نَحسِ (١)
فَهـو يُبـدِي تَجلُّداً وعليـه ... كَلكَلٌ مِنْ كَلاكِلِ الدهرِ مُرْسِي (٢)
لم يَعِبْـهُ أنْ بُزَّ مِنْ بُسُط الدِّيـ ... ـبَاجِ واسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ (٣)
مُشْمَخِرٌّ تَعْـلُو لَه شُرُفَاتٌ ... رُفِعتْ في رُءوسِ رَضْوَى وقُدْسِ (٤)
لابِسَاتٌ من البَيَاضِ فَمَا تُبْـ ... ـصِرُ مِنْهَا إلّا غَلَائِـلَ بُرْسِ (٥)
لَيسَ يُدرَى أصُنعُ إنْسٍ لِجِنٍّ ... سَكَنُوهُ أمْ صُنعُ جِنٍّ لإِنْسِ
غَيرَ أنِّي أراهُ يَشْهَدُ أنْ لَمْ ... يَكُ بَانِيهِ في المُلُوكِ بِنِكْسِ (٦)

* * *

عُمِرَتْ للسُّرورِ دَهراً فصارت ... لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُـمْ والتَّأَسِّي
فلهـا أنْ أُعِينَهـا بِدُمُوعٍ ... مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبابَةِ حُبْسِ
ذَاكَ عِندِي ولَيستِ الدارُ دارِي ... باقترابٍ منها، ولا الجنسُ جِنسِي
غيرَ نُعمَى لأهلِهَا عِنـدَ أهلِي ... غرسوا مِن زَكَائِها خَيرَ غَرسِ (٧)
أيَّدوا مُلكَنا، وشَدُّوا قُـوَاهُ ... بِكُمَاةٍ تحت السَّنَوَّرِ حُمْسِ (٨)

---

(١) المشترى : كوكب سعد ، ولكنه تحوّل نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه .

(٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر . أى نازلة .

(٣) بز : سلب . واستل : أخرج وانتزع . والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير . والدمقس : الحرير الأبيض .

(٤) مشمخر : عال . شرفات القصر: ما أشرف من بنائه . ورضوى : جبل . وقدس : جبل عظيم بنجد ، يشبه القصر فى ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .

(٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : بكسر الباء وضمها : القطن أو ما يشبهه .

(٦) النكس : الضعيف الدنىء . (٧) زكائها : نمائها .

(٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحمس : شجعان . يشير الى بلاء الفرس فى إقامة الدولة العباسية .

وأعانوا علـى كتائب أريا طَ بطعنٍ على النّحور ودَعْسِ (١)

وأراني مِنْ بَعْدُ أكْلَفُ بالأشـ ـراف طُرًّا من كُلِّ سِنْخٍ وجِنْسِ (٢)

(١٦) ابنُ المعتزّ (٣)

قال يصفُ الروض :

وعَلَى الأرضِ اصفِرَارٌ وَاخْضِرَارٌ واحْمِرَارُ

فكأن الرَّوضَ وشْيٌ بالغَتْ فِيهِ التِّجار (٤)

نَقَشَهُ آسٌ ونِسْرِيـ ـنٌ وَوَرْدٌ وبَهَارُ (٥)

وقال فى سُرَّ مَن رأى بعْدَ تَهدُّمِها :

قَدْ أقفرتْ سُرَّ من رَا فَمَا لشىء دَوَامُ (٦)

فالنقضُ يُحْمَلُ منها كأنها الآجامُ (٧)

(١) أرياط : قائد حبشى فتح اليمن قديما ، ثم أخرج الأحباش بمعونة الفرس . والدعس : الدوس والطعن . (٢) أكلف بالأشراف : أولع بهم . والسنخ : الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويع عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقاتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع فى الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبى تمام ومسلم بن الوليد فى ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر ومعناه هنا الحاذق .

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان . (٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جددها المعتصم وأقام بها . أقفرت : تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف . يريد أن الناس يحملون أنقاضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

ماتَتْ كما ماتَ فِيـلٌ تُسـلُّ منه العِظَامُ (١)

وقال يصف هلالَ شوّال :

أهلًا بفطرٍ قد أنافَ هِـلالُه فالآنَ فاغْدُ على المُدَام وبكِّرِ (٢)

وانْظُرْ اليه كزورقٍ مِن فِضّةٍ قد أثقلتْهُ حُمولَةٌ من عَنْبَرِ (٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لا تَمَـلُّ البُكَا جَرَى دَمعُها فى خُدودِ الثَّرى (٤)

سرت تقدَحُ الصُّبحَ فى ليلِها بِـبَرقٍ كهِنـدِيَّةٍ تُنْتَضَى (٥)

فلمَّـا دنَت جلْجَلتْ فى السما ءِ رعدًا أجَشَّ بجَرْسِ الرّحا (٦)

ضَمَانٌ عليها ارْتِداعُ اليَفَاعِ بأنـوارِهَا واعتِجَارُ الرُّبَا (٧)

فَمَا زالَ مَدمَعُها باكِياً عَلَى التُّربِ حَتَّى اكتسَى ما اكتسَى (٨)

فأضحتْ سَـواءً وجوهُ البِلادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بهـا والتقى (٩)

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها . (٢) أناف : أطل وأشرف . غدا : بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضى حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول إخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول إن برقها يلمع فى الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) الارتداع : الصبغ . اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون : الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض وصبغها بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فيـهِ المنَايَا كَوامِنٌ فَمَا يُنتَضَى إلا لِسفكِ دِماءِ (١)

تَرى فوقَ مَتنَيـهِ الفِرِندَ كأنّهُ بَقِيَّةُ غيمٍ رَقَّ دُونَ سَمَـاءِ (٢)

وقال يصف غديرا :

غَـديرٌ تُرَجرِجُ أمـواجَه هُبُوبُ الرياحِ ومَرُّ الصَّـبَا (٣)

اذا الشمسُ من فوقِه أشرقَتْ تَوهَّمتَـهُ جَوْشَـنًا مُذْهَبَا (٤)

وقال يحذّر الطالبين من طَلَبِ الخلافة ويتوعدهم :

أَبَى اللهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ عِتابٌ على الأقـدار يا آلَ طَالِبِ (٥)

تركناكُمُ حِينًا فهـلَّا أَخَـذْتُمُ تُرَاثَ النـبيِّ بالقَنَا والقـواضِبِ (٦)

زمانَ بنو حَربٍ ومروانَ مُمسكو أَعِنَّـةِ مُلْكٍ جائرِ الحُكْمِ غَاصِبِ (٧)

ألا رُبَّ يومٍ قـد كسوكُمْ عَمَائِمًا من الضَّربِ في الْهَامَاتِ حُمْرَ الذَّوائِبِ (٨)

فلمَّـا أراقُوا بالسُّـيوفِ دِمَاءَكُمْ أَبَيْنَـا ولم نَمْلِكْ حَنِـينَ الأقارِبِ

فَحِينَ أَخَذْنَا ثَأرَكُمْ من عَدُوِّكُمْ قَعَدْتُمْ لَنَـا تُورُونَ نَارَ الحُبَـاحِبِ (٩)

(١) الصارم : السيف القاطع . المنايا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة . (٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء . (٣) الصبا : ريح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف الى الجملة الاسمية بعده . ويريد ببني حرب ومروان دولة بني أمية .

(٨) الهامات : الرءوس . والذوائب : جمع ذؤابة وهي هنا طرف العمامة . يقول : إن بني أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه وما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ونحوها وأورى نار الحباحب كناية عن الفتن التي لا تفيد شيئا .

وحُزْنَا الّتِي أَعْيَتْكُمُ قَــدْ عَلِمْــتُمُ ... فما ذَنْبُنَا ؟ هَلْ قاتِلٌ مثلُ سَالِبِ ؟

عَطِيَّةُ مُلْكٍ قَــدْ حَبَانَا بِفَضْــلِهِ ... وَقَــدَّرَهُ رَبٌّ جَزِيلُ الْمــوَاهِبِ

وَلَيْسَ يُرِيدُ النــاسُ أن تَمْلِكُوهُمُ ... فلا تَثِبُوا فِيهِــمْ وُثُوبَ الْجَنَادِبِ (١)

و إِيَّاكُمُ إيَّاكُمُ وحَــذَارِ مِنْ ... ضَرَاغِمَةٍ فِي الْغَابِ حُمْرِ الْمَخَالِبِ (٢)

أَلَا إِنَّهــا الْحَــرْبُ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمُ ... وجَرَّبْتُمْ وَالْعِــلْمُ عِنْــدَ التَّجَارِبِ

وقال فى الطَّرَد : (٣)

لمــا تَفَــرَّى الأُفُقُ بالضِّــيَاءِ ... مِثْلَ ابتِسامِ الشَّــفَةِ اللَّمْيَــاءِ (٤)

وشَمِطَتْ ذَوَائِبُ الظَّلْمَــاءِ ... وهَمَّ نَجْمُ الليــلِ بالإغْفَــاءِ (٥)

قُدْنَا لِعِــينِ الوحش والظِّبَاءِ ... دَاهِيَــةً مَحْــذُورَةَ اللِّقَــاءِ (٦)

شَائِلَةً كالعَقْــرَبِ السَــمْرَاءِ ... مُرْهَفَــةً مُطْلَقَــةَ الأَحْشَاءِ (٧)

كَمَــدَّةٍ من قَلَــمٍ سَــوْدَاءِ ... أو هُدْبَةٍ مِنْ طَـرَفِ الرِّدَاءِ (٨)

تَحْمِلُهَــا أَجْنِــحَةُ الْهَــوَاءِ ... تَسْــتَلِبُ الْخَطْــوَ بلا إبْطَاءِ

---

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب : مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . و يريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم .   (٣) الطرد بفتحتين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبى نواس وابن الرومى وابن المعتز .

(٤) تفرى : لبس الفرو . يريد لمـا استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمرة فى حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، و يريد بالداهية كلبة الصيد يقول لمـا أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها .   (٧) شائلة : مرتفعة الذنب . ومرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الواحدة من المداد . والهدبة : الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوَثَّقَ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ (١)
كَأَثَرِ الشِّهَابِ فِى السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجْرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِأُذُنٍ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ (٢)
ذَا بُرْثُنٍ كَمِثْقَبِ الْحَذَّاءِ ومُقْلَةٍ قَلِيلَةِ الْأَقْذَاءِ (٣)
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ يَنْسَابُ بَيْنَ أَكَمِ الصَّحْرَاءِ
مِثْلَ انْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقْطَاءِ آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ والفَضَاءِ (٤)
سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعٍ الْأَطْلَاءِ فِى عَازِبٍ مُنَوِّرٍ خَلَاءِ (٥)
أَحْوَى كَبَطْنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنَقْشِ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ (٦)
كَأَنَّمَا ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ والْعَنَاءِ (٧)

* خَمْسِينَ لا تَنْقُصُ فى الإِحْصَاءِ *

---

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : إنه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب فى السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : المخلب . والحذاء : الاسكاف .

(٤ و ٥) السفح : عرض الجبل . وآنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء فى البيت بعده مفعوله : أى أن هذا الكلب أبصر سرب غزلان . ترتع أطلاؤها : أى أولادها فى عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة فى سواد وهو وصف العازب قبله .

(٧) الأين: التعب . يقول : إن هذا الكلب يصيد ما لا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

(١) تعزيةٌ لابنِ المُقفَّع(١) :

أَمَّا بعدُ، فإنَّ أمرَ الآخرةِ والدُّنيا بيدِ الله، هو يُدبِّرهما ويقضى منهما ما يشاءُ، لا رادَّ لقضائِه ولا مُعقِّبَ(٢) لحُكْمِه ؛ فإنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ بقدرته، ثُمَّ كَتَبَ عليهم الموتَ بعدَ الحياةِ لئلا يَطْمعَ أحدٌ من خلقه فى خُلْدِ الدُّنيا، ووقَّتَ لكُلِّ شىءٍ ميقاتَ أجلٍ، لا يستأخرون عنه ساعةً ولا يستقدمون ؛ فليس أحدٌ من خلقِه إلَّا وهو مستيقنٌ بالموتِ، لا يرجو أنْ يُخلِّصَه من ذلك أحدٌ، نسأل الله خيرَ المُنقلَب(٣) .

وبلغنى وفاةُ فلانٍ فكانت وفاتُه من المصائبِ العظامِ التى يُحتَسَبُ(٤) ثوابُها من ربِّنا الذى إليه مُنقلبُنا ومعادُنا، وعليه ثوابُنا . فعليك بتقوى اللهِ والصَّبرِ وحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ ؛ فإنَّه جعلَ لأهلِ الصَّبرِ صلواتٍ(٥) منه ورحمةً وجعلهم من المُهتدين .

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ . ونشأ بالبصرة . وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى . وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء . وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقة عبارته وأسلوبه السهل الممتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ .

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه . يريد هنا أن حكم الله لا ينقض .

(٣) المنقلب : المرجع، يقال : كل أمرئ يصير الى منقلبه .

(٤) احتسب المرء عند الله خيرا : قدمه .

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة . يشير الى قوله تعالى : « وبشر الصابرين » الآية .

وَلَهُ مِن الأدب الصَّغِير :

مِن أَشَدِّ عُيُوب الإنسان خَفَاءُ عيوبِهِ عَلَيْهِ . فإن من خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيت عليه مَحَاسِنُ غَيْرِهِ، فَلَنْ يُقْلِعَ(١) عَنْ عَيْبِه الذى لا يَعْرِفُه ولَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِه ... ...

لا يُؤمننَّكَ شَرَّ الجاهلِ قَرَابَةٌ ولا جِوارٌ ولا إلْفٌ(٢)؛ فإن أَخْوَفَ ما يَكُونُ الإنسانُ لِحَرِيق النَّارِ أقربُ ما يَكُونُ مِنْها(٣) . وكذلك الجَاهِلُ إن جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ(٤)، و إن نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ، و إن أَلِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مالا تُطِيقُ، و إن عَاشَرَكَ آذَاكَ وأَخَافَكَ، مع أَنَّهُ عِنْدَ الجُوعِ سَبُعٌ ضارٍ(٥)، وعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ، وعِنْد المُوَافَقَةِ فى الدِّينِ قَائِدٌ إلى جَهَنَّمَ؛ فأنت بالهَرَب منه أَحَقُّ منك بالهَرَب من سُمِّ الأَسَاوِدِ(٦) والحَرِيقِ المَخُوفِ والدَّيْنِ الفَادِحِ(٧) والدَّاءِ العَيَاءِ(٨) ...

---

(١) أقلع عن عيبه : كف عنه وتركه .

(٢) الإلف بكسر الهمزة وسكون اللام . والألفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء الصداقة .

(٣) أى يشتد خوف الإنسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذا صلة قوية بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الأساود : مفرده أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثقل . يقال نزل به أمر فادح ، وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لا يبرأ منه المريض .

(٢) أحمـــد بن يوسف(١)

كتب يهنئ بمـــولود :

أمّا بعدُ، فليس من أمرٍ يجعلُ اللهُ لك فيه سرورا إلّا كنتُ به بهجًا أعتدُّ(٢) فيـه بالنّعمةِ من اللهِ الذى أوْجبَ علىّ منْ حقّكَ، وعرّفنِى منْ جميلِ رأيِكَ . فزادكَ اللهُ خيرًا، وأدامَ إحسانَهُ إليْكَ . وقدْ بلغنِى أنّ اللهَ وهبَ لكَ غلامًا سريًّا(٣) أجملَ صورتَهُ، وأتمّ خلْقَهُ، وأحسنَ فيهِ البلاءَ(٤) عنـدك فاشتدّ سرورى بذلكَ . وأكثرتُ حمْدَ اللهِ عليْهِ . فبارَكَ اللهُ فيهِ وجعلَهُ بارًّا(٥) تقيًّا يشدُّ عضُدَكَ(٦)، ويكْثِرُ عددَكَ، ويقرُّ عينَكَ(٧).

وكتب أيضا تهنئة بظفر :

بلغنى — فتحَ اللهُ عليكَ — خروجُ ابنِ السّرىّ إليْكَ، فالحمْدُ للهِ النّاصرِ لدينِهِ، المُعزِّ لوليّـهِ وخليفتِهِ على عبـادِهِ، المُذلِّ لمنْ صدّ(٨) عن حقِّهِ ورغبَ(٩) عنْ طاعتهِ ؛

---

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : إن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتابا لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف فى بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر فى زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والإخوانية . وكانت طريقته فى الكتابة تميل الى التوســع فى المعانى والأساليب والعبارات وجزالة الألفاظ وتطويل الرسائل السلطانية . وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أى أعدّ ذلك نعمة على من الله . (٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) بارا : صالحا مطيعا .

(٦) العضد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سرورا . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صده عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يذل من وقف فى سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

ونسأل الله أن يُظاهر النِّعم (١)، ويفتح بلدان الشِّرك (٢) بك، والحمد لله على ما والاك (٣) منذ ظعنت (٤) لوجهك، فإنّا نتذاكر سيرتك في حربك وسلمك، ونكثر التعجّب لما وفقت له من وضع الشدة واللَّيان (٥) بموضعهما، ولا نعلم سائر (٦) جند ولا رعية عدل بينهم عدلك ولا من عفا بعد القدرة عمّن آسفه (٧) وأضغنه (٨) عفوك .

وكتب في الذم :

أمّا بعد، فلا أعلم للمعروف (٩) طريقًا أحزن (١٠) ولا أوعر من طريقه إليك، ولا مستودعًا (١١) أقلّ زكاء (١٢)، ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عندك ؛ لأنه يحصل منك في حسب دنيّ (١٣)، ولسان بذيّ (١٤)، ونسب قصيّ (١٥)، وجهل (١٦) قد ملك طباعك ؛ فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنّما غايتك في المعروف أن تحرزه، وفي وليّه أن تكفر (١٧) به .

---

(١) ظاهره مظاهرة : عاونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) والى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظعن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشدّدة مصدر لان يلين وهو ضد الشدّة . والليان : بالكسر الاسم من لان .

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك في قومك .

(٧) آسفه إيسافا : أغضبه وأحزنه . (٨) أضغنه : حمله على الضغينة . ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن قوم أساءوا اليه وحملوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والاحسان . (١٠) الطريق الحزن : ضدّ السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء . (١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الخسيس الذليل . (١٤) البذى بتخفيف الهمزة أيضا : المحتقر السفيه . (١٥) القصى : البعيد . (١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه الى عامل ظالم :

"الحق طريق واضح لمن طلبه، تهديه محجته(١)، ولا تخاف عثرته(٢)، وتؤمن فى السر مغبته(٣)، فلا تقلل(٤) منه، ولا تعدلن عنه، فقد بالغت فى مناصحتك، فلا تحوجني الى معاودتك(٥)، فليس بعد التقدمة(٦) إليك إلا سطوة الإنكار عليك".

(٣) الحسن بن سهل(٧)

كتب الى محمد بن سماعة القاضى(٨) يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض ما يهمه :

أما بعد، فإنى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير، ذى عفة ونزاهة طعمة(٩)، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بظنين(١٠) فى رأيه، ولا بمطعون فى حسبه . إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهماً من الأمور أجزأ(١١) فيه، له سن(١٢) مع أدب ولسان، تقعده الرزانة ويسكنه الحلم، قد فر(١٣) عن ذكاء

(١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلة . (٣) المغبة : عاقبة الشيء .

(٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه . (٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .

(٦) التقدمة مصدر قدم الشيء تقدمة . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه .

(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفى سنة ٢٣٦ هـ .

(٨) محمد بن سماعة القاضى : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . توفى سنة ٢٣٣ هـ .

(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يجتنى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل . (١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم ، يريد أنه لا يصدر الرأى عن الميل والهوى . (١١) أجزأ فى الأمر كان له كفؤا وقام به على خير وجوهه .

(١٢) السن هنا : التقدم فى العمر . (١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين . يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .

وفِطْنَةٍ، وعَضٍّ على قَارِحَةٍ من الكَمَالِ (١) . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ، وتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ خِدْمَةَ المُلُوكِ وأَحْكَمَهَا، وقامَ فى أُمُورِهِمْ فَحُمِدَ فِيهَا . لَهُ أَنَاةُ (٢) الوُزَرَاءِ، وَصَوْلَةُ (٣) الأُمَرَاءِ، وتَوَاضُعُ العُلَمَاءِ، وفَهْمُ الفُقَهَاءِ، وجَوَابُ الحُكَمَاءِ . لا يَبِيعُ نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَكَادُ يَسْتَرِقُّ (٤) قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ، وحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَائِلُ الفَضْلِ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ (٥)، وأَمَارَاتُ العِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ، مُضْطَلِعًا (٦) بِمَا اسْتُنْهِضَ (٧)، مُسْتَقِلًّا (٨) بِمَا حُمِّلَ . وقَدْ آثَرْتُكَ (٩) بِطَلَبِهِ، وحَبَوْتُكَ بارْتِيَادِهِ (١٠)، ثِقَةً بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ، وَمَعْرِفَةً بِحُسْنِ تَأَتِّيكَ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمى

قال : كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّى . وكَانَتْ لَبِيبَةً مِنَ النِّسَاءِ، حَازِمَةً فَصِيحَةً بَرْزَةً (١١) . يُعْجِبُنِى أَنْ أَجِدَهَا عِنْدَ أُمِّى فَأَسْتَكْثِرَ مِنْ حَدِيثِهَا، فَقُلْتُ لَهَا يَوْمًا : يَا أُمَّ جَعْفَرَ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُفَضِّلُ جَعْفَرًا على الفَضْلِ، وبَعْضَهُمْ يُفَضِّلُ الفَضْلَ على جَعْفَرٍ، فَأَخْبِرِينِى . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الفَضْلَ.

---

(١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابه، ولا يكون له ذلك إلا اذا استكمل السن والقوة، يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .

(٣) الصولة : القدرة والسطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها .

(٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به : نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشىء : حمله ورفعه، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشىء : اختصه به وفضله على غيره .

(١٠) ارتاد الشىء ارتيادا طلبه وبحث عنه .

(١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة .

للفضــل . فقلتُ : إنّ أكثرَ النّاس على خلافِ هــذا . فقالت : هأنا أُحدِّثك واقضِ أنتَ . وذلكَ الّذى أردتُ منهـا . فقالَتْ : كانا يومًا يلعبانِ فى دارى، فدخلَ أبوهما فدعا بالغداء وأحضرَهما، فطعما معهُ ثمّ آنسهما بحديثه، ثمّ قالَ لهما : أتلعبانِ بالشّطرنج؟ فقالَ جعفرٌ، وكانَ أجرأهما: نعم! قالَ: فهل لاعبتَ أخاكَ بها؟ قالَ جعفرٌ : لا ! قالَ : فالعبا بها بينَ يدىّ لأرى لمنِ الغلبُ . فقالَ جعفرٌ: نعم! وكانَ الفضلُ أبصرَ منهُ بهـا . فجىء بالشّطرنج فصفّتْ بينهما، وأقبـلَ عليها جعفرٌ وأعرضَ عنها الفضلُ . فقالَ لهُ أبوهُ : مالكَ لا تلاعبُ أخاكَ ؟ فقالَ : لا أُحبُّ ذلكَ . فقالَ جعفرٌ : إنّهُ يرى أنّه أعلمُ بهـا منّى فيأنفُ من ملاعبتى، وأنا ألاعبـهُ مخاطرةً (١) . فقالَ الفضلُ : لا أفعل . فقالَ أبوهُ : لاعبْهُ وأنا معكَ . فقالَ جعفرٌ : رضيتُ . وأبى الفضلُ واستعفى (٢) أباهُ فأعفاهُ . ثمّ قالَتْ لى : قدْ حدّثتُك فاقضِ . فقلتُ : قــدْ قضيتُ بالفضــلِ للفضــلِ على أخيــه . فقالَتْ : لوْ علمتُ أنّكَ لا تحسنُ القضاءَ لمـا حكّمتُكَ . أفلا ترى أنّ جعفرًا قد سقطَ أربعَ سقطاتٍ تنزّه الفضلُ عنهنّ : فســقطَ حينَ اعترفَ على نفسهِ بأنّه يلعبُ بالشّطرنج، وكانَ أبوهُ صاحبَ جدّ (٣) . وسقطَ فى التزامِ ملاعبةِ أخيه، وإظهارِ الشّهوةِ لغلبه، والتّعرّضِ لغضبه . وســقطَ فى طلبِ المقامرةِ وإظهارِ الحرصِ على مالِ أخيه . والرّابعــة قاصمةُ الظّهرِ حينَ قالَ أبوهُ لأخيه : لاعبْهُ وأنا معكَ . فقالَ أخوهُ لا، وقالَ هو نعم،

(١) المخاطرة المراهنة، يقال : لاعبه على خطر بفتحتين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه الا يكلفه إياه .

(٣) الجد بكسر الجيم : ضد الهزل .

وَنَاصَبَ صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ(١) . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ واللهِ ! وَإِنَّكِ لأَقْضَى مِنَ الشَّعْبِيِّ(٢) . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ عَلَيْكِ(٣) أَخْبِرِينِي : هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هٰذَا على جَعْفَر وقد فَطِنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فقَالَتْ : لَوْلَا العَزْمَةُ لَمَا أَخْبَرْتُك ، إِنَّ أَبَاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لِلفَضْلِ خَالِيَةً به : ما مَنَعَكَ من إِدْخَالِ السُّرُورِ على أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ فقال : أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، والثَّانِي قَوْلُ أَبِي لَاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ ، فَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِي على أَخِي . ثم خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عن اللَّعِبِ بالشِّطْرَنْجِ فَيَصْمُتُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وأَبُوكَ صَاحِبُ جِدٍّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : نِعْمَ لَهْوُ البَالِ المَكْدُودِ(٤) . وَقَدْ عَلِمَ ما نَلْقَاهُ من كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأَدُّبِ ، وَلَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ أَنَّا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكِرَ ، فَبَادَرْتُ بِالإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وعلَيْه ، وقُلْتُ إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فَدَيْتُهُ مِنَ المُوَاجَهَةِ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا بُنَيَّ : فَلِمَ تَقُولُ أَلَاعِبُهُ مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فقال : كَلَّا وَلٰكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عليه فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِي فَأُخَاطِرَهُ عليها وهو يَغْلِبُنِي فَتَطِيبَ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هٰذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ على أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فَرَأَى بين يَدَيْهِ دَوَاةً من العَقِيقِ الأَحْمَرِ مُحَلَّاةً بِاليَاقُوتِ الأَزْرَقِ وَالأَصْفَرِ ، فَرَآهُ يَنْظُرُ

---

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم . والاسم منه العزمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إليها فوهبها له . فقلت إيه . فقالت : ثم قلت لجعفر هبك(١) اعتذرت بما سمعت فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لاعبه وأنا معك؟ فقلت أنت : نعم، وقال هو : لا . فقال : عرفت أنه غالبي ، ولو فتر لعبه لتغالبت له(٢) ، مع ماله من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه . قال محمد بن عبد الرحمن فقلت : بخ بخ(٣) ، هذه والله السيادة . ثم قلت لها : يا أماه : أ كان منهما من بلغ الحلم؟ فقالت : يا بني: أين يذهب بك ؟ أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول : أ كان منهما من بلغ الحلم، لقد كنا نتهى الصبي إذا بلغ العشر وحضر من يستحى منه أن يبتسم .

(٥) الصـــولي(٤)

من رسائله في تعزية على لسان المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

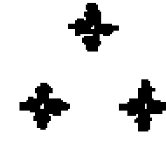
أما بعد ، تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك ! إن أفضل النعم نعمة تلقيت(٥) بحق الله فيها من الشكر، وأوفر حادثة ثوابا حادثة أدى

(١) يقال : هبك صنعت كذا أي افرض أنك صنعت . وهي كلمة ملازمة للأمر لا تتصرف لغيره من الأفعال . (٢) فتر يفتر من باب نصر ومن باب ضرب : ضعف .

(٣) بخ بفتح الباء وسكون الخاء : اسم فعل للدح و إظهار السرور بالشيء . و يكرر للبالغة فيقال : بخ بخ بالكسر والتنوين .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد ابن عم عمرو بن مسعدة . نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه واشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء ، وتولى في خلافة المتوكل ديوان النفقات . وكان من أكبر الكتاب ومن أفذاذهم المعروفين في زمانه حتى لقب بكاتب العراق ، وله رسائل كثيرة أشهرها ما كتبه في التعازي . توفي بسر من رأى سنة ٢٤٢ هـ . (٥) تلقي الشيء : بمعنى لقيه .

حق الله منها من الرضا والتسليم والصبر، ومثلك من قدم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها، وفي مصيبة فأطاعه فيها. وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين (عفا الله عنه) قضاءه السابق والموقع (١). وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين (أدام الله عزه) وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجا (٢) والفهم ما اعتاضه (٣) معتاض وقدمه موفق. فليكن الله (عز وجل) وما أطعته به وقدمت حقه فيه أولى بك في الأمور كلها؛ فإنك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته، يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك.



ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عليه، وهي من الرسائل التي أغنت عن الجيوش:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه مما قوم به من أود (٤)، وعدل به من زيغ (٥)، ولم به من منتشر، استعمال ثلاث يقدم بعضهن على بعض: أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف (٦)، ثم ما يستظهر (٧) به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع بحسم (٨) الداء غيرها:

(١) الموقع: المقدر. (٢) الحجا: العقل.

(٣) اعتاض منه: أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض.

(٤) الأود هنا: الاعوجاج.

(٥) الزيغ: الميل عن الحق.

(٦) وقفه على الشيء: أفهمه.

(٧) استظهر به: استعاذ.

(٨) حسمه: قطعه مستأصلا إياه.

أَنَاةٌ (١)، فإنْ لم تُغْنِ عَقَّبَ بعدَها ... وَعِيدًا، فإنْ لم يُغْنِ أغْنَتْ عزائِمُهْ

وكَتَبَ إبراهيمُ الصُّولِي الى ابْنِ الزَّيَّاتِ (٢) يَسْتَعطِفُهُ :

كَتَبْتُ وقد بلغَتِ المُدْيَةُ (٣) المَحَزَّ (٤)، وعَدَتِ (٥) الايَّامُ بِكَ عليَّ بعدَ عَدْوَاىَ (٦) بِكَ عليها . وكَانَ أَسْوَأَ الظَّنِّ وأَكْثَرَ خَوْفِي أنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِها وتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاتِها (٧)، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْها؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي (٨) خَوْفًا مِنْكَ، وَبَادَرَ (٩) إِلَيَّ العَدُوُّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْـ ... ـرِ صَاحِبَ أَيُّنَا غَلَبَا (١٠)

---

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) المحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب المحز . والمحز بكسر الميم : آلة الحز . يريد أن الأمر وصل الى غايته من الشدة .

(٥) عدت الأيام : اعتدت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأذاة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ ..) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه فى ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه إذا أصابته بأذى فاذا هو أضر عليه منها وأشد أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر الى الشيء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار اليه بأن يكون معه حينا يكون الزمان معه ويكون عليه حينا يخونه الدهر .

صديقي ما استقام وإن ... نبا دهر على نبا (١)

وثبت على الزمان به ... فعاد به وقد وثبا (٢)

ولو عاد الزمان لنا ... لعاد به أخا حدبا (٣)

ثانيا — النثر العلمي

(١) أبو يوسف (٤)

قال في كتاب "الخراج" :

وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به، وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر؛ فاذا ثبت ذلك عندك وصح، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجعة والنكال، حتى لا يتعدوا ما أمروا به، وما عهد اليهم فيه، فان كل ما عمل به والي الخراج من الظلم والعسف فإنما يحمل على أنه قد أمر به، وقد أمر بغيره، وان أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف، وان لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجترءوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لا يجب عليهم . واذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك واحتجان

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . هذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول : هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتي وهجم علي مع الزمان .

(٣) حدب عليه : تعطف . وأخ حدب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه اذا صادقه الزمان عاد ذلك النابي عليه صديقا له .

(٤) أبو يوسف هو القاضي يعقوب بن ابراهيم الأنصاري الكوفي أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيد .

شيءٍ من الفيء ، أو خُبث طُعمته أو سُوءُ سـيرته لحرامٌ عليـك استعماله والاستعانةُ به ، وأنْ تقلّده شيئًا من أمورِ رعيتكَ أو تُشركَهُ فى شيءٍ من أمرِكَ ، بَلْ عاقِبهُ على ذَلكَ عقوبةً تردعُ غيرَه من أن يتعرّضَ لمثلِ ما تعرّضَ لهُ . وإياك ودعوةَ المظلومِ فانّ دعوته مُجابةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ (١)

كان أردشيرُ بنُ بابَك أوّلَ من رتّبَ النُّدماءَ (٢) وأخذَ بزِمامِ سياستهم ، فجعلهم ثلاثَ طبقاتٍ :

فكانت الأساورةُ (٣) وأبناءُ الملوكِ فى الطّبقةِ الأولى ، وكان مجلسُ هذه الطّبقةِ من الملكِ على عشرة أذرعٍ من السّتارةِ .

ثم الطّبقة الثانية كان مجلسُها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بِطانةُ الملك وندماؤه ومحدّثوه من أهلِ الشّرفِ والعِلْمِ) .

ثم الطّبقةُ الثالثةُ كان مجلسُهم على عَشْرةِ أذْرُعٍ من الثانيةِ وهُم المُضحِكونَ وأهلُ الهزْلِ والبطالةِ ، غيرَ أنه لم يكُن فى هذه الطّبقةِ الثّالثةِ خسيسُ الأصْلِ ولا وضيعهُ ،

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى . ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون فى أيامه ولازم ابراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم فى زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا الرفيق والصاحب .

(٣) أساورة الفرس : هم الفرسان .

ولا نَاقِصَ الجَوَارِحِ (١)، ولا فَاحِشَ الطُّولِ والقِصَرِ، ولا مَؤُوفٍ (٢)، ولا مَجْهُولَ الأَبَوَيْنِ، ولا ابْنُ صِنَاعةٍ دَنِيئةٍ كَابْنِ حائكٍ أو حَجَّامٍ ولو كان يَعْلَمُ الغَيْبَ مثلاً .

وكان أردشير يقول: "ما شيءٌ أسرَعَ في انتِقَالِ الدُّوَلِ وخَرَابِ المَمْلَكَةِ من انْتِقَالِ هذِهِ الطبقاتِ عن مَرَاتِبِها، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ الى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ، ويُحَطَّ الشَّرِيفُ الى مرتبةِ الوضيعِ . وكان الذى يقابل الطَّبَقَةَ الأولى من الأَسَاوِرَةِ وأبناءِ المُلُوكِ أهلَ الحَذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغَانِي . فكانوا بإزاء هؤلاء نُصْبَ خَطِّ الاسْتِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَمَاءِ الملكِ وبِطانته الطبقةُ الثانيةُ من أصحابِ المُوسِيقِيَّاتِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّالِثَةَ من أصحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضحِكِين أصحابُ الوَنِّجِ (٣) والمَعَازِفِ والطَّنَابِيرِ (٤)، وكان لا يَزْمُرُ الحَاذِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحاذِقِ من المُغَنِّين . وان أمَرَه المَلِكُ بذلك رَاجَعَهُ واحتَجَّ عليه"

(٣) من كتاب الكامل للمبرّد (٥)

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ مِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ : "لم يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ" يَقُولُ : إذا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شيءٌ فَحَذَّرَكَ أَنْ يَحُلَّ بِكَ مِثْلُه فَتَأْدِيبُهُ إيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِه .

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بآفة .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى الذاكرة سريع الحفظ يعدّ من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الأدبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالهم: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا" وتأويلُه أنَّ الرَّجُلَ يعملُ العَمَلَ فلا يُحكِمُه للاستعجالِ بهِ، فيحتاجُ إلى أنْ يعودَ فينقضَهُ، ثم يستأنِف. والرَّيْثُ: الإبطاءُ، وراثَ عليه أمرُه: إذا تأخَّر. ومن أمثالِ العَرَب: "عَشِّ ولا تغترَّ" وأصلُ ذلك أنْ يمرَّ صاحبُ الإبِلِ بالأرضِ المُكْلِئَةِ (1) فيقول: أَدَعُ أنْ أُعَشِّيَ إبِلِي منْها حتَّى أرِدَ علَى أُخرى، ولا يَدْرِي ما الَّذِي يَرِدُ عَلَيْـهِ. وقَرِيبٌ مِنه قَوْلُهُمْ: "أنْ تَرِدَ المَـاءَ بِماءٍ (2) أكْيَس" وتأويلُه أنْ يمرَّ الرَّجُلُ بالمَـاءِ فلَا يَحْمِلَ مِنْه اتّكَالًا على ماءٍ آخَرَ يَصيرُ إلَيْهِ، فيُقالُ له: أنْ تحمِلَ معَكَ ماءً أحْزَمُ لَكَ، فإنْ أصبْتَ ماءً آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ، فإنْ لَمْ تَحمِل تَخَفَّفْتَ مِن المَـاءِ عَطِبْتَ (3). ومِنْ أمْثالِهِم: "قَدْ أَحْزِمُ لَوْ أعْزِمُ" يَقُولُ: أعْرِفُ وَجْهَ الحَزْمِ فإن عَزَمْتُ فأَمْضَيْتُ الرَّأيَ فأنَا حَازِمٌ، وإنْ تَركْتُ الصَّوابَ وأَنَا أَرَاه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينْفَعْني حَزْمِي. ومِثْلُه قَولُ النَّابِغَةِ الجَعْدِي:

أَبَى لِي البَلَاءُ وأَنِّي امرُؤٌ … إذا ما تَبَيَّنْتُ لم أرْتَبِ

وقال أعْرَابِي يَمْدَحُ سَوَّارَ بنَ عَبْدِ اللهِ:

وأَوْقَفُ عِنْدَ الأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ … وأَمْضَى إذا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيَا (4)

فالَّذِي يُحمَدُ إمْضَاءُ ما تَبَيَّنَ رُشْدُهُ، فأمَّا الإقْدامُ علَى الغَرَرِ (5)، ورُكُوبُ الأَمْرِ عَلَى الخَطَرِ، فلَيسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبَاب.

(1) أكلأت الأرض: كثر كلأها. الكلأ: العشب رطبا ويابسا.

(2) بماء: أى مع ماء. والكياسة: الفطانة. ورجل كيس: فطن. والأكيس: اسم تفضيل منه.

(3) عطبت: هلكت. (4) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (يضح): انكشف وبان. مضى على الأمر: أتمه. يقول إنه أشد تحرجا من المضاء فى الأمر إذا لم يتبين له وجه الصواب فيه؛ على أن له من الفطنة والألمعية ما يبعثه على المضاء راشدا فى حين يمضى غيره متشككا متخبطا.

(5) الغرر بفتح العين والراء: التعرض للهلاك.

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى[1] :

" خلافة الأمين "

وفى هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويِعَ لِمُحَمَّدٍ الأَمِينِ بنِ هارونَ بِالخِلافَةِ فى عَسْكَرِ الرَّشِيدِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ هارونَ المأمونُ يومئذٍ بِمَرْو ، وكانَ فيما ذُكِرَ قد كَتَبَ حَمَّوَيْه مَولَى المَهْدِى صاحِبُ البَرِيدِ بِطُوس إلى أبِى مُسْلِمٍ سلام مَوْلاهُ وخَليفَتِهِ بِبَغْداد على البَرِيدِ والأَخْبارِ يُعْلِمُهُ وَفاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ على مُحَمَّدٍ فَعزَّاهُ وهَنَّأهُ بِالخِلافَةِ . وكانَ أوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجاءٌ الخادِمُ يومَ الأَرْبِعاءِ لأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمادَى الآخِرَةِ : كانَ صالِحُ بنُ الرَّشِيدِ أرسَلَهُ إِلَيْهِ بِالخَبَرِ بِذَلِكَ ، وقِيلَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمادَى الآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يومَ الجُمُعَةِ وسَتَرَ خَبَرَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ولَيْلَتَهُ ، وخاضَ النَّاسُ فِى أَمْرِهِ ، ولَمَّا قَدِمَ كِتابُ صالِحٍ عَلَى مُحَمَّدٍ الأَمِينِ مَعَ رَجاءٍ الخادِمِ بِوَفاةِ الرَّشِيدِ، وكانَ نازِلاً فِى قَصْرِهِ بِالخُلْدِ، تَحَوَّلَ الى قَصْرِ أبِى جَعْفَرٍ بالمَدِينَةِ، وأَمَرَ النَّاسَ بِالحُضورِ لِيومِ الجُمُعَةِ فَحَضَرُوا وصَلَّى بِهِمْ فلمَّا قَضَى صَلاتَهُ صَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليهِ ونَعَى الرَّشِيدَ الى النَّاسِ وعَزَّى نَفْسَهُ والنَّاسَ ، ووعَدَهُم خَيْرًا وبَسَطَ الآمالَ، وأَمَّنَ الأَسْوَدَ والأَبْيَضَ، وبايَعَهُ جِلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وخاصَّتُهُ ومَوالِيهِ وقُوَّادُه، ثُمَّ دَخَلَ ووَكَّلَ بِبَيْعَتِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُم عَمَّ أبيهِ سُلَيْمانَ بنَ أبِى جَعْفَرٍ فَبايَعَهُم

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . ولد فى طبرستان، ورحل الى بغداد وغيرها فى طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذى اقتبسنا منه هذه النبذة . وقد توفى سنة ٣١٠ هـ .

وأمر السِّنْدىّ بمُبَايعةِ جميع النـاس منَ القوّاد وسائر الجُند، وأمرَ للجُند ممَّن بمدينة السَّلَامِ برزقِ أربعـةٍ وعشرينَ شهراً وبخواص مَنْ كانَتْ له خَاصَّةٌ لهذه الشُّهورِ .

(ه)من كتاب ألف ليلة وليلة وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها له أصل فارسى يعدّ نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق

ومما يُحكَى أنّ خالدَ بن عبد الله القسرى كان أمير البصرة . فجاء إليـه جماعة متعلقون بشاب ذى جَمَالٍ باهرٍ، وأدب ظاهرٍ، وعقل وافرٍ، وهو حسن الصورة طيب الرائحة، وعليه سَكينَة ووقار، فقدَّموه الى خالد فسألهم عن قصته، فقالوا هذا لِصٌّ أصبناه (١) البارحة فى منزلنا، فنظر إليه خالد فأعجبه حسنُ هيئته ونظافتُه . فقال : خلّوا (٢) عنه . ثم دنا منه، وسأله عن قصته فقال : إنّ القومَ صادقُون فيما قالُوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالدٌ : ما حملك على ذلك وأنت فى هيئةٍ جميـلةٍ وصورةٍ حسنةٍ ؟ قال : حَمَلَني على ذلك الطمعُ فى الدنيا وقضاءُ الله سبحانه وتعالى . فقال له خالدٌ : ثَكِلَتْكَ (٣) أمُّكَ ! أما كان لك فى جمالِ وجهك وكمالِ عقلك وحسنِ أدبك زاجرٌ (٤) يزجرُك عن السرقة . قال : دع عنك هذا أيهـا الأمير ! وامضِ الى ما أمر الله تعالى به فذلك بمـا كسبتْ يدَاى، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالدٌ

(١) أصبناه : أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) ثكلت المرأة ابنها : فقدته، وهى تكلى كلمة للدعاء على الإنسان، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل .

(٤) أى تقذه .

ساعةً يفكر فى أمر الفتى، ثم أدناه منهُ وقال له: إن اعترافَكَ على رءوس الأشهاد قد رابنِى وأنا ما أظنك سارقًا، ولعلّ لك قصةً غير السرقةِ فأخبرنِى بِهَا. قال أيها الأمير: لا يقعْ فى نفسك شيءٌ سوى ما اعترفتُ به عنـدكَ وليس لى قصةٌ أشرحُهَا إلا أنى دخلت دار هؤلاءِ فسَرَقْتُ ما أمكننى، فأدرَكونى، وأخذوه منى وحملونى إليـك. فأمر خالد بحبسه، وأمر مناديًا ينادى بالبصرة: ألا من أحَبَّ أن ينظرَ الى عقوبةِ فلانٍ اللص وقطع يده فليحضُرْ منَ الغَدَاة الى المحلّ الفلانى. فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفّس الصُّعدَاءَ (١) وأفاض العبرات. وأنشد هذه الأبيات:

هَـدَّدنِى خالدٌ بقطعِ يَدِى ... إذ لَمْ أبُحْ عنْـدَهُ بِقِصَّتِهَا
فقُلْتُ: هَيهاتَ أنْ أبُوحَ بِمَا ... تَضمَّنَ القلبُ مِنْ مَحبَّتِهـا!
قطعُ يَدِى بالذى اعترفتُ بهِ ... أهونُ لِلقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسمِعَ ذلك الْموَكّلون بِه، فأتَوْا خالدًا وأخبرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ. فلمَّا جَنَّ (٢) الليلُ أمَرَ باحضَارِهِ عندَهُ، فلما حضرَ استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقلًا أديبًا فطنًا ظريفًا (٣) لبيبًا. فأمَرَ له بطعامٍ، فأكَلَ وتحدّثَ معهُ ساعةً، ثُمَّ قال له خالدٌ قد علِمتُ أنّ لك قِصةً غَيْرَ السَّرِقَةِ فاذا كانَ الصَّباحُ وحضرَ الناسُ وحضرَ القاضِى وسألَكَ عن السرِقةِ فأنكِرْهَا، واذْكُرْ ما يَدْرَأُ (٤) عنْكَ حَدَّ القَطْعِ، فقَدْ قال رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلَّمَ:

---

(١) الصعداء: التنفس الطويل من هم أو تعب.

(٢) جن الليل: أظلم.

(٣) فطن للأمر: أدركه بحذق فيه فهو فطن. الظرف: الكياسة والحذق والبراعة. ورجل (ظريف): بارع كيس.

(٤) يدرأ عنك: يدفع عنك.

« ادرءوا الحـدود بالشبهات » ثم أمر به إلى السجن (وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح) .

(وفى ليلة اثنتين وأربعين وثلثمائة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن خالدا بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته ، فلما أصبح الصباح حضر الناس ينظرون قطع يد الشاب ، ولم يبق أحد فى البصرة . ثم استدعى بالقضاة وأمر بإحضار الفتى ، فأقبل يحجل(١) فى قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه ، وارتفعت أصوات النساء بالنحيب ، فأمر القاضى بتسكيت النساء . ثم قال : إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فلعلك سرقت دون النصاب(٢)؟ قال : بل سرقت نصابا كاملا . قال : لعلك شريك القوم فى شىء منه؟ قال : بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه . فغضب خالد ، وقام إليه بنفسه ، وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت :

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده و وضع عليها السكين ، فبادرت جارية من وسط النساء عليها أطمار(٣) وسخة فصرخت و رمت نفسها عليه ، ثم أسفرت عن وجه كأنه القمر ، وارتفع فى الناس ضجة عظيمة ، وكاد أن يقع بسبب

(١) حجل (يحجل) : رفع رجلا ومشى مترِّيثا على الأخرى .
(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .
(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

ذلك فتنةُ طائرةُ الشرر، ثم نادَتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِها ناشدتُكَ الله[(١)] أيها الأميرُ! لا تَعجَل بالقطعِ حتى تقرأ هذه الرُّقعةَ[(٢)]، ثُمَّ دفعت اليه رُقعةً ففتحها خالدٌ وقرأها فاذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هـذا مُستَهامٌ[(٣)] متيَّمٌ ... رمتْهُ لِحاظي عن قِسيِّ الحَمالِقِ[(٤)]

فأصماهُ[(٥)] سهمُ اللَّحظِ مِنِّي لأنه ... حَليفُ جَوًى[(٦)] من دائه غيرُ فائقِ

أقـرَّ بمـا لم يقتـرفْه كأنَّه ... رأى ذاكَ خيرًا من هَتيكةِ[(٧)] عاشقِ

فَمَهلًا عن الصبِّ الكئيبِ، فإنَّه ... كريمُ السَّجايا في الورى غيرُ سارقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبياتَ تنحَّى، وانفردَ عن الناسِ وأحضرَ المرأة، ثُمَّ سألَها عن القِصَّةِ فأخبَرَتْه بأنَّ هذا الفتى عاشقٌ لها، وهي عاشقةٌ له. وإنما أراد زيارتَها فتوجَّه الى دارِ أهلِها ورمى حَجَرًا في الدارِ ليُعلِمَها بمَجيئِـه فسمعَ أبوها وإخوتُها صوتَ الحجرِ فصعِدُوا اليه. فلما أحَسَّ بِهم جمعَ قُماشَ[(٨)] البيتِ كُلَّه، وأراهُم أنَّه سارِقٌ

---

(١) ناشده الله : استحلفه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحملاقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جوى أي ملازم الجـوى .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتْرًا علَى معشُوقَتِهِ . فلما رأَوْهُ على هذِهِ الحَالَةِ أخَذُوهُ . وقَالُوا : هَذَا سارِقٌ، وأَتَوا بِهِ اليكَ فاعتَرَفَ بالسرقَةِ وأَصرَّ على ذَلِكَ حتى لا يَفْضَحَنِي ، وقَدْ ارتَكَبَ هَـذِهِ الأُمورَ مِنْ رَمْيِ نَفْسِه بالسَّرقةِ لِفَرْطِ مُرُوءَتِهِ ،وكَرَمِ نَفْسِه ،فقَالَ خالدٌ إنَّهُ لخَلِيقٌ بأَنْ يُسْعَفَ بمُرَادِهِ ،ثمَّ استَدْعَى الفَتَى إلَيْهِ فقَبَّلَهُ بينَ عينَيْهِ ،وأَمَرَ بإحْضَارِ أبى الجَارِيَةِ ،وقَالَ لَهُ ياشَيْخُ : إنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إنْفَاذِ الحُكمِ مِن هَذَا الفَتَى بِالقَطْعِ ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وقَدْ أمَرْتُ لَهُ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ لِبَذْلِهِ يَدَهُ حِفْظًا لعِرضِكَ وعِرْضِ بِنْتِـكَ وصِيانَتِكُما مِنَ العارِ . وقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِـكَ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ حَيْثُ أخْبَرَتْنِي بحَقِيقَـةِ الأَمْرِ . وأنَا أسْأَلُكَ أن تَأذَنَ لِي فى تَزْوِيجِهَا مِنْـه ، فقَالَ الشيخُ : أيها الأميرُ! قد أذِنتُ لَكَ فى ذلكَ! فَحَمِدَ اللهَ خالدٌ وأثنَى عَلَيْهِ، وخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً، (وأدْرَكَ شهرزادَ الصَّبَاحُ فسَكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

العصر العباسى الثانى

خراسان والعراق

(أ) الشعر

(١) الشريف الرضى (١)

قال :

يا ظبيةَ البانِ ترْعَى فى خمائله ... ليَهنِكِ اليومَ أنّ القلبَ مرعاكِ (٢)
الماءُ عندَكِ مبذولٌ لشاربه ... وليس يُرويكِ إلا مَدْمَعِي الباكى
هبّتْ لنا من رِياحِ الغَوْرِ رائحةٌ ... بعدَ الرُّقادِ عرفْناها بِريّاكِ (٣)
ثم انْثَنَينا اذا ما هزّنا طربٌ ... على الرِّحالِ تعلّلْنا بذِكراكِ
سَهْمٌ أصابَ وراميه بِذِى سَلَمٍ ... مَنْ بالعِراقِ، لقَدْ أبعدْتِ مَرماكِ (٤)
حكَتْ لِحاظُكِ ما فى الرِّيمِ من مُلَحٍ ... يومَ اللقاءِ، وكان الفضلُ للحاكى (٥)
كأنّ طرْفَكِ يومَ الجِزْعِ يُخبرُنا ... بما طَوَى عنكِ من أسماءِ قتْلاكِ (٦)

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ هـ.

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح فى الاعتدال واللين . والخمائل : جمع خميلة وهى الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهى المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .
(٤) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٥) والريم : الظبى الخالص البياض .
(٦) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

أنت النعيمُ لقلبي والعــذابُ له ... فما أمَرَّكِ فى قلبي وأحلاكِ
عندى رسائلُ شوق لست أذكرها ... لولا الرقيبُ لقــد بلّغتُها فاكِ

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك بهاءَ الدولة البُوَيهيّ وأنفذها إليه وهو فى البصرة، وقد فتحها فى آخر سنة ٣٩٤ هـ :

ألهاكِ عنّـا رَبةَ البُرقُــعِ ... مَرُّ الثلاثينَ الى الأربــعِ (١)
أنتِ أعنْتِ الشيبَ فى مَفْرِقِي ... مع الليالى، فصِـلِي أو دعِى (٢)
يا حاجــةَ القلْب ألَمْ ترْحمى ... جِنايةَ الدمعِ عـلى مدمَـعى
لولا ضَلالاتُ الهوَى لم يكُنْ ... عِنانُ قلبي لكِ بالأطوعِ (٣)
كيف طوَى دارَكِ ذُو صبوة ... عَهْـدى به يطْــرَبُ للمَرْبَعِ (٤)
كانَ يرَى ناظِــرُهُ سُبَّةً ... أنْ مَرَّ بالدارِ ولَمْ يَدمَـعِ (٥)
يا حبذا منكِ خَيالٌ سَـرَى ... فَدَلَّهُ الشــوقُ على مضجَعى
باتَ يُعاطيـنِي جنى ظَلمِــه ... وبتُّ ظمآنَ ولم أنقَــعِ (٦)

---

(١) أى من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤ سنة .

(٢) المفرق : وسط الرأس، وهو المكان الذى يفرق عنه الشعر . أى أن حبك أعنى بجعل الشيب يسرع فى رأسى فوق فعل الليالى به .

(٣) العنان بالكسر : سير اللجام .

(٤) طوى دارك : مربها وحاذاها . والمربع : المكان الذى ينزل وقت الربيع ويراد به هنا الدار مطلقة . ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .

(٥) السبة هنا : المسبوب من الناس والمراد بالناظر هنا : العين .

(٦) الظلم : تلألؤ أسنان الثغر، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة، ولم أنقع : أى لم أرو ظمئى .

(٢) مهيـار الديلمى (١)

قال من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن فى النيروز :

بَكَرَ العارضُ تَحْـــدُوهُ النُّعـامَى ... فسقَاكَ الرىَّ يا دارَ « أمَامَا » (٢)

وتَمَشَّتْ فيــكِ أرواحُ الصَّـبا ... يَتَأَرَّجْنَ بأنْفَاسِ الخُـــزَامَى (٣)

وإذا مَغْـــنًى خـلَا مِنْ زائرٍ ... بَعْـــدَ ما فارَقَ ، أو زِيرَ لِمَـامَا (٤)

فقَضَى حِفْظُ الهوى أنْ تُصْبِحى ... للمُحِبِّيـــنَ مُنَـاخًا ومُقَـامَا

أجتـــدِى المُزْنَ ، وما ذَا أَرَبِى ... أنْ تَجُـــودَ المُزْنُ أطلالًا رِماما

وقليلًا فيــكِ أنْ أدعو لهَـا ... ما رَأَى اللهُ أستجدى الغَـــماما

أينَ ســـكانُكِ ؟ لا أينَ هُم ؟ ... « أحجازًا » أقبـلوها أم « شآما »

صُــدِعُوا بَعــدَ التئامٍ ، فغَــدَتْ ... بِهِـــمُ أَيْـــدِى المَوامِى تترامَى (٥)

وتبقَّــوْا كُلَّ حــيرانَ بَليــدٍ ... يسأل الجَنــــدلَ عنهـمْ والرَّغاما

يالُواةَ الدَّيْنِ عَنْ مَيْسَـــرَةٍ ... والضَّنينـاتِ وما كُنَّ لِئَـاما

قـــد وقَفْنـا قبلَكُمْ فى رَبْعِـكُمْ ... فنقضنـــاه آســـتلامًا وآلتزاما

(١) وهو مهيار بن مرزويه ، كان مجوسيا ، وأسلم على يد الشريف الرضى ، وتخرج عليه فى الشعر ، وجاراه فى أغراضه وأسلوبه حتى كاد يرق عنه . تكسب بالكتابة فى ديوان الخلافة ومات سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) العارض : السحاب . والنعامى : ريح الجنوب .

(٣) الخزامى : نبت طيب الرائحة بالبادية .

(٤) المغنى : المنزل والدار .

(٥) الموامى : جمع موماة وهى المفازة .

سعِدَ الراكبُ تحتثُّ بِهِ جَسْرةٌ تخلطُ وَهْدًا وإكاما (١)
تطأ العَسْفَ فتُدْمِي خُفَّها جَبَهاتُ الأرض شجًّا ولِطاما
تَتَنَزَّى أَنَفًا فى خُلْقِها أنْ تُطيعَ الصَّوت، أو تَرْضى الزِّماما (٢)
تُطعِمُ البِيدَ إذا ما هُجِّرتْ — شِبَعَ البَيْداء — نِقْيا وسُلَامى (٣)
ماؤُها بَسْلٌ على أظمائها أو تَرَى بالنَّعْف هاتيك الخِياما (٤)
و « بِجَرْعاءِ الحِمى » قَلْبي فَعُجْ « بالحِمى » فاقرأ على قلبي السَّلامَا
وتَرَجَّلْ فتحدَّثْ عَجَبًا أنَّ قَلْبًا سارَ عن جِسْمٍ أقاما
قل لجيرانِ الغَضى : آهِ عَلَى طِيبِ عَيْشٍ « بالغَضَى » لَوْ كانَ دَاما
نَصِلُ العامَ وما نَنساكُمُ وقُصارَى الوَجْد أن نَسْلُخَ عاما
حَمِّلُوا ريحَ الصبا نشرَكُمُ قبلَ أن تحمِلَ شيحا وثُماما
وابعثوا أشباحَكُمْ لى فى الكرَى إن أذِنْتُمْ لجفونى أن تناما

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمهرجان :

هلْ عِندَ هذا الطلَلِ الماحِلِ من جَلَدٍ يُجدِى على سائل
أصمُّ ! بل يَسْمَع ! لكِنَّهُ مِنَ البِلَى فى شُغُلٍ شاغل

---

(١) الجسرة : الناقة القوية .

(٢) تنزى : تثب .

(٣) النقى : مخ العظم والقصب ، والسلامى : العظام الصغيرة فى خف البعير ، كعظام أصابع اليد فى الإنسان : أى تطعم البيد حتى تشبعها من ذوب مخ عظامها أى يذيبها فيها بالسير .

(٤) البسل : الحرام الممتنع .

وقفتُ فيــه شَــبَحًا مَاثِلًا مُرْتَفِــدًا من شَــبَحٍ مَاثِل :(١)
ولا تَرى أعجبَ من ناحِلٍ يشكو ضَنَى الجسم إلى ناحِل
لَهْفَـــكِ يادارُ ! وَلَهْفى علَى قطينــكِ المحتَمِـــل الزَّائل !
قلْـــبِيَ للأَحزانِ بَعْـــدَ النَّوى، وأنتِ للســافِي وللنَّاخل (٢)
مثلُك فى السُّقْم، ولى فَضْــلةٌ بالعَقْل، والبَلْوَى على العاقل
يأهــلَ نَعْمانَ اسْمَعُوا دَعوةً إنْ أَسْمَعَتْكُمْ مِن لِوَى عاقــل (٣)
هــل زَوْرةٌ تُمتِعُنا منكُــمُ وَهْنًــا بِميعادِ الكَرَى البــاطل ؟
أم هــل لجسمٍ قاطِنٍ أن يَرى عودة قلبٍ معكم رَاحِــلِ

(٣) أبو ســعد الـكاتب

هو أبو سعد الكاتب عليّ بن محمد أحد كتّاب بنى بويه قال فى الشوق الى بغداد توفى سنة ٤١٤ هـ :

فِدًى لَكِ يا بغــدادُ كلُّ مَدينــةٍ مِنَ الأَرض حتَّى خِطَّتِي ودياريا
فقد سرتُ فى شَرْقِ البلاد وغَرْبِها وطوَّفْتُ خَيْــلِي بَيْنَها ورِكابِيـا
فلم أرَ فيهـا مثلَ بَغْـــدادَ منزِلًا ولم أرَ فيهــا مثــلَ دِجلةَ واديا
ولا مثــلَ أهلِيهــا أرَقَّ شمائلًا وأعذبَ ألفاظًــا وأحلَى معانيـا
وكم قائل : لو كان ودُّك صَادقا لبغداد لم ترحل . فكان جوابيـا :
(يُقيـمُ الرجالُ الموسرون بأرضِهـمْ وترمى النَّــوَى بالمقــترِينَ المَرَاميا)

(١) مرتفدا : أى طالبا للرفد، وهو العطاء . والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .

(٢) يريد بالسافى الناخل : الريح . (٣) نعمان : مكان .

(٤) ولابن لَنْكَك فى الهجاء

وهو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهجى زمانه بالمقطعات:

وعُصْبَةٍ لمَّا توسَّطتهم ... صارَتْ علىَّ الأرضُ كالخاتَم
كأنَّهُمْ من سُوءِ أفهامِهم ... لم يخرجوا بَعْدُ إلى العَالَم
يَضحَكُ أبليسُ إذا رَاءهُمْ ... لأنَّهُمْ عارٌ على آدَمِ

(٥) وللتنوخى فى الوصف

قال القاضى التَّنُوخى أبو القاسم على بن محمد أحد قضاة بنى بويه ونديم الوزير المهلبى يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قطعتُه كصُدودٍ ... وفِراقٍ ما كان فيه وَداعُ
مُوحِشٍ كالثقيلِ تَقْذَى به العَـ ... ـينُ ، وتأبَى حديثَه الأسماعُ
وكأنَّ النجومَ بين دُجَاهُ ... سُنَنٌ لاحَ بينَهُن ابتِداع
وكأنَّ السماءَ خَيمةُ وَشْيٍ ... وكأنَّ الجَوْزاءَ فيها شِراع
كانَ لَيْلًا فَصَيَّرتْه نَهارًا ... كُتُبٌ تَكبِتُ العِدَا ورِقَاع

وقال أيضا :

وليلة مُشْتاقٍ كأنَّ نُجُومَها ... قد اغتصبتْ عَيْنَ الكَرَى، وهى نُوَّمُ
كأنَّ عيونَ السَّاهِرِينَ لِطُولها ... إذا شَخَصتْ للأنجُمِ الزُّهْرِ أنْجُمُ
كأنَّ سَوادَ الليلِ، والفَجْرُ ضاحِكٌ ... يلوح ويخفَى — أسْودٌ يتبسَّمُ

(٦) الدِّينَـــوَرى

قال أبو القاسم الدينورى عبـد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتّاب بخُراسان يشكو ولَدَه :

رَبَّيْتُـهُ وهْوَ فَرْخٌ لا نُهُـوضَ لَهُ ... ولا شَـكِيرٌ ولا رِيشٌ يُـوارِيهِ (١)

حتى اذَا ٱرتاشَ ، وَٱشتدّتْ قَوادِمُه ... وقـــد رأَى أَنّه آنت خوافيـــه

مدّ الجناحَيْنِ مَـدًّا ، ثم هزّهُمَا ... وطار عَـنِّى ؛ فقَلْبِى فِيـهِ مَا فيه

وقال أيضا فى شكْوَى الكِبَر :

عِشْتُ من الدّهرِ مَا كفَانِى ... ومرّ ما مرّ من زمانى

وقـــد حَنَتْنِى وقَوّسَـــتْنِى ... تسعٌ وتســعون وٱثنتـان

وقـــد سئمت الحياةَ ممّـا ... أَلْقَى من الذّل والهَــوان

ومِن أخٍ كُنتُ أَرتَجِيـــهِ ... لِحَادِثِ الدَّهرِ قَــدْ قَلانى

ومِن غُـــلام إذا يُنادَى ... تَصَامَمَ النَّـــذْلُ وهـــو دَانى

مُدَمّـــدِمٌ لا أَراهُ إلّا ... مُقَطِّبَ الوجـــه مَا رآنى

(٧) ابن المنجـــم

وقال أبو الحسن بن المنجم من الأدباء فى الدولة البويهية فى الشكوى والتوجُّع :

هُوَ الدّهْرُ لم تُبدِعْ علَيَّ صُروفُه ... ولم يأتِ شيئًا لم أكُنْ أتخيَّــلُهْ

وما رَاعَنِي المكروهُ إذ هو عادتى ... لَدَيْهِ ، ولَكِنْ راعَ قلبى تَعَجُّــلُهْ

تعجّلَ حـــتى كادَ آخرُ فِعـــلِهِ ... يجىء ، ولمّا ينْقَطِعْ بعـــدُ أوّلُهْ

(١) الشكير : الريش ، أوّل ما ينبت أو الزغب .

وقال السَّرِىُّ الرَّفَّاء (١) :

بِنفسِيَ مَن ردّ التحيةَ ضاحِكًا فَجدَّدَ بعدَ اليأسِ فى الوَصْلِ مَطْمَعى
إذا ما بَدَا أبدى الغرامُ سرائرى وأظهر للعُذَّالِ ما بينَ أضلُعِى
وحالَتْ دُمُوعُ العينِ بيْنِى وبَيْنَهُ كأنَّ دُمُوعَ العينِ تَعْشَقُهُ مَعى

(٨) الضَّبى فى الوصف

قال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى أحد وزراء بنى بويه :

رُبَّ ليلٍ سهرتُهُ مفكِّرًا فى امتدادِهِ
كلَّما زِدتُ رَعْيَهُ زادَنِى مِنْ سَوَادِهِ
فتبيَّنتُ أنَّهُ تائهٌ فى رُقادِهِ
أو تفانَتْ نجُومه فبَدا فى حِدادِهِ

(٩) أبو الفضل الميكالى

وقال الأمير أبو الفضل عُبيد الله الميكالى بقية آل ميكال أُمراءِ فارس فى التوجع وشكوى الدَّهر :

يا دَهْرُ ما أقساكَ يا دَهْرُ لم يَحْظَ فيكَ بِطائلٍ حُرُّ
أمَّا اللئامُ فأنتَ صاحِبُهُمْ ولَهُمْ عليكَ العطْفُ والنَّصْرُ
يَبْقَى اللئيمُ مَدَى الحياة فلا يَرْتاعُ منه لِحَادثٍ صَدْرُ
تصفو له الدنيا بِلا كَدَرٍ ويُطيعُهُ فى عَيْشِهِ اليُسْرُ

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الرفاء الكندى الموصلى الشاعر المشهور كان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر وأجاده . توفى ببغداد حوالى سنة ٣٦٦ هـ .

فمرامُه سهلٌ، وكوكبُه سعدٌ، وغصنُ سرورِه نضر
وعلى الكريم يدٌ يسلطها منكَ الجفـاءُ المرُّ والقسر
إن ناب خطبٌ فهو عرضته يفري به منـه النابُ والظفر
أو يبغ معروفًا لديك غدا ينحي عليـه حادثٌ نُكْر
مرعاه جدبٌ، والحظوظ له حربٌ، وجانب عيشه وعر
وجناه شوكٌ، والبحور له وشلٌ، وحشو فؤاده جمر
يا دهرُ دع ظلمَ الكرام فهم عقدٌ لنحرك لو درى النحر
سالمهم، واستبقِ ودهم فهم نجوم ظلامك الزهر

وقال فى الوصف:

أهلًا بنرجس روضٍ يزهى بحسنٍ وطيبِ
يرنو بعين غزالٍ على قضيبٍ رطيب
وفيــه معنًى خفيٌّ يزينُـــه فى القلوب
تصحيفه ان نسقت الـ حـــروف برحيب

(١٠) الأبيـــوردى (١)

قال:

قالوا: هجرتَ الشعرَ، قلتُ: ضرورةٌ بابُ البـــواعث والدواعى مُغْـلَقُ
خلتِ البـــلادُ، فـــلا كريمٌ يرتجى منه النـــوالُ، ولا مليحٌ يعشَـــق
ومن العجائب أنــه لا يُشـــترى ومع الكســـاد يُخانُ فيــه ويُسرق

(١) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور. ولد بأبيورد من بلاد خراسان، ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ.

وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام :

بأبي — وإن عظم الفداء — فتى ... للهم فى جنبيه معترك
نبهته والليل معتكر ... ونجومه فى الأفق تشتبك
ومشى على كسل، فقلت له ... عثرت بك الوخادة الرمك (١)
أرضيت أمرا لا يزال به ... فى الذل عرض أخيك ينتهك
والدهر يرمى بالخطوب، وفى ... غلوائها الأيام تنهمك
ما نحن من سوق فنشبههم ... لم ينمنا إلا أب ملك (٢)
فانظر الى الأجداد كيف سعوا ... للمكرمات وأية سلكوا
هلا أخذت بهديهم ! فهم ... تركوا العلا لك. فارع ما تركوا
واطلب مداهم ؛ إنهم نفر ... عاشوا بذكرهم، وقد هلكوا
وإذا عجزت ولم تلم به ... فالعجز بعد طلابه درك

(١١) الطغرائى (٣)

وقال مؤيد الدين الطغرائى فى الغدير :

عجنا الى الجزع الذى مد فى ... أرجائه الغيم بساط الزهر (٤)
حول غدير ماؤه المنتمى ... الى بنات المزن يشكو الخصر (٥)

(١) الرمك : اسم جمع لرمكة، وهى الفرس . والوخادة السريعة الجرى .

(٢) السوق : جمع سوقة، وهم الرعية والدهماء .

(٣) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب آخر فحول المشرق فى الشعر ومن شعره لامية العجم المشهورة، وله ديوان مطبوع قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٤) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٥) المزن : السحاب، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة فى الماء .

لـو لاذت الريحُ سَمُـوما بِهِ ... لانقلبتْ وهْى نَسِيمُ السَّحر (١)

حَصبـاؤُهُ دُرٌّ ورَضْراضُـهُ ... سُحَالةَ العَسْجدُ حَوْلَ الدُّرَرْ (٢)

وقد كَسَتْه الريحُ من نَسـجِها ... دِرْعًا بهـا يَلْقَى نِبالَ المَطَـر

وألْبستْه الشمسُ مِن صِبْغِهـا ... نُورًا به يخطِفُ نُورَ البَصَـر

كأنَّهُ المِـرآةُ مَجْـلُوَّةً ... على بِساطٍ أَخْضَرٍ قـد نُشِرْ

وله فى الأعداء والحساد :

جامِلْ عَدُوَّكَ ما استطعت، فإنه ... بالرِّفْق يُطمَعُ فى صَلاحِ الفاسـدِ

واحذرْ حَسودَك مااستطعتَ، فإنَّه ... إنْ نِمْتَ عنه فليس عنـكَ براقد

إن الحسـودَ وإنْ أَرَاكَ تَوَدُّدًا ... مِنْهُ أضَرُّ مِنَ العَـدُوِّ الحـاقد

ولرُبَّمـا رَضِىَ العـدُوُّ إذا رأى ... منـكَ الجميـلَ فَصارَ غَيْرَ مُعـاند

ورِضَا الحَسُودِ زوالُ نِعمتك التى ... أُوتِيتَها مِن طارِفٍ أو تالـد

فاصْـبِرْ على غَيْظِ الحسود فَنَارُهُ ... تَرْمِى حَشاهُ بالعـذاب الخالـد

أو ما رأيتَ النـارَ تأْكُلُ نَفْسَهَا ... حتى تَعُـودَ الى الرَّمادِ الهـامِدِ

تضفُو على المحسـودِ نِعمـةُ ربه ... ويذُوبُ مِن كَمَدٍ فُؤَادُ الحاسـدِ

وقال :

خَبَّرُوها أنِّى مَرِضت، فقـالَتْ: ... أَضَنًى طارِفًا شَـكا أم تَلِيـدا ؟

وأشارُوا بأَنْ تَعُـودَ وِسادِى ... فأَبَتْ، وهى تشـتَهِى أنْ تَعُودا

(١) لاذت الريح : التجأت ومالت اليه . أى أنه لنداه وطيب جوّه لو جاءته ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر . (٢) الرضراض : صغار الحصى . العسجد : الذهب، وسحالته : برادته .

وأتتني في خفية ، وهي تشكو رقبة الحيّ والمزار البعيدا
ورأتني كذا، فلم تتمالك أن أمالت عليّ عطفا وجيدا
ثم قالت لتربها وهي تبكي ويح هذا الشباب غضًّا جديدا !
زورةٌ ما شفت غليلا ولكن علّمت جمرة الفؤاد وقودا
وتولت بحسرة البين تخفي زفرات أبين إلا صعودا

(١٢) المرتضى الشهرزوري أبو محمد عبد الله المتصوّف

المتوفى سنة ٥١١ هـ

قال من قصيدته المشهورة التي يقال إنه لم يقل مثلها في معاني أهل الطريق :

لمعت نارهم، وقد عسعس اللّيـ ـل، ومَلّ الحادي، وحارَ الدليلُ (١)
فتأملتها، وفكري من البيـ ـن عليلٌ ، ولحظ عيني كليلُ
وفؤادي ذاك الفؤادُ المُعنَّى وغرامي ذاك الغرامُ الدَّخيلُ
ثمّ قابلتُها ، وقلت لصحْبي : هذه النارُ نار ليلَى فميلوا
فرموا نحوها لحاظًا صحيحا ت، فعادتْ خواسئًا وهي حُولُ (٢)
ثم مالوا إلى الملامِ ، وقالوا: خُلّبٌ ما رأيتَ أم تخييلُ؟ (٣)
فتجنبتهم ، وملتُ إليها والهوَى مركبي ، وشوقي الزّميلُ

وهي طويلة عذبة العبارة لطيفة الاشارة ذكرها ابن خلكان بأكملها فراجعها إن شئت .

---

(١) عسعس الليل : أقبل ظلامه . (٢) فعادت خواسئا : أى كليلات ضعيفات الإبصار .
(٣) البرق الخلب : الكاذب الذى ليس وراءه مطر .

(ب) النــــثر

أوّلا — النــــثر الفــــنى

(١) لابن العميد فى التهديد واللوم(١)

كتابى وأنا مترجّحٌ بين طمعٍ فيك ويأسٍ منك، وإقبالٍ عليك، وإعراضٍ عنك، فإنك تُدِلُّ(٢) بسابقِ حرمةٍ، وتَمُتُّ(٣) بسالفِ خدمةٍ. أيسرُهما يوجبُ رعايةً، ويقتضى محافظةً وعنايةً. ثم تشفعُهما بحادثِ غُلولٍ(٤) وخيانةٍ، وتُتْبِعُهما بآنفِ خلافٍ ومعصيةٍ. وأدنى ذلك يُحبِطُ(٥) أعمالَك، ويَسحقُ كلَّ ما يُرعَى لك، لا جَرَمَ أنى وقفتُ بين مَيلٍ إليك وميلٍ عليك، أُقدِّمُ رِجلا لِصدِّك، وأؤخِّر أخرى عن قَصْدِك، وأبسُطُ يدًا لاصطلامك(٦) واجتياحك، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك، وأتوقّفُ عن امتثال بعض المأمور فيك. ضَنًّا بالنعمة عندك، ومنافسةً فى الصنيعة لديك، وتأميلا لفيئتك(٧) وانصرافك، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك؛ فقــد يَعزُبُ(٨) العقل ثم يؤوب. ويَعزُب

---

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ.

(٢) الادلال: الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه.

(٣) وتمت: تتوسل وتتصل.

(٤) الغلول: الخيانة.

(٥) ويحبط: يبطل.

(٦) الاصطلام: الاستئصال ومثله الاجتياح.

(٧) لفيئتك: لرجوعك أى إلى الطاعة.

(٨) يعزب: يذهب. ويعزب: يغيب ويزول ويذهب.

اللُّبُّ ثم يثوب . ويذهب الحَزْم ثم يعود . ويفسد العَزْم ثم يَصْلُح . ويُضاعُ الرأى ثم يُستَدرك ، ويَسكَرُ المرءُ ثم يَصحو ، ويكْدُرُ الماءُ ثم يصفو ، وكل ضِيقة إلى رخاء . وكلُّ غَمْرة (١) فإلى انجلاء . وكما أنَّك أتيتَ من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بِدْع أن تأتِيَ من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك . وكما استمرّتْ بك الغفلةُ حتى ركِبْتَ ما ركِبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهةً تُبصرُ فيها قُبحَ ما صنعت ، وسوءَ ما آثَرْتَ . وسأُقيمُ على رَسْمِي فى الإبقاء والمماطلة ما صَلُح ، وعلى الاستيفاء (٢) والمطاولة ما أمكن ، طمعًا فى إنابتك ، وتحكيما لحُسن الظنِّ بك . فلستُ أَعْدَم فيما أُظاهِرُه من إعذار (٣) ، وأُرادِفُه من إنذار ، احتجاجًا عليك ، واستدراجا لك ؛ فإن يَشإِ اللهُ يرشدْك ، ويأخُذْ بك إلى حَظِّك ويُسدِّدْك ؛ فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب أبو الفضل بن العميد الى أبى عبد الله الطبرى :

كتابى وأنا بحالٍ لو لم يُنغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يُرنِّقْ (٤) صَفْوَها النزاعُ نحوك (٥) ، لعَدَدتُها من الأحوالِ الجميلة ، وأعددتُ حَظِّى منها فى النِّعَم الجليلة ؛ فقد جمعتُ فيها بين سلامةٍ عامّة ، ونعمةٍ تامّة ، وحَظِيتُ منها فى جسمى بصَلاح ، وفى سَعْيى بنجاح ؛ لكنْ ، ما بقِيَ أن يَصفوَ لِي عَيْشٌ مع بُعدِى عنك ، ويخلُوَ ذَرْعِى (٦) مع خُلُوِّى منك ،

---

(١) الغمرة : التغطية بالماء كوجة البحر تغمر السابح ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب . (٢) الاستيفاء : التمهل والإنظار . (٣) من عمل ينفى عذرك فى المعصية ويكفل الرضا عنك . (٤) يرنق : يكدر . (٥) النزاع نحوك : الميل والشوق اليك . (٦) أصل الذرع : مصدر ذرع بمعنى قاس بالذراع . ويراد به هنا على التشبيه الطاقة وسعة النفس .

ويسوغَ لى مَطعَمٌ ومشربٌ مع انفرادِى دونَك . وكيف أطمَعُ فى ذلك وأنت جزءٌ من نفسى ، وناظمٌ لِشَمل أُنسى . وقد حُرِمتُ رؤيتَك ، وعَدِمتُ مُشاهدتَك . وهل تَسكُنُ نفسٌ مُتشعّبةٌ ذاتُ انقسام، وينفعُ أُنسُ بَيْتٍ بلا نظام . وقد قرأتُ كتابك — جعلَنى اللهُ تعالى فداءَك — فامتلأتُ سُرورًا بمُلاحظةِ خطِّك ، وتأمُّلِ تصرُّفك فى لَفْظِك . وما أُقرِّظُهما ؛ فكل خصالِك مقرَّظ عندى . وما أَمدَحُهما ؛ فكل امرِك ممدوحٌ فى ضميرى وعَقْـدِى(١) . وأرجو أن تكونَ حقيقةُ أَمْرِكَ مُوافقةً لتقديرى فيك، فانْ كانَ كذلك وإلَّا فقد غَطَّى هَواكَ وما أُلقِىَ على بَصَرى .

(٢) وللصاحبِ ابن عبَّادٍ(٢) رقعـة الى القـاضى أبى بشر الفضل بن محمـد الجرجانى عنـد وروده باب الرَّىّ وافدا عليـه

تحدَّثتِ الرِّكابُ بِسَيْرِ أروَى ... إلى بلدٍ حَطَطْتُ به خيـامى(٣)

فكدتُ أطيرُ من شوقٍ إليهـا ... بقادمـة كقادمة الحَمام

أَلحَقُّ ما قيل أَمرُ القادم، أم ظَنٌّ كأمانىّ الحالم؟ لا واللهِ ! بل هو دَرْكُ العيان، وإنه ونيلَ المُنى سِيّانِ، فمرحبًا أيها القاضى براحلتك ورَحْلِك! بل أهلًا بك

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب ابن عباد وزير آل بويه وكاتبهم وأحد أعلام البلغاء والكتّاب من حلبة ابن العميد فى كتابة الشعر المنثور توفى سنة ٣٨٥ هـ .

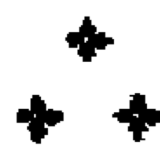
(٣) أروى : اسم امرأة .

وبكافة أهلك، ويا سُرعةَ ما فاح نسيمُ مَسْراك، ووجدنا رِيحَ يوسفَ من ريّاك. فحُثَّ المَطِيَّ تُزِلْ غُلّتي بسُقياك، وتُزِحْ عِلّتي بلُقياك، ونُصَّ على يومِ الوُصول لنجعلَه عِيدا مشرَّفا، ونتّخذه مَوْسِمًا ومُعرَّفًا(١). ورُدَّ الغلامَ، أسرعَ من رَجْع الكلام، فقد أمرتُه أن يطيرَ على جَناح نَسْر، وأن يترك الصَّبا فى عِقالٍ وأَسْر(٢):

سقى اللهُ داراتٍ مَرَرْتَ بأرضِها ... فأدّتْك نحوى يا زيادُ بنَ عامرِ

أصائلُ قُرب أرتجى أن أنالَها ... بلُقياك قد زحزحْنَ حَرَّ الهواجرِ

"وله فصل من كتاب الى ابن العميد جوابا عن كتابه اليه فى وصف البحر، وكان أبو بكر الخوارزمى يحفظه، وكثيرا ما كان يقرؤه، ويتعجّبُ السامعون من فصاحته".



وصل كتابُ الأستاذِ الرئيس صادرًا عن شَط البحرِ بوَصْف ما شاهدَ من عجائبِه، وعايَنَ من مراكبِه، ورآهُ من طاعةِ آلاتِها للرِّياح كيف أرادتْها، واستجابةِ أدواتِها لها متى نادتْها، وركوب الناس أثباجَها والخوفُ بمَرأى ومَسْمَع، والمنونُ بمَرقَبٍ ومطلَع، والدهرُ بين أخذ وتَرْك، والأرواحُ بين نجاةٍ وهُلْك، إذا فكَّروا فى المكاسب الخطيرة هانَ عليهم الخَطَر، واذا لاحت لهم غُرَرُ المَطالبِ الكثيرة حُبِّبَ اليهمُ الغَرَر. وعرَفتُ ما قاله من تَمنّيه كوْني عندَ ذلك بحضرتِه، وحصولي

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول: موقف عرفات، شبه به قدومه عليه.

(٢) أى يسبق فى سرعته ريح الصبا حتى كأنها فى جانبه مأسورة. أخذه من قول امرئ القيس (قيد الأوابد هيكل).

على مُساعدته، ومَن رأى بَحْرَ الأستاذِ كيفَ يَزْخَرُ بالفضل، وتتلاطمُ فيه أمواجُ الأدب والعلم، لم يَعْتِبْ على الدهرِ فيما يُفِيتُهُ من مَنظَر البحر. ولا فضيلةَ له عندى أَعظَمُ من إكبارِ الأُستاذِ لِأَحْواله، واَستعظامِه لأَهوالِه، كما لا شَيْءَ أَبلغ فى مفاخره، وأنفس فى جواهره، من وصف الأستاذ له؛ فإنى قرأتُ منه الماء السَّلْسالَ[1] لا الزُّلال، والسِّحْرَ الحرامَ[2] لا الحلال. وقد علِمَ أنه كتَبَ ومَا أخْطَر بفكره، سَعَةَ صدره[3]، فَلَوْ فعلَ ذلك لَرأى البحرَ وَشَلًا[4] لا يفضُلُ عن التَّبرُّض[5]، وثَمَدًا[6] لا يكثُرُ عن التَّرشُّف[7].

وكم مِن جبالٍ جئتَ تشهد أنك الـ ـجبال، وبحــرٍ شاهدٍ أنك البحر

(٣) الخُــوارَزْمىُّ[8]

كتب الى قاضى سِجِسْتان حين نَكَبَهُ أميرُها :

إذا ما الدهرُ جرّ على أناسٍ كلاكله أناخ بآخرينا[9]

فقُلْ للشامتين بنا : أفيقوا سيلقَى الشامتون كما لقِينا

(١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيق البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أى الحرام على غيرك؛ فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله (لا السحر الحلال) يريد به الانشاء الذى فى امكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأو ابن العميد .

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره . (٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرض : التبلغ بالماء القليل للضرورة . (٦) الثمد : الماء القليل .

(٧) الترشف: الشرب قليلا قليلا والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المتوفى سنة ٣٨٣ هـ . (٩) الكلاكل : جمع كلكل . وهو الصدر، أى إذا برك الدهر على قوم بصدره أناخ وبرك أيضا بعد زمن بآخرين .

أما بعد — أيّد الله تعالى القاضي — فإنه لم يُحسِنْ إلى غيره من أساءَ إلى نفسه، ولم يَنْصُرْ أصدقاءه، من خذَل حَوْباءَه؛ وإنما يُحِب المرءُ أخاه بما فَضَل عن محبته لرُوحه التي له خيرُها، وعليه ضَيْرُها . وكانت مِحْنَةُ (١) القاضي مِحنةً شمِلَتْ الأنام، وخصّت الكرام، ووجب على كلّ مَن اشتمّ روائحَ العقل، وميّز بين النقصان والفضل، أن ينفطرَ لها ألمًا، وأن يبكيَ عندها دمًا . وخلَص إليَّ من ذلك ما أضحك منّي الأعداء، وأبكى لي الأصدقاء، حتى رَحِمَني من كان يحسُدني، وحتى عَجِبَ من جزَعي مَن كان يُصَبِّرُني، وحتى غضَضْتُ طَرْفًا طالما رفعتُه، وقبَضتُ بنانًا طالما بَسطتُه، وحتى عُزِّيتُ كما يُعزَّى الثّكلان (٢)، وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللّهفان . وأنا بعد ذلك أستصغر فعلَ نفسي وهي جَزِعَةٌ هَلِعةٌ (٣)، وأستقلُّ سَعْيَ عيْني وهي سخِينةٌ دَمِعة (٤) . وكان يجب على مُقتضَى هذه الجملة، وأساس هذه البِنية، أن أحضُرَ مجلِسَ القاضي فأُصابرَه نهارًا، وأساهرَه ليلًا، وتكون المحنةُ بيني وبينه أَحملُها عنه، ويحملُها عنّي؛ ولكنّي علِمتُ أنّ والِيَنا هذا رجلٌ ينظُرُ الى الذنب الخفِيّ، ويتغابَى عن العُذْر الجَلِيّ . وله أُذُنان: واحدةٌ يسمَعُ بها البلاغات وهي كاذبة، وأخرى يَصَمُّ بها عن المعاذير وهي صادقة، وليس بينه وبين العَفْو نَسَب، ولا لَهُ الى التثبُّت طريقٌ

(١) المحنة : الشدّة والمصيبة .

(٢) الثكلان : الفاقد ولده .

(٣) جزعة هلعة : شديدة الحزن .

(٤) سخينة دمعة : ساخنة من الوجع، سريعة الدمعة .

ولا مذهب . ولو تعرضتُ لسَخَطِه، بعد ما عرفتُــه من شَطَطِه(١)، لتحملتُ دونه الوزر في ظُلمي، ولكنتُ مُقَدِّمتَــه إلى ذَمِّي . ومَن قعد تحتَ الريبة ركبتْه، ومن تعرَّضَ للظِّنَّة نالته .

ومَن دعا النَّاسَ الى ذَمِّه ذَمُّوه بالحـق وبالباطل

وأقلّ ما كان ينبعثُ من حُضوري أن يَثِبَ هــذا الجبَّارُ وَثبةً يصونُ القاضي عنها، ويبتذلُني بهــا، فأكونَ قــد ضررتُ نفسي، ولم أنفع غيري؛ فإذا بالمحنــة قد تضاعفَتْ على القاضي ضِعْفَيْن، وتكررت عليه كَرَّتَيْن؛ يرى بوَلِيٍّ من أوليائه داءً لا يقدِرُ على دَوائه، ويرى وَقوداً لا يصِلُ إلى إطفائه، ويَتَبيَّنُ في حالةٍ متصلةٍ بحاله(٢) ثُلْمَةً(٣) لا يُمكِنُ سَدُّها، ومحنةً لا يستوي له رَدُّها . فلمــا مَثَّلْتُ بيْنَ تخلُّفي آمنا، وحُضوري خائفا، عَدَلْتُ بين طَرَفَي الرَّزِيَّة، ووزنتُ بين مِقدارَي المحنــة، فرأيتُ أن أميلَ مع السلامة وأقنَعَ مِنَ العمل بالنِّيَّة، وأغتفر عُهدةَ التفصيل لِصحّة الجُملة، فغِبت وكُلِّي غيرَ جسمي شاهِد، وتَحَيَّزْتُ(٤) وما أنا إلا مُشاهِد، وبعدتُ وقلبي قريب، وباينتُ وقلبي سَهيم، وأغضيتُ على عَين كلُّها قَذًى(٥)، وانطويتُ على صَــدرٍ كلُّه شَجًا(٦)، وانصرفتُ بقلب ساخط راضٍ، وأغمضتُ بجفن ضاحك باكٍ، وقلت :

(١) شططه : جوره وتعديه الحدود .

(٢) أى فى حالى المتصلة المرتبطة بحاله .

(٣) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .

(٤) تحيزت : انحرفت وملت، وتنحيت من جهة الى جهة .

(٥) القذى : ما يدخل فى العين من جسم غريب عنها .

(٦) الشجا : ما ينشب و يعلق فى الحلق من شوكة ونحوها .

فإن تسجنوا القسريَّ لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائل(١)

ولقد نسجت فى ذمّ الظالم حُللًا لا يبلّها الماء، ولا يجففها الهواء، ولا تغطى عليها الظلماء. والمغبون من احتقب(٢) الإثم، والغارم من غرِم العِرْض، والرابح من محنته فانية، ومثوبته باقية. ولو أُنصف الظالم لكان يُعزّى، ولو أُنصف المظلوم لكان يهنى. جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد(٣)، ولا ليومها غد، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعُسْر، وخاتمة لقائه لريب الدهر، ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين، ولا أخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته.

(٤) وللبديع(٤) يعتذر

يعز علىّ أطال الله بقاء الرئيس. أن ينوب فى خدمته قلمى، عن قدمى، ويسعد برؤيته رسولى، دون وصولى. ويرد مشرع(٥) الأنس به كتابى، قبل ركابى؛ ولكن ما الحيلة والعوائق جمة!

وعلىَّ أن أسعى وليس علىَّ إدراكُ النجاح

(١) تمثل بهذا البيت، وهو مقول فى خالد بن عبد الله القسرى والى العراق لخليفة هشام؛ غضب عليه فسجنه، ثم أمر بقتله.

(٢) احتقب الشىء: جعله فى حقيبته.

(٣) أى لا يعقبها غيرها.

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب وتكسب به لدى الملوك والأمراء مات سنة ٣٩٣ هـ.

(٥) المشرع: مكان ورود الشاربة من الماء.

وقد حضرتُ دارَه . وقبّلت جِدارَه ، وما بى حبُّ الجُـدران ، ولكن شغفًا بالقُطّان . ولا عِشقُ الحيطان، ولكن شوقًا الى السكان . وحين عَدت العـوادى عنه أمليتُ ضميرَ الشوق على لسان القلم معتذرا إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصيرٍ وقع، أو فُتُور فى الخدمة عرض، ولكنى أقول :

إن يكن تركى لقصدك ذنبًا فكفى ألا أراك عِقَابا

وكتب الى أبى بكر الخوارزمى عنـد قدومه عليه بنيسابور وكان قُطّاع الطريق من الأعراب سلبوه مالَه وثيابَه :

أَنا لِقرب الأستاذ أطال الله بقاءه " كما طرِب النشوانُ مالت به الخمر " ومن الارتياح للقـائه ، " كما انتفض العُصـفور بلّلَه القَطْرُ " ومن الامتزاج بولائه " كما التقت الصهباءُ والباردُ العذب " ومن الابتهاج بمرآه " كما اهتز تحت البارح(١) الغصنُ الرطب " فكيف نشاطُ الأستاذِ لصـديقٍ طوَى إليه ما بين قَصَبَتَى(٢) العراق وخُراسان ، بل ما بين عَتَبَتَى نيسـابور وجُرجان ، وكيف اهتزازُه لضيف فى بُردة جَمّـال، وجِلدة جَمّال.

رَثّ الشمائل مُنْهَجِ الأثوابِ(٣) بكَرَتْ عليه مُغيرةُ الأعراب

وهو أيده الله وَلىّ إنعامه، بانفاذِ غلامه، الى مسـتقرى، لأُفْضِىَ إليه بسرى إن شاء الله تعالى .

---

(١) البارح : الريح الحارة فى الصيف .

(٢) القصبة هنا : حاضرة الإقليم ومقرّ الحاكم .

(٣) منهج الأثواب : باليها .

المقامة الأولى القريضية للهمذانى

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتني النوى مطارحها ، حتى اذا وطئت جرجان الأقصى ، فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة ، وأموال وقفتها على التجارة ، وحانوت جعلته مثابة ، ورفقة اتخذتها صحابة ، وجعلت للدار حاشيتي النهار ، وللحانوت ما بينهما . فجلسنا يوما نتذاكر القريض وأهله ، وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، ينصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى اذا مال الكلام بنا ميله ، وجر الجدال فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عذيقه ، ووافقتم جذيله[1] ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرت وأوردت ، ولجلوت الحق فى معرض بيان يسمع الصم ، وينزل العصم[2] . فقلت : يا فاضل ادن فقد منيت ، وهات فقد أثنيت ، فدنا وقال : سلونى أجبكم ، واسمعوا أعجبكم ، فقلنا : ما تقول فى امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير فى وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يجد القول راغبا ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول فى النابغة ؟ قال : ينسب اذا عشق ، ويسلب اذا حنق ، ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، ولا يرمى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول فى زهير ؟

---

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، وكذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ؛ لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة ، أى يرطونه بسعفها لئلا يتقصف ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون فى الجبال .

قال : يُذيبُ الشعرَ والشعرُ يُذيبُه ، و يدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقول فى طَرَفة؟ قال: هو ماء الأشعار وطينتُها، وكنزُ القوافى ومَدينتُها، مات ولم تَظهر أسرارُ دفائنه، ولم تُفتَح أغلاقُ (١) خزائنه . قلنا : فما تقول فى جرير والفرزدق؟ وأيهما أسبق؟ قال : جريرٌ أرقُّ شِعرا ، وأغزرُ غَزْرا (٢) ، والفرزدق أمتَنُ صَخْرا ، وأكثرُ فخْرا ، وجرير أوجعُ هَجْوا وأشرفُ يوما ، والفرزدقُ أكثرُ رَوِيًّا (٣) وأكرمُ قوما ، وجريرٌ اذا نَسَب أشجَى (٤) ، واذا ثَلَب أردى ، واذا مدح أسنَى (٥) . والفرزدقُ اذا افتخرَ أجزَا (٦) ، واذا احتقر أزرَى ، واذا وصف أوفَى . قلنا : فما تقول فى المُحْدَثين من الشعراء والمتقدّمين منهم ؟ قال : المتقدّمون أشرفُ لفظا ، وأكثر من المعانى حظّا ، والمتأخرون ألطفُ صُنعا ، وأرقُّ نَسْجا . قلنا : فلو أريتَ من أشعارك ، ورَوَيْتَه لنا من أخبارك ! قال : خذهما فى معرِض واحد . وقال :

إمّا تَرَوْنى أَتغشَّى طِمْرا (٧) ... مُمتَطِياً فى الضُّرّ أَمْرا إِمْرا (٨)

مُضْطَبِناً على الليالى غِمْرا ... ملاقيا مِنها صُروفًا حُمْرا (٩)

---

(١) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكلون)

(٢) غزرا : مصدر غزر .

(٣) أى أنه متنوع القوافى .

(٤) لغة فى شجا : بمعنى أحزن .

(٥) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٦) مسهل أجزأ بالهمزة : بمعنى كفى وأغنى .

(٧) الطمر : الثوب البالى .

(٨) أمرا إمرا : منكرا عجبا .

(٩) الحمر : جمع حمراء ، يريد صروفا شديدة الوقع .

أقصى أمانِىَّ طلوعُ الشِّعرَى فقــد غَنينا بالأمانى دَهْرا[١]

وكان هذا الحُرُّ أعلَى قَدْرًا وماءُ هذا الوجه أغلى سِعرا[٢]

ضربتُ للسَّرَّا قبابا خُضرا فى دار دارا وَإِوانِ كِسرى[٣]

فانقلبَ الدهرُ لبطنٍ ظَهْرا وعاد عُرْفُ العيشِ عندى نُكْرَا

لم يبقَ من وَفْرِىَ إلا ذِكْرى ثم إلى اليــوم هُلُمَّ جَرَّا

لولا عجوزٌ لى بسُرَّ مَنْ را وأفرخٌ دونَ جِبال بُصرى[٤]

قد جَلَبَ الدهرُ عليهم شَرَّا قتلتُ ياساداتُ نفسى صَبْرا

قال عيسى بن هشام . فأنلتُه ما تَاحَ[٥]، وأَعرضَ عنَّا فراح . فجعلتُ أنفيـه وأُثبتُه، وأنكره وكأنِّى أَعرفه، ثم دلَّتنِى عليه ثَناياه، فقلت : الإسكندرىُّ والله ! فقد كان فارقنا خِشْفًا[٦] ووافانا جِلفا[٧] . ونهضتُ على أَثره، ثم قبَضتُ على خَصْرِه، وقلت:

---

(١) الشعرى : نجم يطلع فى الصيف، ولا يحتاج الفقير العارى فيه الى دثار .

(٢) يريد بالحر نفسه .

(٣) السراء : الرخاء . ودارا، وكسرى : من ملوك الفـرس . وإيوان كسرى بهو عظيم، كان فى قصره الأبيض بالمدائن، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوان بحذف يائه لضرورة الشعر .

(٤) سرّ من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى - شمالى بغداد، وبصرى : بلدتان، واحدة قرب بغـداد، ولعلها هى التى يريد، والثانيـة من بلاد حوران بالشام . يعنى أن له أما أو زوجا عجوزا بسر من رأى، وأولادا صغارا بقرب جبال بصرى، ولولا هؤلاء لقتل نفسه صبرا .

(٥) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .

(٦) الخشف : ولد الظبية، ويريد فارقنا صغيرا .

(٧) الجلف : الرجل الجافى .

ألستَ أبا الفتح ؟ ألم نُربِّكَ فينا وليدًا ولبِثتَ فينا من عمرك سنين ؟ فأىُّ عجوزٍ لك بسُرَّ من رأى؟ فضحك إلىّ وقال :

وَيْحَكَ هــذا الزمانُ زُورُ فلا يَغُــرَّنَّكَ الغَـــرُورُ

لا تلتزِمْ حالةً ولكن دُرْ بالليـالى كما تَدُورُ

(٥) المقامة التاسعة الاسكندرية للحريرى (١)

قال الحارثُ بنُ همَّام : طَحا بى (٢) مَرَحُ الشَّباب، وهَوَى الاكتساب، الى أن جُبتُ ما بين فَرْغانَة ، وغَانة (٣)، أخوضُ الغِمارَ، لأجنىَ الثِّمار، وأقتحمُ الأخطارَ، لكى أدركَ الأوطارِ. وكنتُ لَقِفتُ من أفواهِ العلماء، وتَقِفْتُ (٤) من وَصايا الحكماء، أنّه يلزَمُ الأديب الأريب، اذا دخَلَ البلَدَ الغريب، أن يستميلَ قاضيَه، ويستخلصَ مَراضيَه (٥)، ليشتدَّ ظهرُه عِنـد الخصام، ويأمنَ فى الغُربة جَوْرَ الحُكَّام؛ فاتخذتُ هذا الأدبَ إماما، وجعلتُه لمصالحى زِماما؛ فما دخلتُ مَدينة، ولا وَلَجتُ عَرينةً (٦)، إلا وامتزجتُ بحاكمها امتزاجَ المـاءِ بالرَّاح، وتقوَّيتُ بعنايتـه تقوّىَ الأجسـادِ بالأرواح. فبينما أنا عندَ حاكمِ الإسكندرية، فى عَشيّةٍ عَرِيّة (٧)، وقد أحضَرَ مالَ

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء. توفى سنة ٥٢٢ هـ.

(٢) طحا بى : ذهب بى . والمرح : هو النشاط وشدّة الفرح .

(٣) فرغانة : بلد بأقصى بلاد المشرق . وغانة : بلاد بالسودان الغربى . الغمار بالكسر : جمع غمرة وهى الكثير من المـاء، والمراد هنا الأمور الصعبة . (٤) وتقفت : أدركت .

(٥) مراضيه : أى رضاه . (٦) العرينة : مأوى الأسد .

(٧) عرية : أى شديدة البرد أو ذات ريح باردة .

الصَّدَقَات، لِيَفُضَّهُ على ذوى الفاقات، إذ دخل شيخٌ عِفْرِيَةٌ (١)، تَعتِلُه (٢) امرأةٌ مُصْبِيَة (٣).

فقالت: أيّد الله القاضي، وأدام به التراضي، إنى امرأة من أكرم جُرْثومة (٤)، وأطهر أُرومة، وأشرف خُؤُولة (٥) وعُمومة، مِيسَمِي الصَّوْن (٦)، وشيمتي الهَوْن (٧)، وخُلُقي نِعم العون، وبيني وبين جاراتي بَوْن (٨). وكان أبي إذا خطبني بُناةُ المجد، وأربابُ الجَدّ، سَكَّتَهم وبَكَّتَهم (٩)، وعاف وُصْلَتَهم وصِلَتَهم، واحتجّ بأنه عاهد الله تعالى بِحَلْفَة، أن لا يُصاهر غيرَ ذى حِرفة. فقيَّض القَدَرُ (١٠) لنصَبي ووصَبي (١١)، أن حضر هذا الخُدَعَة (١٢) نادِيَ أبي، فأقسم بين رَهْطِه (١٣)، أنّه وَفْقُ شرطه، وادّعى أنه طالما نظم دُرّة إلى دُرّة، فباعهما ببَدْرة (١٤). فاغترّ أبي بزخرفة مُحالِه، وزوّجنيه قبل اختبار حاله. فلمّا استخرجني من كِناسي (١٥)، ورحّلني عن أُناسي، ونقلني إلى كِسره (١٦)، وحصّلني تحت أسره، وجدتُه قُعَدَةً (١٧) جُثَمَةً، وألفيته ضُجَعةً نُوَمَة. وكنت صحبتُه بِرِياشٍ وزِيٍّ (١٨)،

(١) عفرية: أى خبيث شديد الدهاء. (٢) تعتله: تجره بعنف وجفاء. (٣) مصبية: أى ذات صبيان. (٤) جرثومة: أى أصل وكذلك أرومة. (٥) خؤولة: جمع خال. وعمومة: جمع عم. (٦) ميسمي: شيمتي وما يعلم عنى. وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها و يعلم. (٧) الهون: الرفق. (٨) بون: أى فرق وتفاوت فى الفضل. (٩) وبكتهم: قرعهم. (١٠) فقيض القدر: يعنى قدر الله تعالى. (١١) لنصبي: أى تعبي. ووصبي: مرضي. (١٢) الخدعة: أى كثير الخداع. (١٣) رهطه: أى قومه وعشيرته. (١٤) البدرة: عشرة آلاف درهم. (١٥) من كناسي: أى منزلي، وأصله بيت الظبي أو بقر الوحش. (١٦) كسره بفتح الكاف وكسرها: أى جانب بيته. (١٧) قعدة: كثير القعود. وجثمة: كثير الجثوم، أى يلازم الموضع الذى يقعد فيه. وضجعة: أى كثير الاضطجاع والكسل. ونومة: كثير النوم. (١٨) برياش: أى بمال ولباس ناضر.

وأثاثٍ ورِئْىٍ (١)، فما بَرِح يبيعُـه فى سُوق الهَضْم (٢)، ويُتْلِفُ ثمنَـه فى الخَضْم والقضْم (٣)، الى أن مزّق مالِى بأسره، وأنفق مالى فى عُسره (٤). فلمـّا أنسانى طعمَ الراحة، وغادر بيتى أنقى مِن الراحة (٥)، قلتُ له: يا هـذا! إنه لا مَخْبأ بعـدَ بُوس (٦)، ولا عِطرَ بعـد عَروس (٧)، فانهَض للاكتساب بِصناعتك، وأجْنِنى ثمرةَ بَراعتك. فزعم أنّ صنـاعتَه قد رُمِيتْ بالكَساد، لِما ظهـر فى الأرض من الفساد. ولِى منه سُـلالة (٨)، كأنه خِلالة، وكلانا ما ينالُ معه شُبْعة (٩)، ولا ترقأ (١٠) له من الطّوى (١١) دَمْعة. وقد قُدْتُه اليك، وأحضرتُه لديك، لِتعجُمَ (١٢) عُودَ دعواه، وتحكُمَ بيْننا بما أراك الله. فأقبلَ القاضى عليه، وقال له: قد وعَيْتُ قَصَصَ عِرسك، فبرهِنْ الآنَ عن نفسك، وإلّا كشفتُ عن لَبْسك (١٣)، وأمرت بحَبسك! فأطرق إطراقَ الأفعُوان (١٤)، ثم شمّرَ للحرب العَوان (١٥)، وقال:

اسمَــعْ حَــديثى فإنه عَجَبُ ... يُضحكُ مِن شرحه ويُنتحَبُ
أنا امرؤٌ ليس فى خصائصِـــه ... عيبٌ، ولا فى فَخَـاره رِيَبُ
سَروجُ دارِى التى وُلِدتُ بهـا ... والأصلُ غَسّانُ حين أنتسبُ

(١) والأثاث: هو متاع البيت. والرئى: حسن المنظر. (٢) الهضم هنا: الغصب والغبن والظلم. والمراد بيعه بأقل من القيمة. (٣) الخضم: أكل الرطب. والقضم: أكل اليابس، يريد أنه يصرف ثمنه فى أنواع الأكل واللذات. (٤) مزق مالى: أى فرّق الذى لى. (٥) الراحة: بطن الكف لنقائه من الشعر. (٦) بعد بوس: أى فقر. (٧) ولا عطر بعد عروس: هذا مثل قالته امرأة من عذرة مات عنها زوجها، واسمه عروس، فتزوجها رجل أبخر، وأمرها أن تتعطر فقالته.
(٨) سلالة: يعنى ولدا. خلالة: ما يخلل به. (٩) شبعة بالضم: قدر ما يشبع به مرة.
(١٠) ولا ترقأ: أى تسكن. (١١) الطوى: الجوع. (١٢) لتعجم: لتختبر.
(١٣) عن لبسك: إشكالك وتعمية أمرك. (١٤) الأفعوان: ذكر الأفاعى. (١٥) العوان: الحرب التى قبلها حرب، وهى تكون أشدّ من الأولى.

وشُغلىَ الدرسُ ، والتبحُّرُ فى العلْـ ـم طِـلابى، وحبَّــذا الطلَبُ
ورأسُ مالى سِحـرُ الكلام الذى مِنـه يُصاغُ القَـريضُ والخُطَبُ (١)
أغوصُ فى لُجَّـةِ البَيانِ فأخْـ ـتـارُ اللآلى منهـا وأنتخِبُ
وأجتَنى اليـانِـعَ الجَنِىَّ مِنَ الْـ ـقَوْل وغَـيْرى للعُود يحتَطِب
وآخـذُ اللَّفْـظَ فِضَّـةً ، فإذا ما صُـغْتُه قِيـلَ : إنّه ذَهَب
وكنتُ مِن قَبْـلُ أمترِى نَشَبًا بالأدب المقْتَـنَى وأحْتَلِبُ (٢)
ويمتَـطِى أَخْمَـصِى لِحُرمتِـه مَراتِبًا ليس فـوقهـا رُتَب (٣)
وطالمـا زُفَّتْ الصِّـلاتُ الى رَبْعِى ، فلم أرضَ كُلَّ مَن يَهَبُ (٤)
فاليَـومَ مَن يَعْلَق الرَّجاءُ به أكسدُ شىءٍ فى سُوقه الأَدَب (٥)
لا عِرْضُ أبنائِه يُصانُ ، ولا يُرقَبُ فيهـم إلٌّ ولا نَسَـبُ (٦)
كأنهـمْ فى عِراصِهـمْ جِيَفٌ يبْعَـدُ مِن نَتْنِها ويُجتَنَب (٧)
فـار لُـبِّى لِمـا مُنِيتُ بِهِ مِن الليـالى، وصَرْفُها عَجَب (٨)

(١) القريض : الشعر . (٢) أمترى : اكتسب . النشب : أى المال . واحتلب : بالحاء المهملة معطوف على أمترى وهما بمعنى الحلب مستعاران للاكتساب .

(٣) الأخمص : ما ارتفع من باطن القدم عن الأرض .

(٤) أى طالما حملت الى الجوائز والهدايا ، يقال زفت العروس إذا حملت الى بعلها ، ومنه المزفة وهى المحفة . وربعى : منزلى . فلم أرض كل من يهب : أى لا أرضى أن أكون تحت منة كل أحد بل لا أقبل إلا من العظماء . (٥) من يعلق : أى أن من يتعلق به الأمل و يرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسـدة عنده . (٦) لا عرض أبنائه : أى أبناء الأدب والعرض: موضع المدح والذم من الانسان . يرقب : يحفظ . والإل بكسر الهمزة وتشديد اللام : العهد والقرابة والجوار . (٧) عراصهم : ساحات دورهم . (٨) منيت : بليت .

وضاق ذَرْعى لضـيق ذاتِ يَدى ... وسـاوَرَتْنى الهمومُ والكُرَب (١)
وقادَنِى دَهْــرِىَ المُلْــيمُ إلى ... سُـــلوكِ ما يستشينُه الحَسَب (٢)
فبِعْتُ ؛ حتى لم يَبق لى سَــبَد ... ولا بَتَـاتٌ إليــه أنقلب (٣)
وآدَّنْتُ ؛ حتى أثقلتُ سالِفَـتى ... بحَمْل دَيْن مِن دونه العطب (٤)
ثم طَوَيْتُ الحَشا على سَـغَب ... خمسا ، فلمـا أمَضَّنى السغب (٥)
لم أرَ إلا جَهـازَها عَرَضـا ... أجـولُ فى بَيْعِـــه وأضطرب
بجُلْتُ فيــه ، والنفسُ كارهــة ... والعينُ عَبْرَى ، والقلب مكتئِب
وما تجـاوزتُ إذْ عبِثْتُ به ... حَدَّ التراضى فيحدُثَ الغضــبُ
فإن يكن غاظها توهُّمُهـا ... أنَّ بنَـانى بالنظــم تكْتَسِب
أو أننى إذ عَزَمْتُ خِطبتَهـا ... زَخرفتُ قولى لِينجحَ الأرَب
فــوَالذى سارتِ الرِّفاق إلى ... كعبته تستحثُّهـا النُّجُب
ما المكْرُ بالمُحْصَنات من خُلُقِى ... ولا شِـــعارى التمويهُ والكذب
ولا يَدى مُذْ نشأْتُ نِيطَ بهـا ... إلّا مَواضى اليَراع والكُتُبُ
بل فِكرتى تنظِمُ القـلائدَ لا ... كفِّى ،وشعرى المنظومُ لا السُّخُب (٦)

---

(١) ساورتنى : غلبنى . (٢) المليم : أى الذى يأتى بما يلام عليه .

(٣) سبد : وفى نسخة لبد : مأخوذ من قولهم ماله سبد ولا لبد أى شعر ولا صوف ، والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى ، وأراد به هنا أنه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة . والبتات : الزاد ومتاع البيت . (٤) وآدّان : افتعل من الدين بالفتح أى تداينت . والسالفة : صفحة العنق ،

(٥) السغب : الجوع . وخمسا : أى خمس ليال . وأمضنى : أحرقنى . (٦) السخب : جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل ونحوه ليس فيها من الجواهر شىء تجعل فى أعناق الأطفال .

فهـذه الحـرفةُ المُشار إلى ما كنتُ أحوِى بها وأجتَلِبُ
فاذَنْ لشرحى كما أذِنْتَ لها ولا تُراقِبْ ، وآحكُمْ بما يَجِب (١)

قال : فلما أحكَمَ ما شاده (٢) ، وأكمَل إنشادَه، عطَف القاضى الى الفتاة، بعد أن شُغِفَ بالأبيات، وقال : أمَا إنَّه قد ثبَتَ عنـد جميع الحُكام، ووُلاةِ الأَحكام، انقراضُ جِيـلِ الكرام ، وميـلُ الأيّام إلى اللِّئـام . و إنى لإخالُ بَعلَك صَـدوقا فى الكلام ، بَرِيًّا من المَلام . وها هو قد آعترفَ لك بالقَرْض، وصَرَّح عن المَحْض، وبيَّنَ مِصـداقَ النَّظْم، وتبيَّن أنه مَعْروقُ العَظْم (٣) ، و إعناتُ (٤) المُعْذِرِ مَلأَمَة (٥) ، وحَبْسُ المُعسِر مَألَمَة (٦) ، وكِتمانُ الفقر زَهادَة ، وانتظارُ الفرَج بالصبر عبادة، فارجِعى الى خِدْرِك (٧) ، واعذِرى أبا عُذْرِك (٨) ، ونَهْنِهى مِن غَرْبِك (٩) ، وسَلِّمى لِقضاء ربِّك . ثم إنَّه فَرَضَ لهما فى الصدَقات حِصَّة، وناولَهُما من دراهِمها قَبْصة . وقال لهما: تعلَّلا بهذه العُلالة (١٠) ، وتندَّيا بهذه البُلالة، واصبِرا على كَيْد الزمان وكَدِّه، فعسى أن يأتىَ اللهُ بالفتح أو أمرٍ

---

(١) فاذن لشرحى : أى فاستمع لقولى . ولا تراقب أى لا تنظر الى واحدمنا ، والمراد لا تعدل عن الحق .

(٢) أحكم ماشاده : أى أتقن ما قاله وأنشأه من شاد البناء، أو إذا أحكمه ودفعه .

(٣) معروق العظم : كناية عن الهزال، يقال عظم معروق اذا أخذ ماعليه من اللحم .

(٤) الإعنات : الحمل على المشقة الكبيرة، والمعذر المبالغ فى العذر، أو هو الذى يأتى بما يعذر به .

(٥) ملأمة : لوم . والمعسر : هو من عجز عن قضاء الدين .

(٦) مألمة : من الألم وفى نسخة مأثمة من الإثم .

(٧) خدرك : بيتك وسترك . ومنه جارية مخدّرة إذا لزمت الخدر .

(٨) أبا عذرك : أبو عذر المرأة زوجها الأوّل .

(٩) ونهنهى من غربك : أى كفى وازجرى نفسك عن الحدّة .

(١٠) العلالة : ما يتعلل بها . وأصله بقية اللبن . والبلالة : قدر ما يبل الشيء .

من عِنده! فنهَضا، وللشيخ فرحةُ المطلَق من الإسار، وهِزَّةُ المُوسِر بعد الإعسار.

(قال الراوى) وكنتُ عرَفتُ أنه أبو زَيْد ساعةَ بزَغَتْ شَمْسُه، ونَزَغتْ (١) عِرْسُه، وكِدتُ أُفصِحُ عن افتنانه (٢)، وأثمار أفنانه (٣)، ثم أشفقتُ (٤) من عُثور القاضى على بُهتانِه (٥)، وتزويقِ لِسانه، فلا يرى عِندَ عِرفانِه، أن يُرَشِّحَه لإحسانه، فأجمتُ عن القول إحجامَ المُرتاب، وطويتُ ذِكرَه كطَىِّ السِّجلِّ للكتّاب (٦)، إلّا أنى قُلتُ بعدَ مافصَل (٧)، ووصَلَ إلى ما وَصَل : لو أنَّ لنا مَنْ ينطَلِقُ فى أثَرِه، لأتانا بنَصِّ خَبَرِه، وبما يُنشَر من حِبَرِه (٨). فأتْبَعَه القاضى أحدَ أُمَنائه، وأمره بالتجسس عن أنبائه؛ فما لبِثَ أن رجعَ مُتدهْدِها (٩)، وقَهْقَر (١٠) مُقَهْقِها. فقال له القاضى : مَهْيَم (١١)؟ ياأبا مَرْيَم، فقال : لقــد عاينتُ عجَبا، وسمِعتُ ما أنشأَ لى طَرَبا. فقال له : ماذا رأيتَ؟ وما الذى وَعيتَ؟ قال : لم يزل الشيخ مذ خرَج يصفق بيديه، ويُخالِفُ بين رجْليه، ويُغرِّد بملء شِدْقَيه، ويقول :

(١) النزغ : الذكر بالقبيح والإفساد بين الناس، ومعناه خاصمته عرسه.

(٢) عن افتنانه : يقال افتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالأفانين وهى الأساليب. والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف.

(٣) الأثمار بفتح الهمزة : جمع ثمرة وبكسرها المصدر وهو حصول الثمر. والأفنان : جمع فنَن بالتحريك وهو طرف الغصن. (٤) أشفقت : خفت. (٥) بهتانه : كذبه.

(٦) السجل : الكاتب، أى كما يطوى الكاتب الصحيفة. (٧) فصل : ذهب.

(٨) الحــبر جمع حبرة : أردية يمانية موشاة. وأراد ما يذكر من الكلام المسجع الشبيه بالحبر فى الحسن. (٩) التدهده : الإسراع من دهدهت الحجر اذا دحرجته.

(١٠) القهقرة : مشى الى وراء. والقهقهة : الضحك بصوت.

(١١) مهيم : أى ما الخبر. وهى كلمة لأهل اليمن معناها ما خبرك وما شأنك.

كدتُ أُصْلَى بِبَلِيَّهْ من وَقاحٍ شمَّرِيَّهْ (١)
وأزورُ السِّجْنَ لولا حاكمُ الإسكندريهْ

فضحكَ القاضي حتى هوتْ دَنِّيَّتُه (٢)، وذَوَتْ (٣) سكينتُه. فلما فاءَ (٤) الى الوَقار، وعقَّبَ الاستغرابَ (٥) بالاستغفار، قال: اللهمَّ بحُرمة عبادك المقرَّبين، حرِّمْ حبْسِي على المتأدِّبين! ثم قال لذلك الأمين: عليَّ به! فانطلق مُجِدًّا في طلَبه، ثم عاد بعدَ لأْيِه (٦)، مُخْبِرًا بِتَأْيِه (٧). فقال له القاضي: أما إنه لو حضر، لكُفِيَ الحذر، ثم لأَوْلَيْتُه ما هو به أَوْلَى، ولأريتُه (٨) أن الآخرة خيرٌ له من الأولى. (قال الحارث بن همام) فلما رأيتُ صَغْوَ (٩) القاضي اليه، وفوتَ ثمرةِ التنبيه عليه، غشيتْني ندامةُ الفرزدق حين أبانَ النَّوار (١٠)، والكُسَعِيِّ (١١) لما استبانَ النهار.

---

(١) الوقاح: قليلة الحياء. والشمرى: الماضي في الأمور الجاد فيما يحاول.

(٢) دنيته بتشديد النون والياء جميعا: قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كأنها منسوبة الى الدن.

(٣) ذوت: ذبلت وفترت. (٤) فاء: رجع.

(٥) والاستغراب: شدة الضحك والمبالغة فيه حتى تدمع العين.

(٦) لأيه: أي بطئه. (٧) بتأيه: أي ببعده.

(٨) لأريته: لأفهمته وأعلمته أن العطية الآخرة خير من العطية الأولى.

(٩) صغو القاضي: بفتح الصاد أي ميله.

(١٠) الفرزدق: هو همام بن غالب التميمي الشاعر، والنوار على وزن سحاب اسم زوجته وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك.

(١١) والكسعي الخ: هو عامر بن الحرث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين من بني ثعلبة كان راميا وعمل قوسا بعد طول تعب، ثم رمى عنها ليلا فنفذت في الرمية ووقع السهم في حجر فقدح منه الشرار، فظن أن السهم أخطأ الرمية، فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الأسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأه، فعمد الى قوسه فكسرها. ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندما شديدا. فضربت العرب المثل به في الندامة.

ثانيـا ــ النثر العلمى التأليفى

(١) ولابن جِنّى[(١)] فى كتابه الخصائص

باب القول على اللغة وما هى ؟

أمّا حَدُّها فإنها أصـواتٌ يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم . هذا حدُّها . وأمّا اختلافُها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمُواضَعةٌ هى ، أم إلهام . وامّا تصريفُها ومعرفةُ حُروفها فإنها فُعلَةٌ من لغَوتُ أى تكلَّمتُ . وأصلُها لُغَـوَة كَكُرَة وقُلَة وثُبَـة كلُّها لاماتُها واواتٌ ، لقولهـم كَرَوتُ بالكرة ، وقَلَوتُ بالقُلَة ، ولأنّ ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب ، وقد دلَّلتُ على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى فى "سر الصناعة" . وقالوا : لهـا لُغَاتٌ ولُغُونَ ، كَكُرات وكُرُونَ ، وقيـل منها : لَغِىَ يَلْغَى : اذا هَذَى قال :

ورُبَّ أسراب حَجيج كُظَّمِ   عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكلُّمِ

وكذلك اللَّغو ، قال الله سبحانه وتعـالى : ﴿ واذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كراما ﴾ أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صَهْ فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف .

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصـلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (كان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) فصل للجرجانى[(١)] من كتاب دلائل الإعجاز

وإذ قد عرفتَ هذه الأصولَ والقوانين فى شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصّلنا من ذلك على أنّ الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكَّد؛ فلا يكونُ فيها العطفُ ٱلبتة؛ لشبهِ العطف فيها — لو عطفتَ — بعطفِ الشىء على نفسه، وجملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الاسم يكون غيرَ الذى قبلَه إلا أنَّهُ يشاركُهُ فى حُكم، ويدخلُ معه فى معنى: مثلُ أن يكونَ كلا الاسمين فاعلًا أو مفعولًا أو مضافا إليه؛ فيكون حقّها العطف، وجملة لَيْستْ فى شىء من الحالين، بل سبيلُها مع التى قبلَها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شىء؛ فلا يكونُ إيّاه ولا مُشاركا له فى معنى، بل هو شىءٌ إن ذُكِرَ لم يُذكرْ إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكرُ الذى قبله وتركُ الذكر سواءً فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ؛ وحقُّ هذا تركُ العطف ٱلبتة . فتركُ العطف يكون إما للاتصال الى الغاية، أو الانفصال الى الغاية ؛ والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بيْن حالين، فاعرفه .

(٣) وللحريرى[(٢)] فى كتابه درة الغوّاص فى أوهام الخواص

يقولون : زيد أفضل إخوته ؛ فيخطئون فيه : لأن أفعل الذى للتفضيل لا يضاف إلّا الى ما هو داخلٌ فيه ومتنزِّلٌ منزلةَ الجزء منه، وزيدٌ غيرُ داخل فى جملة إخوته ؛

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذى نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكى إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينهما . وتوفى سنة ٤٧١ هـ .

(٢) تقدمت ترجمته عند المقامة الاسكندرية .

ألا ترى أنّه لو قال لك قائل : مَن إخوة زيد؟ لعددتَهم دونَه، فلمّا خرج عن أن يكون داخلا فيهم آمتنع أن يُقال : زيد أفضلُ إخوته ؛ كما لا يُقال زيدٌ أفضلُ النساء لتميّزه من جنسهن، وخروجِه عن أن يُعَدَّ فى جملتهن . وتصحيحُ هذا الكلام أن يُقال : زيد أفضل الإخْوة أو أَفْضَلُ بنى أبيه؛ لأنه حينئذ يدخل فى الجملة التى أضيفَ إليها بدلالة أنه لو قيل لك : من الإخوة؛ أو مَن بنو أبيه؟ لعددتَه فيهم، وأدخلتَه معهم .

ويقولون : هذا بعد اللُّتيا والتى؛ فيضُمُّونَ اللّامَ الثانيةَ من اللتيا، وهو لحنٌ فاحشٌ، وغلطٌ شائن، إذ الصوابُ فيها اللَّتَيَّا (بفتح اللام) لأن العربَ خَصّتِ الّذى والّتى عند تصغيرهما وتصغير أسماءِ الإشارة بإقرار فتحة أَوائلها على صيغتها، وبأن زادت ألفًا فى آخرها عِوضًا عن ضمّ أوّلها؛ فقالوا فى تصغير الذى والتى : اللَّذَيَّا واللَّتَيَّا، وفى تصغير ذاك وذلك ذَيَّاكَ وذيالك أنشدَ ثعلب :

بِذَيّالِكَ الـوادِى أَهِيم، ولم أقل بِذَيّالِكَ الوادى وذَيّاكَ مِنْ زُهـد
ولكن اذا ما حُبَّ شَىْءٌ تَوَلَّعتْ به أحرُفُ التصغير مِن شدة الوجْد

أراد أن التصغير قد يقع مِن فرط المحبة ولطف المنزلة؛ كما يقال : يا بُنَىَّ، ويا أُخَىّ . وقوله : إذا ما حُبَّ شيءَ يعنى به أحِبَّ لِأنه يقال حَبَّ الشيءَ وأحبّه بمعنى؛ كما جاءَ فى المثل السائر : مَنْ حَبَّ طَبَّ، إلّا أنّهم آختاروا أن بَنَوْا الفاعل مِن لَفْظةِ أحَبَّ، وَبَنَوْا المفعولَ مِن لَفْظة حَبّ؛ فقالوا للفاعل : مُحِبٌّ، وللمفعول

مَحْبُوبٌ : ليعادلوا بين اللفظين فى الاشتقاق منهما والتفريع عليهما ؛ على أنّه قد سُمِع فى المفعول مُحَبّ وعليه قول عَنترة :

ولقد نَزَلْتِ فلا تَظُنِّى غيرَه مِنِّى بمَنزلة المُحَبّ المُكْرَم

ويقولون : اذا أصبحوا سَهِرْنا البارحةَ، وسَرَيْنَا البارحةَ . والاختيار فى كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقالَ — مُذْ لَدُنِ الصُّبْح الى أن تزول الشمسُ — سَرَيْنا الليلةَ، وفيما بعد الزوال الى آخر النهار سهِرْنا البارحةَ ؛ ويتفرّعُ على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل الى وقت الزوال : صُبِّحْتَ بخير ! وكيف أصبحت !

الادب فى مصر والشام

(ا) الشعر

(١) المتنبى [1]

قال فى صباه من قصيدة :

أَرَقٌ على أرقٍ ومثلِيَ يأرَقُ ... وجوًى يزيدُ وعَبْرةٌ تترقرقُ
جَهْدُ الصَّبابةِ أن تكون كما أُرَى : ... عينٌ مُسهَّدةٌ ، وقلبٌ يخفِقُ
ما لاح برقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ ... إلّا انثنيتُ، ولى فؤاد شيِّقُ
جرَّبتُ من نارِ الهوى ما تنطفِى ... نارُ الغَضَى ، وتكِلّ عما يُحرِق [2]
وعذَلتُ أهلَ العِشق حتى ذقتُه ... فعجبتُ كيف يموت مَن لا يعشَق
وعذَرتُهم ، وعرفتُ ذنبي أنني ... عيّرتُهم ، فلقيتُ منه ما لَقوا
أَبَنِي أبِينا نحنُ أهلُ منازلٍ ... أبدًا غُراب البَينْ فيها ينعَق [3]

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة والمخترعة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوّة ؛ فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشأم وبخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب الى مصر فمدح كافورا الأخشيدى . ثم هجاه ، وفرّ الى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال الوفيرة ، فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفى نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكنى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكي على الدنيا ، وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز ، فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى، فحواه لحد ضيق (١)
خرس اذا نودوا ، كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت ، والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحمق
والمرء يأمل ، والحياة شهية ، والشيب أوقر، والشبيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودة ، ولماء وجهي رونق
حذرا عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق (٢)

وقال من قصيدة :

أتوك يجرون الحديد كأنما سروا بجياد ما لهن قوائم (٣)
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم (٤)
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم (٥)

---

(١) حتى ثوى : أي ثوى في قبره .

(٢) قال هذه القصيدة وهو شاب ؛ ولكنه يبكي الشباب حذرا من زواله .

(٣) أي لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٤) أي اذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلو لم تميز السيوف البيض منهم ؛ لأن ثيابهم من الحديد الأبيض أيضا ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، وبالعمائم الخوذ والبيضات .

(٥) الزمازم : الأصوات المختلطة التي لا تفهم . أي أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته الى السماء .

تجمَّـــعَ فيهِ كلُّ لِسْن وأمَّـــة فما تُفهِمُ الحُدَّاثَ إلا التراجـــم (١)

فلله وقتٌ ذوَّبَ الغِشَّ نارُه فلم يبـــقَ إلا صارمٌ أو ضُبـــارمُ (٢)

تقطَّعَ ما لا يَقطَعُ الدِّرعَ والقَنـا وفرَّ من الفُرسانِ مَن لا يُصـادم (٣)

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقفٍ كأنك فى جَفْنِ الردى وهو نائم (٤)

تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمـةً ووجهُـكَ وَضّاحٌ وثغرُكَ باســم (٥)

تجاوزتَ مقــدارَ الشجاعةِ والنُّهى إلى قولِ قومٍ : أنتَ بالغيبِ عالم (٦)

ضممتَ جناحَيْهم على القلبِ ضمَّـةً تموتُ الخوافى تحتَهـا والقــوادم

بضربٍ أتَى الهاماتِ، والنصرُ غائبٌ وصـار الى اللَّبَّاتِ، والنصرُ قادم (٧)

حقَرْتَ الرُّدَينيّاتِ حتى طرحتَهـا وحتى كأنَّ السيفَ للرمحِ شاتم (٨)

---

(١) اللسن : اللغة . أى أنه مؤلف من أمم مختلفـة الألسن ، كالروم ، والصقلب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة فقلت وتكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ؛ فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أى كأن الردى : وهـو الموت . مطبق عليك من جميـع النواحى انطباق الجفن على العين ؛ بما لا يجعل للمرء مجالا للشك فى أن الموت واقع لا محالة ؛ فكان ينبغى لمن هـذه حاله أن يفر ؛ أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ؛ فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وثغرك باسما تقابل الموت مستبشرا أثقة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .

(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة الى اللبـة ؛ فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .

(٨) لأن الشجعان تقاتل بالسيوف كأنهم لا يبالون بمقاربة الأعداء .

ومن طلب الفتح ٱلجليلَ فإنما مفاتيحُه البيضُ الخِفافُ الصوارم
نثرتَهُــم فوق الأُحَيــدِبِ نثرةً كما نُثِرَتْ فوق العَروس الدراهــم (١)

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

فَدَيْناكَ مِن رَبع ، وإن زدتَنا كَرْبا فانك كنتَ ٱلشرقَ للشمسِ والغَرْبا
وكيف عرفْنا رسمَ مَن لم يَدَع لنـا فؤادًا لعِــرفان الرُسـوم ولا لُبَّـا
نزلْنا عن الأكوار نمشى كرامــةً لِمَن بانَ عنــه أن نُلِمّ به رَكْبا
نذُمّ السَــحابَ الغُرَّ فى فعــلها به ونُعرِض عنهـا كلّمـا طلعتْ عتْبـا (٢)
ومن صَحِب ٱلدنيـا طويلا تقلّبتْ على عينــه حتى يَرَى صِــدْقها كِذْبا
وكيف ٱلتِـذّاذِى بالأصائل والضُّحا اذا لم يعُــدْ ذاك النسيـمُ الذى هبّا (٣)
ذكرتُ به وَصْــلًا كأن لم أفُــزْ به وعيشًـا كأنى كنتُ أقطَعهُ وَثْبـا
وفتّــانةَ العينين قتّالةَ الهــوى اذا نفحتْ شَــيْخا روائحُها شَــبّا
لها بَشَــرُ الدُّرّ الذى قُلِّدَتْ به ولم أرَ بَدْرًا قبلَها قُــلِّدَ الشُّهْبـا
فياشوقُ ما أبقَى ! وياليِ مِن النَّوى ! ويادمعُ ما أجرَى ! وياقلبُ ما أصبَى !
لقــد لعِبَ البَيْنُ المُشِتّ بِهـا وبِي وزَوّدنى فى السَــيْر ما زَوّد الضَّبا (٤)
ومن تكُنِ ٱلأُسدُ الضَوارى جُدودَه يكن ليــلُه صُبْحا ومطعَمُه غَصْبا

---

(١) الأحيدب : جبل ببلاد الروم بجهة بلدة الحدث .

(٢) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .

(٣) أى الذى هب قديمـا أيام كنا نسكنه مع الحبيب .

(٤) ما زود الضب : أى زوّدنى العـدم ؛ لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء أو زوّدنى الحـيرة ؛ لأنه اذا خرج ضل .

ولستُ أُبالى بعــد إدراكىَ العُـلا ... أكانَ تُراثًا ما تناولتُ أم كَسبا
فرُبَّ غُـلامٍ علّم المجدَ نفسَــه ... كتعليم سيفِ الدولةِ الدولةَ الضَّربا
اذا الدولةُ استكفتْ به فى مُلِمَّــة ... كفاها،فكانَ السيفَ والكفَّ والقلْبا
تُهابُ سيوفُ الهنـد، وهى حدائد ... فكيف أذا كانت نِزاريةً عُرْبا؟(١)
ويُرهَبُ نابُ الليثِ، والليثُ وحدَه ... فكيف اذا كانَ الليوثُ له صَحْبا؟
ويُخشى عُبابُ البحرِ، والبحرُ ساكنٌ ... فكيف بمن يَغشى البـلادَ اذا عبّا؟(٢)
عَلِـيمٌ بأَســرار الدياناتِ واللُّغَى ... له خطراتٌ تفضَحُ النـاسَ والكُتْبا(٣)
فبورِكتَ من غيثٍ كأنّ جلودَنا ... به تُنبِتُ الدّيبـاجَ والوشْىَ والعَصْبا(٤)
ومِن واهبٍ جَزْلًا، ومِن زاجرٍ : هَلا، ... ومن هاتكٍ دِرْعا، ومن ناثرٍ قُصْبا(٥)
هنيئًا لأهــل الثغــر رأيُكَ فيهــمُ ... وأنك حزبُ الله صِرتَ لهــمْ حِزبا(٦)
وأنك رُعتَ الدهرَ فيهـا و رَيْبَــهُ ... فإن شــكّ فلْيُحدِثْ بساحتها خَطْبا(٧)

---

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لاعقل له ، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيوف سيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم ؛ لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .

(٤) أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، ويزجر الخيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها .

(٦) هنيئا حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام — والكلام تحدّ للدهر .

فيومًا بخيلٍ تطردُ الرومَ عنهمُ ... ويوما بجودٍ تطردُ الفقرَ والجدْبا
سراياك تَترى والدُّمُستقُ هاربٌ ... وأصحابُه قتلى وأموالُه نُهْبى(١)
أتى مَرْعَشًا يستقربُ البعدَ مُقبِلًا ... وأدبَرَ إذ أقبلتَ يستبعد القُرْبا
كذا يَتركُ الأعداءَ من يكرَهُ القَنا ... ويَقفُلُ مَن كانتْ غنيمتُه رُعْبا(٢)
وهل ردَّ عنه باللُّقانِ وقوفُه ... صدورَ العوالِي والمُطَهَّمَةَ القُبَّا(٣)
مَضَى بَعدَ ما الْتفَّ الرِّماحانِ ساعةً ... كما يَتلَقَّى الهُدْبُ في الرَّقدة الهُدْبا
ولكنَّه وَلَّى وللطَّعنِ سَوْرةٌ ... اذا ذكرتْها نفسُه لَمَسَ الجَنْبا
وخلَّى العذارَى والبطاريقَ والقُرى ... وشُعْثَ النصارى والقرابينَ والصُّلْبا(٤)
أرَى كُلَّنا يَبغِي الحياةَ لنفسِه ... حريصا عليها مُستَهامًا بها صَبَّا
فحُبُّ الجبانِ النفسَ أوردَه البَقا ... وحُبُّ الشُّجاعِ النفسَ أوردَه الحَرْبا
ويختلفُ الرِّزقانِ، والفعلُ واحدٌ، ... الى أن ترَى إحسانَ هذا لِذا ذَنْبا
فأضحتْ كأنَّ السُّورَ من فوقِ بدئِه ... الى الأرض قد شَقَّ الكواكبَ والتُّرْبا(٥)
تَصُدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافةً ... وتفزع فيها الطيرُ أن تلقُطَ الحَبَّا(٦)
وتَرْدِي الجيادُ الجُردُ فوقَ جِبالها ... وقد نَدَفَ الصِّنَّبْرُ في طُرْقِها العُطْبا(٧)

(١) الدمستق: من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم. ونهبى: منهوبة.
(٢) يقفل: يرجع.
(٣) اللقان: اسم مكان هناك. والمطهمة القب: الخيل الحسان المضمرة.
(٤) البطاريق: قوادا لروم. وأراد بالشعث: الرهبان.
(٥) أى من أعلاه إلى أدناه قد شق الخ. وقوله: فأضحت أى مرعش.
(٦) تصد: أى تفزع منها. وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقائها.
(٧) تردى: من الرديان وهو ضرب من الجرى. والصنبر: السحاب البارد. والعطب: القطن.

كفى عَجَبـا أنْ يَعجَبَ الناسُ أنه ... بَنَى مَرْعَشـا ، تَبًّـا لآرائهمْ تبًّـا!(١)

وما الفَرْقُ ما بَيْنَ الأنامِ وبينَـه ... اذا حذِرَ المحذورَ واستصعبَ الصَّعبا

لأمرٍ أعـدَّتْه الخـلافةُ للعـدا ... وسَمَّتْه دُونَ العالَمِ الصارمَ العَضْبا

ولم تَفترِق عنـه الأَسِـنَّةُ رَحْمَـةً ... ولم تَتْرُكِ الشـامَ الأعادى له حُبّـا

ولكنْ نفاها عنـهُ غيرَ كَريمةٍ ... كريمُ الثَّنَا ما سُبَّ قطُّ ولا سَـبَّا

وجَيشٌ يُثَنِّى كلَّ طَـوْدٍ كأنّه ... خَرِيقُ رِياحٍ واجهتْ غُصُـنا رَطْبا(٢)

كأنَّ نُجومَ الليـلِ خافتْ مُغارَه ... فَمدَّتْ عليها مِن عَجاجَتـهِ حُجْبا

فمن كان يُرْضِى اللؤمَ والكفرَ مُلْكُه ... فهـذا الذى يُرضِى المكارِمَ والرَّبَّا

وقال يذكر قيامَ شَبيب العُقيلى : وكان خارجا على كافور فمات بفأة وهو يحاصر دمشق ، وقيل : دَسَّ عليه كافور من سَمَّه ، وقيل : إنه أُلقِى عليه رحى من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عَـدُوُّك مـذمومٌ بكل لسـانِ ... ولو كان مِن أعدائك القمرانِ

ولله ســرٌّ فى عُـلاك ، وإنمـا ... كلامُ العِـدا ضربٌ من الهذَيانِ

أتلتمسُ الأعداءُ بعـد الذى رأتْ ... قيامَ دليـلٍ أو وُضوحَ بيانِ

رَأَتْ كلّ مَن ينْوِى لك الغَدْرَ يُبتلَى ... بِغـدرِ حيـاةٍ أو بغـدرِ زَمانِ

بَرَغْمِ شَبيبٍ فارق السيفَ كفُّه ... وكانا على العِلّاتِ يصطحبانِ

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعش كأنهم لم يعرفوا قدرته ، ومرعش مدينة بالشام قرب أنطاكية .

(٢) الخريق : الريح الشديدة .

كأنّ رِقابَ الناس قالتْ لسيفه: رفيقُك قيسىٌّ وأنتَ يمانى! (١)

فإن يكُ إنسانًا مضَى لسبيله   فإنَّ المنايا غايةُ الحيوانِ

وما كان إلا النارَ فى كلّ موضع   تُثيرُ غُبارًا فى مكانِ دُخان

فنال حياةً يَشتهيها عَدُوُّه   وموتًا يُشَهِّى الموتَ كلَّ جبانِ (٢)

نَفَى وقعَ أطراف الرماح بِرُمْحِه   ولم يَخْشَ وَقْعَ النَّجْم والدَّبَرانِ (٣)

ولم يدر أن الموتَ فَوق شَواتِه   مُعارُ جَناحٍ مُحْسِنُ الطيرانِ (٤)

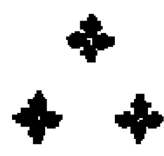
وقد قَتَلَ الأقرانَ حتى قتلْتَه   بأضعفِ قِرْنٍ فى أذلِّ مكانِ

أتتْهُ المنايا فى طريقٍ خَفيةٍ   على كلِّ سَمْعٍ حَولَه وعِيانِ

ولو سلكتْ طُرْقَ السِّلاحِ لَرَدَّها   بِطُولِ يَمينٍ واتّساعِ جَنانِ

تَقَصَّدَه المِقدارُ بَيْنَ صِحابه   على ثِقَةٍ مِن دهرِه وأمانِ

وهل ينفعُ الجَيْشُ الكثيرُ الْتِفافُه   على غيرِ مَنْصُورٍ وغيرِ مُعانِ



قضى اللهُ يا كافورُ أنك أوّلٌ   وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانى

فما لَكَ تختارُ القِسِىَّ وإنما   عن السَّعْدِ يُرْمَى دونَك الثَّقلانِ؟

وما لك تُعْنَى بالأسنةِ والقَنا   وجَدُّك طَعّانٌ بغيرِ سِنانِ؟

---

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية فى الشام .

(٢) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكتة بلا سابق ألم ومرض .

(٣) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا النجوم السماوية من الكواكب أمثال الدبران ، وهو كوكب نحس كما زعموا .

(٤) شواته : رأسه .

وَلِمْ تَحمِــلِ السيفَ الطويلَ نِجادُهُ   وأنت غَنِيٌّ عنــه بالحَدَثانِ؟
أَرِدْ لِى جَمِيلًا جُدْتَ أو لم تَجُدْ به   فإنــك ما أحْبَبْتَ فِىَّ أتانى
لو الفلكُ الدَّوارُ أبغضتَ سَــعْيَهُ   لَعَوَّقَــهُ شىءٌ عن الدَّوَرانِ

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًا من كافور الى الكوفة يهجوه وقومـــه :

عِيــدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عِيــدُ   بمــا مَضَى أم لأمرٍ فيــكَ تَجديدُ (١)
أما الأحِبَــةُ فالبيداءُ دونَهــمُ   فليتَ دونَكَ بِيــدًا دُونَها بِيــدُ (٢)
لولا العُلا لم تَجُبْ بِى ما أَجُوبُ بها   وَجْناءُ حَرْفٌ ولا جَرْداءُ قَيْــدودُ (٣)
وكانَ أَطيبَ مِن سَيْفِى مُضاجَعةً   أشباهُ رَوْنَقِــهِ الغِيــدُ الأماليــدُ (٤)
لم يَترُكِ الدهرُ من قلبِى ولا كَبِدى   شَــيْئا تُتَيِّمُه عَيْنٌ ولا جِيــدُ
يا ساقِيَّ أخمــرٌ فى كُئُوسِكُما   أم فى كُئُوسِكُما هَمٌّ وتَســهيد
أصخــرةٌ أنا مالِى لا تُحَرِّكُنِى   هذِى المُدامُ ولا هَــذِى الأغاريد؟
إذا أردتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صافيــةً   وجدتُهــا ، وحبيبُ النفْس مفقود (٥)
ماذا لَقِيتُ مِن الدنيــا ؟ وأعجبُها   أنِّى بمــا أنا بَاكٍ منــه محســود

(١) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .
(٢) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة .
(٣) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : المضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلا لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .
(٤) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمة ويروى معانقة بدل مضاجعة .
(٥) يريد بكميت اللون : الخمرة .

أمسيتُ أرْوَحَ مُثْرٍ : خازِنًا وَيَدًا ... أنا الغَنِيُّ، وأَمْوالِي المواعيــد (١)
إنى نزلتُ بكذّابِينَ ضَيفُهُمُ ... عنِ القِرى وعن التَّرحال محدود (٢)
جُودُ الرجال من الأيْدِي، وجودُهمُ ... من اللسانِ ؛ فلا كانوا ولا الجود!
ما يَقْبِضُ الموتُ نفسًا مِن نُفوسهمُ ... إلا وفى يَــدِه من نَتْنِها عُــود (٣)
أَكُلّما اغتالَ عبــدُ السوء سيدَه ... أو خانه فَــلَهُ فى مصرَ تمهيــد
صار الخَصِىُّ إمامَ الآبِقِينَ بهــا ... فالحــرُّ مستَعبَدٌ، والعبــدُ معبــود
نامَتْ نَواطيرُ مِصرٍ عن ثَعالبِهــا ... فقَــدْ بَشِمْنَ ، وما تَفْنَى العناقيــد (٤)
العبــدُ ليس لِحُــرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنه فى ثِيــاب الحُــرّ مولود
لا تَشْــتَرِ العَبْــدَ إلا والعَصا معــه ... إن العبيــدَ لأَنْجــاسٌ مَناكيد
ما كنتُ أَحْسَبُنِى أحيــا الى زَمَنٍ ... يُسِىءُ بِى فيــه كَلْبٌ وهو محمــود
ولا توهَّمتُ أَنّ الناسَ قد فُقِــدُوا ... وأن مثــلَ أبِى البَيْضاءِ موجــود (٥)
وأن ذَا الأســودَ المثقوبَ مِشْفَرُه ... تُطيعُــه ذى العَضاريطُ الرعاديد (٦)

---

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ؛ ولكن يدى وخازنى فى راحة ؛ إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .

(٢) محدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فيه عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تنزها من مس أبدانهم بيده .

(٤) النواطير : حافظو الكروم بالظاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل . وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخرية منه .

(٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللئيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاديد : جمع رعديد وهو الجبان .

جَوْعَانُ يأكُلُ مِن زَادِي، ويُمسكُنِي ... لكَيْ يُقالَ : عظيمُ القَـدْرِ مقصود
إن آمرأً أمَــةٌ حُبـلى تُـدبِّرُه ... لَمُستَضَامٌ سَخِينُ العَيْنِ مفئُـود (١)
وَيْلُ آمِّها خُطَّةً! وَيْلُ آمِّ قابِلِها! ... لمثلِهـا خُلِقَ المَهْـرِيَّةُ القُـود (٢)
وعنـدَها لَذَّ طَعْمَ المـوتِ شارِبُهُ ... إن المَنِيَّةَ عِنـد الذل قِنـدِيد (٣)
مَن عَلَّمَ الأسودَ المَخصِيَّ مَكْرُمةً؟ ... أَقَـوْمُهُ البِيضُ أم آباؤه الصِّـيد؟
أم أُذُنُهُ فى يـد النَّخَّاس دامِيـةً ... أم قَدرُه، وهـو بالفَلْسَيْن مردود
أَوْلَى اللئـام كُوَيْفِـيرٌ بمعـذِرة ... فى كُلِّ لَومٍ، وبعضُ العُذرِ تَفنيد (٤)
وذاكَ أن الفحـولَ البيضَ عاجِزةٌ ... عن الجميلِ، فكيفَ الخصيةُ السُّودُ؟

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر الى مصر :

واحَرَّ قلبـاهُ مِمَّنْ قلبُـه شَـبِمُ ... ومن بجسـمى وحالى عنـده سَقَمُ (٥)
مالى أُكَتِّمُ حُبًّا قد بَرَى جَسَـدِى ... وتدَّعى حُبَّ سـيفِ الدولةِ الأُمَمُ
إن كان يَجمعُنـا حبٌّ لغُـرَّته ... فليتَ أنَّا بِقَـدْرِ الحب نَقتسِـمُ (٦)

---

(١) أى أن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل . (٢) ويل آمها : أى ويل لأمها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة ، ولام ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة إم المحذوفة اليها على لغة من يكسر همزة أم وهى سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لمثلها الخ أى لمثل الخلاص منها . والمهرية : النوق المنسوبة الى بلاد مهرة . وهى كريمة سريعة السير . والقود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) القنديد : عسل قصب السكر . (٤) كويفير : تصغير كافور .

(٥) الهاء فى قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف ، أو هو مذهب كوفى . أى ما أحرّ قلبى من حب من قلبه بارد من حبى .

(٦) أى ليته يرعى كلا منا بقدر حبنا إياه .

قد زرتُهُ، وسيوفُ الهند مُغمدةٌ وقد نظرتُ اليه ، والسيوفُ دَم[١]
فكان أحسنَ خلقِ الله كلِّهمُ وكان أحسنَ ما فى الأحسن الشيَمُ
فَوْتُ العدُوّ الذى يممتَهُ ظَفَرٌ فى طَيِّه أَسَفٌ فى طَيّه نِعَمُ[٢]
قد نابَ عنك شديدُ الخوفِ واصطنعتْ لك المَهابةُ ما لا تصنَعُ البُهَمُ[٣]
أَلزمتَ نفسَك شيئًا ليس يَلْزَمُها ألّا تُوارِيَهم أرضٌ ولا عَلَمُ[٤]
أَكُلَّما رُمتَ جيشا ، فانثنَى هَرَبًا تصَرَّفَتْ بك فى آثاره الهِمَمُ؟
عليك هزْمُهمُ فى كلّ معتَرَكٍ وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما تَرى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ تصافحتْ فيه بيضُ الهند واللِّمَمُ
يا أعدلَ الناسِ الا فى مُعامَلَتى فيكَ الخِصامُ ، وأَنتَ الخصمُ والحَكَمُ!
أُعيذُها نَظَراتٍ منك صادقةً أن تحسَبَ الشحْمَ فيمَنْ شحْمُه وَرَمُ
وما انتفاعُ أخِى الدنيا بناظره اذا استوتْ عنده الأَنوارُ والظُّلَمُ
أنا الذى نظَرَ الأعمى الى أَدبى وأسمعَتْ كلماتِى مَن به صَمَمُ[٥]

---

(١) أى أنى خدمته فى حالتى السلم والحرب .

(٢) أى أن فوت العدوّ وفراره منك ظفر لك فى ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٣) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٤) أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم بل يكفيك فرارهم . والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٥) يريد بكلماته أشعاره .

أنامُ مِلءَ جُفونِي عن شــوارِدِها ويَسْـــهَرُ الخَــلْقُ جرّاها ويَخْتَصِمُ[١]

وجاهلٍ مَــدَّهُ فى جَهْــلِهِ ضَحِكى حتى أتَتْــه يَدٌ فرّاسَــةٌ وفَــم

اذا رأيتَ نُيــوبَ اللّيثِ بارزَةً فــلا تظنَّن أن اللّيثَ يَبْتَسِــم

ومُهجَةٍ مُهجــتى مِنْ هَمِّ صاحِبِها أدركتُها بجَــوادٍ ظَهــرُه حَرَمُ[٢]

رِجلاهُ فى الركضِ رجلٌ، واليدان يَدٌ وفعــلُه ما تُرِيدُ الكفُّ والقَــدَمُ[٣]

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحفَلَــيْنِ به حتى ضَرَبْتُ ، وموْجُ الموت يَلتطِمُ

فالخيلُ والليــلُ والبيداء تَعــرِفُنِى والحَرْبُ والضَّرْبُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

صحبتُ فى الفلواتِ الوحشَ مُنفَــرِدًا حــتى تعجَّبَ منى القُورُ والأَكَمُ[٤]

يا مَن يعِــزّ علينـا أن نُفارقَهــم وِجدانُنـا كلَّ شيء بعــدَكم عَدَمُ!

ما كان أخلقَنـا منــكم بتكرِمــةٍ لو أنَّ أمرَكُمُ مِن أمرِنا أَمَمُ

إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسِــدُنا فـا لجُــرحٍ إذا أرضـاكُمُ ألَمُ

وبيْنَنَـا لو رعيــتُمْ ذاك معــرِفَةٌ إن المعـارفَ فى أهــلِ النُّهَى ذِمَمُ

كم تطلُبــون لنـا عَيبًا فيُعجِــزُكُم ويَكرَهُ اللهُ ما تأتونَ والكَرَمُ

---

(١) وشوارد الأشـعار : سـوائرها وذائعاتها : أى أنه ينظمها و ينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقدا واجتلابا وحفظا و رواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتى أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، و يداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معا و يضعهما كذلك . وكذلك يداه . وفعله فى الجرى يغنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القـدم التى يستحثه بها .

(٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحزنة (البركانية) .

ما أبعدَ العيبَ والنُّقصانَ من شرفى؛ أنا الثُّريّا، وذانِ الشَّيبُ والهَرَمُ
ليتَ الغمامَ الذى عندى صواعقُه يُزيلُهنَّ الى مَن عنده الدِّيَمُ
أرى النَّوى يَقتضينى كلَّ مرحلةٍ لا تستقلُّ بها الوَخّادةُ الرُّسُمُ
لئن تركْنَ ضُمَيرًا عن ميامننا لَيَحدُثَنّ لِمَن ودَّعتُهم نَدَمُ(١)
اذا ترحَّلتَ عن قومٍ وقد قدَروا ألّا تُفارِقَهم فالراحلون هُمُ
شرُّ البلادِ مكانٌ لا صديقَ به وشرُّ ما يَكسِبُ الانسانُ ما يَصِمُ
وشرُّ ما قنَصتْه راحتي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ
بأى لفظٍ تقولُ الشعرَ زِعْنِفةٌ تجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ
هذا عتابُك إلا أنه مِقَةٌ قد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلا انه كَلِمُ

(٢) أبو فراس الحَمْدانىّ(٢)

كتب وهو فى أسر الروم الى ابن عمه سيف الدولة بهذه القصيدة يعتب ويشكو:

أبَى غَرْبُ هذا الدمعِ إلّا تَسرُّعَا ومكنونُ هذا الحبِّ إلا تَضَوُّعا(٣)
وكنتُ أرى أنّى مع الصبرِ واجدٌ اذا شئتُ لى مَمْضًى و إن شئتُ مَرجِعا(٤)

(١) ضُمير: جبل يكون على يمين الذاهب الى مصر من حلب .

(٢) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى ابن عم سيف الدولة وأحد قواده وولاته . أسره الروم فى بعض الوقائع جريحا ومكث فى أسرهم حتى تيسر فداؤه . وكتب فى السجن الى سيف الدولة قصائد كثيرة يعتب عليه فيها تقصيره فى فكاكه . قتل فى ثورة أهلية سنة ٣٥٧هـ عن ٣٧ سنة .

(٣) الغرب هنا : مسيل الدمع وانهلاله . والتضوع هنا : الانتشار والذيوع .

(٤) أى كنت أظن أنى بالصبر والتجلد فى حبى لا أضطر الى ركوب خطة واحدة ، بل أنى — اذا شئت — مضيت فى سبيل واذا شئت رجعت .

فلمـا استمـــر الحبُّ فى غُـــلَوائه ... رَعَيْتُ مع المِضْـــياعة الغِرِّ ما رَعَى (١)
فَحُــزْنى حُزْنُ الهـائمين مُـبرِّحًا ... وسِرِّى سِرُّ العاشـــقين مُضَـــيَّعا
خليـلىَّ لِمْ لا تَبكيانِى صـبابةً ... أأبْدَلتُمَـا بالأجرع الفَــرد أجرعا (٢)
علىَّ لِمن ضنَّتْ علىَّ جُفُـــونُه ... غَوارِبُ دمع يَشْـــمَلُ الحَىَّ أجمعا (٣)
وهَبْتُ شَـبابى، والشبابُ مَضِـنَّةٌ ... لأبلـــجَ مِن أبنـاءِ عمِّى أروعا (٤)
أبِيتُ مُعَـــنًّى مِنْ مَخافةِ عَتْبِـــهِ ... وأُصـــبِحُ محزونا ، وأُمسى مُرَوَّعا
فلمَّـا مضى عصرُ الشـــبيبةِ كُلُّه ... وفارقَـــنى شرخُ الشـــباب فودَّعا
تطلَّبتُ بين العَتْب والهجْـــر فُرجةً ... فحاولتُ أمرًا لا يُـــرامُ مُمَنَّعـا
وصِرتُ إذا مازُمت فى الخـــير لذَّةً ... تتبعتُهـا بين الهُـــموم تَتبُّعـا (٥)
وها أنا قد حَلَّى الزمانُ مَفارِقى ... وتَوَّجَنى بالشَّـــيب تاجاً مُرَصَّعا
فــلَوْ أنني مُكِّنْتُ فيما أُريدُه ... من العيش يوما لم أجِدْ فى مُوضِــعا (٦)
أما ليـــلةٌ تَمضى ولا بعضُ ليـــلة ... أُسرُّ بهـــا هـــذا الفؤادَ المُـــوَجَّعا
أما صـاحبٌ فَــردٌ يدومُ وفاؤُه ... فيُصْفِى لِمن أَصْفَى، ويَرْعى لِمن رَعَى
أفى كلِّ دار لى صـــديقٌ أَوَدُّه ... إذا ما تفـــرَّقنا حَفِظتُ وضَــيَّعا

---

(١) الغلواء : الغلو . والمضياعة : الكثير الإضاعة . والغــرّ : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء .

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكانا غيره . يريد هل نسيتمانى واتخذتم بدلى حبيبا آخر .

(٣) أى انى أبكى على من لا يبكى علىّ بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع للنجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

اذا خِفتُ من أخوالىَ الرومِ خُطَّةً تخوَّفتُ مِن أعمامِيَ العُرْبِ أربعا
وإنْ أوجعتْنى مِن أعادِىَّ شيمةٌ لَقِيتُ مِن الأحبابِ أدمَى وأوْجعا
ولَوْ قَدْ رَجوت اللهَ لا ربَّ غيرُه رجعتُ الى أعلَى ، وأمَّلتُ أوسعا(١)
لقد قنعوا بَعْدِى من القطْرِ بالنَّدى ومَن لم يجِدْ إلا القُنوعَ تقنَّعا(٢)
وما مرَّ إنسانٌ فأخلَفَ مِثلَه ولكن يُرَجِّى الناسُ أمْرا مُوقَّعا(٣)
تنكَّرَ سيفُ الدّين لما عَتَبْتُه وعرَّضَ بى تحتَ الكلامِ وقرَّعا
فقُولا له : يا صادق الوُدِّ إننى جعلتُك مِمّا رابَنِى منك مَفْزَعا
ولو أننى أكننتُه فى جوانحى لأوْرقَ ما بين الضلوع وفرَّعا
فلا تغترِرْ بالناس ؛ ما كُلُّ مَن ترى أخوك : اذا أوْضعتَ فى الأمر أوْضعا(٤)
ولا تتقلَّدْ ما يروقُ جَمالُه تقلَّدْ إذا حَرَّبْتَ ما كان أقطَعا(٥)
ولا تقبلَنَّ القولَ مِن كلّ قائلٍ سأرضيك مرأًى لستُ أُرضيك مَسْمَعا
فلِله إحسانٌ علىَّ ونِعمةٌ ولِله صُنعٌ قد كفانى التَّصنُّعا
أرانِىَ طُرقَ المكْرُماتِ كما رأى علىٌّ وأسمانى على كل من سعَى(٦)
فإن يكُ بُطءٌ مرة فلَطالما تعجَّلَ بى نحوَ الجميلِ فأسرعا

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت الى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢و٣) أى أن أهلى نسونى وقنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وانما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عن غيبتى .

(٤) أوضع فى الأمر : أسرع فيه أو أجرى دابته إجراء سريعا .

(٥) ولا تتقلد مايروق الخ : أى لا تتقلد سيفا جميل المنظر غير قاطع .

(٦) يريد بعلى سيف الدولة وهو اسمه .

وإن يَخْفَ فى بعض الأمـــور فإننى لأشـــكُرُه النُّعمَى التى كان أودعا
وإن يستجدَّ الناسَ بعـدى فلم يَزَلْ بذاك البـــديلِ المُسْـــتَجَدِّ مُمَتَّعـا(١)

وقال من قصيدة بعث بها اليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه :

وَأَبطأَ عـــنّى والمنـايا سريعـــةٌ وللمـوْتِ ظُفْـــرٌ قـــد أطلَّ ونابُ
فان لم يكن وُدٌّ قريبٌ تَعُـــدُّهُ ولا نَسَبٌ بين الرجال قُـــرابُ(٢)
فأَحْوَطُ للإســـلامِ ألّا يُضيعَنى ولى عنـــه فيـــه حَوْطَةٌ ومَنـابُ(٣)
ولكنّنى راضٍ عـــلى كلِّ حالةٍ ليعـــلَمَ أىُّ الحالتين صَـواب
وما زِلتُ أرضَى بالقليـــل محبـــة لديْهِ ، وما دُونَ الكثيرِ حِجـاب
وأَطْلُبُ إبقـاءً عـلى الوُدِّ أرْضَـــه وذِكْرِى مُـــنًّى فى غيرها وطِـلاب(٤)
كذاك الوِدادُ المَحْضُ : لا يُرْتَجَى له ثوابٌ ، ولا يُخْشَى عليـه عِقـاب
وقدكنتُ أخْشَى الهجرَ ، والشملُ جامعٌ وفى كلِّ يومٍ لُقْيَـــةٌ وخطاب
فكيفَ وفيما بيْنَنـا مُلْكُ قَيْصَـــرٍ ولِلبحـــرِ حَـــوْلِى زَخْرَةٌ وعُبـابُ؟
أَمِنْ بَعْدِ بَذْلِ النفسِ فيما تُرِيدُه أُثابُ بِمُـــرِّ العَتْبِ حين أُثاب
فليتَـــك تحـــلُو ، والحيـاةُ مَرِيرةٌ وليتَـــك تَرْضَى ، والأَنامُ غِضاب
وليتَ الذى بَيْنِـــى و بينَـــك عامرٌ وبينـــى وبين العـالَمين خَراب
اذا صَحَّ منـك الوُدُّ فالكلُّ هَيِّنٌ وكُلُّ الذى فَـوقَ الترابِ تُراب

(١) أى وإن يستجد سيف الدولة قائدا ونصيرا آخر بعدى فانى أدعو له بألا يزال ممتعا به .

(٢) القراب : المقارب . (٣) أى اذا لم ينقـذنى للود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للاسلام فانى أحوطه وأنوب عنه فى الذود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاء على وده و إلا فان مجرّد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبتهم .

(٣) أبو العلاء المعرى (١)

قال فى الفخـــر :

أرَى ٱلعنقاءَ تكبُرُ أن تُصادَا ... فعانِدْ من تُطيقُ له عِنـادَا
وما نَهْنَهْتُ عن طَلَبٍ، ولكنْ ... هِىَ ٱلأيام لا تُعطِى قِيـادا (٢)
فلا تَلُمِ ٱلسـوابِقَ والمطـايا ... اذَا غرضٌ مِنَ الأغراض حادا (٣)
لعلَّكَ أن تَشُنَّ بهـا مُغـارا ... فتُنجِحَ أو تُجَشِّمَها طِـرادا
مُقارِعةً أَجِنَّتَهـا العَـوَالِى ... مُجَنَّبَـةً نواظرَها السُّـرَادا (٤)
تَلومُ على تَبَـلُّدِها قُـلوبًا ... تُكابِدُ مِن مَعيشتها جِهـادا
اذا ما ٱلنـارُ لم تُطْعَمْ ضِرامًا ... فأوْشِكْ أن تَمُرَّ بهـا رَمادا
فظُنَّ بسائرِ الإخوانِ شَرًّا ... ولا تأمَنْ على سرٍّ فُؤادا
فلو خَبَّرتْهُمُ الجـوزاءُ خُبْرِى ... لمـا طلعتْ مَخَـافَةَ أن تُكادا
تَجَنَّبْتُ الأنامَ ؛ فـلا أُواخِى ... وزِدتُ عن العدُوِّ، فلا أُعَادَى
ولمـا أن تَجَهَّمَنِى مُرادى ... جَرَيْتُ مع الزمانِ كما أرادا

(١) أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيا . ثم على علماء حلب وأعالى الشام حتى صار علما فى الاشتهار . ثم ذهب الى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له فيها العيش ، فرجع الى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء فى الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيرا من الشبه فى عقيدته . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعرا كثيرا ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة .

(٢) نهنهت : كففت .

(٣) المعنى لا تلم الخيل والإبل ان لم تدرك غرضك فلعلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة .

(٤) الأجنة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

وَهوّنتُ الخطــوبَ علىَّ حتى | كأنى صرتُ أمنحُها الوِدادا
أأُنكِرُها ومنبِتُهـا فــؤادى | وكيف تُنَكِّرُ الأرضُ القَتَادا؟ (١)
فأىّ النـاس أجعلُه صـديقا | وأىّ الأرض أسلكه آرتيـادا ؟
ولو أنّ النجومَ لدَىَّ مالٌ | نفَتْ كفاىَ أكثرَها آنتقـادا
كأنّى فى لسانِ الدهرِ لفــظٌ | تضمّنَ منه أغراضًا بِعادا
يُكرّرُنى ليفهمَنى رِجالٌ | كما كرّرتَ معنًى مُستعادا
ولو أنى حُبِيتُ الخُلْدَ فَــرْدًا | لما أحْبَبْتُ بالخلد آنفـرادا
فــلا هَطَلتْ علىَّ ولا بأرْضِى | سحَـائبُ ليس تنتظِمُ البِلادا (٢)
وكم مِن طالبٍ أمدِى سيلقَى | دُوَيْنَ مكانِىَ السَّبْعَ الشِّـدادا
يؤجِّجُ فى شُعاع الشمس نارا | ويقــدَحُ فى تلهُّبهـا زِنادا (٣)
ويطعَنُ فى علاى ، وإن شِسْعِى | ليأنَفُ أن يكونَ لهُ نِجادا (٤)
ويُظهِــرُ لى مودّته مقــالا | ويُبغِضُنى ضمــيرًا وآعتقـادا
فلا وأبيكَ ما أخشى آنتقاصًا | ولا وأبيك ما أرجو آزديادا !
لىَ الشرفُ الذى يطأُ الـثُّريّا | مع الفضل الذى بَهَرَ العبـادا
وكم عينٍ تُؤمِّــلُ أن تَرانى | وتَفقِدَ عنــد رُؤيتىَ السَّوادا
ولو ملأَ السُّها عينيْــه مِنّى | أبرَّ على مَــدَى زُحَلٍ وزادا (٥)

(١) القتاد : نوع من الشوك . (٢) تنتظم : تعم .

(٣) أى أن من يسابقنى ويبارينى فى المجد لا يدركنى بل يكون مثله كمثل من يؤجج نارا يكيد بها الشمس . (٤) أى شسع نعلى ورباطه أشرف من نجاد سيفه .

(٥) السها : نجوم خفية فى الدب الأصغر . وليس لها أثر فى الحظ والتأثير عند المنجمين كالزحل .

أَفُلُّ نوائبَ الأيام وَحيدِى ... إذا جَمعتْ كتائبها احتشادا

وقد أثبتُّ رِجْلِى فى رِكاب ... جعلتُ من الزِّماعِ له بِدادا (١)

اذا أوطأتُها قَدَمَىْ سُهيلٍ ... فلا سُقِيتْ خُناصِرةُ العِهادا (٢)

كأنّ ظِماءهن بَناتُ نَعْش ... يَرِدْنَ إذا وَرَدْن بنا الثِّمادا (٣)

ستعجَبُ مِن تَغَشْمُرِها ليالٍ ... تُباريِنا كواكبُها سُهادا (٤)

كأنَّ بِفَاجِها فَقَدَتْ حَبيبا ... فصيَّرتِ الظَّلامَ لها حِدادا

وقد كَتَبَ الضَّريبُ بها سُطورًا ... فخِلْتُ الأرضَ لابسةً بِجادا (٥)

كأنَّ الزِّبْرِقَانَ بها أَسِيرٌ ... تُجُنِّبَ لا يُفَكُّ ولا يُفادَى (٦)

وبعضُ الظاعنين كقَرْنِ شَمْس ... يَغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا

ولكنَّ الشَّبابَ إذا تولَّى ... بجَهلٍ أن تَرومَ له ٱرتدادا

وأحسَبُ أنّ قَلْبِى لو عصانى ... فعاوَدَ ما وجدتُ له ٱفتقادا

وقال : بمدينة السلام يجيب أبا على النهاوندى محمد بن حمد بن فورجّة من قصيدة بعث بها اليه :

كفى بِشُحوب أوجُهِنا دَليلا ... على إزماعِنا عَنْكَ الرحيلا

أبتْ صِنْفَا النواعبِ من نياق ... وَطيرٍ أن نُقيمَ وأن نَقيلا

---

(١) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانبى السرج من اللبد والحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب . (٢) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة بلدة بالشام : يقول اذا توجهت تلقاء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٣) أى كأن ركائبى الظماء العطاش مثل بنات نعش فى تفرقها حين ترد الثماد ، وهى المياه القليلة يحفرها حفر صغيرة تحت الرمل فتنبط ماء . (٤) التغشمر : التعسف .

(٥) الضريب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض . والبجاد : الكساء المخطط . (٦) الزبرقان : القمر أى كأن القمر أسير فى هذه الأرض فليس له من فكاك .

تأمّلنا الزمانَ فما وجدْنا ... إلى طيب الحيـاةِ به سبيلا
ذرِ الدنيا اذا لم تحظَ منها ... وكنْ فيها كثيرًا أو قليلا
وأصبحْ واحدَ الرجُلَينِ : إمّا ... مَليكا فى المَعَاشر ، أو أَبِيلا (١)
ولو جَرتِ النباهةُ فى طريق الـ ... ـخُمُول إلىّ لاُخترتُ الخُمولا

* * *

كَلِفْنَا بالعِـراق ونحنُ شَرْخٌ ... فلم نُلْمِمْ به إلا كُهولا (٢)
وشـارَفَنا فِـراقُ أبى عـلىّ ... فكان أعزَّ داهيةٍ نُزولا
سـقاه الله أبلَجَ فارسيًّا ... أبتْ أنوارُ سؤددِهِ الأُفـولا (٣)

* * *

ورَدْنا ماءَ دِجْـلةَ خيرَ ماءٍ ... وزُرْنا أشرفَ الشجرِ النخيلا
وزُلْنـا بالغَليلِ ، وما آشتفَيْنا ... وغايةُ كلِّ شيءٍ أن يزولا (٤)
ولو لَمْ ألقَ غيرَك فى آغترابى ... لكانَ لقاؤُك آلحَظَّ الجـزيلا
ستحمِل ناجياتُ العِيسِ منّى ... صديقًا عن وِدادِك لَنْ يحولا (٥)
يُؤمِّلُ فيك إسـعافَ الليالى ... وينتظـرُ العواقبَ أن تُديلا (٦)

وقال يفتخر :

أفوقَ البـدرِ يُوضَـعُ لى مِهادُ ... أمِ آلجـوزاءُ تحتَ يدِى وِسادُ
قَنِعتُ فخِلتَ أنّ النجمَ دُونِى ... وسِـيّانِ التَّقنُّـعُ والجِهادُ (٧)

---

(١) الأبيل : الراهب والزاهد . (٢) شرخ : جمع شارخ وهو الشاب كما جمع صاحب على صحب .
(٣) أبلج فارسيا : حال من الهاء فى سقاه فهما من وصف أبى على لأنه كان فارسى الأصل .
(٤) وزلنا بالغليل : أى وفارقنا ماء دجلة بما بنا من العطش لم نشف غليلنا منه . (٥) ناجيات العيس : مسرعات الإبل . (٦) أى ينتظر سعادة الحياة بسببك كما يبغى أن تكون العواقب خيرا من الماضى فتديل منها أى تغلبها . (٧) أى أن التقنع والجهاد مستويان فى أن كلا منهما شديد على النفس .

وأطـرَبني الشبابُ غداةَ وَلَّى فليتَ سِنيه صَوتٌ يُسْـتَعادُ!
وليس صِبًا يُفَادُ وراءَ شَيْبٍ بأعوزَ مِن أخى ثِقةٍ يُفاد
كأنى حَيْثُ يَنْشا الدَّجْنُ تحتِى فهـأنا لا أُطَـلُّ ولا أُجاد (١)
رُوَيْدَك أيُّهـا العاوِى وَرائى لِتُخبِرَنى متَى نَطَـق الجَمادُ
سَفاهٌ ذَادَ عنـك الناسَ حِلْمٌ وغَىٌّ فيـه منفعةٌ رَشَـاد
أَأُخمَـلُ والنباهـةُ فىَّ لَفْظٌ وأُقـتَرُ والقَناعةُ لى عَتـاد
وألقَى المَوتَ لم تَخِـدِ المطايا بحـاجاتى ولم تَجِفِ الجِيـاد (٢)

وقال فى الرثاء :

أَحسَنُ بالواجد من وَجْـدِهِ صبرٌ يُعيـد النـارَ فى زَنْدِه
ومن أبَى فى الرُّزْءِ غيرَ الأسَى كانَ بُكاهُ مُنتهَى جُهْـده
فَلْيَـذرِفِ الجَفْنُ على جعفَر إذ كانَ لم يُفْتَح على نِدِّه (٣)
والشيءُ لا يَكثُرُ مُـدّاحهُ إلا إذا قِيسَ الى ضِـدّه
لولا غَضَى نَجْـد وقُلّامُه لم يُثْنَ بالطِّيب على رَنْده (٤)
ليس الذى يُبكَى على وَصْـلِهِ مثلَ الذى يُبكَى على صَـدِّه
والطرفُ يرتاحُ الى غُمْضـه وليس يرتاحُ إلى سُهـده
كانَ الأسَى فَرضا لَوَ انَّ الردَى قال لنـا : افدوهُ فلم نَفْـدِهْ
هـل هو إلا طالعٌ للهُـدَى سار من التُّرْب إلى سَعْدِه

---

(١) أى كأنى فى حرمانى أعيش فوق السحاب ؛ فلا ينالنى منه مطر ولا طل .
(٢) لم تخد : من الوخد وهو سير سريع للابل . وتجف : من الوجيف وهو السير السريع للخيل والركاب .
(٣) أمر بذرف الجفن بدموعه على جعفر مع أنه ذكر قبل أن الأولى بالحزين الصبر وأن البكاء لا يفيد : لأن مصاب جعفر هذا ليس كغيره ممن يجمل فى حقه التصبر لأنه مفقود النظير . ووضح ذلك بالبيت بعده .
(٤) الغضى : شجر يحتطب به قوى النار . والقلام : من أعشاب البادية . والرند : شجر طيب الرائحة — يعنى لولا مقايسة الرند بالغضى والقلام لم تحمد رائحة الرند .

فباتَ أدنَى من يَدِ بَيْنَنَا كأنه الكوكبُ فى بُعــده

يا دهرُ يا منجــزَ إيعــاده ومُخْلِفَ المأمولِ من وَعْده

أىُّ جديــدٍ لكَ لم تُبْــلِهِ ؟ وأىّ أقــرانك لم تُرْدِه ؟

تستأسرُ العِقبانَ فى جَوّها وتُنزِل الأعْصَمَ من فِنْده (١)

أرى ذوى الفضلِ وأضدادَهمْ يجمعُهــمْ سَــيلُك فى مَدّه

إن لم يكن رُشْــدُ الفتَى نافعا فَغَيُّــه أنفعُ من رُشْــده

تجــرِبةُ الدنيــا وأفعالُهــا حَثّتْ أخا الزُّهدِ على زُهــده

والقلبُ من أهــوائه عابدٌ ما يَعبُــد الكافِرُ من بُدّه

إنّ زمانِى بِرَزاياهُ لِى صَــيّرَنِى أمرَحُ فى قِــدّه

كأننــا فى كفّه مالُــهُ يُنفِق ما يختــارُ من نَقْــده

لو عرَف الإنسانُ مِقــدارَه لم يفخَرِ المَولى على عبــده

أمسُ الذى مرَّ على قُــرْبِه يَعجز أهــلُ الأرضِ عن رَدّه

أضحَى الذى أُجّلَ فى سِــنّه مثــلَ الذى عُوجِلَ فى مَهده

ولا يُبــالِى المَيْتُ فى قــبْرِه بذمّه شُــيّعَ أمْ حَمْــده

والواحدُ المُفــرَدُ فى حَتْفِــه كالحاشد المُكْثِرِ مِن حَشْده

وحالةُ البــاكى لآبائــه كحالة البــاكى عــلى وُلْده

ما رغبــةُ الحىّ بأبنــائه عمــا جنَى المــوتُ على جدّه

---

(١) الفند : القطعة من الجبل . والأعصم : الوعل وهو مما يسكن الجبال .

وبجده أفعالُه لا الذي .من قبْله كان ولا بعْده
لولا سجاياهُ وأخلاقُه لكان كالمعدوم في وُجْده
تشتاقُ أيّارَ نفوسُ الورَى وإنما الشوْقُ الى وَرْدِه (١)
تدعو بطُولِ العُمر أفواهُنا لِمن تَناهى القلبُ في وُدّه
يُسَرُّ إن مُدَّ بقاءٌ لَهُ وكُلُّ ما يَكرَه في مَدّه
أفضلُ ما في النفس يَغتالُها فنستعيذُ اللهَ مِن جُنده
وآفةُ العاشقِ من طَرْفِه وآفةُ الصارم من حَدِّه
كم صائنٍ عن قُبْلةٍ خَدَّهُ سُلِّطَتِ الأرضُ على خَدِّه
وحاملٍ ثِقْلَ الثَّرى جيدُه وكان يشكو الضَّعْفَ من عِقْده
ورُبَّ ظمآنَ إلى مَوْرِدٍ والموتُ لو يعلَمُ في وِرْدِه
ومُرسِلِ الغارةِ مبثوثةً من أدْهمِ اللون ومن وَرْدِه
يخوضُ بحْرًا نقْعُه ماؤُه يحمِلُه السابحُ في لِبْده (٢)
أَشْجعُ مَن قلّبَ خَطِّيّةً على طويلِ الباعِ مُمْتَدِّه
يرى وُقوعَ الزُّرْق في دِرْعِه مثلَ وُقوع الزُّرق في جِلده (٣)

(١) أيار: شهر رومى يظهر فيه الورد يقابل شهر مايو بالافرنجية .

(٢) أى ورب قائد يشن الغارة متفرقة على الأعداء بخيل مختلفة اللون من أدهم وورد، ويخوض من الحرب بحرا يكون النقع أى الغبار فيه بدل (الماء)، ويحمله الفرس السابح السريع الجرى على لبده الخ .

(٣) يعنى بصيرا بالحرب يحمى درعه من زرق الأسنة كما يحمى جلدته؛ فلا يصل اليه طعن .

لا يصـــلُ الرُّمحُ الى طِـرْفِهِ ولا الى المحـكَمِ مِن سَـــرْدِه (١)

يُلْقَ عليـــهِ الطّعْنُ إلقاءَكَ الْـ ـحُسْبَ على المُسْرِعِ فى عَقْدِه (٢)

بلَحْظَةٍ منـــه فمـا دُونَهـا يَرُدُّ غَرْبَ الجيش عن قصده

أمْهَــلَه الدهرُ فأوْدَى بهِ ؛ مبيضُــهُ يَحْـدِى بمُسْـودِّهِ (٣)

فيـا أخا المفقــود فى خمسةٍ كالشُّهْب ما سَلّاكَ عن فَقْدِه (٤)

جاءَك هـذا الحزنُ مستجْدِيًا أجرَكَ فى الصـبرِ فلا تُجْـدِه (٥)

سـلِّمْ الى الله ؛ فكلُّ الذى ساءَكَ أو سرَّكَ مِن عِنـــدِه

لا يعـــدَم الأسمـرُ فى غابهِ حَتْفًا ولا الأبيضُ فى غِمْـدِه

إن الذى الوحشـةُ فى داره تؤنِسـهُ الرحمـــةُ فى لَحْـدِه

لا أُوحِشَتْ دارُك من شمسها ولا خلا غابُك من أُسْـــدِه

(١) الطرف : الفرس الكريم . والمحكم السرد : الدرع .

(٢) أى يقصد بالطعن من كل جهة ، فيتوقاه ، و يردّه عن نفسه ، ولا تشغله جهة عن جهة ثم شبه سرعة قصده بالطعان من كل ناحية بالقاء أعداد الحساب على الحاسب الماهر الذى يحسب بعقد الأصابع فيخرج النتيجة بسرعة .

(٣) أمهله الخ : خبر عن (ومرسل الغارة) . وأودى به : أهلكه . ومبيضه : أى مبيض الدهر يريد به النهار . ومسوده : يريد به الليل ؛ أى يسير نهاره مسوقا بليله . والمراد ذكر الأيام والليالى وتتاليها .

(٤) لأنه مات عن خمسة أولاد . أى فى أولاد أخيك الخمسة سلاة لك عنه .

(٥) أى جاءك الحزن يستجدى أجرك فى الصبر بالجزع الذى ينفى الأجر فلا تجده بالجزع .

وقال أبو العلاء فى اللزوميات :

أَصَاحِ هي الدُّنْيَا تُشَابِهُ مَيْتَةً ... وَنَحْنُ حَوَالَيْهَا الكِلَابُ النَّوَابِحُ
فَمَنْ ظَلَّ مِنها آكِلًا فَهُوَ خَاسِرٌ ... وَمَنْ عَادَ عَنْهَا سَاغِبًا فهو رابح (١)
ومن لم تُبَيِّتْهُ الخُطُوبُ فإنَّهُ ... سَيَصْبَحُهُ من حَادِثِ الدهرِ صَابِحُ

وقال :

دنياكَ دارٌ إن يَكُنْ شُهَّادُهَا ... عقلاءَ لم يَبْكُوا على غُيَّابِها
قد أَظْهَرَتْ نُوَبًا تَزِيد على الحَصَى ... عَدَدًا وكم فى ضِبْنِها وعِيَابِها (٢)
تَفْرِيهِمُ بسيوفها وتَكُبُّهُمْ ... برِمَاحِهَا وتَنَالُهُمْ بِصِيَابِها (٣)
ما الظَّافِرُونَ بِعِزِّهَا ويَسَارِهَا ... إلا قَرِيبُو الحَالِ من خُيَّابِها

وقال :

قد فاضَتِ الدنيا بِأَدْنَاسِهَا ... على بَرَايَاهَا وأَجْنَاسِهَا
وكُلُّ حَيٍّ فوقَها ظَالِمٌ ... وَمَا بِهَا أَظْلَمُ من نَاسِهَا

وقال :

نَهَانِيَ عَقْلِي عن أمورٍ كثيرةٍ ... وطَبْعِي اليها بالغَرِيزَةِ جَاذِبِي
ومما أدامَ الرُّزْءَ تَكْذِيبُ صَادِقٍ ... على خُبْرَةٍ منا وتصديقُ كاذبِ

وقال :

ضَحِكْنَا وكان الضحكُ مِنَّا سفاهةً ... وحُقَّ لسُكَّانِ البَرِيَّةِ أَنْ يَبْكُوا
يُحَطِّمُنَا رَيْبُ الزَّمَانِ كأَنَّنَا ... زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ

(١) الساغب : الجائع . (٢) الضبن ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة وهى ما يجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وأسرارها نوائب تزيد على ما أظهرت .

(٣) تفريهم : تشقهم وتقطعهم ، ويريد بالصياب السهام الصائبة .

وقال :

سَبِّحْ وصَلِّ وطُفْ بمكّةَ زائراً   سَبعينَ لا سَبعاً فلستَ بناسِكِ

جَهِلَ الدِّيانةَ مَنْ إذا عَرَضَتْ لَهُ   أطماعُهُ لم يُلفَ بالمُتماسِكِ

وقال :

لا ذَنبَ للدنيا فكيفَ نَلومُها   واللومُ يَلحقُني وأهلَ نُحاسِي (١)

عِنَبٌ وخَمرٌ في الإناءِ وشارِبٌ   فَمَنِ المَلومُ أعاصِرٌ أم حاسِي؟

وقال :

لَوْ يفهمُ الناسُ لو أبناؤهم جُلِبوا   وبِيعَ بالفَلسِ ألفٌ منهمُ كَسَدُوا! (٢)

فَوَيحَهُمْ بِئسَ ما رَبَّوا وما حَضَنُوا   فهيَ الخَديعةُ والأضغانُ والحَسَدُ

وهكذا كانَ أهلُ الأرضِ مُذْ فُطِروا   فلا يَظُنَّ جهولٌ أنّهم فَسَدُوا

وقال :

مُلَّ المُقامُ فكمْ أُعاشِرُ أُمّةً   أمَرَتْ بغَيرِ صَلاحِها أُمَراؤُها

ظَلَمُوا الرَّعِيّةَ واستَجازُوا كَيدَها   فَعَدَوْا مَصالِحَها وهُمْ أُجَراؤُها؟

وقال :

يَحسُنُ مَرأى لِبَني آدمٍ   وكُلُّهم في الذَّوقِ لا يَعذُبُ

ما فيهِمُ بَرٌّ ولا ناسِكٌ   إلا إلى نَفعٍ له يَجذِبُ

أفضَلُ مِن أفضَلِهِمْ صَخرةٌ   لا تَظلِمُ النّاسَ ولا تَكذِبُ

---

(١) النحاس و بضم الطبيعة والخليقة والأصل ، يريد بأهل نحاسه جنسه من بنى آدم .

(٢) يتمنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

(٤) كُشَاجم

قال كُشَاجِم محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وَصافى الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، وكان من خدّام سيف الدولة .

يشكو الحَظّ والزمن :

الحمــدُ لله نالَ النـاسُ حظَّهمُ ... وأخطأَتنِى مع آستحقاقها الرُّتَبُ
وعاقَـنِى عن طِلابِهـا أُصَيْبِيَةٌ ... يأبَى فِرَاقَهُمُ الإشفاقُ والحَدَبُ
ولِى قَوادِمُ لو أنّى حَذَفْتُ بِهـا ... لأَنهضتْنِى ، ولكنْ أفرُخى زُغُب
وما التعجُّبُ لو أَنِّى ظَفِرتُ بِها ... بل فى تنكُّبِهـا اللأواءُ ، يا عَجَبُ ! (١)
فإن يكن أدبٌ من رُتبةٍ عِوَضًا ... فقد قَضَى ما عَليه العلمُ والأَدب

وقال يهجو عَوّادة :

جاءَت بعُــودٍ مثلِهـا ناقِرٍ ... كأَنَّه نَقْنَقَــةُ الضّــفْدَعِ
مُضطرِبُ الأوتارِ منقوضُها ... مستقبَحُ المَـدْفعِ والمَقْطَعِ (٢)
يَوَدُّ مَن يســمَعُ أَصــواتَه ... لو فَقَــدَ السَّمْعَ ؛ فلَمْ يَسْمَعِ
وأقبلتْ تَضرِبُ غَـيْرَ الذى ... تَسْـمَعُ ، والنَّغْمةَ لم تَتْبَـعِ (٣)
كأنّمـا قِســمةُ تأليفِهـا ... مُثلَّثٌ مختلِفُ الأَضــلُعُ (٤)

(١) اللأْواء : الشدّة .

(٢) أى الضرب فى ابتدائه وفى انتهائه .

(٣) أى تخلط نغمة بأخرى .

(٤) أى أن حركة يدها بنقر الأوتار لا تنتج ما نسمعه ، وما نسمعه ليس من نغمــة واحدة متسقة ؛ والأمور الثلاثة مختلفة كأنها مثلث مختلف الأضلاع .

وقال كشاجم أيضا :

جَعَلْتُ إليـــكِ الهـــوَى شفيعًا ، فــلم تَشــفَعى
ونا ديتُ مســـتعطِفا رضاكِ ، فــلم تَسـمعى
أتارِكَتى مُــدْنَفـا أخا جسَــدٍ مُوجَـــع
ومُغْــرِيَتِى والدُّمـــو عُ قــد أحرقَتْ مَدْمعِى
أحِينَ ســلَبْتِ الفُــؤا دَ بالنَّظَــر المُطمِــع
جَفَــوْتِ وأقصــيْتِنِى فهـــلَّا وَقــلْبِى معى !

(٥) أبو الفــرج البَبغـاء[1]

قال يصف كَتيبةً وقائدها :

ومَوْشِـــيَّةٍ بالبِيض والزُّغف والقَنا مُحَبَّرَةِ الأعطافِ بالضُّـــمَّر القُبِّ[2]
بعيـــدةِ ما بيْنَ الجَناحَيْن فى السُّرى قريبةِ مَا بيْن الكَمِيَّنِ فى الضَّرب
من السالبَاتِ الشمسَ ثوبَ ضِيائها بثَــوْبٍ تَولَّى نَسجَه عِثْـيرُ التُّرب[3]
يُعاتِب نشــوانُ القنـا صاحِىَ الظُّبا إذا التَقيا فيهـا ، على قِــلّة الشُّرب[4]

---

(١) هو عبد الواحد بن نصر المخزومى المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح فى أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٢) الزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، و يقال درع زغف ودروع زغف أيضا . شبه الكتيبة وما فى وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى محبر الحواشى . (٣) العثير : الغبار .

(٤) أى تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهما .

أعادتْ عَلَينا الليلَ بالنَّقعِ فى الضُّحى وردّتْ علينا الصُّبحَ فى الليل بالشُّهْب
تَبَلَّجُ عن شمسَىْ نزارٍ ويَعْرُب وتَفْتَرُّ عن طَوْدَىْ علاً تَغْلِبَ الغُلْب[1]
مُوقَّرةً يقتادُ ثِنْىَ زمامِها بَصيرٌ بأدواءِ الكَرِيهةِ فى الحَرْب
أصح اعتزاما من خَؤونٍ علَى قِلًّى وأنفذُ حكماً من غَرامٍ على صَبِّ

(٦) عبد المحسن الصورى[2]

قال يهجو بعض من ضافه[3] :

وأخٍ مَسَّهُ نُزُولى بقَرحٍ مثلما مَسَّنِى من الجُوع قَرْحُ
قيلَ لى : إنّه جَوادٌ كريمٌ والفَتَى يعتَرِيه بُخْلٌ وَشُحٌّ
بِتُّ ضَيْفًا له كما حَكَمَ الدّهْـرُ، وفى حُكْمِه على الحُرّ قُبْحُ
قالَ لِى إذ نَزَلْتُ، وهو مِنَ السكـرَةِ والهمّ طافحٌ ليس يصحو :
لِمْ تَغرّبْتَ؟ قُلْتُ : قال رسول اللـه، والقول منه نُصْحٌ ونُجْحُ :
سافِرُوا تَغْنَموا . فقال : وقد قا ل تمامَ الحديث: صُوموا تَصِحُّوا

(١) أى اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العرب وتغلب وهى قبيلة سيف الدولة تسمى تغلب الغلباء لشجاعتها وتجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام شاعر مجيد وصاف متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

(٧) تميم بن المعز الفاطمى العُبيدى (١)

قال يصف فوّارة فى بستان :

وقاذفةٍ بالماءِ فى وسْطِ بِركةٍ … قد التحفتْ ظِلّاً من الأيكِ سَجْسَجا (٢)
اذا انبثقتْ بالماءِ سلّتْه منصلاً … وعادَ عليها ذلك النّصلُ هَوْدجا
تُحاولُ إدراكَ النّجوم بقذفِها … كأن لها قلْباً على الجو مُحرَجا

وقال أيضا فى الفخر :

ألقَى الكَمِىَّ فلا أخافُ لِقاءَه … ويَفُلُّ إقدامِى شَبا الحَدَثانِ
وأكُرُّ فى صدْرِ الخميس مُعانِقاً … للموتِ حينَ يفِرُّ كلُّ جَبانِ
ويَزيدنى كلُّ الخطوب تعظُّماً … وتسلُّطُ الأيامِ عزَّ مكانِ
وعلمتُ أخلاقَ الزمانِ فلم أضِق … ذَرْعاً بأيامِى وغَدْرِ زمانى
وكما يَملُّ الدّهرُ من إعطائه … فكذا مَلالتُه منَ الحِرمان
وكما يَمُرُّ لمعْشَرٍ بسعادةٍ … فكذا يكُرّ لمعشَرٍ بهوانِ
فاذا رماك بشدّةٍ فاصبِرْ لها … فلسوف يأتى بعدها بِليانِ
وسَلِ الليالى عَنْ نفاذِ عزيمتى … وسَلِ الحوادثَ عن ثَباتِ جَنانى
تُخْبِرْكَ عنّى أنّنى لم ألقَها … بين العزائمِ واهنَ الأركانِ
أصبحتُ لا أشتاقُ إلا للنّدَى … أيضاً ولا أهوى سِوَى الإحسانِ
واذا السيوفُ قطَعْنَ كُلَّ ضَريبةٍ … قطَعَ السيوفَ القاطعاتِ لسانى

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة لم يكن ولى عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان فى الفاطميين كابن المعتز فى بنى العباس توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد .

وقال فى الغزل :

شبَّهتها بالبــدر فاستضحكتْ ... وقابلتْ قــولِى بالنُّكْر

وسَفَّهَتْ قولى، وقالت : متى ... سَمُجْتُ ؟ حتى صِرتُ كالبَـدر!

والبـدرُ لا يَرْنو بعينٍ كما ... أرنو، ولا يَبْسِمُ عن ثَغْـر

ولا يُميــطُ المِرْط عن ناهـدٍ ... ولا يَشُــدُّ العِقْـدَ فى نَحْـر

من قاس بالبـدر صِفاتى فلا ... زال أسـيراً فى يَدَىْ هَجْـرى!

(٨) أبو الحسن التِّهامى (١)

قال يرثى ابنا له صغيرا :

حُكْمُ المنيَّــةِ فى الــبَرِيَّة جارِ ... ما هــذه الدنيـا بدار قَــرار

بينـا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتى يُرَى خَبَرًا من الأَخبار

طُبعتْ على كَدَرٍ ، وأنتَ تُرِيدُهـا ... صَفْوًا من الأَقذار والأكدار

ومكلِّفُ الأَيّامِ ضِــدَّ طِباعهـا ... مُتَطَلِّبٌ فى المـاءِ جَــذْوةَ نار

وإذا رجـوْتَ المستحيلَ فإنمـا ... تَبْــنِى الرَّجاءَ على شَــفيرٍ هـار (٢)

فالعيشُ نــوْمٌ والمَنِيَّــةُ يَقظـةٌ ... والمــرءُ بينهـما خَيـالٌ سار

والنفسُ إن رضِيَتْ بذلك أو أبَتْ ... مُنــقادةٌ بأَزِمَّــةِ المِقْــدار

فاقضُــوا مآرِبكم عِجـالًا إنمـا ... أعمـارُكم سَــفَرٌ من الأسفار

(١) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى . أصله من بلاد العرب من تهامة . وجاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوسا الى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه واشتهرت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهار صاحبها .

(٢) الشفير: حافة الشىء وطرفه . والهار : المنهار أى فانما تبنى الرجاء على حافة كثيب منهار فلا يستقر بناء أى لا يتحقق رجاء .

وترا كضُوا خَيلَ الشَّباب ، وحاذِروا أن تُسْـتَردَّ فإنَّهن عَـوارِ (١)
فالدهرُ يَخدَع بالمُنَى ، ويُغِصّ إن هَـنَّى ، ويهـدِم ما بَنَى ببـوار
ليس الزمانُ وإن حَرَصْتَ مُسالمِـا خُلُقُ الزمانِ عـداوةُ الأحْرار

* * *

يا كوكبًا ما كان أقصَرَ عمـرَه وكذاك عمـرُ كواكب الأسحار (٢)
وهـلالَ أيام مضى لم يستدِرْ بدراً ، ولم يُمْهَـلْ لوقت سِرَار (٣)
عَجِلَ الخسوفُ عليه قبلَ أوانِه فمحاه قبـلَ مظنَّـةِ الإبدار
وآستُلَّ من أترابه ولِدَاته كالمقلة آستُلَّتْ مِن الأشـفار (٤)
فكأن قلـبي قـبرُه ، وكأنه فى طَيِّـهِ سِـرٌّ من الأسرار
إن يُحتقَرْ صِـغَراً فربَّ مُفخَّم يبـدُو ضئيلَ الشخصِ للنُّظَّار
إنّ الكواكِبَ فى عُلُوِّ محلِّهـا لتُرَى صِغارًا وهى غيرُ صِـغار
وَلَدُ المُعَزَّى بَعْضُه ، فاذا آنقضَى بعضُ الفَـتَى فالكلّ فى الآثار
أبكيهِ ، ثم أقولُ معتـذرًا له : وُفِّقْتَ حين تركتَ ألأمَ دار (٥)
جاورتُ أعدائى ، وجاوَرَ رَبَّه شتَّانَ بينَ جِواره وجِـوارى

(١) وترا كضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فانه عارية .

(٢) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك ، قصيرة مدة الظهور لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فتنسخها ضوءها .

(٣) استدارة البدر فى وسط الشهر وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر وهى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .

(٤) الأتراب واللدات : من يولدون فى زمن ميلاد الرجل ويحيون فى حياته .

(٥) يريد بالدار هنا الدنيا .

أشكو بعادَكَ لِي، وأنتَ بموْضعٍ ... لولا الرَّدَى لسَمِعْتَ فيه سِرارِى
والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقَّةً ... من بُعْدِ تلك الخمسةِ الأشبار
هيهاتَ قد علِقتْكَ أشراكُ الردى ... واعتاقَ عمرَكَ عائقُ الأعمار
ولقد جريْتَ كما جَرَيتُ لغايةٍ ... فبلَغْتَها وأبُوكَ فى المِضمار
فاذا نطقتُ فأنت أوّل منطِقِى ... واذا سكتُّ فأنتَ فى إضمارى
أُخفِى من البُرَحاء نارًا مثلَما ... يُخفِى من النارِ الزِّنادُ الوارى (١)
وأُخفّضُ الزفراتِ، وهى صواعِدٌ ... وأُكَفكفُ العبَراتِ، وهى جَوارى
وشِهابُ زَنْدِ الحُزْنِ إن طاوعتَه ... وَارٍ، وإن عاصيْتَه مُتوارِى
وأَكُفُّ نيرانَ الأسى، ولربما ... غَلَبَ التصبُّرُ، فارتمتْ بشَرار
ثوبُ الرياءِ يشِفُّ عمّا تحته ... فاذا ٱلتحفتَ به فإنك عار

(٩) عُمارة اليمنى (٢)

وقال عمارة اليمنى يصف دارًا بناها فارسُ الإسلام (٣) من أبيات :

فتمَلَّ دارًا شيَّدتْها هِمّةٌ ... يَغدو العسيرُ بأمرها مُتيسِّرا
فاقتْ على الإطلاق كلَّ بَنِيَّةٍ ... وسمَتْ بسعدِكَ عِزةً وتكبرا

---

(١) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة بن على الحكمى من أهل اليمن ، دخل مصر مؤديا رسالة من أمير مكة الى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر ، فأقام بها ، وأكرمه خلفاؤها وملوكها . فلما أباد صلاح الدين الأيوبى ملك الفاطميين من مصر دبر عمارة مع كثير من شيعة الفاطميين المكايد لإعادة دولتهم . واطلع صلاح الدين على جلية أمرهم فصلبهم . وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ . وله شعر رقيق ، وقصائد فى مدح الخلفاء والوزراء . ورثى دولة الفاطميين بعدة قصائد . (٣) هو الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الأرمنى الأصل . كان وزير الخليفة الفائز الفاطمى ، وعظم أمره فى مصر ، ومدحه الشعراء ومات سنة ٥٥٦ هـ .

أنشأت فيهـا للعيون بدائعًا دقّتْ فأذهل حسنُها مَن أبصرا

فمن الرخام : مُسَـيَّرًا ومُسَهَّما ومُنمْنَمًا ومُدَرْهَمًا ومُـدَنَّرَا

وسقَيتَ من ذَوْبِ النُّضار سُقُوفَها حتى يَكادَ نُضارُهـا أن يَقْطُـرا

لم يَبْـقَ نَوْعٌ صامتٌ أو ناطِقٌ إلا غدَا فيها الجميـعُ مُصَـوَّرا

فيها حدائقُ لم تَجُـدْها دِيمَـةٌ: كلا ولا نَبَتَتْ على وَجْه الـثَّرَى

لم يبـدُ فيها الرَّوْضُ إلا مُزْهِرًا والنخلُ والرُّمَّانُ إلا مُثْمِـرا

والطـيرُ مذ وقعَتْ على أغصانها وثِمـارِها لم تسـتطع أن تَنْفُـرا

وبها من الحيـوان كُلُّ مُشَبَّهٍ لِبسَ الحـريرَ العَبْقَـرِىَّ مُصَـوَّرا

لا تَعْـدَمُ الأبصارُ بَيْنَ مُرُوجِها ليثًـا ولا ظَبْيًا بوَجْـرةَ أعفَـرا (١)

أَنِسَتْ نوافـرُ وَحْشِها لسباعهـا فَظِباؤها لا تَتَّـقِى أُسْـدَ الشَّرى (٢)

وكأن صَـوْلَتَك المخيفـةَ أمَّنَتْ أسرابَهـا ألّا تخـافَ فتُـذْعَرا

وبهـا زَرَافاتٌ كأن رقابَهـا فى الطُّـول ألْوِيةٌ تؤم العَسكَرا

نوبيـةُ المنشا تُريك منَ المَهـا رَوْقًا، ومِن بُزْلِ المَهارِى مِشْـفرا (٣)

جُبِلَتْ على الإقعاءِ من أعجازهـا فتخالُهـا فى التِّيـهِ تَمْشِى القهقرَى

---

(١) وجرة اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من الظباء والبقر وغيرها .

(٢) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٣) الروق : القرن . والمهارى : جمع مهرية وهى الناقة المنسوبة الى بلاد مهرة شرقى حضرموت .
أى أنها أشبهت بقر الوحش فى القرون وأشبهت الإبل فى المشافر .

(١٠) القاضي الفاضل [١]

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعانى مفتخراً :

قضى نَحْبَه الصوْمُ بعدَ المطالِ   وأُطلِقَ مِن قَيْـدِ فِتْرِ الهِلالِ [٢]
ورَوَّضَ كاتبَ جَنْبِي اليمينِ   وأتعَبَ كاتبَ جَنْـبِي الشِّمال [٣]
فَدَعْ ضِيقةً مثلَ شدِّ الإسارِ   الى فُرْجةٍ مثْـلِ حَلِّ العِقال
وقُمْ هاتِهـا مثلَ ذَوْبِ النُّضارِ   ومَوْجِ البحارِ وطَعْـمِ الزُّلال [٤]
جَزَى اللهُ عنِّي عَروسَ الدَّوالي   ولا أَخطأتْهـا كُئوسُ العَزالِي [٥]
بمـا أَطعمتْ من لَذيذِ الثِّمـارِ   وما أَلْبَستْ من نَسيجِ الظِّلال
وماسَلْسَلَتْ منمُذابِ السُّرورِ   وما خَفضَتْ من جِماحِ التغالى
فكم زَخْرَفتْ جنَّـةً لِلعَذابِ   وكم رَفعتْ قبَسًـا للضـلال

(١) هو عبد الرحيم بن على البيسانى اللخمى . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربيـة والأدب . ثم كتب فىالاسكندرية فى دواوينها ثم ظهر فضله فنقل الى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصركان بمنزلة وزيرله و وزر بعده لابنه العزيز وتوفى سنة ٥٩٦ هـ وله ديوان شعر لم يطبع .

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً باهلال هلال شوال فلما أهـل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتى عن يمينى ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيئاتى عن يسارى لأن حسـنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون فى العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أى هات الخمرة فى لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالى : عنب أسود غير حالك ؛ يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية والقربة ونحوهما . يريد بها عزالى السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظلهم بعرائشها الخ .

أغالِطُ بالكأْس حُـكْمَ الزمانِ فيــومٌ علىَّ ويَــوْم بِمَـا لى (١)
فجاءتْ بِمَـا فى عُيون النسـاءِ ومَرَّتْ بما فى رُءُوس الرجال (٢)
وأسْــلُو الغَزَال بهـا إذ أرى بكاساتِهـا دَمَ ذاك الغــزال

+ + +

وســكرانَ كَرَّرَ مِن سُـكْره زمانٌ على كل عقل مُمَـال
فسُكْرُ الشبابِ وسكرُ الشَّراب وسكْرُ الصُّدود وسُـكْرُ الوِصال
فلا تذكرَنَّ عُهودَ الوِصـال فعهدى بها والليـالى ليـالى
ولم أبكِ عهدًا رجاءَ الرُّجوع ولكن أُجـدِّدهُ بالصِّـقال (٣)
بعثْنَ الليـالى ببأْس جديد علىَّ قديمـا فجـاستْ خِلالى (٤)
فمـا جاء عَن مَنطِق ذمٌّ جان ولا جاء عن جوْهرى ذم حالى (٥)
ولم أستغِثْ تحتَ ظلّ الخُطُو بِ جَرْجرةَ البُزْلِ تحتَ الرحال (٦)
خَشُنتُ لحالٍ كشوْك القَتاد ولِنْتُ لأُخرى كشوك السِّيال

(١) أى ويوم يأتى بمـا هو لى أى بفائدة لى .

(٢) فجاءت الكأس بمـا فى عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أى وذهبت بما فى رءوس الرجال من العقل .

(٣) أى ولم أبك عهـدا من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنى أصقله بعد ما قدم بوصفى له وبكائى عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدّمة وإما على رأى من يلحق علامة الجمع بالفعل عن إسناده لجمع الظاهر .

(٥) أى أنى لا أذم أحدا جانيا كان أو حاليا بالفضيلة .

(٦) البزل : الجمال المسنة . أى لا أصيح بجرجرة البزل .

ولَستُ لِسانا لِذُلِ السؤال ... وما زِلْتُ صدرًا لعِزِّ السؤال (١)

حديثٌ يُناجِى فروعَ السحاب ... وأصل يُناجى أصولَ الجِبال

(١١) ابن قَلاقِس (٢)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافِرْ إذا ما شِئْتَ قَدْرا ... سارَ الهِلالُ فصار بدْرا

والماء يكسِبُ ما جرَى ... طِيبًا، ويخبُثُ ما ٱستقرّا

وبِنُقْلةِ الدُّرَرِ النّقِـ ... ـيّة بُدِّلت بالبَحْر نَحْرا

وَصْلًا اذا امتلأتْ يَدا ... كَ فإن هُما خلَتا فَهجْرا (٣)

فالبدرُ أنفَقَ نورَه ... لما بَدا ثمّ ٱسْتَسَرّا

حَركاتِ عيسكَ ما أرَدْ ... تَ مِهادَ عَيْشك أن تَقِرا (٤)

فالمهدُ أسكَنُ للصبِـ ... ـيّ بحيث جاء به ومَرّا

إما تَرَيْنِي شاحِبَ الْـ ... ـوجَناتِ قد أُلْبِستُ طِمْرا

---

(١) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألو ننى .

(٢) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمى الاسكندرى الملقب بالقاضى الأعز . كان شاعرا مجيدا رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءهما كما مدح أعيان دولة الفاطميين . ثم ذهب الى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب . وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم (الأحمر) الى الحجاز سنة ٥٦٥ ﻫ .

(٣) وصلا اذا : أى صل وصلا .

(٤) حركات : أى اعمل حركة لعيسك اذا أردت قرارا لعيشك أى أن الغنى بالسعى وانما يسكن الصبي فى مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومرّ إلى أخرى .

فوقائــعُ الأيام تُحْـ ـرِجُ أهلَهـا شــُعْثًا وغُبْرا
مدَّتْ الى الأربعــو نَ يدًا، وقد قهقرتُ عَشْرا
واســتحدثتْ فى لِمَّــتى نُقَطًا . فهــلَّا كُنَّ حِبرًا !
ما قلتُ : أُفٍّ ! فإنهـا شَرَرٌ بأُفٍّ يعــود جَمْــرا
وكفاكَ أنى إنْ نظر تُ لها نظرتُ النجمَ ظُهْرًا (١)
كان الشـبابُ الغضُّ ليـ ـلًا فاستنار الشيبُ فجــرا
ولئن تقلب بى الزما نُ كما اشتهى بطْنـا وظَهْرا
فــبما قتلتُ صروفَــه وقتلتُــه جَــلَدًا وخُبْرا
غاضَ الوفاءُ ، وفاضَ ما ءُ الغَــدْرِ أنهـارًا وغُدْرا
فانظر بعينك هــل ترى عُرفا وليس تراه نُكْرا؟
خُلُقٌ جرَى مِن آدمٍ فى نَسْــلِهِ، وهَــلُمَّ جَرًّا
ومُرَوِّعِى بالبحــر يَحْـ ـسَبُ أنَّنِى أرتاعُ بحــرا
أو مادَرَى أنى بِنَسْـ ـهيل المَصَاعِبِ منه أدرَى

وقال مرتجلا :

ولمَّـا بَدَا رَكْبُ السحاب تَسوقُه حُدَاةُ الرياح الهُوجِ وهى تُزَمْجِــر
رَكَنْتُ لبيتٍ أستجنّ من الحَيَا به ، واذا غيثٌ مِنَ السقف يقطُر
فلا فَرْقَ ما بين السحاب وبينــه سِوى أن ذَا صافٍ، وذاك مُكَدَّر

(١) أى إن نظرت الى الشعرات البيض فى لمتى اسودت الدنيا فى عينى وكأنى أنظر النجوم فى الظهر مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم فى الظهر » .

وقال :

وسهم فـوارة اذا انبعثتْ ... عاودتِ الجوَّ يجتدى أرضَه

كأنها خيمةٌ مكللةٌ ... عمودُها من سبائكِ الفضة

وقال :

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربةً ... وٱعجبْ لما بعدَها من حُمرة الشفَق

غابتْ، وأبدَتْ شُعاعا منه يخلُفها؛ ... كأنها ٱحترقتْ بالماءِ فى الغرق!

وللهلال، فهل وافى لينقذَها ... فى إثرها زَوْرقًا قد صِيغ من وَرِق؟

(١٢) ابن النبيه المصرى (١)

قال :

الناسُ للموتِ كخيلِ الطِّرادْ ... فالسابقُ السابقُ منها الجوَاد

واللهُ لا يدعو الى دارِه ... إلا مَن ٱستصلحَ مِن ذِى العباد

والموتُ نقَّادٌ على كفِّه ... جواهرٌ يختارُ منها الجياد

والمرْءُ كالظلِّ؛ ولا بُدَّ أنْ ... يَزولَ ذاك الظلُّ بعدَ ٱمتداد

لا تصلُحُ الأرواحُ إلا اذا ... سَرَى الى الأجساد هذا الفساد

أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القَنا ... ودُسْتَ أعناقَ السيوفِ الحِداد

وقال يتغزل من قصيدة :

أَفديهِ إن حفِظَ الهوى أو ضَيَّعا ... مَلَك الفؤاد فَما عسى أَن أَصنعا

من لم يذُق ظُلْمَ الحبيب كظَلْمِه ... حُلوًا فقد جَهِلَ المحبةَ وٱدَّعى (٢)

(١) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب شعر رقيق وغزل بديع . كان من خدّام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن . توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ عن نحو ٦٠ سنة .

(٢) الظلم بريق ثغر الأسنان وحسنه .

يأيها الوجهُ الجميلُ تدارك الصـ ـبرَ الجميلَ فقد عفَا وتضعضَعا
هـــل فى فؤادِك رحمـةٌ لِمتيّمٍ ضَمّتْ جوانحُه فـؤادًا مُوجَعا؟
هل من سبيلٍ أن أبُثَّ صبابتى أو أشـتكِى بَلواىَ أو أتوجّعا؟
إنى لأستحيِى كما عـــوّدتَنى بِسوَى رِضاك إليكَ أن أتشفّعا

وقال يمدح الملك الأشرف من بنى أيوب من ملوك الجزيرة :

من سِحرِ عينَيْكَ الأمانَ الأمانْ قتلتَ رَبَّ السيفِ والطَّيْلَسانْ (١)
أسمـــرُ كالـــرُّمح له مُقْـــلةٌ لو لم تكنْ كحلاءَ كانتْ سِنان
يزدادُ إن أشكو له قَسْوَةً ولو شكوتُ الحبَّ للصَّخرِ لان
ساقٍ سَهَا رِضوانُ عن حِفْظِه فَفَرَّ مِن جُملةِ حُورِ الجِنان
بدرٌ وكأسُ الرّاحِ شمسُ الضّحا لله ما أســعَدَ هــذا القِران!
توَقّـــدت جمـــرةُ لألائِهـا كأنهـا بَهْرامُ أو بَهْرَمانـ (٢)
بخـــدِّه أو طـــرْفِه أو جَنى لَمـاهُ سُكرِى لا بِبِنْتِ الدِّنان
يا لائمِى دَعْـــنى فإنى فـــتًى ما تركَ الحُبُّ بجِسمِى مَكان
لا تسألِ العاشـــقَ عن حالِه فدمعُه عن سِرّه تَرْجُمـان
لولا دُموعى والضَّـــنَى لم أبُحْ قد ينْطِقُ المرءُ بغـــيرِ اللسان
أعزَّنى موسَى ولولا هوَى معـذِّبِى ما ذقتُ طعمَ الهَوان
الملكُ الأشرفُ شاهُ أرمَنْ مظفَّرُ الدينِ كريمُ الزمان

---

(١) أى الجندىّ والعالم .

(٢) بهرام : اسم المريخ بالفارسية ولونه أحمر . والبهرمان : نوع أحمر من الياقوت .

* * *

مولاىَ جُدْ وانعم وصِلْ واقتدرْ وافتك فما تفرحُ أمُّ الجَبان

واركب جوادَ الدهر واسبِق إلى ما تَشتهيه قد ملكتَ العِنان

دُمْتم بَنِى أيوبَ فى نعمةٍ تجوزُ فى التخليد حَدَّ الزمان

والله ما زِلْتم ملوكَ الورى شرْقا وغرْبا، وعلىَّ الضَّمان !

(١٣) ابن مطروح[(١)] :

وما أنْسَ لا أنْسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ دُجًى فأَضَاءَ الأفقُ من كل مَوْضِعِ

فحدّثتُ نفسِى أنها الشمْسُ أشرقتْ وأنى قد أوتيتُ آيةَ يُوشَعِ

وقال : يامن لبستُ عليه أثوابَ الضَّنَى صُفْرًا مُوَشَّعَةً بِحُمْرِ الأدْمُعِ

أَدْرِكْ بقيةَ مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ أَسَفا عَلَيْكَ نَفَيتُهَا عن أضْلُعِى

وقال : مَلِكُ المِلَاحِ ترى العيو ن عليه دائرةً يَطَقْ[(٢)]

ومُخَيِّمٌ بين الضلو ع وفى الفُؤَادِ لَهُ سَبَقْ[(٣)]

(١٤) البهاء زهير[(٤)] :

ليتَ شِعْرِى هل زمانى بعدَ ذَا البُخْلِ يجودُ؟

ما أرى الشدّةَ إلا كلما مَرّتْ تزيدُ

---

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر - ولد بأسيوط ، ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة . وكان زميلا للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢و٣) اليطق : كلمة تركية ، وهى جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه . والسبق خيمة الملك .

(٤) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، فنشأ بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فرأس عنده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

يَنقضِى يـــومٌ فيـــومٌ في حـــديث لا يُفيـــد
فمتى اليـــومُ الذى أَبـلغ فيـــه ما أُريـــد ؟

وقال :

مَولاىَ كن لِى وَحْدى فإنّنى لكَ وحـــدَكْ
وكن بقلبك عِنْـدى فان قلـبىَ عنـــدَك
لى فيك قصـدٌ جميلٌ لا خيَّبَ اللهُ قصدَك
حاشاك تُؤثر بَعْـدِى فلستُ أُوثرُ بَعْـدَك
إن تنسَ عَهدِى فإنى والله لم أَنسَ عهدَك
أضـعْتَ ودَّ محبٍّ ما زال يحفَـظُ وُدَّك
مولاى إن غِبْتَ عنِّى واسُـوءَ حالِىَ بعدَك !

وقال :

يعاهدُنِى: لا خانَنِي! ثم ينكُثُ وأحلِفُ لا كَلَّمْتُه ! ثم أَحنَثُ
وذلك دَأْبِى لا يزالُ ودأبُـــه فيا معشرَ النّاس اسْمَعُوا وتحدّثوا
أقول له : صِلْنى ! يقُول : نَعَمْ غدا ! ويكسِرُ جَفْناً هازئاً بى ويعبَثُ !
وماضرَّ بعضَ الناس لو كان زارَنِي؟ وكنّا خَـلَوْنا ساعـةً نتحـدَّث
أمولاى، إنى فى هواكَ معذّبٌ ! وحتام أبقى فى العذاب وأمكُث ؟
نخذ مرةً رُوحى تُرِحْنى، ولم أكن أموتُ مِراراً فى النهار، وأُبعَث
وإنى لهذا الضيمِ منكَ لحَاملٌ ومنتـظِرٌ لُطْفاً من الله يَحدُث !

أعيذُكَ من هذا الجفاءِ الذى بدا ... خلائقُك الحُسنى أرقُّ وأدمثُ
تردَّد ظنُّ الناسِ فينـا وأكثروا ... أقاوِيلَ: منها ما يَطيبُ، ويخبُثُ
وقد كُمتُ فى الحب منِي شمائلى ... ويسأل عنى من أرادَ ويبحثُ!

وقال وتلاعب بالتورية والطباق ومراعاة النظير:

غيرِى على السُّلوانِ قادرْ ... وسِـوايَ فى العُشاق غادر
لِى فى الغـرامِ سريرةٌ ... والله أعلَمُ بالسـرائر
ومُشَبَّهٍ بالغُصْنِ قَلْـ ... ـبى لا يزالُ عليه طائر
حُلْوِ الحديث، وإنَّها ... لحـلاوةٌ شـقَّتْ مرائر
أشكو وأشكُرُ فعلَه ... فاعجَبْ لشاكٍ منهُ شاكر!
لا تُنكِروا خَفَقانَ قَلْـ ... ـبى، والحبيبُ لدىَّ حاضر
ما القلبُ إلا دارُه ... ضُرِبتْ له فيها البشائر
يا تارِكِى فى حُبِّـهِ ... مثَلًا من الأمثال سائر
أبدًا حديثِي ليس بالْـ ... ـمنسوخ إلّا فى الدفاتر
يا ليلُ مالكَ آخرٌ ... يُرْجَى ولا للشوقِ آخر
يا ليلُ طُلْ، يا شوقُ دُمْ؛ ... إنى على الحالَيْن صابر
لى فيك أجْرُ مجاهِـد ... إن صحَّ أنَّ الليلَ كافر (١)
طـرْفِى وطرفُ النجمِ فيـ ... ـكَ كلاهمـا ساهٍ وساهر

---

(١) كافر من الكفر الحقيق الذى هو ضد الإيمان لمناسبة ذكر المجاهد.

يَهنيــكَ بدرُك حاضرٌ ... ياليتَ بدْرى كان حاضر
حتى يَبينَ لناظِرى ... من مِنهــما زاهٍ وزاهر
بدرى أرقُّ محاســـنا ... والفرْقُ مثلُ الصبح ظاهر [1]

وقال .

تعيشُ أنتَ وتبـــقَى ... أنا الذى مُتُّ حَقّــا
حاشــاك يانورَ عَيْنِى ... تلــقَى الذى أنا أَلْــقَى
قــد كان ما كان مِنِّى ... واللهُ خــيرٌ وأبـــقى !
ولم أجــد بَيْن مــوْتِى ... وبين هَجــرِكَ فَــرْقا
يا أنعمَ النــاس قُلْ لى : ... إلى متى فيــكَ أشــقَى؟
سمعتُ عنكَ حديثــا ... يارَبِّ لا كانَ صِــدْقا !
حاشاكَ تَنقُضُ عهدِى ... وعُروَتِى فيــك وُثقى
فمــا عَهِــدتُك إلا ... مِن أكرمِ النــاسِ خُلقا
يا ألفَ مولاىَ أهــلًا ! ... يا ألفَ مولاىَ رِفْقــا !
لكَ الحيــاةُ فإنِّى ... أموتُ لا شــكَّ عِشْقا
لم يبــقَ مِــنِّىَ إلّا ... بَقِيَّــةٌ ليس تَبْــقى

وقال يصف ويهجو :

لكَ يا صــديقِى بَغْــلَةٌ ... ليْستْ تُساوِى خَرْدَلَه
تمشِى فتحسبُها العيــو ... نُ على الطريق مُشَكَّلَه [2]
وتَخــالُ مُــدبِرَةً إذا ... ما أَقبلتْ مُســتعجله
مقدارُ خُطوتها الطويــ ... لة حيثُ تُسرِعُ ، أَنمُلَه

---

(١) فى الفرق تورية : فى فرق الشعر أو فرق ما بين الأمرين . (٢) أى مقيدة بشكال .

تهتزّ، وهْيَ مكانَها، فكأنما هِيَ زَلْزَلهْ
أشْبَهتَها، بل أشبهتْـ ـكَ كأنَّ بينكُما صِلَهْ
تَحكِي صفاتِك فى الثقا لة والمهانة والبَلَهْ

وقال فى أرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وادِياً بين العَرِيش و بَرْقةٍ من الغَيْث هَطّالُ الشآبيب هَتّانُ
وحيّا النسيمُ الرطبُ عنى اذا سَرَى هنالك أوطانا إذا قيلَ أَوطان
بِلادٌ متى ما جِئتَها جئتَ جَنّةً لعينك مِنها كلُّ ما شئتَ رِضوانُ
تُمثِّلُ لى الأشواقُ أنّ تُرابَها وحصباءَها مِسكٌ يفوح وعِقْيانُ
فيا ساكِنِي مصرٍ تَرَاكُمْ عَلِمتُمُ بأنِّيَ ما لِي عنكُمُ الدهرَ سُلْوانُ؟
وما فى فؤادى موضِعٌ لسِواكُمُ ومِنْ أينَ فيه؟ وهْوَ بالشوق مَلآنُ
عَسَى اللهُ يَطوِى شُقّةَ البُعْدِ بيْنَنَا فتهدأَ أحشاءٌ وتَرْقأَ أجفانُ
عَلَيّ لذالك اليومِ صومٌ نذرتُهُ وعندى على رأى التصوُّف شُكْرانُ

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

(١) أبو الفرج البَبغاء (١)

كتب فى التهنئة بولاية عمل :

عرّفَ اللهُ سيّدى بركةَ هذا العَملِ الجليل، بِنَيْل نَظَرِه الجميل، وحميد أثره المحروس، وتناصُرِ سياسته، الشريفة بِسِمَةِ رياسته، ووفّقَ رَعِيّتَهُ لِشكرِ ماولِيَها مِن

(١) تقدّمت ترجمته عند شعره .

قائِض مثله ، ومحمودِ فِعْـله ، فالأعمـالُ منـه — أيّده الله — بالتهنئـة أولى ، وبالتطاوُل بما شملها من بركات تدبيره أحرى . والله بكرمه يسمع فيه صالح الدعاء، ويُبلغه أبلغ مُدَد البقاء، فى أسبغ نِعمة، وأرفع منزلة، وأصدق أُمنيّة، وأنجح طَلِبَة، بمنّـــه .

ولأبى الفرج أيضا فى التهنئة بمولودة :

ولو كان الإنسان مُتصرِّفًا فى أمره بإرادته، قادرًا على إدراك مشيئته، لبطلت دلائلُ القُدْرة، واستحالت حقائقُ الصَّنْعة، ودرست معالمُ الآمال، وتساوى الناسُ ببلوغ الأحوال، غيرَ أنّ الأمرَ لمّـا كان بِغـيْر مشيئته مصنوعًا ، وعلى ما عنّـه ظهر فى الابتداءِ مطبوعا، كان المُخرِجُ له الى الوجود من العدَم، فيما ارتضاه له غيرَ متَّهَم.

ومولانا — أيّده الله — مع كمال فضلِه ، وتناهِى عقلِه ، وحِدّةِ فِطنتِه، وثاقب معرفتِـه، أجلُّ مِن أن يجهلَ مواقعَ النِّعَم الواردة مِنَ الله تعالى عليْـه ، أو يتسخّطَ مواهبَـه الصادرةَ اليـه، فيرمُقَها بنواظر الفِكر، ويسلك بها غيرَ مذاهب الشكر : وقد اتّصلَ بالمملوك خبرُ المولودة — كرّمَ اللهُ غُرّتَها، وأطالَ مُدَّتَها، وعرّفَ مولانا البركةَ بها، وبلّغهُ أملَه فيها — وما كان من تغيّره عند اتّضاح الخبَر، وإنكار ما اختاره له سابق القَدَر، فعجِبَ المملوكُ مِنْ ذلك واستنكرَه، من مولانا وأنكرَه ، لِضيقِ العذر فى مثله عليـه . وقد علِم مولانا أنهنّ أقربُ الى القلوب ، وان الله تعـالَى بدأ بهِنّ فى الترتيب، فقال — جل من قائل — "يهَبُ لِمن يشاءُ إناثًا ويهَبُ لِمن يشاءُ الذكور" وما سمّاهُ اللهُ هِبـةً فهو بالشكر أولَى، وبِحسن التقبّـل أحرى ، ولكمْ نسب أفذن،

وشَرَفٍ استَحْدَثْنَ، مِن طُرُقِ الإصهار، والاتّصالِ بالأخْيار، والمُلْتَمَسُ مِن الذَّكَر نَجابَتُه، لا صُورتُه وولادتُه. ولَكَمْ ذَكَرٍ الأنثى أَكْرَمُ منه طَبْعا، وأظهرُ منه نفعا. فمولانا يصوِّرُ الحالَ بصُورَتِها، ويجدّدُ الشّكْرَ على ما وَهَبَ اللهُ منها، ويستأنِفُ الاعترافَ له تعالى بما هو الأشبهُ ببَصيرته، والأولَى بمثله، إن شاء الله تعالى.

(٢) ومن الكتابة السلطانية

فصل من كتاب بِشَارة بالسلامة في ركوب الخليفة الفاطمى الى مُصَلَّى العيد من إنشاء ابن الصيرفي[(١)] وهو :

وكتابُ أمير المؤمنين هذا إليك يومَ كذا عيد النحر سنةَ كذا وكذا، وهو يوم أظْهَرَ اللهُ فيه قُوَّةَ الدولةِ واقتدارَها، وأوْجَبَ فيه رغبةً ورَهبةً مُسارعةَ النفوس المتخالفة الى الطاعة وابتدارَها، وذلكَ أن عساكِرَ أمير المؤمنين تَوَجَّهَتْ الى قُصوره الزّاهِرة عند انفجار الفَجْر، وحَافَظَتْ على ما تُحْرِزُه من كريم الثواب وجزيل الأجر، واستنزلت الرحمةَ برؤية إمَامِ الأُمّة، وعدّتِ الإخلاصَ فى خِدْمَتِه مِن أَوْفَى الحُرُمات وأقوى الأذِمّة، وأقامَتْ الى أنْ بَرَزَ أميرُ المؤمنين والأنوارُ الساطعةُ طَوَالعُه، ومهابتُه تمنعُ كُلَّ طَرْف من استقصاء تأمُّلِه وتَدَافعُه، وقصدَ المُصَلَّى

(١) هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي كان من شيوخ الكتّاب فى دواوين الدولة الفاطمية، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل وطبع بمصر. ويروى عنه صاحب صبح الأعشى كثيرا من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ .

فى كتائبَ لَجِبَةٍ(١)، ومواكبَ للتعظيم مستوجبة،وعزةٍ تتبيّنُ فى الشمائل والصَّفحات، وقوة يشهدُ بطيب وصفِها أرجُ النَّفحات، قد غدتْ عُددُها مُحْكَمَة، وخيولُها مُطَهَّمة(٢)، وذوابلُها(٣) اذا ظَمِئتْ(٤) كانت مُقوَّمة، واذا رَوِيتْ(٥) عادتْ مُحطَّمة. تتقلّدُ صفائحَ متى انْتُضِيتْ أنصفتْ من الجائر الحائف، ومتى اقتضبتْ(٦) عملًا كان اقتضابُها مبيِّضًا للصحائف. وفى ظِلِّها مَعاقلُ لِلّائذين، وبِحَدِّها مَصارِعُ للنابذين. وهِىَ للدِّماءِ هوارِق، وللهامات فَوالق، ولِمُسْتَغلَق البِلاد مَفاتح، ولمستفتِحها مَغالق. ولما انتهى الى المُصلَّى قضَى الصلاةَ أحسَنَ قَضاء، وأدّاها أفضلَ تأدية، واستنزل رحمةً لم تزَلْ بِصلاته مُتَمادية، وانتهى الى المِنْبَر فرقِيَه، وخطَبَ خُطْبَةَ مَنْ استخلَفه اللهُ فكانَ مُراقِبَه ومُتَّقِيَه، ووعظ أبلغ وعظ، وأبانَ عمّا لِلعامل فى نُصحه فى الدُّنيا والآخرة مِن فائدة وحَظّ، وعطَفَ على الأضاحِى المُعَدَّة لَهُ، فنَحَرَها جَرْيًا فى الطاعات على فعلِها المُتَمادِى، وأضحتْ تتوقع التكميل بإنجاز وَعيده فى الأعادِى، فاللهُ يقضِى بتصديقه، ويمُنّ بتخيُّله وتحقيقِه. وعادَ الى قصوره المكرّمة مشكورا سعيُهُ، مضمونًا نفعُهُ، مرضِيًّا فِعلُه، مشمولا عبيدُه منه بما هو أهلُه. أعلَمَكَ أميرُ المؤمنين ذلك، فاعلَمْ هذا واعمَل به. وكتب فى اليوم المذكور.

---

(١) الكتيبة: الجيش. ولجبة: كثيرة الجلبة والأصوات لكثرة عددها.

(٢) المطهم: التام البارع الجمال من كل شىء.

(٣) الذوابل: الرماح الذابلة القنا، أى الجافة القصب. (٤) ظمئت هنا: جفت وصلبت.

(٥) واذا رويت أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها.

(٦) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع أو بمعنى الخروج من غرض الى آخر بدون مناسبة فى الشعر أو الكتابة.

(٣) القاضي الفاضل

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْساني رحمه الله يصف مدينة آمِدَ[(١)] من رسالة جاءَ فيها :

وآمِدُ ذِكْرُها بيْن العالَمِ، مُتَعَالَمٌ[(٢)]، وطالما صادَمَ جانِبَها مَنْ تَقادَمَ[(٣)]، فَرَجَع عنها مَقْدُوعاً أَنْفُهُ[(٤)] و إن كانَ فَحْلًا، وفرَّ عنها فريدا بِهمَّه وان آستصحبَ خَيْلاً ورَجلا[(٥)] . ورأى حَجَرها فقدَّر أنَّه لا يُفَكُّ له حَجْرٌ[(٦)]، وسَوادَها[(٧)] فظَنَّ أنه لا ينسَخُه فجْرٌ، وحَمِيَّةَ أَنْفِ أَنَفَتِها فاعتَقَدَ أنه لايستجيبُ لِزَجْر: مِن مُلوكٍ كلُّهم قد طوَى صدرَه على الغَليل[(٨)] الى مَوْرِدِها، ووقَفَ وَقْفَة المُحِب السائل فلم يفُز بما أمَّلَ من سُؤال مَعْهَدِها .

---

(١) بلدة قديمة مبنية على نشز من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن إقليم ديار بكر . وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر . والهضبة : التي بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك (قره آمد) أي آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أي من تقادم من الفاتحين .

(٤) قدع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق اذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة (البيادة) .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أي سواد هضبتها المبنية هي عليها .

(٨) الغليل : يريد التعطش الى موردها أي فتحها .

ثانيـا ــ النـــثر العلمى

قال المَعَـــرِّى(١) فى مقـــدّمة لزوميــاته

وقد جاءَ فى أشـعار المحدثين شىءٌ من الطويل الأوّل(٢) مبنيا على الألف وهو الذى يسميه النـاس المقصور، فيقولون : مقصورة فلان، يعنون مارَوِيُّه ألف . قال الشاعر :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فما نحن بالأحياء فيهـا ولا الموتى
اذا ما أتانا زائرٌ، متفقّـــدٌ ... فَرِحْنَا، وقلنا : جاء هذا من الدنيا !

وهذا الشعر لرجل فى السجن كان على عهد ملوك بنى العباس، ويقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القـدوس، وقد بنى أبو عبادة(٣) قصيدة على الطويل الأوّل وجعل قوافيها على أروى، وجدوى، ونحو ذلك ، فلزم الواو الى آخر القصـيدة ، ولم يجعلها مقصورة . فهذه إن جعل رويها الألف فقد لزم فيهـا مالا يلزم ، وإن جعل روِيّها الواو فالألف وصل، وبناؤها على الواو أحسن وأقوى فى النظم .

وفى هذا الكتاب أشياءُ، تجرى هذا المجرى، وقد بينتها فى مواضعها . وقـد يمكن أن يلزم القائلُ حرفين وأكثر. ولو بنيتْ قافية على دَارِهم ومُزْدَارِهم وصدارهم لكان القائل قد لزم فيهـا أربعة أحرف : الدال والألف والراء والهاء ؛ لأن الروى الميم، والألف ليست للتأسيس؛ لأن بينها وبين الروى حرفين، ولو بنيت قافية على ضرائرهم وحرائرهم وما أشبه ذلك لكانت قد لزم فيها خمسـة أحرف : الراء الأولى والألف والهمزة التى بعدها ــ وهى فى الصورة ياء ــ والراء الثانية والهاء .

---

(١) تقدّمت ترجمته فى الشعر. (٢) أى من الضرب الأوّل من بحر الطويل. (٣) هو البحترى .

وقد كنتُ قلتُ فى كلام لى قديم : إنى رفضتُ الشعر رَفْضَ السَّقْب غِرْسه[(١)]، والرَّأْل تَريكته[(٢)] . والغرضُ ما استُجيز فيه الكذبُ واستُعينَ على نظامه بالشُّبهات ؛ فأما الكائنُ عِظةً للسامع ، وإيقاظًا للتوسّن ، وأمرًا بالتحرّز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر — فهو إن شاء الله مما يلتمس به الثوابُ . وأُضيفُ الى ما سلف من الاعتذار أن من سَلك فى هـذا الأسلوب ضَعُفَ ما ينطق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقةَ ويطلب الكلمة البرَّةَ ، ولذلك ضعُف كثيرٌ من شعر أُمَيّة بن أبى الصلت الثَّقفى ومن أخذ بِضَريه[(٣)] من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلامٌ معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ؛ فإذا أُريدَ به غيرُ وجهه ضعُف . وقد وجدنا الشعراءَ توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزيّنوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونُعُوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ، وتَسَبَّبُوا إلى الجزالة بذكر الحرب واحتلبوا أخلافَ الفكر — وهم أهل مَقام وخَفْض — فى معنى مايدَّعُون أنهم يعانُون : من حث الرَّكائب وقطع المفاوز ، ومِراس الشقاء .

وهذا حينُ أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا لكل حرف أربعة فصول . وهى على حسب حالات الرَّوىّ من ضَم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصْل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئتُ فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ليكون قضاء حَقٍّ للتأليف . وبالله التوفيق !

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته . والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ .

(٣) أى بطريقته المختلفة المصطنعة .

الأندلس

(١) الشـــعر

(١) ابن هـانئ الأندلسى [١]

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئـذ أقوى أسطول فى البحر الأبيض المتوسط :

أَمَا وَالجوارِى المنشآتِ التى سَرَتْ ... لقـــد ظاهَرَتهـا عُدَّةٌ وعَديدُ

قِبابٌ كما تُزجَى القِبابُ على المَها ... ولكنَّ مَن ضُمَّتْ عليــه أُسود [٢]

ولله ـــ مِمّا لا يَرَوْنَ ـــ كتائبٌ ... مُسَــوَّمَةٌ تَحْدُو بها وجُنــود [٣]

أطاعَ لها أن الملائكَ خلفَها ... كما وقَفَتْ خَلفَ الصُّفوفِ رُدود [٤]

وأن الرِّياحَ الذارياتِ كتائبٌ ... وأنَّ النجومَ الطالعاتِ سُعود

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسى الأزدى . ولد بأشبيلية بالأندلس ؛ ونشأ بها فقال الشعر وفاق كل أدباء المغرب فى عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تغالى فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، وهموا به وبالأمير ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليـه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولمـا فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدّة لحق به شاعرنا ، فمـات فى الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أى على الحسان اللاتى يشبهن المها .

(٣) ولله كتائب مسومة : أى من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أى أمكن لها وتهيأ وانقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود : جمع ردّ بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ مَلْكَ الرُّوم إلا اطّلاعُها تُنَشَّر أعــلامٌ لهـا وبنــود
عليهـا غمامٌ مُكْفَهِرٌّ صَــبيرُه له بارقاتٌ جَمَّــةٌ ورُعــود (١)
مواخرُ فى طامِى العُبابِ كأنهـا لِعَزْمك بأسٌ أو لكفّك جُود
أنافتْ بها أعلامُها ، وسَمَا لهـا بناءٌ على غــيرِ العَراءِ مَشــيد
وليس بأعلى شاهقٍ ، وهو كوكبٌ ، وليس من الصُّفّاح ، وهو صَلود
من الراسيات الشُّمّ لولا انتقالُها فمنهـا قِنانٌ شُمَّــخ ورُيــود (٢)
من الطــير إلا أنهن جــوارحٌ فليس لهـا إلّا النفوسَ مَصيدُ
من القادحاتِ النار تُضْرَمُ للصَّلَى فليس لها يومَ اللقــاء خُمــود
إذا زَفَرَتْ غيْظا ترامتْ بمارِجٍ كما شُبّ من نار الجحيم وَقــود
فأفواهُهُنّ الحاميــاتُ صواعقٌ وأنفاسهن الزافراتُ حَديد
يُشَبُّ لآلِ الجاثليق سَــعيرُها وما هى من آل الطــريد بَعِيــد
لهـا شُــعَلٌ فوق الغِمار كأنّهـا دماءٌ تلقّتهـا ملاحِفُ سُــود
تُعانِقُ موجَ البحــرِ حتى كأنه سَليطٌ لهـا فيــه الذُّبالُ عَتيــد
تَرى المــاءَ فيها ، وهو قانٍ عُبابُه كما باشرتْ رَدْعَ الخَلوقِ جُلود (٣)
فليس لهـا إلا الرياحَ أعِنّــةٌ وليس لهـا إلا الحَبـابَ كَديدُ (٤)

---

(١) الصبير : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقذوفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان : جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب فى الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغيرُ المَذاكى نَجْـرها غير أنهـا ... مُسَوّمةٌ تحت الفـوارس قُـودُ (١)
ترى كُلَّ قَوْداءِ التَّلِيل إذا انْثَنَتْ ... سـوالفُ غيـدٍ بالمهـا وَقُدُود (٢)
رحيبة مَدّ البـاع وهى نضيحة ... بغير شَوًى ، عذراءُ وهى ولود (٣)
تَكَبَّرْنَ عن نَقْـع يُثَار، كأنهـا ... مَوالٍ، وجُرْدُ الصافنـاتِ عَبيد
لها من شُفوفِ العبقرىّ ملابسٌ ... مُفَـوّفةٌ فيها النُّضارُ جَسـيد (٤)
كما اشتملتْ فـوق الأَرائك خُرَّدٌ ... أو اَلتفعتْ فوق المنابر صِـيد (٥)
لَبُوسٌ تَكُفُّ المَوْجَ ،وهوغُطامِط ... وتدرأ بأسَ الْـيمِّ ، وهو شـديد (٦)
فمنه دروعٌ فوقهـا وجـواشنٌ ... ومنـه خَفاتِينٌ لهـا وبُرود
ألا فى سبيل الله تبذل كُنْهَ ما ... تَضِن به الأَنواءُ وهى جُمُـود
فلا غَرْوَ إن أعززتَ دين محمّد ... فأنتَ له دون الملوك عَقيـدُ

---

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار : واحد وهو الأصـل . والقود : جمع أقود أو قوداء وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركابها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى إذا انثنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمـايلت قدودهن كانت السـفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها . وكانوا يجعلون فى مقدّم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهى تمدّ باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهى ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان مايشبه شفوف الثياب العبقرية المفوفة أى المخططة بالبياض المذهبـــة .

(٥) أى انها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد بالثياب ، وهن جالسـات على الأرائك ، أو يلتفع الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان الى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشييع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رأيتُ بعيْنِي فوقَ ما كنتُ أسمعُ وقد راعَنِي يومٌ من الحَشْرِ أرْوَع
غَداةَ كأنَّ الأفْقَ سُدَّ بمِثْلِه فعادَ غُروبُ الشمس مِن حيثُ تَطْلُعُ
فلم أدْرِ إذْ سَلَّمْتُ كيفَ أشَيِّعُ ولم أدرِ إذْ شَيَّعْتُ كيفَ أودِّع
وكيف أخُوضُ الجيشَ والجيشُ لُجَّةٌ وإنِّى بمَن قاد الجُيوشَ لَمُولَع
وأيْنَ؟ وما لى بين ذا الجمع مَسْلَكٌ، ولا لِجَوادِى فى البسيطة موضِع
ألا إنَّ هذا حَشْدُ مَن لم يَذُقْ له غِرارَ الكَرَى جَفْنٌ، ولا باتَ يَهجَع
نصيحتُه للمُلْكِ سَدَّتْ مَذاهِبِى فما بَيْنَ قيدِ الرمح والرُمح إصْبَع
فَقَد ضَرِعَتْ حتى الرَّواسِى لِما رأَتْ فكيف قلوبُ الإنسِ؟ والإنسُ أضْرَع
فلا عسكرٌ من قَبلِ عَسكرِ جَوْهرٍ تَخُبُّ المطايا فيه عَشْرًا، وتُوضِع[1]
تَسيرُ الجبالُ الجامداتُ لسَيْرِه وتَسْجدُ من أدْنَى الحَفيفِ وتَرْكَعُ
إذا حلَّ فى أرضٍ بناها مدائِنا وإن سار عن أرض ثَوَتْ وهى بَلْقع[2]
سَمَوْتُ له بعدَ الرحيلِ، وفاتَنِى فأقسمتُ أن لا لا يُلائِمَ مَضْجَعُ
فلما تداركْتُ السُّرادِقَ فى الدُّجَى عَشَوْتُ إليه، والمشاعِلُ تُرفَع

(١) الخبب والإيضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير فى امتداده عشر ليال، مبالغة فى طوله .

(٢) اذا حل أى جوهر، أو نفس الجيش يحتاج فى إقامته الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة فى أول بنائها معقلا للعساكر .

فبِتُّ ، وباتَ الجيشُ جَمًّا سَمِيرُه يُؤرِّقُنِي ، والجنُّ فى البيد هُجَّعُ
فتخرِقُ جَيْبَ المُزنِ والمُزْنُ دائمٌ ونُوقِدُ مَوْجَ اليمِّ ، واليمُ أصْقَعُ[1]
وهَمْهَمَ رعدٌ آخرَ الليلِ قاصفٌ ولاح مع الفجرِ البوارقُ تلمعُ
وأوحَتْ إلينا الوحْشُ : ما اللهُ صانعٌ بِنَا وبِكُم من سَوْلِ ما نتسمَّعُ ؟
ولم تَعْلَمِ الطيرُ الحوائِمُ فوقَنا إلى أينَ تَسْتَذْرِى ولا أين تَفْزَعُ[2]
إلى أن تبدَّى سيفُ دَولة هاشِم على وجهه نورٌ من الله يسطَع

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن على :

فَتكاتُ طَرْفِك ، أم سيوفُ أبيك وكُئوسُ خمرٍ ، أم مَرَاشِفُ فيك
أجِلادُ مُرهَفَةٍ وفَتْكُ مَحاجرٍ؟ ما أنتِ راحمةٌ ولا أهلوكِ !
يا بِنْتَ ذى البُرْدِ الطويلِ نِجَادُهُ أكذا يجوزُ الحكمُ فى ناديك؟[3]
قد كانَ يدعُونى خيالُكِ طارقًا حتى دعانى بالقَنَا داعيك
عَيْناكِ أم مَغْنَاكِ مَوْعِدُنا ؟ وفى وادِى الكَرَى ألقاكِ أم واديك؟
منعُوكِ من سِنَةِ الكَرَى ، وسَرَوْا ، فلَوْ عَثَرُوا بِطَيفِ طارقٍ ظَنُّوك
ودعَوْكِ نشْوَى ، ما سَقَوْكِ مُدامةً ! لمَّا تمايَلَ عِطفُكِ اتَّهَمُوك
حسِبُوا التَّكَحُّلَ فى جُفونِك حِلْيَةً تاللهِ ما بأكُفِّهم كَحَلُوك !

---

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائم أى المتسع العظيم ، ويمتد إلى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستذرى : تطلب ذرا تلتجئ إليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَــلَوْكِ لِي إذ نَحْنُ غُصْنا بَانَةٍ حتى إذا احْتَفَل الهَــوَى حَجَبُــوكِ!
ولَوَى مُقَبَّــلَكِ اللِّثــامُ ، وما دَرَوْا أنْ قَدْ لُثِمْتِ بِهِ ، وقُبِّلَ فُوكِ
فَضَعِى القِنَاعَ فقبْــل خدِّك حُمِّرَتْ رايات يحــيَى بالدّمِ المســفوكِ

وقال يرثى والدة يحيى وجعفر ابنى على :

صَدَق الفَنَاءُ وكُذِّبَ العُمُرُ وجَلا العِظاتِ وبالَغَ النُّذُرُ
إنَّا ، وفى آمالِ أَنْفُســنا طُولٌ ، وفى أعمــارِنا قِصَرُ
لَــنَرَى بأَعْيُنِنا مَصارِعَنا لو كانتِ الألبــابُ تعتــبِرُ !
مِمّــا دهــانا أنَّ حاضِرَنا أجفانُنا ، والغــائِبُ الفِــكَرُ
وإذا تــدَبَّرْنا جــوارِحَنا فأَكَلُّهن العَيْنُ والنَّظَــرُ
لو كان للأَلبــاب مُمْتحِنٌ ما عُدَّ منها السَّمْعُ والبَصَرُ (١)
أىُّ الحيــاةِ ألَذُّ عِيشَــتَها مِن بَعْــدِ عِلْمِى أنَّنِى بَشَرُ ؟
خَرِسَتْ لَعَمْرُ اللهِ أَلْسُــنُنا لمّــا تكلَّمَ فَــوْقَنا القَــدَرُ

(٢) ابن بُرْد الأصغر من شعراء الأندلس

قال يصف السحب والبرق :

ومازِلْتُ أَحسَبُ فيه السحاب ونارُ بَــوَارِقِهــا تَلْتَهِب
بَخَــاتِىَّ تُوضِعُ فى سَــيْرِها وقد قُرِعَتْ بِسِــيَاط الذهب

(١) أى ما عدّ من الممتحنات : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصر يبصر العبر فلا يزدجر .

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسى (١)

قال فى الوصف ؛ يصف حماما :

وناعِمٍ فى غُصون الدَّوْحِ أَرَّقَنِى ... وما عُنيتُ بِشَىْءٍ ظَـلَّ يَعْنِيه
مُطَـوَّقٍ بعُقُـودٍ ما تُزايِلُهُ ... حتى تُزايِله إحدى تَرافِيــه (٢)
قدبات يَبكى بشَجْوٍ مادَرَيْتُ به ... وبتُّ أَبكى بَشَجْوٍ ليسَ يَدْرِيه

وقال فى المدح :

كَرِيمٌ على العِلَّاتِ جَزْلٌ عطاؤُهُ ... مُنِيلٌ وإن لم يُعْتَمَدْ لِنَـوالِ
وما الجودُ مَن يُعْطِى إذا ماسأَلْتَهُ ... ولكِنَّ مَن يُعطى بغير سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وذى شُطَبٍ تَقْضِى المنايا بحُكْمِه ... وليس لـمـا تَقْضِى المنيةُ دافِــعُ (٣)
فِـرِنْدٌ إذا ما اعْتَنَّ للعين راكدٌ ... وبَرْقٌ إذا ما اهتَزَّ بالكَفِّ لامِــعُ (٤)
يُسَـــلُّ أَرْوَاحَ الكُماةِ انسـلالُهُ ... ويَرْتَاعُ منه الموتُ والموتُ رائعُ
اذا ما التَقَتْ أمثالُه فى وَقِيعــةٍ ... هُنالِكَ ظَنُّ النَّفسِ بالنَّفسِ واقِــعُ (٥)

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد الذى يعدّ من أركان الأدب العربى توفى سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان فى عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز فى جانبى السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ما تظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضا :

بكلِّ مأثورٍ علَى مَتْنهِ ... مِثلُ مدَبّ النمْل فى القاعِ (١)

يرتدّ طرفُ العيْن عن حَدّه ... عن كوكبٍ للموْت لمّاعِ

(٤) ابن زيدون (٢)

قال :

أضحَى التنائِى بَديلًا مِن تَدانينا ... ونابَ عن طِيبِ لُقْيانا تجافينا

بِنْتُمْ وبِنّا، فما ابْتلَّتْ جوانحُنا ... شوقًا إليكم، ولا جَفّتْ مآقينا (٣)

يكادُ حينَ تُناجيكمْ ضمائرُنا ... يقضِى علينا الأسَى لولا تأسّينا (٤)

حالَتْ لفقدِكُمْ أيامُنا فغَدتْ ... سُودًا، وكانتْ بكمْ بيضًا ليالينا (٥)

إذْ جانبُ العيْشِ طلْقٌ مِن تألُّفِنا ... ومَوْردُ اللهْوِ صافٍ مِن تَصافينا

وإذْ هَصَرْنا غُصونَ الأُنْس دانيةً ... قُطوفُها، فجَنَيْنَا مِنه ماشِينا (٦)

ليُسْقَ عهدُكمُ عهدُ السرورِ، فما ... كنتُمْ لأرواحنا إلّا رياحينا

---

(١) أى يلوح و يتراءى لمن ينظر اليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين فى السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبي وزير آل جهور بقرطبة ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجدية والهزلية توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) الجوانح . جمع جانحة : وهى الضلع . والمراد بالجوانح : ماتجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض إلى سود .

(٦) هصرنا : أملنا إلى ناحيتنا .

مَنْ مُبلِـغُ المُلبِسينا بانتزاحِهِـمُ ... حُزْنًا مع الدهر لا يَبْـلَى، ويُبلينا (١)
إن الزمانَ الذى ما زالَ يُضحِكُنا ... أُنْسًا بقربكُمُ قــد عادَ يُبكِينا
ما حقُّنا أن تُقِرُّوا عينَ ذى حسدٍ ... بنـا، ولا أن تَسُرُّوا كاشحًا فينـا (٢)
غِيظَ العِدَى من تَساقِينا الهوَى فدَعَوْا ... بأن نَغَصَّ، فقال الدهرُ : آمينـا!
فانحـلَّ ما كان معقودًا بأنفُسِــنا ... وانْبَتَّ ما كان موصـولا بأيدينا
وقــد نكونُ، وما يُخشَى تفرُّقُنـا ... فاليــومَ نحنُ ، وما يُرجَى تلاقينا
لم نعتقِدْ بَعْــدَكم إلا الوفاءَ لكمْ ... رَأيًا، ولم نتقــلَّدْ غـيرَه دِينـا
لا تحسَـــبُوا نَأْيَكمْ عنا يُغَـيِّرُنا ... إنْ طالمـا غَــيَّرَ النـأىُ المُحِبِّينا
واللهِ ما طَلَبتْ أهــواؤنا بدَلًا ... منكم ، ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
ولا استفدْنا خَليلا عنكِ يَشـغَلُنا ... ولا اتَّخَـذْنا بديلًا منـكِ يُسلِينا
ياساريَ البَرْقِ غَادِ القصرَ فاسْقِ به ... مَن كان صِرْفَ الهوَى والوُدِّ يَسقِينا
ويا نسـيمَ الصَّــبا بَلِّغْ تَحِيَّتَنـا ... مَنْ لَوْ على البُعد حيًّا كانَ يُحيِينا
يا روْضةً طالمـا أجْنَتْ لواحظَنا ... وَرْدًا جلاه الصِّبا غَضًّـا ونِسرِينا (٣)
ويا حيـاةً تَمَلَّيْنـا بزَهْرَتِهـا ... مُـنًى ضُروبًا ولذَّاتٍ أفانينـا (٤)

---

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنها بالوجع ، والمراد أن تسروا الحاسد ، والكاشح : المضمر للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمتعنا . والمنى : جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا : جمع أفنون ، وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نَعيما خَطَرْنَا مِن غَضارتِه ... في وَشْيِ نُعْمَى سَحَبْنا ذَيْلَها حِينا (١)

لسنا نُسَميك إجلالًا وتَكْرِمَةً ... وقَدرُكِ المُعتَلِي عن ذاك يُغنينا

اذا انفردتِ وما شُورِكْتِ في صِفَةٍ ... فحسبُنا الوصفُ إيضاحًا وتَبْيِينا

ياجنةَ الخُلدِ أُبدِلْنَا بسَلْسَلِها ... والكوثرِ العذبِ زَقُّومًا وغِسْلِينا (٢)

كأنَّنَا لم نبِتْ والوصلُ ثالثُنا ... والسعدُ قد غَضَّ مِن أجفانِ واشِينا

سِرَّانِ في خاطِر الظَّلماءِ يكتُمُنا ... حتى يكادَ لسانُ الصُّبْحِ يُفْشِينا

إن كانَ قد عَزَّ في الدنيا اللقاءُ ففي ... مَوَاقِفِ الحشرِ نَلقاكُمْ ويَكفينا

لا غَرْوَ في أن ذكَرْنا الحُزنَ حينَ نَهَت ... عنه النُّهَى وتركْنا الصبرَ ناسينا

إنا قرأْنا الأسَى يومَ النوَى سُوَرًا ... مكتوبةً، وأخذْنا الصبرَ تَلْقِينا

أمّا هواكِ فلم نَعْدِل بمَنهلِه ... شِرْبا، وإن كان يُروِينَا فيُظمِينا

لم نَجْفُ أُفُقَ جَمالٍ أنتِ كَوكَبُه ... سالِينَ عنه، ولم نَهجُرْه قالِينا

ولا اختيارًا تَجنَّبناكِ عن كَثَبٍ ... لكنْ عَدَتْنا على كُرْهٍ عَوادِينا (٣)

نأسَى عليكِ إذا حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً ... فينا الشَّمولُ وغَنَّانا مُغَنِّينا (٤)

لا أكْؤُسُ الرَّاحِ تُبدِي من شَمائلِنا ... سِيمَا ارتياحٍ، ولا الأوتارُ تُلهِينا

---

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعهما عجبا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة والخصب . والوشي نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب البارد . والكوثر : الكثير من كل شيء، والنهر، ونهر في الجنة . والزقوم المذكور في القرآن الكريم، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون في أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما يغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما يتغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كثب : عن قرب . وعدتنا العوادي : صرفتنا الصوارف . وهي شواغل الدهر وصروفه

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشعة الممزوجة بالماء .

دُومِى على العهـــدِ ما دُمنا مُحافِظَةً فالْحُرُّ مَن دان إنصــافًا كما دِينـا
فمـا آبتَغَينا خليلا منـــك يَحبِسُنا ولا اســتَفَدْنا حبيبا عَنكِ يُغنينا
ولو صَـــبَا نَحوَنا من عُلْوِ مطلَعِه بَدرُ الدُّجَى لم يكن ـ حاشاكِ ـ يُصبِينا
أَوْلِى وَفاءً ، وإنْ لم تَبْــذُلِى صِلةً فالذِّكرُ يُقنِعُنا ، والطيفُ يَكفينا
وفى الجواب آقتناعٌ لو شَفَعتِ به بيضَ الأيادِى التى ما زِلتِ تُولينا
عليكِ مِنى ســلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ صَــبابةٌ منــكِ نُخفِيها فتُخفينا

قال فى الذكرى متوجعا :

ودَّعَ الصــبرَ مُحِبٌّ ودَّعَــكْ ذائعٌ من سِرِّهِ ما استودَعَكْ
يقــرَعُ السِّنَّ على أَنْ لم يَكُنْ زاد فى تلك الخُطا إذ شَيَّعَكْ
يا أخا البــدرِ سَــناءً وسنى حَفِــظَ اللهُ زمانا أطلَعَــكْ
إن يَطُــلْ بعــدَكَ ليــلِى فلَكَمْ بِتُّ أشكو قِصَرَ الليــلِ مَعَكْ

(٥) أبو بكر محمد بن عمـار (١)

قال :

وهَوِيتُــه يَســقِى المدامَ كأنّه قمرٌ يطوف بكوكب فى حِندِسِ
مُتأَرِّجَ الحَرَكاتِ تَندَى رِيحُهُ كالغُصْن هزّته الصَّبا بتنفُّسِ
يسعَى بكأسٍ فى أنامل سَوْسَنٍ ويُدِير أُخرى فى مَحاجِرِ نَرجِسِ (٢)

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنــه المعتمد ، وبيد المعتمد قتل بعــد خيانة له فى الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرًا بليغا يتشبه بالمتنبى فى مطامعه فى الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله فى الاستعطاف :

سجاياكَ إن عافيتَ أندَى وأسمحُ ... وعذرُك إن عاقبْتَ أجْلَى وأوضحُ

وإن كان بيْنَ الخُطّتين مَزِيَّةٌ ... فأنْتَ إلى الأدنَى من اللهِ أجنح

حَنَانَيْكَ فى أخذى برأيكَ لا تُطِعْ ... عُداتِى، وأن أثْنَوْا عَلَيَّ وأفصَحُوا

وماذا عسَى الأعداءُ أن يتزيّدُوا ... سِوَى أنّ ذَنبى وَاضِحٌ متصحّح

نَعمْ لِيَ ذَنْبٌ! غير أن لِحِلْمِكمْ ... صَفاةً يزِلُّ الذنبُ عنها فيسفَح (١)

وإنّ رجائى أن عندَك غيرَ ما ... يخوضُ عدوّى اليوم فيه ويَمرَح

ولِمْ لا؟ وقد أسلفتُ وُدًّا وخدْمةً ... يكُرّانِ فى لَيْلِ الخطايا فيُصبِح

وَهبْنِيَ قد أعقبتُ أعمالَ مُفسِدٍ ... أما تفسُدُ الأعمالُ ثُمّتَ تَصْلُح (٢)

أقِلْنِى بما بَيْنِي وبينكَ من رضًا ... له نحوَ رَوْحِ الله بابٌ مُفتَّح!

وعَفِّ على آثارِ جُرْمٍ جنيتُه ... بهَبّةِ رُحْمَى منك تمحو وتَصفَح

ولا تلتفِتْ رأىَ الوُشاة وقولَهم؛ ... فكل إناء بالذى فيه يَرْشَحُ (٣)

سيأتيكَ فى أمرى حديثٌ، وقد أتَى ... بزُورِ بنى عبد العزيز مُوَشَّح (٤)

وما ذاكَ إلا ما علمتَ ؛ فإننى ... اذا ثُبتُ لا أنفَكُّ آسو وأجرح (٥)

---

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل و ينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التأنيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا . (٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر ، و ورثوا أبناءه وأحفاده فى شرق الأندلس ، وكانت لهم به دولة دامت ردحا من الزمان . (٥) اذا ثبت : اذا رجعت الى ما كنت عليه من وزارتك .
وآسو : من أسا الجرح أى داواه وعالجه . والمراد لا أنفك أنفع وأضر ؛ فينالهم منى شر .

نَخيلتهـــم، لا دَرَّ لله دَرُّهُـــمْ؛ أشارُوا بِجاهِى بالشَّماتِ،وصَرَّحوا (١)
وقالوا : ســـيجزيه فلانٌ بفعلِه ! فقلتُ: وقد يعفو فلانٌ، ويَصْفَح!
ألا إن بَطْشًا للمُؤيَّد يتَّـــقَى ولكن حِلْمًا للــمؤيَّد أرجح
وبينَ ضُلوعى من هَواهُ تَميمةٌ ستنفعُ لو أنَّ الحِمامَ مُجلِّحُ (٢)
سـلامٌ عليه كيفَ دارَ به الهوى: إلىَّ فيــدْنو، أو علىَّ فيــنْزَح (٣)
ويَهْنِيهِ إن مِتُّ السُّلُوُّ، فإنَّنِى أموتُ، ولِى شـوقٌ اليـه مبرِّح

(٦) ابن وهبون فى الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسى من شعراء شرق الأندلس، وكان خدم المعتمد بن عبـاد من ملوك الطوائف بعلمه وشـعره يصف النيــلوفر (٤) :

وبِركةٍ تزهُـــو بنَيْـــلُوفَرٍ نَسيمُه يُشبِهُ رَوْحَ الحَبيبْ
حتى إذا اللّيـــلُ دَنَا وقتُــه ومالتِ الشمسُ لِعَينِ المَغيبْ
أَطبــقَ جفْنَيْهِ على إلفِـــهِ وغاصَ فى المـاءِ حِذارَ الرقيبْ

(١) نخيلتهم : أى هـذه نخيلتهم . والنخيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودرّ هنا فعل ماض من در اللبن، ودرهم فاعله على نحو جدّ جدّه وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم، أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمة : خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها فى أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين . والمجلح : الأكول . والمعنى فى قلبى له حب سيشفعنى و يشفع عنده اذا أراد الموت أكلى .

(٣) ينزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسى (١)

قال فى الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بِعَيْشِكَ هل تدرى أَهُوجُ الجنائِبِ ... تَخُبُّ برحْلِى أم ظهورُ النَّجائبِ؟ (٢)

فما لُحْتُ فى أولَى المشارِقِ كوكبًا ... فأشرقتُ حتى جِئتُ أُخْرَى المغارِبِ

وَحِيدًا تَهادَانِى القيافِى فأجتلِى ... وُجوهَ المنايا فى قِناعِ الغَياهِب

ولا جارَ إلا مِن حُسامٍ مُصمِّمٍ ... ولا دارَ إلا فى قُتُودِ الركائب (٣)

ولا أُنْسَ إلا أَنْ أضاحِكَ ساعةً ... ثُغُورَ الأَمانى فى وُجوهِ المطالب

ولَيْلٍ إذا ما قلتُ: قد بادَ فانقضَى ، ... تكشَّفَ عن وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كاذِب

سَحَبْتُ الدَّياجِى فيه سُودَ ذَوائب ... لأَعْتَنِقَ الآمالَ بِيضَ تَرائب

فَمَزَّقْتُ جَيْبَ اللَّيلِ عن شَخْصِ أَطْلَسٍ ... تَطَلَّعَ وَضَّاحَ المَضاحِكِ قاطِب (٤)

رأيتُ به قِطْعًا مِنَ الفَجْرِ أغْبَشًا ... تأَمَّلَ عن نجمٍ تَوَقَّدَ ثاقِب (٥)

وأَرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤابَةِ باذِخٍ ... يُطاوِلُ أعنانَ السماءِ بغارِب (٦)

---

(١) هو أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرق الأندلس أشهر وصاف الطبيعة بالأندلس وكان قليل التكسب بشعره توفى سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرحال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراءى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث إنه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعا أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكاهله .

يَسُدُّ مَهَبَّ الريحِ عن كلِّ وِجْهةٍ ... ويَزحَم ليلًا شُهْبَهُ بالمناكب

وقُورٌ على ظهرِ الفلاةِ كأنّه ... طِوالَ الليالى مُفْكِرٌ فى العواقب

يلُوثُ عليه الغَيمُ سُودَ عمائمٍ ... لها من وَميضِ البَرْقِ حُمْرُ ذوائب(١)

أَصَخْتُ إليه، وهو أخرسُ صامتٌ! ... فحدَّثَنى ليلَ السُّرى بالعجائب

وقال: إلى كَمْ كُنتُ مَلْجأَ قاتلٍ ... ومَوطِنَ أوّاهٍ تَبَتَّلَ تائب(٢)

وكم مَرَّ بى مِنْ مُدْلجٍ ومُؤَوِّبٍ ... وقالَ بِظِلِّى مِنْ مَطِيٍّ وراكب

ولاطَمَ مِن نُكْبِ الرِّياحِ مَعاطِفى ... وزاحَمَ مِن خُضْرِ البِحارِ غَواربى(٣)

فما كان إلا أنْ طَوَتْهم يَدُ الرَّدَى ... وطارتْ بِهِم رِيحُ النَّوى والنوائب

فما خَفْقُ أَيْكِى غيرُ رَجفةِ أَضْلُعٍ ... ولا نَوْحُ وُرْقِى غيرُ صَرْخةِ نادب(٤)

وما غَيَّضَ السُّلوانُ دمعى، وإنما ... نَزَفْتُ دموعى فى فراقِ الصواحب

فحَتَّى مَتَى أبقى؟ ويَظعَنُ صاحبٌ ... أُوَدِّعُ منه راحلًا غيرَ آئب

وحتى متى أرعَى الكواكبَ ساهرًا؟ ... فمِنْ طالعٍ أُخرَى الليالى وغارب

فرُحماكَ يا مولاىَ دَعْوةَ ضارعٍ ... يَمُدُّ إلى نُعماكَ راحةَ راغب!

فأسْمعنِى من وَعْظِهِ كلَّ عِبرةٍ ... يُتَرْجِمُها عنهُ لسانُ التجارب

---

(١) يلوث: يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمائم سوداء لها بروق حمر.

(٢) يريد بالأوّاه التائب: الراهب الذى يبنى صومعته فى رءوس الجبال.

(٣) النكب: جمع نكباء، وهى الريح تهب بين مهبى ريحين. ومعاطفى وغواربى: يريد بهما جوانبى وأظهرى.

(٤) أى خفق غصون أيكى. والأيك: اسم جمع لأيكة، وهى الأشجار المتكاثفة. والورق: جمع ورقاء وهى: الحمامة.

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجا ... وكانَ على عهد السُّرَى خيرَ صاحِب
وقلتُ، وقد نكّبتُ عنــهُ لطيَّة: ... سَلامٌ! فإنّا مِنْ مُقيـمٍ وذاهِب (١)

وقال:

أجْشُ المُـدامَةَ والنسيمُ عَليـلُ ... والظِّــلُّ خفّاقُ الرِّواقِ ظليـلُ (٢)
والنَّورُ طَرْفٌ قــد تنبَّه دامِـعٌ ... والمـاءُ مبتسمٌ يروقُ صَــقيل
وتطلّعتْ مِن بُرْقٍ كل غمامةٍ ... فى كل أُفْقٍ رايةٌ ورَعيـــل (٣)
حتى تهـادَى كلُّ خُوطــةِ أيْكَةٍ ... ريًّا وغَصَّتْ تَلْعَــةٌ ومَســيل (٤)
عَطَفَ الأَراكَةَ فانثنت شُكْرًا لَهُ ... طَرَبًا ورجَّعَ فى الغُصونِ هَـديلُ (٥)
فالرَّوضُ مُهتزُّ المَعاطِفِ نَعْمَــةً ... نَشْــوانُ يَعطِفُه الصَّــبَا فيميل
ريّانُ فَضْفَضهُ النَّـــدَى ثم انجلَى ... عنــهُ فَذَهَّبَ صَفْحَتَيْهِ أَصــيل
وارتدَّ ينظُـــرُ فى نِقاب غَمـامَةٍ ... طَرْفٌ يُمرِّضُـــه النُّعاسُ كَليــل (٦)
ساجٍ كَمَا يرنُو إلى عُــوَّادِهِ ... شاكٍ ويَلتَمِـحُ العـزيزَ ذليــلُ

(١) نكبت عنه: ملت عنه وانصرفت. والطية: الحاجة والقصد ووجهة المسافر. ومن فى (من مقيم) زائدة أو بيانية. أى فإنا من بين مقيم، وهو أنت، وذاهب، وهو نحن.

(٢) الرواق: مقدّم البيت. وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه.

(٣) الرعيل: الجماعة من الخيل، شبه السحب بجماعات الخيل وكأنها فى الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رءوسهم.

(٤) كل خوطة: أى كل غصن. والأيكة: الشجر الملتف. والتلعة: مجرى الماء من الجبل الى الوادى.

(٥) عطف: أى عطف النسيم العليل الأراكة. والهديل: ذكر الحمام.

(٦) طرف: أى طرف كل شارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر فى غمامة كأنها النقاب؛ وهذا الطرف كليل من السكر، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى عوّاده، أو طرف الذليل يلمح العزيز.

وقال :

رُبَّما ٱستضحكَ الحبَـابَ حبيبٌ   نَفَضَتْ ثوبَهـا عليه المُـــدَامُ
كلَّمـا مَرَّ قاصِرًا من خُطاهُ   يتهادَى كما يَمُرُّ الغَـــمام
سَـــلَّمَ الغُصنُ والكثيبُ علينـا   فعلَى الغُصْن والكثيبِ السَّــلامُ

وقال فى طول الليل :

ياليلَ وَجدٍ بنَجْــدِ   أمَا لِطَيْفِكَ مَسْرى
ومَا لِدَمْعِى طَليقًـا   وأنجُمُ الجَوِّ أسْرَى
وقد طَمى بَحْرُ لَيْلٍ   لمْ يُعْقِبِ المَدُّ جَزْرًا
لا يَعبرُ الطَّرْفُ فيهِ   غيرَ المجَــرةِ جَسْرا

(٨) ابن سهل الأندلسى(١)

قال :

سَلْ فِى الظَّلامِ أخاكَ البَدْرَ عَنْ سَهرِى   تَدْرِى النجومُ كما يَدرِى الورَى خَبَرِى
أبيتُ أَهْتِفُ بالشَّكْوى وأشْربُ مِن   دَمْعِى وأَنْشَـــقُ رَيَّا ذِكْرِكَ العَطِرِ
حتى أُخَيَّـــلَ أَنِّى شاربٌ ثَمِـــلٌ   بَيْنَ الرِّياضِ وَبَينَ الكأسِ والوَتَرِ
مَنْ لِى بِهِ ؟ ٱختلفتْ فيه المَلاحةُ إذْ   أوْمَتْ إلى غيرِه إيمـاءَ مُحْتَضَرِ(٢)

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلى الأندلسى وكان يلقب قبل إسلامه بالإسرائيلى، كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) أى تفاوتت فيه الملاحة عن قسمها عند الناس فهى فيه كاملة وفى غيره بمنزلة إشارة ضعيفة كاشارة المحتضر عند الموت .

مُعَطَّلٌ فالحَلْىُ منه مُحَلَّأَةٌ تُغْنِي الدَّرَارِي عن التَّقْلِيدِ بالدُّرَرِ (١)
بِخَدِّهِ لفؤادي نِسْبَةٌ عَجَبٌ كِلاهما أبدًا يَدْمَى مِنَ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل في توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسِ
فهو في حَرٍّ وخَفْقٍ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالقَبَسِ

* * *

يا بدورًا أَشْرَقَتْ يومَ النَّوَى غُرَرًا تسلُكُ بي نَهْجَ الغَرَرْ (٣)
ما لِنَفْسِي في الهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمُ الحُسْنَى ومِنْ عَيْنِي النَّظَرْ
أَجْتَنِي اللذاتِ مَكْلُومَ الجَوَى وَالتَّذاذِي مِنْ حَبِيبِي بالفِكَرْ (٤)

* * *

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجْدِي بَسَمَا كالرُّبَا بالعَارِضِ المُنْبَجِسِ (٥)
إذْ يُقِيمُ القَطْرُ فيها مَأْتَمَا وهي مِنْ بَهْجَتِهَا في عُرُسِ (٦)

---

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أي أن فؤادي يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير ، وخدّه كأنه يدمى من حمرة الخجل عند نظري اليه .

(٣) الغرر : التغرير والخطر .

(٤) أي وإنما التذاذي من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أي كابتسام الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أي السحاب الهاطل .

(٦) أي أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم في الربا مأتما ومناحة بيكائه على حين أن الربا في أعراس من بهجتها .

* * *

أيّهـا السائلُ عن جُرمِى لَدَيْهِ ... لِي جزاءُ الذّنب وهـو المُذْنِبُ
أخذتْ شمسُ الضحا من وَجْنَتَيْه ... مَشْرِقًا للشمس فِيـهِ مَغْـرِبُ (١)
ذَهَب الدمعُ بأشـواقِي إليـهِ ... ولهُ خـدٌّ بلحظِي مُـذْهَبُ (٢)

* * *

يَنبُتُ الـوَردُ بغَـرسِي كُلّمـا ... لاحَظَتْـهُ مُقْلَـتِي فى الخُلَسِ
ليتَ شِـعْرِى أىُّ شَيءٍ حَرّما ... ذلكَ الـوردَ على المُغْـتَرِسِ

* * *

كُلّمـا أشـكو اليهِ حُرَقِي ... غادرَتْـنِي مقلتـاهُ دَنِفـا
تَرَكتْ ألحاظُهُ مِن رمَقِي ... أثَرَ النَّمْـلِ على صُمِّ الصَّـفا (٣)
وأنا أشـكُرُه فيما بَـقِي ... لستُ ألحـاهُ عـلى ما أتْلفَا

* * *

فهو عندى عادلٌ إن ظَلَمـا ... وعذولى نُطقُه كالخَـرَسِ
ليس لى فى الأمر حكمٌ بعدَ ما ... حلّ مِن نفسِي مَحَلَّ النفَس

* * *

منـه للنـار بأحشائِي ضِرامْ ... تتلظّى كُلَّ حِينٍ ما تَشَا
هِيَ فى خدّيهِ بردٌ وسـلامْ ... وهى حَرٌّ وحَرِيقٌ فى الحَشـا
أتّقِي منـهُ على حُكمِ الغـرام ... أسَـدًا وَرْدا وأهواهُ رَشَـا

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراوين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جرّه إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .

(٣) أى أثرا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مشيه فى الصخرة الملساء .

* * *

قلت لما أن تبدى مُعْلَما وهو من ألحاظه فى حَرَس

أيها الآخذ قلبى مَغْنَمَا اجعلِ الوَصْلَ مكانَ الخُمُس (١)

(٩) وقد عارضه فى هذا التوشيح الوزير (٢) أبو عبد الله بن الخطيب، فقال :

جادكَ الغيثُ اذا الغيثُ هَمَى يا زمانَ الوصْلِ بالأندلُسِ

لم يكن وصلُكَ إلا حُلُمَا فى الكَرَى أو خِلْسة المختَلِس

* * *

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المُنَى تَنْقُل الخَطْوَ على ما يَرْسُمُ

زُمَرًا بين فُرَادَى وثُنَى مثلَما يدعو الوُفودَ المَوْسِمُ

والحَيَا قد جَلَّلَ الرَّوضَ سَنَى فثغور الزهر منه تَبْسِم

* * *

وروَى النُّعمانُ عن ماءِ السما كيف يُروِى مالكٌ عن أَنَس (٣)

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه فى مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة و بالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٦٩٠ هـ . وكان شاعرا كاتبا مؤرخا مؤلفا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ اذ النعمان إما شقائق النعمان لزهر أحمر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، وإما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخميين والثانى جد الأول وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشئ عنه .

فكساه الحسنُ ثوْباً مُعلَمـا يزدهِى منــهُ بأبهى مَلْبس

\+ + +

فى ليالٍ كتَمَتْ سرَّ الهوَى بالدُّجى لولا شُموسُ الغُــرَر

مالَ نَجْمُ الكأس فيها وهوى مستقيمَ السَّــيْرِ سَعْدَ الأثَرِ

وطَرٌ ما فيه من عيْب سِوى أنه مَرّ كلَمح البَصَـــر

\+ + +

حينَ لذّ الأنْسُ شيئاً أو كما هجَمَ الصبحُ هُجومَ الحَرَس

غارت الشُّهْبُ بنا أورُبَّما أثّرَتْ فينـا عيونُ النّرجس

(ب) النــثر الفـنى

(١) نبذة من الرسالة الجدية لابن زيدون(١) وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جهور أمير قرطبة وهو فى سجنه يستعطفه

" يا مولاىَ وسيّدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به ، ومن أبقاهُ اللهُ تعالى ماضِىَ حَدِّ العزم ، وَارِىَ زَنْد الأمل ، ثابتَ عهدِ النِّعمة ، إن سلبْتَنى (أعزّكَ اللهُ) لباسَ إنعامك ، وعطّلْتَنى من حَلْىِ إيناسك ، وأظْمأتَنى إلى بُرودِ(٢) إسعافك ، ونَفَضْتَ بى كفَّ حياطتك ، وغَضَضْتَ عنِّى طَرْفَ حمايتك ، بعد أن نَظَرَ الأعمى الى تأميلى لك ، وسَمِعَ الأصمّ ثنائى عليك ، وأحسّ الجمادُ باستنادى اليك —

(١) مرت ترجمته عند شعره .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى إسعافك الذى هو كالماء البارد فى إروائه للغليل .

فلا غَرْوَ قد يَغَصُّ (١) بالماء شاربُه، ويقتُلُ الدواءُ المستشفِيَ به، ويُؤْتى الحَذِرُ من مأمنِه، وتكونُ منيّةُ المتمنّي في أُمْنِيّتِه، والحَيْن (٢) قد يسبِقُ جهد الحريص :

كل المصائب قد تمرّ على الفتى ... وتهونُ غيرَ شماتةِ الحُسّاد

وإني لأتجلّدُ، وأُرِي الشامتين أنّي لِرَيْبِ الدهرِ لا أتضعضعُ، فأقولُ : هل أنا إلّا يدٌ أدْماها سِوارُها، وجَبِينٌ عضّ به إكليلُه، ومَشْرِفِيٌّ (٣) ألصقه بالأرض صاقِلُه، وسَمْهَرِيٌّ (٤) عرضه على النار مُثقِّفُه، وعبدٌ ذهب به سيّدُه مذهبَ الذي يقول:

فقَسَا ليزدجِروا، ومَن يكُ حازمًا ... فليقسُ أحيانًا على مَن يرحَمُ

هذا العتبُ محمودٌ عواقبُه، وهذه النَّبوةُ (٥) غَمْرةٌ ثم تنجلي، وهذه النكبةُ سحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشّعُ (٦). ولَن يَريبني من سيّدي أن أبطأَ سَيْبُه (٧)، أو تأخّر غيرَ ضنينٍ غَناؤه، فأبطأُ الدِّلاء فيضًا أملؤها، وأثقل السحائب مشيًا أحفَلُها، وأنفعُ الحَيَا ما صادف جَدْبًا، وألذُّ الشرابِ ما أصابَ غليلًا، ومع اليومِ غَد، ولكلِّ أجلٍ كِتاب. له الحمدُ على اهتباله (٨)، ولا عَتْب عليه في إغفاله.

---

(١) يغص : يشرق.

(٢) الحين : الهلاك.

(٣) المشرفي : السيف ينسب الى مشارف الشام : قراها الشرقية.

(٤) السمهري : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع الرماح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح واليهما تنسب الرماح.

(٥) النبوة : الجفوة.

(٦) تقشع : تنكشف وتزول.

(٧) السيب : العطاء.

(٨) الاهتبال : الاغتنام. أي اغتنام معروفه.

فإن يكن الفعل الذى ساءَ واحدًا   فأفعـالُه اللائى سَرَرْنَ أُلوفُ

وأعود فأقول : ما هــذا الذنبُ الذى لم يَسَعْهُ عفوُك ؟ والجهلُ الذى لم يأتِ من ورائه حِلمُك ، والتّطاوُل الذى لم يستغرِقْه تَطَوُّلُك[(١)] ، والتحامُل الذى لم يَفِ به آحتمالُك . ولا أخلو مِنْ أن أكونَ بَرِيئًا ، فأين العَدل؟ أو مُسيئًا ، فأيْنَ الفضل ؟

إلّا يكنْ ذَنْبٌ فعدلُك واسعٌ   أو كان لى ذنبٌ ففضلُك أوسَع

ومنهـا :

وهــل لَبِسَ الصّباحُ إلّا بُرْدًا طَرَّزْتَه بِفضائلك[(٢)] . وَتَقَــلَّدتِ الجوزاءُ إلا عِقْدًا فَصَّلْتَهُ بمآثرِك . وآسْتَمْلَى الربيع إلّا ثَناءً ملأْتَهُ بمحاسِنك ، وبَثَّ المسكُ إلّا حَديثًا أذعتَه فى محامِدك . ما يَوْمُ حليمةَ بِسِرّ[(٣)] ! وإنْ كنتُ لم أكْسُك سَلِيبًا . ولا حَلَّيتُك عُطْلًا . ولا وَسَمْتُك غُفْلا ، بل وَجدتُ آجُرًّا وجِصًّا فَبَنَيْتُ . ومكانَ القَوْل ذَا سَعَة فقلتُ .

(٢) الفتح بن خاقان

قال فى كتابه قلائد العقيان فى ترجمة أبى الفضل بن حَسْداى[(٤)] :

ولمـا أعرسَ المستعينُ بالله بِبِنت الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتَمَن بالله فى ذلك احتفالا شَهره ، وأبدع فيه إبداعا راقَ مَن حضَره وبهَره ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ فى أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هى بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعا فقيل : ما يوم ... الخ .

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤتمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا وأسلم وله كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألباب ، وقطع دون معرفتها الأسباب، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من دان وقاص، ومطيع وعاص، فأتوه مسرعين، ولبوه متبرعين، وكان مدير تلك الإراغة (١) وما بردها، ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل، وصدرت عنه فى ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها ، وبهر اقتضابها وإيجازها. فمن ذلك : ما خاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر:

"محلك أعزك الله فى طى الجوانح ثابت و إن نزحت الدار ، وعيانك فى أحناء الضلوع باد و إن شحط المزار، فالنفس فائزة منك بتمثيل الخاطر بأوفر الحظ ، والعين نازعة إلى أن تتمتع من لقائك بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبغ بردا ، ولا موهبة أسوغ وردا، من تفضلك باللحوق إلى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه، ويتصل بمحاضرتك انتظامه . ولك فضل الإجمال، بالإمتاع من ذلك بأعظم الآمال . وأنا (أعزك الله) على شرف سؤددك حاكم، وعلى مشرع سنائك حائم . وحسبي ما تتحققه من نزاعى وتشوقى، وتتيقنه من تطلعى وتتوقى . وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة ، واعترض الاقتراح ، بارتهاب الصلة . وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك ، وبارع كرمك ، تنشئ للمؤانسة عهدا ، وتورى بالمكارمة زندا، وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا . لا زلت مهنأ بالسعود المقتبلة، مسوغا اجتلاء غرر الأمانى المتهللة بمنه .

---

(١) الإراغة : الإرادة والطلب والدعوة .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجى (١)

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعةً بالعدل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومِنَحًا يبسُطها إذا شاءَ ترفيهاً وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلُها صلاحاً وخيْرا ، وعلى آخرين فسادا وضَيْرا : ﴿وهو الذى يُنزِلُ الغيثَ مِن بَعْدِ ماقَنَطوا وَيَنْشُرُ رحمتَه وهو الوَلىُّ الحميد﴾ . وإنه بعد ما كان من امتساك الحَيا (٢) ، وتوقُّف السُّقيا الذى رِيعَ (٣) به الآمِن ، واستُطيرَ له الساكن ، ورجَفت الأكباد فزعًا ، وذهلت الألبابُ جزَعا ، وأذكتْ ذُكاءُ (٤) حرَّها ، ومَنَعت السماءُ دَرَّها ، واكتسَت الأرضُ غُبرةً بعد خُضرة ، ولبِسَتْ شُحوبا بعد نَضْرَة ، وكادت بُرودُ (٥) الأرض تُطوَى ، ومُدُودُ (٦) نِعَم الله تُزْوَى (٧) — نشرَ اللهُ تعالى رحمتَه ، وبسَطَ نِعمتَه ، وأَتاح (٨) مِنّتَه ، وأزاح مِحنتَه ، فبعث الرياحَ لواقِحَ ، وأرسل الغمامَ سَوافِحَ ، بماء دَفَق ، ورَواء (٩) غَدَق ، مِن سماء (١٠) طَبَق ،

---

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة فى عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر . (٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيأ وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذى يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

استهلّ جفنُها فدمع، وسحّ دمعُها فهمع، وصاب وبلُها فنقع، فاستوفت الأرض ريًّا، واستكملت من نباتها أثاثا ورِئْيا[1]، فزينةُ الأرض مشهورة، وحُلّةُ الروض منشورة، ومِنة الربِّ موفورة، والقلوبُ ناعمةٌ بعد بُوسها، والوجوهُ ضاحكةٌ بعد عُبوسها، وآثارُ الجزع ممحوّةٌ، وسُورُ الحمد متلوّةٌ، ونحن نستزيدُ الواهبَ نعمةَ التوفيق، ونستهديه فى قضاء الحقوق إلى سواءِ الطريق، ونستعيذُ به من المِنّة أن تصيرَ فِتْنة، ومن المِنْحة أن تعودَ مِحْنة. وهو حسبنا ونعم الوكيل!

(٤) ابن خفاجة[2]

فصل من رسالة فى وصف رياض غب مطر:

ولما أكَبَّ الغمامُ إكبابا، لم أجِدْ منه إغبابا[3]، واتّصَلَ المطرُ اتصالا، لم أُلْفِ منه انفصالا، أَذِنَ اللهُ تعالى للصَّحْوِ أن يُطلِعَ صَفْحَتَه، ويَنْشُرَ صَحِيفَتَه، فقشَعت الريحُ السحابَ، كما طوَى السِّجِلُّ الكتاب، وطفِقَتِ السماءُ تخلَعُ جِلْبابَها، والشمسُ تُميطُ نِقابَها، وطلعَتِ الدُّنيا تبتَهِجُ كأنَّها عَرُوسٌ تجلَّتْ، وقد تحلَّتْ، فذهبتُ فى لُمَّةٍ من الإخوان نَسْتَبِقُ الى الراحةِ رَكْضًا، ونَطْوِى للتَّفرُّجِ أرضًا؛ فلا أنْدَفِعُ إلا إلى غَدِيرٍ نَمِيرٍ، قد استدارَتْ منه فى كلِّ قرارةٍ ماء، سحابةٌ غَمَّاء[4]، وانساب، فى تلعته حَباب. فتردَّدْنا بتلك الأباطِحِ تتهادى تهادِىَ أغصانها، وتتضاحَكُ تضاحُكَ أُقحوانها،

(١) الرِئْىُ: الثوب بجمال المنظر. (٢) مرت ترجمته عند شعره.

(٣) الاغباب: أن يجىء المرء القوم يوما ويغيب يوما. والمعنى أن الغمام لم يغب يوما بل بقى هاطلا.

(٤) الغماء: السحابة لا فرجة فيها أى أشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب السماء الملتئمة.

وللنسيم، أثناءَ ذلك المَنظر الوَسيم ترَسُّلُ(١) مشى، على بِساط وَشْى ؛ فاذا مرَّ بِغَـديرٍ نَسَجَهُ دِرعا، وأحكَمَه صُنعًا، وإن عَثَرَ بجدولٍ شَطَبَ(٢) منه نَصْلًا(٣)، وأخلَصَه صَقْلا ؛ فلا تَرَى إلا بِطاحا ، مملوءَة سِلاحا ؛ كأنَّما أنهزمتْ هنالك كتائبُ ، فألقَتْ بما لَبِستْهُ مِن دِرعٍ مَصْقُول، وسَيفٍ مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبى عامر بن عقَال(٤)

كتب به عن الأمير ابراهيم يصف إجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة، وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى جزيرة طريف على بَحْرٍ ساكنٍ قد ذَلَّ بَعْـدَ استصعابه ، وسَهُلَ بعد أن رأَى الشامخَ من هضابه ،وصارَ حَيُّه مَيْتًا، وهَدْرُه صَمْتا، وجبالُه لا تَرَى فيها عِوَجا ولا أَمْتًا، وضَعُفَ تعاطِيه ، وعقَـدَ السِّلمَ بين مَوجه وشاطِيه ، فعَبَرَ آمنا مِن سَطَواتِه، مُتَمَلِّكًا لصَهَوَاته، على جَوادٍ يَقطَعُ الحروفَ لَمْحًا، ويكادُ يسبِقُ الريحَ سَبْحًا، لم يَجْمل لجاما ولا سَرْجا ، ولا عَهِدَ غيرَ اللجة الخَضراءِ مَرْجا، عِنانُه فى رِجْله(٥) ، وهُدْبُ العَيْن يَحْكى بَعْضَ شَكْلِه ، فلله درُّه مِن جَواد، له جِسم وليس له فُؤاد، يَخرِق الهواءَ ولا يرهَبُه، ويَركَبُ المـاءَ ولا يَشْرَبُه .

---

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة . (٢) أى أن النسيم يجعد صفحة المـاء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة . (٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه حزوزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول فى صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كأن أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لمـا ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ؛ فكان كاتب إنشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف مترامية متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ج) النثر العلمى

باب ما يهمز فيكون له معنى، فاذا لم يهمز كان له معنى آخر من كتاب المخصص (١)

يقال : قد روّأت فى الأمر، وقد روّيتُ رأسى بالدهن. وقد تملأْت من الطعام والشراب، وقد تملّيتُ العيش : إذا عشتُ مليا أى طويلا . وتقول : قد تخطّأْتُ له فى هذه المسألة، وقد تخطّيتُ القدمَ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرءانَ وماقرأت الناقةُ سلًى قط ، أى لم تُلق ولدًا أراد أنها لم تحمل، وقد قريتُ الضيف. وقد سوّأت عليه ما صنع : اذا قلتُ له : أسأتَ، وقد سوّيت الشىءَ . والعرب تقول : إن أصبتُ فصوّبنى، وإن أخطأتُ فخطّئنى، وإن أسأتُ فسوّئْ علىّ . وقد خبأ الشىءَ يخبؤه خبئا — وقد خبت النارُ خُبُوًّا — اذا ذهب لهبها، وقد برأتُ من المرض أبرأُ بُرْءًا، وقد بريتُ القلم . وقد بارأتُ شريكى — إذا فارقته — وقد بارأ الرجل امرأته، وباريتُ فلانا اذا كنتَ تفعلُ ما يفعلُ؛ وفلان يُبارى الريحَ سخاءً .

---

(١) صاحبه أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الضرير المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ عن ٦٠ سنة .

المغرب وممالك البربر

(١) الشعـــــر

(١) على بن محمد الإيادى

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمى قال :

اعْجَبْ لِأسطول الإمامِ مُحمَّـدِ ... ولِحُسْنِهِ وزَمانِه المُستغْرَبِ
لبِسَتْ به الأمواجُ أحْسَنَ مَنْظَرٍ ... يَبْدو لِعَيْنِ الناظر المستَعْجِبِ
مِن كلِّ مُشْرِفَةٍ على ما قابَلَتْ ... إشرافَ صَدْرِ الأجْدَلِ المُتَنصِّبِ (١)
دهماءُ قد لبِستْ ثِيابَ تصنُّعٍ ... تَسْبي العُقولَ على ثِيابِ تَرَهُّبِ (٢)
من كلِّ أبيضَ فى الهواءِ مُنَشَّرٍ ... منها ، وأسحَمَ فى الخَليجِ مُغَيَّبِ (٣)
محفوفةٍ بمجادِفٍ مَصْفُوفةٍ ... فى الجانبين دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ (٤)
كقوادمِ النَّسْرِ المُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ ... من كاسِيات رياشه المُتَهَدِّبِ (٥)
وتَحُثُّها أيدى الرجال اذا وَنَتْ ... بمُصَعَّدٍ منها بعيدٍ مُصَوَّبِ

---

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هى النقوش المصطنعة ، وثياب الترهب هى طلاء القار الأسود الذى عليها من أسفل لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظاهر والمتن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرصوفة بقوادم النسر .

خَرْقَاءُ تذهَبُ إنْ يَدٌ لم تَهْدِهَا ... فى كل أوبٍ للرياح ومَذْهَب
جوفاءُ تحمِلُ كوكبًا فى جَوْفِها ... يَوْمَ الرِّهانِ، وتَسْتَقِلُّ بِمَوْكب
ولها جناحٌ يستَعارُ لطَيْرِها ... طَوْعَ الرياح وراحةِ المتَطَرِّبِ
يعلو بها حَدَبَ العُباب مُطارةً ... فى كل لُجٍّ زاخِرٍ مُغْلَوْلِب
تسمو بأجرَدَ فى الهواءِ مُتَوَّج ... عُريانَ مَنْسُوج الذُّؤابةِ شَوْذَبِ(١)
يَتَرَكَّبُ المَلَّاحُ منهُ ذُؤابَةً ... لو رامَ يركَبُها القَطَا لم يَرْكب
فكأنَّما رَامَ اسْتِراقَةَ مقعدٍ ... للسَّمْعِ إلا أنَّهُ لم يُشْهَب
وكأنَّما جِنُّ ابن دَاودٍ هُمُ ... رَكِبُوا جَوانِبَها بأعْنَفِ مَرْكَب
سَجَرُوا جوانبَ نارِها، فتقَاذَفُوا ... مِنها بألْسُنِ مارِجٍ متَلَهِّب
من كُلِّ مَسجُونِ الحَرِيقِ اذا انبَرى ... من سِجنِهِ انصلَتَ انصلاتَ الكَوكَب (٢)
عُريانَ يَقْدُمُهُ الدُّخانُ كأنَّه ... صُبْحٌ يكُرُّ على الظَّلام الغَيْهَب
ولَوَاحِقٍ مِثْلِ الأَهِلَّةِ جُنَّح ... لُحُقَ المُطالب فائِتَاتِ المَهْرَب
يذهَبْنَ فيما بينهُن لَطافَةً ... ويجِئْن فِعْلَ الطائرِ المُتَغَلِّب
كنضانِضِ الحَيَّاتِ رُحْنَ لَواعبًا ... حتَّى يَقَعْنَ ببِرْكِ مَاءِ المِيزَب
شَرَجُوا جوانبَها مجادفَ أتعبَت ... شأْوَ الرِّياحَ لها، ولمَّا تَتْعَب
تَتْصاعُ مِنْ كَثَبٍ كما نفر القطا ... طَوْرًا، وتجْتَمِعُ اجتماعَ الرَّبْرَب

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع: يريد به الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب.

(٢) كانوا يرمون بقدور وقنانى من الزجاج والفخار بها سائل من نفط ومواد ملتهبة يتقذفون بها مراكب العدو وهى النار الإغريقية التى جهل الآن تركيبها.

والبَحْــرُ يجمَــع بينَهـا فكأنَّه | ليْـلٌ يقربُ عقربًا من عقْرب
وعلَى كواكِبِها أُسُــودُ خِلافَــةٍ | تختـالُ فى عُدَدِ السـلاحِ المُرْهِب
فكأنمـا البحرُ اســتعارَ بزِيِّهـم | ثوبَ الجمـالِ مِنَ الربيـعِ المُذْهب

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القَيْرَوانى (١)

قال يتشوّق الى مصر ومعاهده بها . وكان رحل اليها بهدية من باديس بن زيرى الى الحـاكم بأمر الله الفاطمى :

هَلِ الرِّيحُ إنْ سارَتْ مُشَرِّقَةً تَسرِى | تُؤدِّى تحيّـاتِى الى ساكِنِى مِصْر
فمـا خَطَرَتْ إلَّا بكَيْتُ صَبـابَةً | وحَمَّلتُها ماضاقَ عن حَمْلِه صَدْرى
ترَانى إذا هبَّتْ قَبُــولا بنَشْرِهِمْ | شمِمْتُ نَسيمَ المِسْكِ فى ذلك النَّشْر
وإنْ أنْسَ مِن شَىْءٍ سِوَى العَهْد دُونَه ؛ | فليس بخَالٍ من ضَميرِى ومِنْ فِكرِى
ليَـالِىَ أُنسِـناها عَلَى غِرَّةِ الصِّـبا | فطابَتْ لنا إذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدهر
لَعمرِى لَئِن كانت قِصارا أعدُّها | فَلستُ بمعتَــدٍّ سِـواها مِنَ العُمْر
أُخادِعُ دَهرِى أن يعُودَ بِفرصَةٍ | فَيُنقِذَ رُوحَ الوَصْلِ من راحةِ الهَجْر
وترجِـعُ أيَّامٌ خَلَتْ بمعَاهِــدٍ | مِنَ اللَّهْوِ لا تَنفَكُّ مِنِّى عَلَى ذُكْر
فكَمْ لِىَ بالأَهْرَامِ أو دَيرِ نَهْيَـةٍ | مَصايِدُ غِزْلان المَكايِدِ والقَفْر (٢)

---

(١) هو ابراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة فى دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ إفريقية أثنى عليه ياقوت وتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان، وغزلان القفر ما يصاد فى بادية الهرم .

الى الجيزةِ الدُّنيَا ومَا قد تَضَمَّنَتْ جَزيرتُهـا ذاتُ النواعِيرِ والجسْرِ
وبالمَقْسِ والبُسـتانِ للعَيْنِ مَنْظَرٌ أنيقٌ الى شَاطِئِ الخليجِ الى القَصْرِ (١)
وفى سَرَدُوسٍ مُسْـتَرَادٌ ومَلْعَبٌ الى دَيْرِ مَرْحَنَّا الى ساحِلِ البَحْرِ (٢)
وكَمْ بَيْنَ بُستانِ الأَمِيرِ وقَصْرِهِ الى البِرْكَةِ الزَّهْرَاءِ من زَهَرٍ نَضْرِ
تَرَاهَا كَمِرءاة بَدَتْ فى رَفارِفٍ مِنَ السُّنْدُسِ المَوْشِىِّ يُنْشَرُ للتَّجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى (٣)

قال يتغـــزل :

أمَا ومَحَلِّ حُبِّـكَ مِن فُؤَادِى وقَــدْرِ مَكانِه فيــه المَكِينِ
لو انبسَطَتْ لِى الآمالُ حَتَّى تُصَيِّرَ مِن عِنانِكَ فى يَمِيـنى
لَصُنْتُكَ فى مَكانِ سَوَادِ عَيْنِى وخِطْتُ عليكَ مِنْ حَذَرٍ جُفُونِى
فأَبلُغَ مِنـكَ غاياتِ الأَمَانِى وآمَنَ فِيـكَ آفاتِ الظنونِ
فلِى نَفْسٌ تجــرَّعُ كُلَّ حِينٍ عَلَيْكَ بِهِنَّ كَاساتِ المَنُونِ (٤)
اذا أَمِنَتْ قُلُوبُ الناسِ خافَتْ عليـكَ خَفِىَّ ألحـاظِ العُيونِ

(١) المقس موضــعه الآن : مسجد أولاد عنان . و يريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القــاهرة . و يريد بالقصر القصر الكبير . وموضــعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليــلى وخان جعفر و بيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى إمام العربية والأدب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبه على حروف المعجم ، وكان أديبا كاتبا شاعرا رقيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ ﻫ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِي وُدًّا ولا تُظْهِرُوهُ   يَهْدِهِ مِنْكُمْ إلىَّ الضَّمِيرُ
ما أُبالِي إذا بَلَغْتُ رِضاكُمْ   فى هَوَاكُمْ لأىِّ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن على الحُصْرىُّ القَيْرَوَانىّ (١)

قال :

يا هَلْ بَكَيْتُ كما بَكَتْ   وُرْقُ الحمائِمِ فى الغُصُونِ
هَتَفَتْ سُحَيْراً والرُّبا   للقَطْرِ رَافِعَةُ الجُفُونِ
فكأنما صاغَتْ عَلَى   شَجْوِى شَجَا تلك اللُّحُونَ

وقال :

كَتَمْتُ هواكِ حتى عِيلَ صَبْرِى   وأَدْنَتْنِى مُكاتَمَتِى لِرَمْسِى
ولَمْ أَقْدِرْ على إخفاءِ حَالٍ   يَحُولُ بها الأَسَى دُونَ التَّأَسِّى
وحُبُّكِ مالِكٌ لَحْظِى ولَفْظِى   وإظهارِى وإضمارِى وحِسِّى
فإن أَنطِق فَفِيكِ جميعُ نُطْقِى   وأَنْ أَسْكُتْ فَفِيكِ حديثُ نَفْسِى

(٥) ابن رشيق القيروانى (٢)

قال :

أُحِبُّ أخى وإن أعرَضْتُ عَنْهُ   وقَلَّ عَلَى مسامِعِهِ كَلامى
ولِى فى وجْهِهِ تقطيبُ راضٍ   كما قَطَّبْتَ فى وَجْهِ المُدَامِ

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذى لم يؤلف المتقدمون مثله فى نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجى خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه ويناقسه فى كل صناعته ابن شرف . توفى ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٦ هـ . بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

وربَّ تجهُّمٍ من غيرِ بُغْضٍ — وضِغْنٍ كامِنٍ تحت ٱبتسام

وله أيضاً :

مَن جفانى فإنّنى غيرُ جافٍ — صِلةٌ أَوْ قطيعةٌ فى عَفاف

رُبَّما هاجَرَ الفتى مَن يُصافيهِ — وَلاقَى بالبِشرِ مَن لا يُصافى

وقال :

ومِن حَسناتِ الدّهرِ عندىَ ليلةٌ — مِنَ العُمْرِ لم تَتْرُكْ لأيّامِها ذَنْبا

خَلَوْنا بها نَنْفِى القذَى عن عُيونِنا — بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبا(١)

وله أيضاً :

فى النّاسِ مَن لا يُرتَجَى نَفْعُهُ — إلّا إذا مُسَّ بإضْرارِ

كالعُودِ لا تَطْمَعُ فى طِيبِهِ — إن أنْتَ لم تَمْسَسْهُ بالنّار

وقال :

ولَوْ غَيْرُكَ الموسومُ عِندى برِيبةٍ — لأعْطَيْتُ فيه مُدَّعِى القومِ ماٱدّعَى

فلا تَتَخالَجْكَ الظنونُ فإنّها — مأثمُ واتْرُكْ للصنائعِ مَوْضِعاً

فواللهِ ما طَوَّلْتُ باللوم فيكمُ — لِساناً ولا عَرَّضْتُ للذّمّ مَسْمَعا

ولا مِلْتُ عنكم بالودادِ ولا ٱنطوتْ — حِبالى ولا وَلّى تَنائى مُودِّعا

بَلَى رُبّما أكرمتُ نفسى فلم تَهُنْ — وأجْلَلْتُها عن أنْ تَذِلّ وتَخْضَعا

فبايَنْتُ لا أنّ العَداوةَ بايَنَتْ — وقاطعتُ لا أنّ الوفاءَ تَقَطّعا

---

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمرا .

(٦) ابن شرف القَيروانىّ (١)

من قوله :

إنْ تَدْعُكَ الغُــربةُ فى مَعشَر قَدْ جُبِـلَ الطبـعُ على بُغْضِهمْ
فدارِهِــمْ ما دُمْتَ فى دارِهِــمْ وأَرْضِهِمْ ما دُمتَ فى أرضهم

وقــوله :

إحْذَرْ محاسِنَ أوجُهٍ فَقَدَتْ محا سِنَ أَنْفُسٍ ، وَلَو أنّها أَقْمَـارُ
سُرُجٌ تَلوحُ اذا نَظَرْتَ فإنّهـا نُورٌ يضِىءُ وإن مَسَسْتَ فَنَارُ

وقوله فى العود :

سَقَى اللهُ أرضًا أنبَتَت عودَكَ الذى زَكَتْ منه أغصانٌ، وطَابَتْ مَغَارِسُ
تَغَنّى عليهِ الطّيرُ، والعُــودُ أَخْضَرٌ وغَنّتْ عليـهِ الغِيدُ ، والعُودُ يابِسُ

وقــوله :

لا تسأَلِ الناسَ والأيامَ عَن خَبَرٍ هُمَـا يبثَّانِكَ الأَخْبَـارَ تَطْفِيـلا
ولا تُعَاتِبْ على نَقْصِ الطباعِ أَخًا فإنّ بَدْرَ السَّمَا لم يُعْطَ تكميلا
لا يُؤْيِسَــنَّكَ مِن أَمْرٍ تَصَعّـُبهُ فاللهُ قد يُعقِبُ التَّصْعِيبَ تَسهيلا
يِـعْ مَن جفاكَ ولا تبخَلْ بسلْعَتِهِ واَطلبْ بهِ بَدَلا إنْ رَامَ تبـديلا
وصَيِّرِ الأَرْضَ دارًا والوَرَى رَجُلًا حتى تُرى مُقْبِلًا فى الناس مَقبُولا

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى . كان قرين ابن رشيق فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفى سنة ٤٦٠ هـ بالمرية . ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موجع ومدح بليغ ووصف بديع ، و يشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

وقـولُه :

يا ثاوياً في مَعْشَر — قـد ٱصطلَى بنارِهِمْ
إن تَبْكِ من شَرارِهِم — على يَدَىْ شِرارِهِمْ
أو تُرْمَ من أحْجارِهِم — وأنتَ في أحْجارِهِمْ
فما بقيتَ جارَهُـمْ — ففِى هواهُمْ جارِهِم
وأرضهم فى أرضهم — ودارهم فى دارِهِـمْ

(٧) عبد الجبار بن حَمْديس (١)

قَال يصف بركة يجرى اليها المـاء :

من شاذَرْوان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر منها ما يقـذف المـاء صعدا، ومنها ما يحدره الى أسفل، ومنها ما يُقَطِّعه كرات وبنادق :

والمـاءُ منه سَبَائِكٌ من فِضَّةٍ — ذابَتْ على دُولاب شاذَرْوَان (٢)
فكأنما سَيْفٌ هناك مُشَطَّبٌ — ألْقَتْه يومَ الرَّوْع كَفُّ جَبَان (٣)
كَمْ شاخِص فيه يُطيلُ تَعَجُّباً — من دَوْحَة نَبَتَتْ من العِقْيَان (٤)
عَجَباً لها تَسْقِى هنَـاك يَنَائِعاً — يَنَعَتْ من الثَّمرات والأغْصان (٥)

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدى الصقلى أحد وصافى الطبيعة والمصانع البديعة. نشأ بمدينة سرقوصة من صقلية فى أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندى هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ هـ . (٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا . (٣) شبه المـاء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب . ويظهر أن التماثيل كانت من شبه أو صفر .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرةٍ على فَنَنٍ لهـا | حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حسنُها من ثَانى
قُسُّ الطيور السَّاجِعَات بلاغةً | وفصاحةً من مَنْطِق وبَيَـانِ [1]
فإذا أُتِيحَ لها الكلامُ تَكَلَّمَتْ | بِخَـرِيرِ ماء دائم الهَمَلَانِ
وكأن صانِعهَا ٱسْتَبَدَّ بصنعةٍ | نَفَـرَ الجَمَادُ بهـا على الحيوان
أَوْفَت على حوْض لها فكأنها | منها الى العَجَبِ العُجَاب رَوانِ
وكأنهـا ظَنَّتْ حلاوةَ مائهـا | شَهْـدًا فَذَاقَتْـهُ بِكُلِّ لِسَان
وزرافة فى الجَوِّ من أُنْبوبِهـا | ماءٌ يُرِيكَ الجَـرْىَ فى الطَّيَرَانِ
مَرْكُوزَة كالرُّمْح حيث ترى له | من طَعْنِهِ الحَلَقَ انعِطَاف سِنَان [2]
وكأنمـا ترمى السماءَ بِبُنْـدُق | مُسْتَنْبَط من لُؤْلُؤ وجُمَان
لو عاد ذاك المـاءُ نِفْطًا أَحْرقت | فى الجو منه قميصَ كلِّ عَنَانِ
فى بِرْكـة قامت على حافاتها | أُسْـدٌ تَذِلُّ لِعِـزَّةِ السُّلْطَانِ
نَزَعت إلى ظُلْم النفوس نُفُوسُها | فلذلك انْتُزِعَت من الأبدان
وكأنمـا الحَيَّاتُ من أفواهِها | يَطْـرَحْن أنفسَهن فى غُدْرَانِ
وكأنما الحيتانـ إذْ لم تخشها | أَخَذت من المنصور عهد أمان [3]

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حبـذا دار قضى الله أنهـا | يُجَـدَّدُ فيهـا كلُّ عز ولا يَبْـلَى
وما هى إلا خِطَّـةُ المَلِكِ التى | يُحَطُّ إليهـا كلُّ ذى أمـل رَحْلَا

---

(١) كان الماء إذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الحلق : الدروع . (٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحت أبوابُها خِلْتَ أنها ... تقول بترحيب لداخلها : أهْلا!
وقد نَقَلَتْ صُناعها من صفاته ... إليها أفانينًا ، فأحسَنت النَّقْلا
فمن صَدْرِه رُحْبًا، ومن نوره سنًى ... ومن صيته فرعًا، ومن حلْمه أصْلا
فأعلَتْ به في رُتبةِ المُلْك ناديًا ... وقلّ له فوق السّماكين أن يَعلى
نسيتُ به إيوانَ كسرى لأنّنى ... أراه له مَوْلًى من الحسن لا مِثْلًا
ترى الشمس فيه لِيقَةً تستمدّها ... أكفٌّ أقامت من تصاويرها شكلا (١)
لها حركاتٌ أُودعتْ فى سُكونها ... فما تبِعتْ من نقلهنّ يدٌ رِجلا
ولما عَشِينا من توقّد نُورها ... تخِذْنا سناه فى نواظرنا كُحْلا

(ب) النثر الفنى

(١) التلمسانى (٢)

قال فى الفراق :

الدهرُ ذو غِيَرٍ، ومَن ذا يحكُمُ على القَدَر؟ وما ضَرّه لو غفَل قليلا، وشَفَى بلقاء الأحِبّةِ غَليلا، وسَمَح لنا بساعة اجتماع، ووصل ذلك الأمل القصيرَ بباع، وزَوَى (٣) مَسافةَ أيام، كما طَوَى مَراحلَ أعوام. يامُؤْيِسِى (٤)، أفلا أشفقتَ مِن عذابى، وسَمَحْتَ ولو بسلام أحبابى، أسلمْتنى الى ذَرْع (٥) البِيد، ومُحالَفةِ الذَّميل (٦) والوَخيد،

(١) الليقة : القطنة ونحوها توضع فى الدواة .

(٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبتة . دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ هـ بسبتة عن سن عالية .

(٣) زوى : طوى . (٤) يخاطب الدهر . (٥) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٦) ضربان : من سير الإبل وغيرها .

والتنقّلِ فى المشارق والمغارب ، والتمطّى فى الصَّهوات والغَوارب (١) . ياسائقَ البَـيْن دَعْ تحمُّلَه ، فما بَقِىَ فى الجسم لَنْ يَحْمِله ، ويابناتِ جَدِيل (٢) ، ما لَكُنَّ وللذَّميل؟ ثم مَا للزاجر الكاذب ، وللغراب الناعب ؟ يجعَـلُه نذيرَ الجلا ، ورائدَ الخلَا ، ما أَبعدَ ابن زَاجِر (٣) عن دَارِ الزاجر، إنمـا فعَلَ ما ترى ، ذاتُ الغَارِب والقَرَا (٤) ، المختالةُ فى الأَزِمَّة والبُرَى (٥) ، والمتردِّدةُ بين التأويب والسُّرى (٦) ؛ طالمَـا باكَرَتِ النَّوى (٧) ، وصَدَعَت صَدْع الهَوى ، وتركت الهائم بين رَبع مُحِيل (٨) ، ورَسمٍ مُستحيل (٩) ، يَقْفو الأَثرَ بجهده ، ويسألُ الطللَ عن عهده . وإنْ أنصفْتَ فما لِعِـيرٍ مَقُودَة ، وإبل مطرودة (١٠) ، غُلّتْ (١١) عن الحَـوْض والشَّوْط (١٢) ، وأُسلِمَتْ إلى الحَبْل والعصا والسَّوْط . ولو خُيِّرَ البازى لأَقام ، ولو تُرِك القَطَا لَيلًا لنام ؛ لكنَّ الدَّهرَ أبُو بَرَاقش (١٣) ، وسهمُ بَيْنِه بين بَنِيهِ غيرُ طائش ، فهو الذى شَتَّتَ الشَّـمْلَ وصَدَعه ، وما رُفِـعَ سَقْفٌ بِعِمادِه إلّا وَضَعَه ، ولا بَلَّ غَليلًا أَحرقَه بنار وجده ولا نَقَعَه .

---

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جديل : النوق الكريمة تنسب إلى أبيها جديل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق . (٨) مضى عليه حول . (٩) متغير .

(١٠) إبل الميرة . (١١) شربت ولم ترو . (١٢) مجرى الماء بين جبلين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ج) النـــثر العـــلمى

لابن شَرف القَيْروانى[١] فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله محمد بن شرف القَيْرانى :

هذه أحاديثُ صُغتها مختلفةَ الأنواع، مؤتلفةً فى الأسماع، عربياتِ المواسم، غريبات التراجم، واختلقت فيهـا أخباراً فصيحات الكلام، بديعاتِ النظام، لها مقاصدُ ظِراف، وأسانيدُ طِراف، يروقُ الصغيرَ معناها، والكبيرَ مغزاها، وعَزَوْتُها إلى أبى دَيَّان الصَّلْتِ بن السَّكَن من سَلامان[٢]، وكان شيخًا هِمًّا[٣] فى اللسان، وبَدرا تمًّا فى البيان. قد بَقِىَ أحقابا . ولَقِىَ أعقابا، ثم أَلْقَتْهُ إلينا مِن باديته الأَزَمات، وأَوْرَدَتْه علينا العَزَمات. فامْتَحنا[٤] مِن عِلمه بحرًا جاريا، وقَدَحْنا من فَهمه زَنْدا وَاريا، وأَدْرَنا من بِرّه طرفا، واجتنينا من ثمره طُرفا. ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِل، وغفلةُ الزمان تَهْتَبل[٥]: واحتذيتُ فيما ذهبتُ اليه، ووقَعَ تَعريضى عليه، مِن بَثّ هــذه الأحاديث ما رَأيتُ الأوائلَ قد وضعتْه فى كتاب كليلة ودمنة، فأضافوا قولَ الحِكْمَة الى الطير الحوائم، ونَطَقُوا به على ألســنة الوَحْش والبهائم لِتَتعلَّقَ به شَهَواتُ الأَحداث، وتُسْتَعذَبَ بسَــمَره

(١) تقدّمت : ترجمته عند شعره .

(٢) سلامان : بطن من طيْ وهم سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيْ .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى، يريد كبيرا فى فصاحة اللسان .

(٤) امتح الماء : نزعه من بئر ونحوه .

(٥) تهتبل : تغتنم .

ألفاظ الحُـدّاث . وقد نحا هـذا النحوَ سهلُ بن هارون الكاتب فى تأليفه كتاب النمِر والثعلب، وهو مشهور الحكايات بديعُ المراسلات، مليح المكاتبات . وزَوّرَ أيضا بديع الزمان، الحافظ الهمذانى . وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين، مقامات كان يُنشئُها بديهًا فى أواخر مجالسه، وينسبُها الى راوية رواها له يُسمِّيه عيسى ابنَ هشام . وزعم أنه حدّثه بها عن بليغ يُسَمّيه أبا الفتح الاسكندرى . وعددُها فيما يزعم رُواتها أربعمائة مَقامـة؛ إلا أنها لم تصِلْ هـذه العِدةُ الينا . وهى متضمنةٌ معانىَ مختلفة، ومبنية على مبانِىَ شتّى غير مؤتلفة، لينتفع بها من الكتّاب والمحاضرين مَن صَرَفها مِن هَزْل الى جدّ . ومِن ندّ الى ضِدّ . فأقمتُ من هـذا النحو عشرين حديثا، أرجو أن تُبيِّنَ فضلَها، ولا تقصر عما قبلها . ولعمرى ما أشـكُرمن نفسى ولا أُثْنِى على شىء من حِسى، إلا ظفَرى بالأقل ممـا حاولتُه، على ما أضْرَمَته نيرانُ الغربة من قلبى ، وثَلَمتْه صَـعقاتُ الفِتنة من لُبّى ، وقطعتْ أهوالُ البَرِّ والبَحر من خواطرى، وأضعفَت الوَحشةُ والوَحدة من غرائِزى وبضائرى،لكنّ نيةَ القاصد وسعةَ المقصود،أعانا ذا الوُدّ على إتحاف المودود . واللهَ أسألُ توفيقا، ينهَجُ لنا الى الرشد طريقا .

عصر المماليك والعثمانيين

(أ) الشـــعر

(١) شمس الدين محمود الكوفى

قال فى رثاء بغـــداد :

إنْ لم تُقَرِّحْ أدمُعِى أجفـانى — من بَعْدِ بُعْدِكُمُ — فما أجْفانى
إنسانُ عينِى مذ تناءتْ دارُكُمْ — ما راقَهُ نظـرٌ الى إنسانِ
يا ليتنى قد مِتُّ قبـلَ فِراقِكمْ — ولساعةِ التوديعِ لا أحيـانى!
مالى وللأيامِ شتَّتَ خَطْبُهـا — شمـلِى؟ وخَلَّانِى بلا خُـلانِ
ما للمنـازِلِ أصبحتْ لا أهلُها — أهـلى، ولا جيرانُهـا جيرانى
وحياتِكم ما حلَّها من بَعْـدِكم — غيرُ البِـلَى والهـدمِ والنيران
ولقدقصدتُ الدارَ بعدرحيلِكمْ — ووقفتُ فيها وِقْفَـةَ الحيران
وسألتُها لـكن بغـيرِ تكلـم — فتكلمتْ لـكن بغـيرِ لسانِ
ناديتُها يا دارُ، ما صنع الألَى — كانوا هُمُ الأوطارَ فى الأوطانِ ؟
أينَ الذين عهِـدْتُهم ولعزِّهم — ذُلًّا تَخِـرُّ مَعَاقِدُ التِّيجانِ ؟
كانوا نجومَ من آقتدَى فعليهمُ — يبكِى الهُـدَى وشعائرُ الإيمـانِ
قالت : غدَوا لمـا تبدد شملهم — وتبدلوا من عِزِّهم بهوانِ !
كَدَمِ الفِصَادِ يُراقُ أرذَلَ موضع — أبدًا ويخـرُجُ من أعزِّ مكانِ

أفنتهم غِيَرُ الحوادث مثلما — أفنتْ قديما صاحبَ الإيوان
لما رأيتُ الدارَ بعد فِراقِهِمْ — أضحتْ مُعَطَّلَةً من السكانِ
مازلتُ أبكيهم وألثُمُ وَحْشَةً — لجمالهم مُتَهَدِّمَ الأركان
حتى رَثَى لى كلُّ مَنْ: ما وَجْدُهُ — وجدِى، ولا أشجانُه أشجانى
أَتُرَى تعودُ الدارُ تجمعنا كما — كنا بكلِّ مَسَرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحنُ نغتنمُ الزمانَ ونجتنِى — بيد الأمانِ قُطوفَ كلِّ أمانِ

(٢) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (١)

قال : عَرِّجْ على الزَّهْرِ يا نَدِيمِى — ومِل الى ظِلِّهِ الظَّلِيلِ
فالروضُ يَلقاكَ بابتسامٍ — والريحُ تلقاكَ بالقَبُولِ

وقال :

وتنبَّهَتْ ذاتُ الجَنَاحِ بسُحْرَةٍ — بالوادِيَيْنِ فَنَبَّهَتْ أشواقى (٢)
ورْقاءُ قد أخذتْ فُنونَ الحُزْنِ عن — يعقوبَ والألحانَ عن إسحاق (٣)
قامت تطارِحُنِى الغرامَ جَهالةً — من دون صَحْبِي بالحِمَى ورِفاقى
أنَّى تُبارِينِى جَوًى وصَبابةً — وكآبةً وأَسًى وفَيْضَ مَآقِ
وأنا الذى أُمْلِى الجَوَى من خاطرى — وهِىَ التى تُمْلِى من الأوراقِ (٤)

---

(١) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبه يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ هـ .

(٢) ذات الجناح : الحمامة والسحرة : قبيل الفجر .

(٣) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام وإسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وهو المراد .

(٤) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

(٣) الشاب الظريف (١)

قال :

لا تُخفِ ما فعلتْ بكَ الأشـواقُ وأشرحْ هـواكَ فكلُّنـا عُشّاقُ
فعسَى يُعينكَ من شكوتَ له الهوى في حمـلهِ؛ فالعاشقون رِفاقُ
لا تَجْزَعَنَّ؛ فلستَ أوّلَ مُغـرمٍ فتكتْ به الوَجَنـاتُ والأحْداقُ
واصـبِرْ على هَجْرِ الحبيب فربّمـا عاد الوِصالُ وللهَـوى أخْلاقُ
كم ليـلةٍ أسهرتُ أحداقي بهـا وجْـدًا وللأفكارِ بي إحْدَاقُ
يا ربِّ قد بَعُـدَ الذينَ أُحِبُّهـمْ عنّي وقد أَلِفَ الفِـرَاقَ فِـراقُ
واسودَّ حظي عندهم لمّـا سَرَى فيـهِ بنـارِ صَـبابَتي إحْرَاقُ
عُرْبٌ رأيتُ أصحَّ مِيثاقٍ لهـم ألّا يَصِـحَّ لَدَيْهـمُ مِيثـاقُ

وقال :

صُدودُكَ هـل له أَمَـدٌ قريبُ ووصـلُكَ هل يكونُ ولا رقيبُ (٢)
قُضاةَ الحُسْنِ، ما صُنْعِي بِطَرْفٍ تَمنّى مثـلَه الرَّشأ الرَّبيبُ؟ (٣)
رمَى فأصـاب قلـبي باجتهـادٍ صـدقتم! كلُّ مجتهـد مُصيبُ (٤)

---

(١) هو محمد بن سليمان بن عفيف الدين التلمساني المولود بمصر سنة ٦٦١هـ والمتوفى سنة ٦٩٥هـ. وله شعر رقيق جميل الصياغة .

(٢) الأمد : الغاية والمنتهى . والرقيب : المراقب .

(٣) الطرف : العين . والرشأ : الظبي اذا قوى ومشى مع أمه . والربيب : المربى من رب الصبي رباه حتى أدرك .

(٤) الضمير في رمى : يعود على الطرف، وفي قوله صدقتم الخ : إشارة الى قول الفقهاء : ان كل مجتهد في الدين مصيب، وان اختلفت الآراء في المسألة الواحدة .

بأىِّ حُشاشَــة وبأىِّ طَـرْف أحاولُ فى الهوَى عيشًا يَطيبُ ؟ (١)
وهذى فيــكَ ليس لها نَصيرٌ وهـــذا منكَ ليس له نصيبُ (٢)
وفى تلك الهــوادج ظـاعناتٌ سَرَيْنَ وكلُّ ذى وجه حبيبُ (٣)
اذا أَسفرْنَ فٱنكسرتْ عيونٌ لهنَّ فتكْنَ فٱنكسرت قلوبُ (٤)
فيا تلك الذوائبُ هــل صباحٌ فَــلِى فى ليلكن أسًى مــذيب (٥)
ويا تلك اللحـاظُ أرى عجيبًـا سِهـامًا كلمـا كُسِرَتْ تُصيب (٦)
ويا تلك المَعاطفُ خبِّرينـا متى يتعطَّفُ الغُصْنُ الرطيب ؟ (٧)

وقال من قصيدة كتب بها الى أبيه :

يا قَطْرُ عُمَّ دِمَشْقَ وٱخْصُصْ منزلًا فى قاســيُونَ وحَلِّه بنبـاتِ (٨)
وتَرنَّمى ياوُرْقُ فيــه ، وياصَــبا مُرِّى عليــهِ بأطيبِ النَّفَحاتِ (٩)
فيه الرِّضا ، فيه الهوَى ، فيه الهُدَى ، فيــهِ أصولُ ســعادتى وحياتى
فيهالذى كَشَفَ العمى عن ناظرى وجلا شمـــوسَ الحقِّ فى مِرْآتى
فيه الأبُ البَرُّ الشــفيقُ فَدَيْتُــهُ من سائرِ الأســواءِ والآفاتِ

(١) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .
(٢) هذى : إشارة للحشاشة ، وهذا إشارة للطرف .
(٣) الهودج : مركب النساء . وظاعنات : مسافرات ، وكل ذى وجه أى منهن .
(٤) انكسار العيون : فتورها ، وهو من صفات الحسن فى النساء .
(٥) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الشعر المسترسل . وفى قوله هل صباح : إشارة الى تشبيه الذوائب بالليل فى السواد والطول .
(٦) كسر السهام : تحطمها . وكسر اللحاظ : فتورها .
(٧) المعاطف : جمع معطف كمجلس مكان العطف والميل ، وهو هنا : الخصر .
(٨) القطر : المطر .
(٩) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة فى لونها بياض الى سواد . والصبا : ريح تهب من الشرق فى بلاد العرب .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومَعْشَرٍ لم تَزَلْ للحـربِ بِيضُهُـمُ … حُمْرَ الخـدُودِ وما من شأنها الخَجَلُ (١)

إذا انتَضَوْها بُرُوقًا صُـيِّرت سُحُبًـا … يسـيلُ من جانبَيْها عارِضٌ هَطِلُ (٢)

يَثْنِي حديثُ الوغَى أعطافَهم طربًا … كأنَّ ذِكْرَ المنايا بينهـم غزَلُ (٣)

كم نارِ حربٍ بهم شُبَّتْ ، وهم سُحُبٌ … وأرضِ قومٍ بهم فاضت ، وهم شُعَلُ (٤)

ضاءت بحسنهـمُ تلك الخيـامُ كما … ضاءت بوجهِ ابنِ عبدِ الظاهرِ الدُّوَلُ

أَغَرُّ ما أبدتِ السحبُ الحَيَا لِسوَى … تقصـيرِها عن مَدَاهُ حين يَنْهَمِلُ (٥)

تُوحِي إلَى كُلِّ قِرطاسٍ بلاغتُـهُ … سِحْـرَ البيانِ ، ومن أقلامِهِ الرُّسُلُ

تُمْـرُ تَرُوقكَ رأي العيـن عارِيَةً … ومن بديعِ معانيـه لهـا حُلَلُ

من كل معتدِلٍ كالمِيلِ إنْ رَمِدَتْ … عينُ المعـالى ففيها نِقْسُه كَحَـلُ (٦)

فللعُـداةِ لديه كـلُّ ما حَذِروا ، … وللعُفاةِ عليـه كـلُّ ما سألوا

أضحتْ يداه لعِقْدِ الجودِ واسـطةً ؛ … فليس يدْرِي بجودٍ بعـدَها عَطَلُ (٧)

وقال :

بِتَثَنِّى قَـوامِكَ المَشْـوقِ … وَبأنوار وجهِكَ المعشـوقِ

وبِمعنًى للحُبِّ مُبْتَكَرٍ فيـ … ـكَ وقلبٍ كقلبيَ المحروقِ

(١) البيض : السيوف ، وجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .

(٢) انتضى السيف : استله من غمده . والعارض : السحاب ، و يقصد به هنا الدماء .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحب أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ؛ ففى البيت تورية وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كحل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

جُدْ بوصلٍ، أو زَوْرَة، أو بِوَعْد، أو كلام، أو وَقْفَة فى الطريق!
أو بإرسالك السلامَ مع الريـ ـح، وإلّا فبالخيالِ الطَّرُوق

وقال وسلك فيها مسلك الرسائل السلطانية فى الافتتاح بدعاء خاص كهذا :

أعزَّ اللهُ أنصارَ العيونِ وخلَّد مُلْكَ هاتيكَ الجفونِ
وضاعَف بالفُتُورِ لها اقتداراً، وإنْ تكُ أضعفتْ عقلى ودِينى
وأبقَى دولةَ الأعطافِ فينا، وإن جارتْ على قلبِى الطَّعِين
وأسبغَ ظلَّ ذاك الشَّعْرِ منه على قَـدٍّ به هَيَفُ الغُصون
وصانَ حِجابَ هاتيك الثَّنايا، وإنْ ثَنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجُونِ
حَمَلْتُ تَسَهُّدِى والشَّيْبَ، هذا على رأسِى وذاكَ على عيُونى

(٤) سراج الدين الورّاق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال :

إلهى لقد جاوزْتُ سبعين حِجةً فشُكراً لنُعْماكَ التى ليس تُكْفَرُ!
وعُمِّرتُ فى الإسلامِ فازددتُ بهجةً ونُوراً لِذا قالوا : السِراجُ المُعَمَّرُ (١)
وعَمَّ نُورُ الشيبِ رأسى فسرَّنى وما ساءنى أنَّ السِراجَ مُنَوَّرُ

وقال :

كَمْ قَطَعَ الجُودُ من لسانٍ قَلَّدَ فى نَظْمِهِ النُّحُورا (٢)
فها أنا شاعرٌ سِراجٌ فاقْطَعْ لسانِى أَزِدْكَ نُوراً

(١) البهجة : الحسن .
(٢) قطع اللسان بالجود : إسكاته ، لسان السراج : ذبالته وفتيله . وقطعه : قطه .

وقال :

إذا بُحْتُ بالشكوى عَنيْتُ مَعاشِراً   بلا راحةٍ فى مدحهم أتعَبوا ذِهْنِى
يُريدونَنِى رَطْبَ اللسانِ، ومَنْ رَأَى   سِراجاً غدَا رَطْبَ اللّسانِ بلا دُهْنِ

وقال :

ياخَجْلَتِى وصحائِفِى سـود غَدَتْ   وَصَحـائفُ الأَبْرَارِ فى إِشْرَاقِ
ومُوَبِّخٍ لِى فى القيامَـةِ قال لِى :   أَكَذَا تَكُونُ صحـائِفُ الوَرَّاقِ ؟ (١)

وقال :

أَصونُ أَدِيمَ وَجْهِى عن أُنَاسٍ   لقاءُ الموتِ عنـدَهُمُ الأديبُ (٢)
وربُّ الشِّعرِ عندَهُـمُ بغيضٌ   ولَوْ وَافَى به لَهُـمُ حَبِيبُ (٣)

وقال :

وَقَفْتُ بأَطْلالِ الأَحِبَّـةِ سَائِلاً   وَدَمْعِى يَسْقِى ثَمَّ عَهْدًا ومَعْهَـدا (٤)
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُرَوِّى دِيارَهُـم   وَحَظِّى منها حينَ أَسْأَلُهَا الصَّدَى (٥)

(٥) نصير الدين الحمامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رأيتُ شَخْصًا آكِلًا كُرْشَـةً   وهو أَخو ذَوْقٍ، وفيـهِ فِطَنْ
وقال : ما زِلْتُ مُحِبًّا لَهَـا،   قلتُ: من الإيمان حبُّ الوَطَنِ!

---

(١) الوراق : مورق الكتب .   (٢) الأديم : الجلد.

(٣) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور . والحبيب : المحبوب ففى الكلمة تورية .

(٤) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .

(٥) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها . والصدى أيضا : العطش .

وقال فى داره :

وَدارٍ خَرَابٍ بهــا قد نزلتُ ... ولكنْ نزلتُ الى السابِعَــهْ
طريقٌ من الطُّرْقِ مسْلوكَةٌ ... مَحَجَّتُهــا للورَى شاســعَه (١)
فلا فَرْقَ ما بينَ أَنِّى أَكُونُ ... بها ، أو أكونُ على القارِعَه (٢)
تُسَاوِرُها هَفَواتُ النســيم ... فتُصْغِى بلا أُذُنٍ سامعـــه (٣)
وأخْشَى بها أَنْ أُقيمَ الصلاةَ ... فتَسْجُدَ حيطانُها الرَّاكِعَه
إذا ما قَرَأْتُ إذا زُلْزِلَتْ ... خَشِيتُ بأَنْ تَقْرَأَ الوَاقِعَه

وقال :

جُودُوا لِنَسجعَ بالمــديـ ... ـح على عُلاكم سرمــدا (٤)
فالطــير أحسن ما يُغَرْ ... رِدُ عند ما يقع النــدى (٥)

وقال :

أنتَ طوقْتَنِى صــنيعاً ، وأَسْمَعْـ ... ـتُكَ شكرى ، كلاهما ما يضيعُ
فإذا ما شجــاكَ سجعى فإنى ... أنا ذاك المطـــوَّق المسموع

وقال :

أبياتُ شِعْرِك كالقصو ... ر ولا قُصُورَ بها يعوق (٦)
ومن العجائب لفظهــا ... حرٌّ ومعناها رقيـــق (٧)

---

(١) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .
(٢) قارعة الطريق : أعلاه وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .
(٣) تساوره : تواثبها . (٤) سرمدا : دائما .
(٥) الندى : الجود . والندى أيضا : البلل والمطر .
(٦) كالقصور : جمع قصر ، وهو الصرح . ولا قصور بها : ولا عيب بها .
(٧) رقيق لها معنيان : أحدهما المملوك ضد الحر ، والآخر من الرقة وهى اللطف والحسن وكذا كلمة حر لها معنيان : ضد العبد ، والجيد المختار من اللفظ .

(٦) عُمر بن الوردى[1]

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أأُقتَلُ بينَ جِدِّكَ والمُزاحِ ... بنَبْلِ جُفُونِكَ المَرْضَى الصِّحاحِ [2]
يكدِّرُنى نَواكَ ، وأنتَ صافٍ ... ويُسْكِرُنى هواكَ ، وأنتَ صاحى
وأبكى للغـــرامِ ، وأنت لاهٍ ... وأُعْذَرُ فى الأُوامِ ، وأنت لاحى [3]
فما لِسَراحِ دمعى من إسـارٍ ... وما لإسارِ وَجْدى من سَرَاحِ [4]
وما لصَباحِ وجهِكَ من مَساءٍ ... وما لِمَساء شَـعْرِكَ من صباح
رضاكَ الى رُضابِكَ لى دليلٌ ... أليسَ كلاهما رُوحى وراحى؟ [5]
ولى لحظٌ يطيرُ إليـك شَـوْقا ... فها قد طار مبـلولُ الجَنَـاحِ !
ووجهُك فوق قدِّك عَرَّفانى ... بإثمـارِ البُدور من الرِّماحِ [6]
لقد أصبحتُ من سِرِّى ودمْعِى ... لَقًى بين آستتار وآفتضاح [7]
يَحِقُّ لمن كَأنِّى فيـــك ذمِى ... وحَقَّ لكاتب السِّرِّ آمتـداحى
ولستُ سوى آبنِ فضلِ الله أعنى ... شهاب الدين ذى الغُرَرِ المِلاحِ

---

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ ه ومات بحلب سنة ٧٤٩ ه ، وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا .

(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق .

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فالدمعى ما يوقف سيله ، وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح : الخمر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقى : الشىء المطروح .

له قلمٌ بفضلِ الله يَحيا لنا يحيي به بعدَ انتزاح
فما أدري أنقشًا فوق طِرْس يُطَرِّزُ أم مَسَاءً فى صباحِ؟
أشدُّ من القضاءِ مَضاءَ أمرٍ وأجرى فى الخُطوبِ من الرياحِ

* * *

نخذها بنتَ ليلتها عَرُوسًا تُزَفُّ اليك كالخَوْدِ الرَّدَاح (١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علومى ولستُ أرى التكسبَ بامتداح
فلى من أنْعُمِ الرحمن مالٌ يصونُ عن احتياجٍ واجتياح
ولم أقصِدْ بمدحِك غيرَ ردٍّ أروضُ به الزمانَ عن الجِماح

وكتب الى القاضى جمال الدين يوسف معاتبًا له على قصد الرحلة :

عَلَامَ أردتَ تهجُرُنى علاما وتوقظ بالنَّوى إِبلًا نِياما؟
لعلَّكَ يا جَليدَ القلب تَبْغِى رحيلًا يُورِث الدمعَ انسجاما
فهل لاقيتَ فى حَلَبٍ هُمُومًا فتزمعَ عن نواحيها اهتماما؟
فلا تأخذْ دِمَشْقَ لها بديلًا أغيظًا ذاك منك أم انتقاما؟
وإن تكُ بالتفرقِ لا تُبالى فهذا يمنعُ العينَ المناما -
وإن تَرْحَلْ لنَيْلِ غِنًى فَسَهْلٌ غناك هنا إذا أمسكتَ عاما
وإن ترحلْ تريدُ تمامَ جاهٍ فمَهْ ؛ إنى أحذِّرك التَّماما
وإن ترحلْ رجاءً لاشتهار فكم من شُهْرَة تُوهِى العظاما
أقِمْ فى الأهلِ فى رَغَدٍ وطِيب بأمرى ، واغتنمْ ذاك اغتناما

---

(١) الرداح : البدينة . والخود : الفتاة النضة .

وقال بعد أن ترك منصب القضاء زهداً فيه :

تركتُ لكم عِزَّ القضاءِ وجاهَـــهُ وأَبْعَـــدْتُ عنه خائفًـا أترقَّبُ
ســتعلمُ نفسِى أىّ جمْـــلٍ تحمَّلتْ ليومٍ أسًى من هوْله الطفلُ أشيبُ
لقـــد نِلتُ من كنزِ القناعةِ بُغْيَتِى، وجانبتُ حِرصى، والحريصُ معذَّبُ
وعِفتُ بنى الدنيا ، وغادرتُ بِرهُمْ لغــيرى؛ فلا أشكو، ولا أتعتَّبُ
فيا لائمًـا قد لام فى تَرْكِ مَنْصِبٍ خُطِبْتُ له ، تَرْكى لذلك مَنْصِبُ
كذا سُــنَّةُ الدنيا إذا ترك الفَتَى الْـ ـمناصبَ جاءته المنـاصبُ تَخْطُبُ
أأرجعُ بعـــد العِتْقِ فى الرِّقِّ ثانيـا فلا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ!
وما جهِلتْ نفسى المَعـالِىَ وطِيبَها؛ ولكن رأتْ أنَّ السلامةَ أَطْيَبُ
أصون الذى علمتُــه عن مَذَلَّةٍ فللعِزِّ فى الدارَيْن قد كنتُ أتعبُ
ورُحتُ خفيفَ الظهرِ عن حَمْلِ مِنَّةٍ لِمُفْتَضَحٍ بالمكـر ، وهو مُحَجَّبُ
يقـال له قاضِى القضاةِ تَعـــدِّيًا وظلمًـا ، وهــذا القولُ لله أَوْجَبُ
تَلَبَّسَ أثـــوابَ الرِّياءِ تَصَـــنُّعًا ليغسِلَ عنــه الذمَّ ، والطبعُ أَغْلَبُ

(٧) صفى الدين الحِلِّى (١)

من مُلَحِه :

إنمــا الحَـــيْزَبُون والدَّرْدَبِيسُ والطَّخَا والنُّقَــاخُ والعَلْطَبِيسُ (٢)
لُغــةٌ تَنْفِـــر المَسامعُ منهــا حين تُرْوَى وتَشْــمَئِزُّ النفوسُ

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية ، وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون ، وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

وقبيحٌ أن يُذكَرَ النافرُ الوحْـ ـشِيُّ منهـا ويُتْرَك المأنُوسُ (١)

أينَ قولِى : هذا كَثِيبٌ قديمٌ وَمَقَالِى : عَقَنْقَــلٌ قُدْمُوسُ (٢)

خَلِّ للأَصْمَعِىِّ جَـوْبَ الفيَافى فى نِشَافٍ تَخِفُ فيه الرُّءوس (٣)

إنمـا هـــذه القلوبُ حديدٌ ولذيذُ الألفـاظِ مغْناطِيسُ

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَع الربيــعُ على غُصونِ البانِ حُلَلًا فواضِلُهـا على الكُثْبانِ (٤)

ونَمَتْ فــروعُ الدَّوْح حتى صَافَحتْ كَفَــلَ الكثيب ذوائبُ الأغصانِ (٥)

وتتوَّجتْ هامُ الغصونِ ، وضرَّجَتْ خَـــدَّ الرياض شـــقائقُ النُّعْمانِ

وتنوَّعتْ بُسُــطُ الرِّياض ؛ فزَهْرُها متبايِنُ الأشـــكال والألوانِ :

من أبيض يقَــقٍ، وأصـــفَرَ فاقعٍ ، أو أزرقٍ صـاف ، وأحمــرَ قانِى

والظلُّ يسْرِق فى الخمـائلِ خَطْــوَه والغُصْن يَخْطِــر خِطْــرَةَ النَّشْـوان (٦)

وكأنمــا الأغصانُ ســـوقُ رَوَاقص قدْ قُيِّــدَتْ بسَلاسِــلِ الرَّيْحَـانِ (٧)

والشمسُ تنظُرُ من خلال فروعهـا نحــوَ الحـدائق نظْـرَةَ الغَـيْرانِ (٨)

---

(١) الوحشىّ من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٢) العقنقل : الكثيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٣) الفيافى : مفردها فيفاء ، وهى المفـازة لا ماء فيها . جوب الفيافى : قطعها . ونشاف : جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٤) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل . (٥) الكفل بفتحتين : العجز .

(٦) الخمائل : جمع خميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يخطر : يتمايل . النشوان : السكران .

(٧) سوق رواقص مفرد السوق : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .

(٨) الغيران : شديد الغيرة .

والطَّلْـــعُ فى خَلَلِ الكِمَامِ كأنه ... حُلَلٌ تَفتَّقُ عن نُحورِ غَـوَانِى (١)

والأرضُ تعجَبُ كيف تَضحك، والحَيَا ... يَبْـــكِى بدمــعٍ دائمِ الهَمَلانِ (٢)

فاصرِفْ همـومَك بالربيع وفضْـــلِه، ... إنّ الربيعَ هو الشـــبابُ الثانى

أنَّى؟ وقد صَــفَتِ المِيــاه وزُخرِفتْ ... جناتُ مِصرَ، وأشرَقَ الهَـــرمانِ،

واخضرَّ وادِيهَــا؛ وحَـــدَّق زهرُه ... والنيـــلُ فيـــه ككوثرٍ بجِنانِ

وبه الجَـــوارِى المُنشَآتُ، كأنَّهـا ... عنــدَ المَســيرِ تَهُــمّ بالطيَرانِ

والمـاء يُسْرِع فى التـــدَفُّق كلَّمـا ... عَجِلَتْ عليـــه يَدُ النَّســيمِ الوَانى (٣)

حتى إذا كُسِرَ الخليجُ وقُسِّمتْ ... أمــواهُ لُجَّتِــهِ عــلَى الخُلْجَانِ

ساوَى البــلادَ كما تُساوِى فى النــدَى ... بين الأنامِ مَواهبُ الســلطانِ

مَلِك إذا اكتحلَ المــلوكُ بنُــوره ... خَـــرُّوا لهيبتِــه إلى الأذقانِ (٤)

قــد عزَّ دينُ محمد بسَـــمِيِّه ... وسَمَــا بنُصْــرتِه عــلى الأديانِ

شاهــدتُه فشَهِدتُ لُقمانَ الحِجَا ... ونظرتُ كِسرَى العــدلِ فى الإيوَانِ (٥)

ورأيتُ منـــه سماحةً وفصاحةً ... أعــدَى بفَيْضهما يَــدِى ولسانِى

---

(١) الطلع : طلع النخلة ، والخلل بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ، والكمام : وعاء الطلع ، الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .

(٢) الهملان : الجريان .

(٣) الوانى : الضعيف .

(٤) الأذقان : مفرده ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحييه .

(٥) الحجا : العقل يريد لقمان الحكيم .

وقال يرثى خاله صفى الدين بن محاسن، وقد قتل غدرا :

انظُرْ الى المجـد كيف يَنْهدِمُ ... وعُروةِ المُلك كيف تَنْفَصِمُ
واعْجَبْ لشُهْب البُزاة كيْفَ غدتْ ... تسطُو عليها الحُدْآنُ والرَّخَمُ (١)
لا عُرِفَ العِزُّ فى مَنازلنا ... وأنكرَتْنا الصوارمُ الخُذُمُ (٢)
إن لم نَقُدْها شُعْثًا مُضمَّرة ... تذوب من نار حِقْدها اللُّجُمُ (٣)
فى فِتيةٍ أرخصُوا نفوسَهمُ ... كأنهُم للحياة قد سئمُوا
إن زأَروا فى الهِياج تحسَبُهُمْ ... أُسْدًا عليها من القَنَا أَجَمُ (٤)
صغيرهُم لا يَعيبُه صِغرٌ، ... وشَيخُهُمْ لا يَشينُه هَرَمُ
ما عُذْرُنا والسيوفُ قاطعةٌ ... وأَمْرُنا فى العراق مُنتظِمُ
وحَوْلَنا من بَنى عُمومتِنا ... كتائبٌ كالغَمام تَزْدحِمُ (٥)
يا صاحبَ الرتْبة التى نكصَتْ ... عن دُون إدْرَاك شأْوِها الأُمَمُ
قد كنتَ لى ذابلا أصولُ به ... ما خِلْتُه فى الهِياج يَنحَطِمُ (٦)

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم من الصيد :

مرحبًا بالحَيا لكلِّ جديب ... لا عَدِمْنا نوالَه وظِلالَهْ (٧)
مَلك الجُود والثنا والمعالى ... والسجيات كلها والأَصالَهْ

(١) البزاة الشهب : الصقور التى لونها أشهب، وهى التى يغلب بياضها سوادها .
(٢) الخذم : مفرده خذوم، والصوارم الخذم : السيوف القواطع .
(٣) الشعث : جمع أشعث وشعثاء، وهى الملبدة الشعر لاتساخه وعدم تعهده بالدهن .
(٤) القنا : الرماح . والأجم : واحدته أجمة وهى الشجر الملتف .
(٥) كتائب : مفردة كتيبة، وهى : طائفة من الجيش مجتمعة .
(٦) ذابلا : رمحا .
(٧) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

رُقِمَتْ حُــلّةُ ٱلرياض فخلْنا … أنّ روْضًا قد ٱستعار خِلالَهْ

وٱبتغى ٱلأفقَ للعـــلا فحسِبْنا … أنه يُنْعِـــلُ الجوادَ هِــلالَهْ (١)

جاء من صـيْدهِ السعيد كبَدْرٍ … ما رَأى الطَّرْفُ فى السَّناء مِثالَهْ (٢)

كم غزالٍ رمَى ، فلو أمِنَ الشمْـ … ـسُ من الخوفِ ما تسمّتْ غزالَهْ

ولَعَمرى لو ٱستجار به ٱلوحْـ … ـشُ ثنَى بعدما ٱستقلّتْ نبالَه (٣)

أيّــد اللهُ ملكَه ووقاه … وحمَى سِرْبَه وصان جَلالَه (٤)

وسأله نقيب الأشراف بالعراق أن يرد على قصيدة عبدالله بن المعتز التى يفضل فيها آل العباس على آل على ومنها :

ونحن ورِثْنا ثيابَ ٱلنبى … فكم تجذِبون بأهدابها

لكم رَحِمٌ ، يا بَنى بِنْتـهِ ، … ولكنْ بنو العم أولى بها

فقال صفى الدين :

ألا قُل لشرِّ عبيــد الإله … وطاغِى قريش وكذّابها

وباغى ٱلعبادِ وباغى ٱلعنـاد … وهاجى ٱلكرامِ ومُغتابها

أأنت تُفاخِر آلَ النبى … وتجحَدها فضــلَ أحسابِها ؟

أعنكمْ نُفِى ٱلرِّجْسُ أم عنهــمُ … بطُهــر ٱلنفــوس وألبابِها ؟

أمِ الرجسُ والخمرُ من دأبكمْ … وفَــرْطُ العبادة من دأْبها !

(١) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا لجواد .

(٢) السناء : الرفعة .

(٣) ثنى : أرجع .

(٤) حمى الله سربه : حفظ نفسه .

وقلتَ : ورِثْنا ثيابَ النبي، فكم تجـذبون بأهدابها
وعِنـدكَ لا يُورَثُ الأنبياءُ فكيف حَظِيتمْ بأثوابها ؟
أجَـدُّكَ يَرضى بما قلتَـه وما كان يوما بمُرتابها
وكان بِصفِّينَ فى حِزْبِهمْ لحرب الطُغَاة وأحزابها
وقد شمَّرَ المـوتُ عن ساقه وكشَّرتِ الحربُ عن نابها
فأقبـل يدعو الى حَيـدَر بإرغابها وبإرهابها
وصلَّى مع الناس طولَ الحياة وحَيْدرُ فى صـدر محرابها
فهـلَّا تَقَمَّصها جَدُّكُمْ اذا كان إذ ذاك أحرَى بها !
وقـولُك : أنتمْ بَنُو بِنْتـه ولكنْ بنُو العَـم أوْلى بها
بنُو البنتِ أيضا بنُو عمـه وذلك أدنَى لأنسابها
وقلتَ : بأنكم القـاتلون أسـودَ أميَّـة فى غابها
كذبْتَ ! وأسرفت فيما ادعيت ! ولم تَنْهَ نفسَـك عن عابها !
ولولا سُـيوفُ أبى مسـلم لعزَّتْ على جهـد طلَّابِها
وذلك عبد لهـم لا لكمْ رعَى فيكمُ قُرْبَ أسـبابها
وكنتمْ أسارَى ببطن الحبوس وقـد شـفَّكم لثمُ أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها وقمَّصـكمْ فضـلَ جلبابها
فجازَيْتمُـوه بشر الجـزاء لطَغْوى النفـوس وإعجابها
فدعْ ذِكرَ قوم رَضُوا بالكفاف وجاءوا الخلافةَ من بابها
هُمُ الزاهـدون، هم العابدون، هـم الساجدون بمحرابها

(٨) جمال الدين بن نباتة (١)

قال :

مَسْأَلةُ الدَّورِ غَدَتْ بَيْنِى و بينَ مَنْ أُحبْ (٢)
لولا مَشيبِي ما جفَتْ لولا جَفاها لم أَشبْ!

وقال يمدح المؤيد :

لولا مَعانِي السِّحْرِ منْ لَحَظَاتها ما طال تَرْدادِى عــلى أَبْيَاتهـا
ولمَّـا وقفتُ عــلى الديار مُناديًا قلبِي المتيَّـمَ منْ وَرَا حُجُـراتهـا (٣)
دارٌ عَرفْتُ الوجدَ منْذُ أتيتُهـا زمنَ الوِصـال ؛ فليْتنى لم آتهـا!
حيث الظِّبـا وكواعبٌ وحدائقٌ أنَّى التفتَّ رَتعْتَ فى جَنَّاتهـا (٤)
والرَّاحُ هاديةٌ السُّرور إلى الحَشَا مِثْلَ الكواكب فِي أكُفِّ سُقَاتِها (٥)
فلئن بَكيْتُ فإنَّ هـذا الدَّمْعَ من ذاك الحَباب يَفيض من جَنَباتِها (٦)
مالِي ومَا لِلَّهْــو بعــدَ مَفَـارق قــد نُفِّرت غِرْبانهـا بِبُزاتِها؟ (٧)

(١) هو جمال الدين محمــد الشاعر الكاتب . ولد بالقاهرة ، وبها تأدب ونبغ فى الشعر ، وله عدة مصنفات . مات سنة ٧٦٨ ﻫ . ويمتاز شعره بالرقة وحسن التورية .

(٢) الدور فى علم المنطق : توقف كل من الشيئين على الآخر .

(٣) يشير الى الآية الكريمة «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية الناهد .

(٥) الراح : الخمر . سقاة : جمع ساق .

(٦) حباب الماء بالفتح : نفاخاته التى تعلوه .

(٧) مفارق : مفرده مفرق كمجلس ، وهو وسط الرأس الذى يفرق فيه الشعر . البزاة : مفرده بازى وهو نوع من الصقور . يقصد بالغربان سواد الشعر ، وبالبزاة : بياضه .

والشَّيْب فى فَوْدِى يَخُط أهِلّة معْنَى المَنُون يَلُوح من نُوناتها (١)
سَقْيًا لِرَوْضات الشباب و إن جَنَتْ هذى الشجونَ على قلوب جُناتها (٢)
ولِدَوْلة المِلك المؤيَّد إنها جَمعتْ فُنون المدح بعد شتاتها

وقال فى الزهد :

أَستغفِر الله ! لا مَا لِى ولا وَلَدِى آسى عليه إذا ضَم الثَّرى جَسدى (٣)
عِفْتُ الإقامةَ فى الدنيا لو انشرحَتْ حالى، فكيف؟ وما حَظِّى سوى النكَد! (٤)
وقد صدِئْتُ، ولِى تحت التراب جِلا إن التراب لَجَلّاءٌ لكل صَدِى (٥)
لا عارَ فى أدَبى أن لم يَنَل رُتبا و إنما العارُ فى دهْرِى وفى بَلدى.
هذا كلامِى وذا حظِّى ! فيا عجبًا مِنِّى لِثَرْوة لفْظ وافتقار يَد !
وما عَجبتُ لدهر ذُبْتُ منه أسًى، لكن عجبت لِضِدٍّ ذاب من حَسدِ
تَدورُ هَامتُهُ غَيْظا علىَّ، ولا والله مادار فى فِكْرِى ولا خَلَدى (٦)
حياةُ كل آمرِىءٍ سِجنٌ لِمُهجته. فاعجَبْ لطالبِ طُولَ السجْن والكَمَد (٧).

(١) الفود : معظم شعر اللة مما يلى الأذنين .

(٢) جنى عليه : أذنب ذنبا يؤاخذ به . الشجون : الهموم والأحزان . الجناة : مفرده جان وجانى الثمرة مجتنيها .

(٣) آسى : أحزن . .

(٤) عفت الإقامة : كرهتها .

(٥) جلا : مقصور جلاء وهو كشف الصدأ . الصدى : الشىء الذى أصابه الصدأ ، يقال : صَدِئَ الحديد يصدأ فهو صدئٌ .

(٦) هامته : رأسه . الخلد : البال .

(٧) المهجة من معناها الروح وهو المراد هنا .

أمّا الهمومُ فبحـــرٌ خُضتُ زاخِرَه ... أمَا ترى فـوق رأسِي فائضَ الزَّبَد

وعِشْتُ بيْنَ بنِي الأيّام منفـردًا ... ورُبَّ منفعـــةٍ فى عَيْش مُنْفَـرِدِ

ياجامعَ المـال إنّ العُمـــر منصرِمٌ ... فابْخل بمـالك مهما شئْتَ، أو جُدِ

ويا عـــزيزًا يَخيـط العُجبُ ناظرَه ... اذكُرْ هـوانَك تحت التُّرب واتَّئـد

كمْ واثقٍ بالليـالى مـــدَّ راحتَهُ ... إلى المــرام فنـاداه الحِمـام : قَد (١)

وكتب إليه صفى الدين الحلى قصيدة يعاتبه فيها أوّلها :

مَن لِصَبٍّ أدنى البعادُ وَفاتَهْ ... مذ عَداهُ وصْــلُ الحبيب وفاتَهْ

فأجابه ابن نباتة :

ما لظبي الحِمَى إليـــه التفـاتَهْ ... بعـــدَ ما كدَّر المشيبُ حيـاتَهْ

لَهِـجٌ بالهـوْى ، وإن نفَّرتْ أيْـدِى الليـالى غَـــزالَه ومَهـاتَه (٢)

كُلَّمـا قيل : قد سلا عن فتـاةٍ ... عاده الحبُّ، فاســتجدّ فتـاته

ما على من عصَى النُّهَى فيه رأْىٌ ... لو عصَى فى الهـــوى علىّ نُهاتَه (٣)

بِأَبى فاتِـرُ اللحـاظ غَـــريرٌ ... رام تشبيهَـــه الغـــزالُ ففـاته (٤)

صائلُ الحسن؛ إنْ رَنَا وتثَنَّى ... ســلّ أســيافَه وهزّ قَنـاته

لعيونِ الورْى بخــديْه وردٌ ... طالمـا عاقب السهـادُ جُنـاته

(١) الراحة : بطن الكف . الحمام : الموت . قد : معناها حسب .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة فى حسنها وجمال عينيها .

(٣) يقول : أى ضرر على من عصى رأى العقول فى حبه لو أنه عصى من ينهونه عن حبى .

(٤) تشبيهه : أى محاكاته وتمثيله .

ساقِىَ الراح بادكار لُقاه لا عَدِمْنا ذاك اللُّقَى وسُقاته
هاتِ كأسِى، وإن لحنتُ من السُّكْـ ـر فلا تَلْحَنِى إذا قلتُ : هاتَه
أنا فرعٌ من النبات إذا ما هَجَرتْه السقاةُ خاف مماتَه
أنبتَتْه نُعمى الصفِىّ، وأحيت ذِكْرَ أسلافه، فهزّت نباته
ناظمٍ يشتكى الوليدُ قُصورًا حين تتلو رُواتُه أبياته [1]
مِن أناسٍ كانوا إذا عزم الدهـ ـرُ وحامى، حُماتَه وكُفاته
يا مفيد الورى لآلئَ بحر يعرف الذوقُ عَذْبَه وفُراته
وصَلَ العبدَ من قريضك برٌّ سَرَّ أحبابَه، وساء عُداته
رائقُ الكأس غير أنّ عتابًا طالما للحب كان قَذاته [2]
أىُّ ذنبٍ لساترٍ نظمَه عنـ ـك ومَن ذا يُهدى لطَوْدٍ حَصاته
خلِّ هذا وأنعم بباب مليك عمَّ بالعدل والنوال عُفاته [3]
زوّجتنا حَماةُ نُعمى يديه فغدا كلُّنا يُحب حَماته [4]

وقال من أرجوزة مزدوجة طويلة فى الطرد سماها مصايد الشوارد :

لما دنا زمانُ رمْىِ البُندقِ سرْنا على وجه السرورِ المشرقِ [5]
فى عُصبةٍ عادلةٍ فى الحُكْم وغِلْمَة مثل بُدور التّمِّ

(١) الوليد : هو أبو عبادة البحترى .
(٢) القذاة : ما يسقط فى العين أو الشراب فيكدر .
(٣) العافى : طالب الرزق .
(٤) حماة : مدينة بالشام . والحماة : أم الزوج أو الزوجة ؛ ففى قوله (فغدا كلنا يحب حماته) تورية .
(٥) البندق : طين مكوّر جاف يرمى به الصيد .

من كلِّ مبعوثٍ إلى الأطيـار ... تُظِـلُّه غمـامـةُ الغُبـار
وكلِّ معسولِ الشـبابِ أغيـد ... منعطِفٍ عطفَ القضيب الأملَد (١)
قد حمِـد القومُ به عُقْبى السفرْ ... عنـد اقتران القوْس منه بالقمرْ (٢)
لولا حِذارُ القـوْس فى يديه ... لغنَّت الوُرْقُ عـلى عِطْفَيـه (٣)
فى كفه مَحْنيَّـةُ الأوصـال ... قاطعـةُ الأعمـار كالهـلال (٤)
زهراءُ خضراءُ الإهاب معجَبَه ... ممـا ثوت بين الرياض المُعشِبه
فاغِـرةُ الأفـواه للأطيـار ... طالبـةٌ لهن بالأوتار (٥)
كأنهـا حوْل الميـاه نونُ ... أو حاجب بمـا تشا مَقْرونُ

(٩) محيي الدين بن قرناص الحموى

قال :

سَقْيا له رَوضا قُدودُ غصُونه ... تختَال فى الأبْراد من أوْراقِها (٦)
جُنَّتْ بهِ وُرْقُ الحَمـامِ صَبابةً ... أوَ مَا ترى الأغلَال فى أعْناقِها؟ (٧)

---

(١) الأغيد : لين الاعطاف .

(٢) فيه إشارة الى تشبيه قوس الصيد بقوس السماء وتشبيه وجه حامله بالقمر .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة لونها كلون الرماد .

(٤) يريد بمحنية الأوصال : القوس .

(٥) الأوتار : جمع وتر بفتحتين ، أو وتر بكسر وسكون ؛ ففيها تورية .

(٦) قدود غصونه : قامات فروعه . تختال : تعجب بنفسها مرحا ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٧) ورق الحمام : جمع أورق وورقاء . والحمامة الورقاء : التى لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفـرده غل وهو طوق من حديد يجعـل فى العنق لأن المجنون كان يوضع فى أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال :

قدْ أَتيْنا الرياضَ لمَّا تجلَّتْ ... وتحلَّتْ منَ النَّدى بجُمَانِ (١)

ورأَيْنا خواتِمَ الزَّهْرِ لمَّا ... سقَطتْ من أناملِ الأغصَانِ

وقال :

ورُبَّ نهرٍ لهُ عيونٌ ... تَحارُ فى وَصْفه العيُونْ

لمَّا غدَا الريقُ منه عَذْبا ... مَالتْ إلى رَشْفه الغُصُونُ (٢)

وقال :

أَيَا حُسْنَها روضةً قد غدَا ... جُنونى فنُونا بأفنَانها

أَتَى الماءُ فيها على رأسِهِ ... لتقبيل أقْدامِ أغصَانها

وقال :

تَثَنَّى الغُصْنُ إعْراضا وعُجْبًا ... علَى نَهرٍ يَذُوبُ أَسى علَيْه

فَرَقَّ لهُ النسيمُ وَجاء يسْعَى ... مُلَاطَفةً ، ومَيَّلَهُ إليْه !

وقال :

روْضَة من قَرقَف أنهارُها ... وغِنَاءُ الطيْر فيها بارْتِفَاعِ (٣)

لا تَلُمْ أغصانَها إنْ رَقصَتْ ؛ ... فهْىَ ما بيْن شرَاب وسَمَاعِ

---

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللآلى .

(٢) الرشف : المص .

(٣) القرقف : الخمر .

(١٠) الشهاب الخفاجى[1] المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ

قال يمدح محمد بن قاسم الحلبى :

حتّامَ يغــزُونى صُدودُهْ ... والصبرُ قد كثُرتْ جُنودُهْ (٢)
لم أدرِ فاتــرُ جَفْنِـــهِ ... والخَصْرُ أسْـقمُ أم عُهودُهُ (٣)
نَشْوانُ يَعبَثُ بى كما ... عَبِثَتْ بآمالى وُعُــودُه (٤)
لــولا مياهُ الحُسْنِ جا ... لتْ فيه لاحترقتْ خدُودُهُ
كالصَّبِّ لــولا دمعُـــهُ ... يَهْمِى لأحرقَـــهُ وُقُــودُهُ (٥)
يُخفِى الهــوَى وعيــونُهُ ... بغرامه المُضْنِى شُــهودُهُ
فسَــقَى رياضَ الحُسْنِ من ... دمعِى حَيًا يَهْمِى مَــديدُهُ (٦)
زمنٌ بجِيـــدِ اللّهو قــدْ ... نُظِمتْ على نَسَــقٍ عقُودُهُ (٧)
إذْ دَوْحِ أُنسِى يانــعٌ ... بكئوسنا انفتحتْ وُرُودُهُ (٨)
والكأسُ نجـــمٌ لاحَ فى ... فَلَكِ المسَرَّةِ لِى سُــعُودُهُ

---

(١) ولد فى سرياقوس وتعلم بمصر ثم رحل الى الحرمين فالآستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب .

(٢) حتام أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الإعراض .

(٣) جفن فاتر : غير حادّ النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٤) النشوان : السكران . ويعبث بى : يلعب بى .

(٥) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله .

(٦) الحيا : المطر . المديد : الممدود والطويل .

(٧) نسق : نظام واحد .

(٨) الدوح : الأشجار العظيمة . والورود : جمع ورد .

يَصْفُو فَيُحْلِي ذِكْرَ مَنْ قد زيّن الدّنيا وُجودُه
ذاكَ ابنُ قاسِمٍ الّذِي ما زَال في تَعب حَسُودُه

(١١) السيد عبد الرحيم العباسي

قال :

أرعَشَنِي الدهرُ أيَّ رعْشٍ وكنتُ ذا قوةٍ وبَطشِ
قد كنتُ أمشِي ولستُ أعْيا فصرتُ أعيا ولستُ أمشي

وقال :

مالي أرى أحبابَنا في الناس صاروا كمثل حَبَابِنا في الكاس
بينا يَرُوقُك عند أول نَظْرةٍ كاللُّؤلُؤ المتناسقِ الأجْناسِ
فإذا أعدْتَ الطرفَ فيهمْ لم تجد شَيْئاً، وصار رَجاؤُهمْ كاليَاسِ

وقال :

لستُ عن وُدّ صديقٍ سائلًا غيرَ قلبي فهو يَدْرِي وُدَّهُ (١)
فكما أعلَمُ ما عندي لهُ فكذا أعلم مالي عندهُ

وقال :

رأيتُ لئيمَ قومٍ في ممرّ وبين يديْه أشخاصٌ لِئامُ
فسلَّمَ مِنْ جهالتهِ ابتداءً فقلتُ لهُ : متى كَسَدَ السَّلامُ؟ (٢)

وقال :

حالُ المُقِلِّ ناطِقٌ عمّا خَفِي مِنْ عَيْبِهِ
فإنْ رَأيْت عاريًا فلا تَسَل عن ثوْبه

(١) ودّه : حبه . (٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج .

وقال :

إذا ما كنتَ عنْ قومٍ غريبًا فعاملْهُـمْ بفعْلٍ يُسْتَطَابُ
ولا تَحْـزَنْ إذَا فاهُوا بفُحشٍ غَريبُ الدَّار تنبحُه الكلابُ (١)

وقال :

أرَى الدهْرَ يُكْرِمُ جُهَّالَهُ وأَعظمُ قدرًا به الجاهـلُ
وأنظُـرُ حَظِّى به ناقصًا أيحسَـبُنى أننى فاضـلُ

(ب) النـثر

أولا — النـثر الفـنى

(١) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر (٢) رحمه الله

من كتاب كتَبَـه الى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرًا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حِصنُ الأكراد الذى تاهَ بعِطفِهِ على الممـالكِ والحُصُون ، وشَمَخ بأنْفِه عن أنْ تمتـدَّ الى مثـله يَدُ الحربِ الزَّبُون ؛ وغَدَا جاذبًا بضَبْعِ الشام ، وآخذًا بمَخَانِق بلاد الإسلام ؛ وشَلَلًا فى يَدِ البلاد ، وشجًا فى صدر العباد ؛ تَنْقَضُّ من عُشّهِ صُـقُورُ الأعداءِ الكاسرة ، وترتاعُ من سَـطْوَتِها قلوبُ الجُيوش الطائرة ؛ وتَرْبِضُ

(١) فاهوا بفحش : نطقوا بكلام سيئ قبيح .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجـذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقـة القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر وكان من رؤساء ديوان الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . وتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

بأرْباضه آساد تحمِي تلكَ الآجام، وتُفوِّق من قِسِيِّه سِهامٌ تُصْمِي مُفوَّقاتِ السّهام؛ تُعطيــه الملوكُ الجِزْيَةَ عن يدٍ وهم صاغرون، ويصطَفي كِرامَ أموالهم وهم صابرون لا مُصابِرون . كم شكتْ منه حمــاةُ قِلةَ الإنصاف ، وكم خافتــه معرَّة وما من معرَّةٍ خاف . ما زالت أيدى المــالك تمتدُّ الى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جِوَاره تلك الحصونُ والصَّياصِي (١) ، وتبكِي بمدمع نهرها من تأثيرِ آثارِه مع عِصيانها وُناهيك بمَدْمَع العاصِي (٢)؛ حتى نبّــه اللهُ ألحاظَ سيوفِ الإســلام من جُفونها ، وَوَفَّى النُّصْرَةَ ما وجب من دُيُونها . وذاك بأنَّا قَصَــدْنا فسيحَ رَبْعه، ونزلْنا ونازَلْنــا محمِيَّ صُقْعه، وختمنا بنِصالنا على قلبه وسمعِه، وله مدن حوله تَخمس هو كالراحةِ وهى كالأَنامِلِ، وتكاد بُرُوجه تُرَى كالمطايا المُقَطَّرَةِ وهى منهــا بمنزلةِ الزَّوامل (٣) ؛ ما خَيَّمْنا به حتّى استَبَحْنا محمِيَّ تلك المدائنِ المكنِيِّ عنها بالأرباض، وأَسَحْنا بساحاتها بحرًا من الحديد ما اندَفعَ حتى فاض، وأخذنا الثُّقُوب فى أَسْوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنقَضُّ بُنيانُها المَرْصُوص، ولا تقرأ المعاوِلُ ما لِخَوَاتِمِ أبراجِها من نُقُوشِ الفُصوص، ونَصَبْنا عليها عِدّةَ مجانيقَ حُمِلَتْ فى شواهق الجبال، على رُءُوس الأبطال؛ فتغيَّظتِ السَّمْهَرِيَّة أنَّ الذى تقومُ به هــذه تلك به لا تقوم، وأنّ ما منها إلا له من الأيدى والرءوس مقامٌ معــلوم؛ وصار يَرْمِي بهــا كلُّ كَمِيٍّ مختَلِس وأَرْوَعَ منتَهِس (٤) ، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميــه!

---

(١) الصياصى : الحصون الرفيعة .

(٢) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٣) الزوامل : جمع زاملة وهى الدابة التى يحمل عليها من الإبل وغيره .

(٤) النهس : النهش والمنتهس مشتق منه .

فشكرًا لأسود حتى غاباتُها تفترس؛ الى أن جَثَتْ أسوارُها على الرُّكب وكانت سِهامُ مجانيقِها تَميــلُ من العُجْب فصارتْ تَمِيــدُ من العَجَب ، وكانتْ تَطْلُبُ فصارتْ تَهْرُب من الطَّلَب الخ .

(٢) من كتاب نسيم الصبا للامام ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ

الفصـــل الســادس فى البحر والنهر

هزتنى رياح الأمل البسيط ، الى أمتطاء ثَبَج(١) البحر المحيط ، فأتيتُ سفينةً يطيب للسَّفْرِ مَثواها ، وركبت فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساها ، مُوقِنا بأن المقــدور صائر ، معرضًا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى ... علىّ منــه المعــاطبْ
طِين أنا ، وهْـــو ماء ، ... والطين فى المــاء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دُسُر(٢) وألواح ، تجرى مع الرياح ، وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادى بالملاّح ، تخوض وتلعب ، وترِدُ ولا تشرب ، لها قلاع كالقــلاع ، وشِراع يحجُب الشُّــعاع ، وسكينة وسُكّان ، ومكانة وإمكان ، وجُؤْجُؤ وفَقار ، وأضلاع محكمة بالقار ، وجسم عار عن الفؤاد ، وهو فى عين المــاء بمنزلة السواد ، بعيدة ما بين السَّحْر(٣) والنحر ، من أحسن الجوارى المنشئات فى البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تَمَلُّ من سير النهار ولا من سُرَى الليل

مارأى الناس من قصور على المــا ... ء سواها تَســير سَيْرَ القِــداح(٤)

(١) الثبج : وسط الشىء ومعظمه .
(٢) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة .
(٣) السحر : الرئة . (٤) جمع قدح ، وهو السهم .

كأنها وَعِلٌ يحط من شاهق ، أو عِرْباض[1] سابق يحثه سائق ، أو عقربٌ شائلة ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أَعْصَم ، أو تمساح أو أرقم ، أو ظَليم نفر في الظلام ، أو جواد فز مستنكفًا من صحبة الأنام . حاكمها عادل في حكمه ، عارف بنقض أمرها وبَرْمه ، يهتدى بالنجوم ، ويبتدئ بآسم الحى القيوم ، يبرُز من نَواتيها[2] في جنود ، ويشمل إحسانُهم أهلَها إيقاظا وهم رقود ، يتأنقون فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكْثرون الصِّياح حتى كأنّ السّـ ـفْنَ تجرى من جَوْف ذاك الصِّياح

فبينما نحن من البحر في قاموسه ، كتب الجوُّ حروف الغيم في طُروسه ، وثارت ريح عاصف ، يتبعها رعد قاصف ؛ فمالت بنا الفُلك وآضطربت ، ودنت شَفَتُها من رشْف الماء وآقتربت ، واستمرت ترفَع وتخفِض ، وتقرُب وترفض ، وتعلو كالأطواد وتهيم في كل واد ، وتحوم وتحول ، وتجور وتجول ، وتضرم في الكبود نار ناجر ،[3] الى أنّ بلغت القلوب الحناجر :

أَلَا فآزْجُه وآخْشَــه إنه هو البحر فيه الغِنَى والغَرَق

ثم نظر إلينا مَن لا تخفى عليه السرائر ، وأمر الجارية بحمل العبيد إلى بعض الجزائر ، فلم ندر إلا ونحن تِجاهَ جزيرة ، تسرّ النفوس بمحاسنها الغزيرة . فآنحدرتُ ماضيًا إلى بنيها ، نائيًا عن السفينة وساكنيها ، فوجدتها مخضرةَ الأفنان ، مخضلّة

(١) العرباض . الغليظ من الإبل .

(٢) جمع نوتى .

(٣) ناجر : كل شهر من شهور الصيف .

الكُثبان ، بها من الياقوت ما يرجع خاسئًا مُناويه ، ومن الأشجار ما يحمل الفواكه والأَفاويه ، وبين رياضها نهر شديد الخَصَر ، أرضه ذهب وحصباؤه دُرر ، وأمواجه عُكَن (١) وداراته سُرَر :

عذبٌ إذا ما عَبَّ منهُ ناهــلٌ ... فكأنه من ريق خَوْدٍ ينْهَــل

لَيِّن الأَديم ، مِزاجه من تسنيم (٢) ، يصقُله الصَّبَا ، ويحرِّكه النسيم ؛ فكأنه دروع موضونة (٣) ، أو مَبارد مســتونة ، أو دمعٌ يتسلسل ، أو أفاعٍ تتململ ، أو ذَوْبُ فضة يسيل ، أو صفحةُ سيف صقيل ، أو لوح بِلَّور مرقوم ، أو رحيق بالمسك مختوم :

وكأنَّ الطيور إذ وردته ... من صــفاءٍ به تَزُقّ فِــراخا (٤)

إن مالت إليه الغصون فالشُّخوص ترقُص فى الخيال ، وإن كَرَعت (٥) منه الظِّباء فالغِيدُ يرشُفْن من ثغر أترابهن الزلال (٦) ، وإن أشرقت عليه النجوم خِلْت الفلَك يدور فى أرجائه ، وإن تجلى له البدر حسِبته قلبًا خافقًا بين أحشائه :

قال مؤيد الدين الطغرائى :

والشمس إن وافته رَأْدَ الضحى ... حسناءُ فى مِرآته ناظــره

أُنمــوذج المـاء الذى جاءنا الـ ... ـوعْد بأن نُسقَاه فى الآخرة

(١) جمع عكنة ، وهو ما تثنى من لحم البطن .

(٢) التسنيم : هو أرفع شراب أهل الجنة .

(٣) موضونة : مضاعفة النسج .

(٤) زق الطائر : فرخه . أطعمه بمنقاره .

(٥) الكرع : شرب الماء بمدّ العنق من غير تناوله باليد أو الإناء .

(٦) يشبه خيال الظباء فى الماء وقت الشرب بالنساء الجميلات تشرب من فم أترابهن لالتقاء الأفواه .

فلبثتُ فيها مدة، مفكرًا فيما رأيتُ من الفَرَج بعد الشدة، مؤمنا بالقدَر خيره وشرّه، وحلوه ومُرّه، واقفا على شكر مَن تجرى الفُلْك فى البحر بأمره:

ربما تجزَع النفوسُ من الأمْـ ـرِ له فُـرْجة كحَلّ العِقال

ولم أزل بها فى أحسن حال، وأرغد عيش وأنعم بال، إلى أن حرَّك الله منى ما كان ساكنا، وأدخلنى مصر بمشيئته آمنا.

(٣) شهاب الدين محمود الخفاجى

"المقامة الساسانية"

حدّثنا مالكُ بنُ دينار، عن مُسافِر بن يسار، قال: كنتُ والشبابُ غُرابهُ لا يُطار، وثمراتُه الجَنيَّةُ تُجنَى من رياض الأخبار، أهوَى السّياحَة والناسُ ناس والديارُ دِيار، والدهرُ غِرٌّ لم يَفْطَنْ لتلوُّن الليل والنهار:

ولم أر يومًا فى ظلامِ مَفَارِقى شِهابَ مَشيبٍ لاحَ فى الإثرِ مُنْقَضَّا

فسِرْتُ فى الأرض لأنظرَ آثارَ رحمته، وأرى مآثرَ الطرازِ الأول فى أعلام حُلّته؛ فإن من جدّ وجَد، ومن توانى فَقَدْ فقَد، رافعًا عصا التَّسيار، على كاهل الاعتبار، رافضًا الاستراحةَ فى مَهْدِ الدَّعَة، مشيِّعا قلبًا فارَقَ حبيبًا ودَّعه، فاطِمًا أملا عن دَرّ أنسٍ ارتضعه. أَضرب كرة الأرض بِصَوْلجَان الهمَّة (١)، لا أعبأ بقامَةٍ غير قائمة وهِمَّة هِمَّة. أتدرَّع بُرْدَ الليل، لأنه أخفَى للوَيْل، وأشُقُّ أديمَ النهار للسيْر، ولم أقل ليس للعصا سير، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور، وورَقٍ جفَّ فألوَتْ به الصَّبا والدَّبور. كأننى

---

(١) الهم والهمة بالكسر: الشيخ الفانى.

على غُصن بانةٍ خَضِـل تَثْنيه ريح الصَّـبا هنا وهنا أو قَذًى فى عيون البلاد، أو عيرٍ شَرُود ترميه الروابى للوهاد :

كأنى من الوَجْناءِ (١) فى مَتْن مَوْجةٍ رمتْنى بحـارٌ مالهنّ سواحل

حتى أتيت كُورةَ (٢) خُراسان ، فإذا بها قَيْلٌ (٣) نَصَبَ عِرْضَه لسهام الهوان ، مقلّدًا فى ترجيح البخْل مذهبَ سهلِ بن هارون، كأنه لم يَسمع قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فطويتُ حديثَـه على عَرّه (٤)، وأتيته لأقف على جَلِيَّة أمره ، فلما جُسْتُ خِلالَ إيوانه ، قرأتُ عُنوانَ حَالِه على وُجوه غِلمانه . وسمعتُه يقول لِمَنْ امترى (٥) أخلاف درَّته ، وشبع من خُلَّته (٦) وحَمْضه برؤْية جَرَّته : يا هـذا صِناعتُنا واحدة، لو لم تدرُج من عُشِّك كانت الراحة فائدة .

ثم قال لى : أىُّ البلادِ تُهدى سلامَها ، وأىُّ زهرةٍ تحيّةٍ فتحتْ لك النسماتُ أكمامَها؟ قلتُ : الكِنانةُ المُعِزِّيَة، والخطَّةُ التى هى فى حَضانة نيلها مَحْمِيَّة، رياضُها تَحيا بأنهاره، وأصابعُـه (٧) تُشير لكنوز خِصْبٍ تُستَخرج من معادن أقطاره، إلّا أنّ أصابعَ الناس فى الراحة والأيادى ، وفى أصابعه أيادٍ وراحةٌ لكل حاضر وبادى .

(١) الوجناء : الناقة الشديدة .

(٢) الكورة : الناحية ، وتطلق على المدينة .

(٣) القيل : الأمير .

(٤) العر : العيب والشر .

(٥) امترى : جذب الضرع للحلب . والأخلاف : جمع خلف ، وهو حلمة ضرع الناقة . والدرة : اللبن أو سيلانه وكثرته .

(٦) الخلة : ما فيه حلاوة من النبات . والحمض : ما فيه ملوحة .

(٧) فى الأصابع تورية ؛ لأنها تطلق على الأصابع المعروفة ، وعلى أجزاء يقاس بها النيل .

فإن سألتَ عن حالى ففؤادى بها فؤادُ أُم موسى فارغٌ من آمالى . وما حالُ وردة فارقت نَسَماتِ القَبُول (١) ؟ فداها السَّمُوم وقادها الذُّبول :

فتأملْ كيف يَغْشَى ... مُقلَةَ المجـدِ نُعاسُ ؟

فأما حالُ سكّانها ومَن ألقى جِرانه بأعطانها (٢)، فقد ذهب أرباب الهمم العاليـة ، ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرِّمم الباليـة ؛ رُوحُ الشُّوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ، وبعيْن الله ما يصنع الليـلُ والنهارُ ، ويستُر الثوبُ والجدار ، وما يستتر فى ضمـائر البيوت ، وإن طال التحمُّلُ والسكوت . فكم بكت السماء أرضًا فقـدتْ حبيبا ، وساعدتها سحب انتحبت بها نحيبا :

ولطَّمَتِ الخدودَ بها بروقٌ ... وشقّقَتِ الرعودُ بها جُيوبا

فقل لمن افتخر بالعِظام، ما وراءك ياعِصام ؟

ولْنعطفْ على هـذا النسق ، لبيان من بَقِىَ منهم طَبَقٍ على طبق (٣) ، من أصناف لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرسَم ولا تُحَدّ : من كل سائل بالإلحاح المُتحَف ، أو دَارَ بمزمار ودُفّ ، أو تغنَّى بأنكرِ الأصوات . فَنَهَق إذ رأى شـيطانًا يدَّعى الكرامات ، يُقيم به المعتزلىُّ دليلَ إنكار الكرامة ، ويقول : هل علىَّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامل راية وعلَم ، جعل القناعةَ علَمًا لسقوط الهِمَم . ومنهـم من كَبِر وتكسَّرت قواريرُه ، وخبا نُوره حين هبَّت أعاصـيرُه ، وهو أعظمهُم جُرما ، وأقلُّهم دينـا وحَزْما ، حُمُرٌ

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدّم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

مُسْتَنْفِرة، يقرءون القرآن فى بقاع مُسْتَقْذَرة، بين رَهْط لا يتدبرون ولا يستمعون، ولا يمتثلون قول الله : ﴿ وإذا قُرِئَ القرآنُ فاستمعوا له وأنْصتوا لعلكم تُرحمون ﴾.

وتُجَّارٍ رأسُ مالهم الإفلاس، يضربون الأخماس للأسداس[1]، يُزَكُّون كَذِبَهم بالأَيْمان الفاجرة، فيربَحون خَسَارة الدنيا والآخرة، إن خاشنتَ أحدهم فى تقاضيه، بادر بالحَلِف على دَيْنِه فيَقْضيه.

يقول : آستمع حَلْفَتِى كاذباً إذا ماآضطُرِرْتُ، وفى الحال ضِيقُ

وهل من جَنَاحٍ على مُسلمٍ يدافِعُ بالله ما لا يطيق

وقد فُقِدَ العِلْمُ لولا نفحةُ أُنْس من نفرٍ بقايا، فتح الله بهم خزائنَ كنوز هى خبايا فى الزوايا : من كل نَقِيِّ العِرض أبيضِ السجايا، إذا تدنَّست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أبدتْ مآثرُهم نقصَ الزمان ففى خَدِّ الربيع طلوعُ الوَرْد من خجل

حَمتْ شوكتُهم رياضًا فى رُبا الدين العوالى، وأحيا الله بأنفاسهم العِيسَوِيَّة مَوَاتَ المعالى. ولما شرح اللهُ بهم صدرَ الدين، وفتح ببصائرهم عيْن اليقين، أيدهم بأبناء الأعيان من أُمرائها، فقالت[2] الخلافة تحت أَفْياء لِوائها، حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتُوف، وزهت جَنَّةُ مثواهم تحت ظلال السيوف؛ فصارت بهم الأطراف، من مَنَازِهِ منازلِ الأشراف. ولهذا يشير البديع، بقوله فى معنى بديع :

---

(١) يضرب أخماسا لأسداس : أى يسعى فى المكر والخديعة، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئا ويريد غيره. (٢) قال : يقيل. نام وقت القائلة.

قيل لى: لِمْ جلستَ فى طَرَفِ القو ... مِ، وأنت البديعُ ربُّ القوافى
قلتُ: آثرتُه؛ لأن المنادِيـ ... ـلَ يُرى طِرْزُها على الأطراف
وكفانى من المفاخرِ أَنِّى ... نازلٌ فى منازلِ الأَشْراف

فَأَوَوْا من ذلك الظل لِركن مُعْتَمَد، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسَّنَد. متّعنا الله بهذه الدوْلة وجعلها أطولَ الدول عُمرا، وأرفَعها مَنَاراً وأعظمَها قدْرا، سماء مجدهم مُكَلَّلة بنجوم تهتدى بها الأمانى، ويستقر رجاء كل قلب عانِى، والدهر لسعْدهم من الخدَم، وفيضُ أياديهم يُغْنِى عن الدِّيَم، وسُحُبهم مُغْدِقة على الراجين بالكرم :

قلتُ لِلْبرق إذ تألق فيها: ... يا زِنادَ السماء مَنْ أَوْرا كا
إن تَشَبَّهتَ بالكرام وما قد ... كان من جُودهم فلستَ هُنا كا

ومذ كَلَّتْ دُهْمُ(١) الأقلام من المشْى فى الكتابة شكرتُ مشيَها على الرعوس، وقلتُ لا عِطْرَ بعد عَرُوس، فقد جف القلم، وكل شيء بلغ الحدّ انتهى وتم.

ثانيا — النثر العلمى

(١) الشيخ كمال الدين الدَّميرى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

من حياة الحيوان :

(الحَمَام) قال الجوهرى هو عند العرَب ذواتُ الأطواق، نحو الفوَاخِت(٢) والقَمارِىّ(٣) وساقُ حُرٍّ(٤) والقَطا والوَرَاشين(٥) وأشباه ذلك يقع على الذكر والأُنثى؛ لأن

(١) جمع أدهم، وهو الفرس الأسود. (٢) جمع فاختة: وهى الحمامة ذات الطوق.
(٣) جمع قرية: بضم القاف. (٤) ذكر القمارى. (٥) مفرده ورشان بالتحريك: وهو طائر من نوع الحمام.

الهاء إنمـا دخلته على أنه واحد من جنس، لا للتأنيث؛ وعند العامة أنها الدّواجن فقط، الواحدة حمامة. وقال حميد بن ثور الهلالىّ من أبيات:

وما هاج هــذا الشوقَ إلّا حمامةٌ   دعتْ ساقَ حرٍّ بُرهَـــة فترنّمـا

والحمامة هنا القُمْرية. وقال الأصمعىّ فى قول النابغة:

واحكُم كحكم فتاةِ الحىّ إذ نَظرتْ   الى حمـام شِراعٍ واردِ الثَّمَـــدِ (١)

قالت: ألا ليتَما هذا الحمـامُ لنا   الى حمـامتِنا أو نصفُهُ فَقَـــدِ

فحسَـــبوه فألفَـــوْه كما زعمتْ:   تسـعا وتسعين لم يَنقُص ولم يَزِدِ

هذه زَرقاءُ اليمـامة نظرتْ إلى قَطا واردٍ فى مضيق الجبـل، فقالت: ياليتَ هذا القطا لنا ومثلَ نِصْفه معه الى قطا أهلنا، فيكمُل لنا مائة قطاة؛ فاتُّبِعت وعُدّت على المـاء فاذا هى ستٌّ وستون، قال أبو عبيدة: رأتْه عن مسـيرة ثلاثة أيام، وأرادتْ بالحمام القَطا، فقالت ذلك، انتهى. وقال الأموى: الدواجنُ التى تُستفرَخ فى البيوت تُسمَّى حماما أيضا. وأنشد للعجّاج:

إنى وربِّ البـــلدِ المحـــرَّمْ   والقاطناتِ البيتَ عند زمْزمِ

* قواطنًا مكةَ من وُرْق الحَمِ *

يريد الحمام: وجمع الحمامة حمام وحَمائم وحمامات. وربما قالوا حمـام للفرد. قال جِرانُ العَوْد:

وذكّرنى الصِبَا بعد التنائى   حمامةُ أيكةٍ تدعو حمـاما

(١) الثمد: الماء القليل.

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير : أن اليمام هو الحمام البَرِّىُّ، الواحدة يمامة؛ وهو ضُروب . والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفلَ ذنَب الحمامة مما يلى ظهرَها فيه بياضٌ، وأسفلَ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه، انتهى . ونقل النَّوَوِى فى التحرير عن الأصمعى : أن كل ذات طوْق فهى حمام . والمراد بالطوق الحُمْرة أو الخُضْرة أو السواد المحيط بعنُق الحمامة فى طوقها . وكان الكسائى يقول : الحمام هو البَرِّى ، واليمام الذى يألَف البيوت؛ والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرىُّ عن الشافعىّ : كلُّ ما عَبَّ وهَدَر وإن تفرّقت أسماؤه فهو حمام ، والعَبُّ بالعين المهملة شِدّة جَرْع الماء من غير تنفُّس، قال ابن سِيدَة : يقال فى الطائر : عبّ ، ولا يقال : شَرِبَ ، والهدير : ترجيع الصوت ومُواصلتُه من غير تقطيع له ؛ قال الرافعىّ : والأشبه أنّ ما عبّ هدر، قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العبِّ لكفاهم ؛ ويدل عليه أنّ الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل : وما عب من الماء عبًّا فهو حمام، وما شرب قَطرة قطرة كالدَّجاج فليس بحمام .

(٢) من مقدّمة ابن خلدون[١]

فصل فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته

اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا، وقليلًا قليلا، يُلقِى[٢] عليه أوّلًا مسائلَ من كل باب من الفنّ هى أصول ذلك

(١) هو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه و بمقدمته التى نقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى فى مناصب مدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ . (٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتى .

البـاب ، ويُقرِّبُ له فى شرحها على سـبيل الإجمال ، ويراعى فى ذلك قوة عقله واسـتعدادَه لقبول ما يَرِد عليه ، حتى ينتهىَ الى آخر الفنّ . وعنـد ذلك يحصُل له مَلَكة فى ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتُها أنها هيَّأته لفهم الفنّ ، وتحصيل مسائله . ثم يَرْجِعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويسـتوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنا لِك من الخـلاف ووجهِه ، الى أن ينتهىَ الى آخر الفنّ ، فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا (١) ، فلا يترك عويصا ولا مهمًّا ولا مُغْلقًا إلا وضّحه ، وفتح له مُغلَقه فيخلُص من الفنّ وقد ٱستولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو كما رأيتَ إنمـا يحصل فى ثلاث تكرارات . وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يُخْلَق له ويتيسّر عليه . وقد شاهدنا كثيرًا من المعلّمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفاداته ، ويُحضِرون المتعلم فى أوّل تعليمه المسائلَ المقفلة من العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلّها ، ويحسبون ذلك مِرانًا على التعليم وصـوابًا فيه ، ويكلفونه وَعْىَ ذلك وتحصيـلَه ، ويخلِطون عليه بمـا يلقُون له من غايات الفنون فى مباديها ، وقبل أن يستعدّ لفهمها ؛ فإنّ قبولَ العلم والاستعداداتِ لفهمه تنشأ تدريجا ، ويكون المتعلم أوّل الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحِسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة (٢) مسائلِ ذلك الفنّ وتكرارها عليه ، والٱنتقال فيها من التقريب الى الٱستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة فى الٱستعداد ،

(١) شدا : أخذ طرفا من العلم والأدب .

(٢) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

ثم فى التحصيل، ويحيط هو بمسائل الفن. واذا ألقيت عليه الغايات فى البدايات، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى، وبعيد عن الاستعداد له، كَلَّ ذهنه، وحسِبَ ذلك من صُعوبة العلم فى نفسه، فتكاسل عنـه، وانحرف عن قبوله، وتمـادَى فى هِجرانه. وإنمـا أتى ذلك من سوء التعليم.

(٣) المقـــريزى(١)

من خطبة كتابه "المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار":

وبعد، فإنّ علمَ التاريخ من أجلّ العلوم قدْرا، وأشرفِها عند العقلاء مكانة وخَطَرا، لمـا يَحويه من المواعظ والإنذار، بالرحيل الى الآخرة عن هـذه الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليُقْتَـدَى بها، واستعلامِ مَذَامِّ الفعال لِيَرْغَبَ عنهـا أولو النُّهَى. لا جَرَم أنْ كانت الأنفس الفاضلة به وامِقةً، والهِممُ العالية إليه مائلةً وله عاشقةً. وقد صنف الأئمة فيه كثيرا وضمَّن الأجلّة كتبهم منهم شيئا كبيرا.

وكانت مصر هى مسقط رأسى، وملعبَ أترابى، ومجمع ناسى، ومَغْنَى عشيرتى وحامَّتى، وموطِنَ خاصّتى وعامّتى، وجؤّى الذى رَبِّى جناحَىَّ فى وكْره، وعشّ مآربى فلا تهوَى الأنفس غيرذِكره، لازلتُ مذ شدوت العلم، وآتانى ربى الفطانة والفهم، أرغب فى معرفة أخبارها، وأُحب الإشراف على الكثير من آثارها، وأهوَى مساءلة الركبان عن سكان ديارها، فقيّدتُ بخطّى فى الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلّمـا يجمعها كتاب، أو يحويها لِعزّتها وغرابتها إهاب؛ إلا أنها ليستْ بِمرتّبَـة على مِنوال،

(١) هو تقى الدين المقريزى المولود سنة ٧٦٦ هـ. وكان شاعرا كاتبا مؤرخا توفى سنة ٨٤٥ هـ.

ولا مُهَذبةٍ بطريقة واحدة ومثال . فأردتُ أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية، عن الأمم الماضية والقُرون الخالية ؛ وما بقى بفُسْطاط مصرَ من معاهد غَيَّرها ـ أو كاد ـ البِلَى والقدم، ولم يبقَ إلا أن يمحو رسمها الفناء والعَدَم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة، وما اشتملتْ عليه من الخِطَط والأصقاع، وحوته من المبانى البديعة الأوضاع ؛ مع التعريف بحال مَنْ أسّس ذلك من أعيان الأماثل، والتنويه بذكر الذى شادها من سَراة الأعاظم الأفاضل ؛ وأنثر خِلال ذلك نُكتًا لطيفة، وحِكمًا بديعة شريفة، من غير إطالة ولا إكثار، ولا إجحاف يُخل بالغرَض ولا اختصار، بل وَسَطٌ بين الطرفين، وطريق بيْنَ بيْن ؛ فلهذا سميته "كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار" الخ .

(٤) شمس الدين محمد النواجى[1]

من حلبة الكميت :

والنسيم هى الريح الطيّبة، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بلين قبل اشتدادها ، وفى الحديث «بُعِثْتُ فى نسيم الساعة» أى حين ابتدأتْ وأقبلتْ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع، الصَّبا وتسمى القَبول وهى تُنَفّس عن المكروب ، والجنوب وهى تجمّع السحاب، والشَّمال وهى تُفرّقه، والدَّبور وهى تهْدم البُنيان ، وتقلَع الشجر ، وهى القاصف والصَّرْصَر . وكلّ ما فى القرآن من لفظ الريح، فالمراد به الدَّبور، ولازمها العقوبة، وكل مافيه من لفظ

(١) ينسب الى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر وله عدّة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ هـ .

الرياح فهى راجعةٌ الى الثلاثة الأُوَل، و يراد بها الرحمة . ومن الحديث «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عاد بالدَّبور» ،وقيل الرياح ثمانية: أربع فى الجهات الأربع،وأربع تسمى النُّكْباء لميلها ونكبها عن الجهــات الأربع ؛ والشَّمال من ناحيــة الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قِبلةَ العراق، فهُبوبها من تحت بنات نَعْش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر تشدّ الأعضاء، وتسُدُّ المسامَّ، وتحصُر الحرارة فى الباطن، فينهضم الغِذاء وتصفو بها كُدُورة الروح الحيوانى، الذى فى القلب من الأبخرة الدُّخَانية،وتديمُ الصحة، وتقوِّى حواس الدماغ ،وذلك إذا وصلت الى الجسم بآعتدال، وهى قليلة الهُبوب ليلا، وكان الصاحب بن عبّاد يترنم بقول أبي فراس:

هبّتْ لنــا ريحٌ شَمَاليــة متّت إلى القلب بأسبابي
أدّتْ رِسالاتِ الهوى بيْننا عرفْتُها من بين أصحـابي

قلت : والله إن الصاحب بن عبّاد لمعذور ، فان هذا ممـا يزيح الجماد، وتجمع الشمال على شمائل، ولذلك يحسن فيه التَّورية . ومنه قول الشيخ تقى الدين بن حجة:

جاد النسيمُ على الرُّبا بنــدّى يديْه وقال لى:
أنَا ما أقصِّر عن نَدًى وكـما علمتَ شمائلى

والصَّبا تَهُبّ من مطلَع الشمس وتُسمى القَبول ، و يقابلها الدَّبور وهى معتدلة ولا سيَّما إن هَبّت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع ، وهى لطيفــة صافية وتُذكى الأذهان، وتنفع الأبدان ، وتبسُــط الأخلاق، لا سيمـا إن مرت بمُرُوج الأزهار فانها تحمل قُواها الى القلب والدماغ الخ .

العصر الحديث

(ا) الشعر

(١) الخشاب[1]

من قوله يمدح الشيخ الأمير عليهما رحمة الله :

أدِرْلِي فِي الرُّبَا القَدَحَا … وكُنْ لِلعَذْلِ مُطَّرِحَا (٢)
ونَبِّـهْ صَاحِ سَاقِيَها … فَضَوءُ الصُّبْحِ قَدْ وَضَحَا
وثغـرُ الزَّهرِ مبتسِمٌ … وَشَادِي الوُرْقِ قَدْ صَدَحَا (٣)
وخُذْهَا مِن يَدَىْ رَشَإٍ … مَلِيحٍ قَدْ حَـوَى مُلَحَا (٤)
غزالٍ إنْ يَلُحْ للبَدْ … رِ أوغُصْنِ النَّقَا افتَضَحَا (٥)

* * *

وأَطرِبْ مَسْمَعَيْكَ بما … بِهِ أُسْـتَاذُنا امتَـدَحَا
مُحَمَّـدٌ الأَمِيرُ المُـ … ـرْتَجَى كَمْ آمِلًا مَنَحَا

---

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد اسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد على باشا الكبير . وقد توفى سنة ١٢٣٠ ه . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة .

(٢) الربا : جمع ربوة بفتح الراء ، وهى المرتفع من الأرض . والقدح : الكأس . والعذل : اللوم . واطراح اللوم : عدم الاهتمام به .

(٣) الشادى : المترنم . الورق بضم الواو جمع أورق ، ومؤنثه ورقاء وهى الحمامة لونها رمادى . وصدح : ترنم وسجع .

(٤) خذها : الضمير يعود على الخمرة المفهومة من المقام ؛ لأن القدح مذكر . والرشأ بفتح الراء والشين : ولد الظبية ، يشبه الساقى به لنضارته وخفة روحه . والملح بضم الميم وفتح اللام : جمع ملحة ، وهى ما لذ من الحديث وطاب .

(٥) النقا : القطعة من الرمل ، يضرب المثل بالغصن النابت فيه للاعتدال .

* * *

إِمَامٌ إِنْ تَزِنْهُ بِكُـ ـلِّ مَوْلًى مَاجِدٍ رَجَحَا (١)
سِرَاجُ ذَكَائِهِ الوَهَّا جُ لَيْلَ المُشْكِلَاتِ مَحَا (٢)
إِذَا تُطْرَى مَنَاقِبُـهُ إِخَالُ المِسْكَ قَدْ نَفَحَا (٣)

وكتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَبِى الحُسَيْنِ مُحَمَّدٍ خِدْنِ المَعَالِى وَالسَّرِىِّ الأَمْجَدِ (٤)
وَالحَاذِقِ الفَطِنِ اللَّبِيبِ أَخِى الذَّكَا ءِ اللَّوْذَعِىِّ الأَلْمَعِىِّ الأَوْحَدِ (٥)
أَأَرَمْتَ نَفْسَكَ فِى القَرِيضِ مَذَاهِباً ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِى الحَضِيضِ الأَوْهَدِ (٦)

* * *

كَدَّرْتَ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بُحُورَهُ فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُوهَا صَدِى (٧)
فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِداً نَقْدَ البَصِيرِ بِذِهْنِكَ المُتَوَقِّدِ
أَوْلَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرِحْ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا شِعْرُهُ بِالجَيِّدِ
وَلَئِنْ عَنُفْتُ عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتُهُ فَلَقَدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِدِ (٨)

(١) المولى : السيد . والماجد : صاحب المجد .

(٢) السراج : المصباح . والوهاج : الشديد الاشتعال . يقول إنه بحدة ذكائه يحل أشد المشكلات ويجلوها كما يمحو السراج الوهاج ظلمة الليل . (٣) مناقب : جمع منقبة بفتح الميم والقاف : المفخرة .

(٤) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب . والسرى : السيد الشريف السخى .

(٥) اللوذعى : الذكى الذهن . والألمعى : الذكى المتوقد الذكاء .

(٦) القريض : الشعر . و(الحضيض) القرار من الأرض عند أسفل الجبل ، و(الأوهد) العظيم الانخفاض . والمراد أن شعره نزل الى أسفل الدرك .

(٧) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء . ويخوها : يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٨) عنفت : قسوت . والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

(٢) الشيخ حسن العطار (١)

قال يتغـــزل :

أَعَنِ الْحُبِّ شَـاكَ عَنْهُ وجيبـهُ؟ أَمْ قَدْ دَعَاكَ الى البِعَادِ رَقِيبُـهُ؟ (٢)
هَجَرَ الكَرَى لَمَّـا هَجَرْتَ وَوَاصَلَتْـ ـهُ شُجُـونُه وازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُـهُ (٣)
لَمْ يَجْنِ ذَنْبا فِي هَوَاكَ، وَإِنَّمَـا قَدْ كَانَ بِالهِجْرَانِ مِنْـكَ نَصِيبُهُ
أَقْفَرتْه مِن حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا جَادَتْ علَيْـكَ دمُوعُه وَنَسِيبُهُ (٤)
وتركْتَهُ، والفِكرُ مِنْـكَ مَعَ النَّهَا رِ سَمِيرُه، والسُّهْدُ مِنْـكَ مُنِيبُهُ (٥)
لَوْ لِلقَا عَطَفَتْكَ مِنْـهُ شِكَايَةٌ رَقَّتْ ودمعٌ طَافِحٌ شُـؤْبُوبُهُ (٦)
لَرَأَيْتَ جِسْماً كَالخِلَالِ مِن الضَّنَا وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيبُـهُ (٧)
صِـلْهُ لِتَسْتَبْقِي بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي لَـوْلَا الأَمَانِي مَا بَقِي مَوْهُوبُهُ (٨)
أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأَسِّياً والصَّبرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيبُـهُ (٩)

---

(١) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر، وزار أهم الممالك الإسلامية، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها، ثم صار شيخا للأزهر الشريف . وكان مع علمه شاعرا كاتبا بليغا . توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٢) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٣) الشجون جمع شجن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٤) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل .

(٥) السهد : بضم السين الأرق .

(٦) الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شآبيب .

(٧) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

(٨) الرمق : بفتحتين بقية الحياة . يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر، بل استبقها بالوصل .

(٩) التأسى : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير الكريم .

وَبُلِيتُ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَـ ـدَّى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ (١)

* * *

أَفَلَا رَثَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِى الْمَنُونِ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ؟ (٢)

أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِنْ عَجَبٍ تُعَـ ـذِّبُهُ، وَتُمْرِضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ!

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى بِالَّذِى تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْغَرَامْ

لَسْتُ أَبْغِى مِنْ زَمَانِى حَاجَةً غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامْ

(٣) السيد على الدرويش (٣)

قال يرثى صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان :

أَفِرُّ من المحتوم ، وهو مُطارِدى وهل أَمَلى إلَّا حِبالُ المصايدِ

وأرصد أُفْقَ الوَهْمِ والأَمَلِ السُّهى ورَائِدُ مَوتى كامنٌ فى وَرَائدى

وثِقْتُ بآمالى ، ولم تَفِ مَرَّةً ولا ثِقَةٌ لى بالنذيرِ المُعاهِدِ

فأَستَبْعِدُ المعلومَ ، وهو مُقارِبى وأَسْتَقْرِبُ المجهولَ ، وهو مُباعدى

ومِن عَتَهى خِلْتُ التجاهرَ خافيا بِغِشٍّ زُيُوفٍ عَدَّها كلُّ ناقِدِ

أُحاذِر مَرأى الناسِ لا اللهَ فى الهوى وعندهم تفصيلُ نَقْصِى وزائدى

لِأَمَّارَتى بالسُّوءِ مُسْتَعْبَدٌ ولى مداهنةٌ فى الله : صورةُ عابدِ

أُبالغ فى الإِسراف حتى كأننى لَمَيْتٌ غدًا ، لكنْ لِى حِرْصَ خالدِ

(١) اللاحى : الشاتم العائب . والطود بفتح الطاء وسكون الواو : الجبل العظيم .

(٢) المنون : الموت .

(٣) هو السيد على افندى الدرويش بن حسن المصرى ، كان أديبا شاعرا ولوعا فى شعره ونثره بالمحسنات البديعية لغاية القصوى ، وهو أبرع من علم فى التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ .

وقال مادحا المرحوم الحاج محمد على باشا الكبير، ومؤرخا مجىء الجراد عام موت البقر سنة ١٢٥٩ هـ .

يا صاحِ ما هـذا الخـبَر؟ قال : الجـرادُ هُنا ظهرْ!
قلتُ : الجراد! فقال: إى تَدْرِى الجرادَ اذا ٱبتـدرْ؟
قلت : ٱستعِذ بالله! قا ل: وهل من المقْضِى مَفَرّ؟
ما كانــ قطُّ بخاطـرِ فى خاطرى هـذا الخـبَر

* * *

جاء الجــرادُ كأنه يتلو على البَقرِ ٱلسُّـوَرْ
أو أنَّ أرواحَ البهـا ئم أُلبِستْ تلك الصُّـوَر
موتُ الكبيرِ أَضرُّ أم مَحيا الصـغيرِ هُو الأَضَرّ؟
أوَ ما سمعتَ مقالَهــم: مثــلُ الجراد إذا انتشَر
فترى الجـرادَ على الجرَيـ ـدِ مُكَلَّلا مثــلَ الثَّمـر
رُقْشٌ تَــراها إنهـا نارٌ تلظتْ بالشَّـــجَر
لوَّاحـــةٌ للأرض ، لا تُبــقِى النبـاتَ ولا تَذَر
وصـــغيرةٌ فى حَجْمها لكنها إحدَى الكُبَر
الأرضُ كانتْ جَنَّـــةً فالآنــ تُرمَى بالشَّرَر
نزَلَ الجـــرادُ بهــا كما نزل القضاءُ أو القَــدَر
مُتنشِّــرٌ رِجـــلاهُ مِنـ ـشارٌ فكم شىءٍ نشَـــر
لمــا استمَـرَّ على ٱلفسـا دِ بقَبْضِه أمرٌ صـدَرَ

دَقُّوا الطبولَ لرَقْصِه في الزَّرع لمَّا أنْ زَمَر
وغزَوْا على ذا المعتدى فمضَى هزيمًا وانكسر
وكذا الخديوى عادةً لم يَغْزُ إلا وانتصَر
نصَبُوا موازينًا لأجْـ ـسامِ الجراد لتُعْتَبَر
وأتتْ بأجمعِه زَبا نِيةُ العَذابِ الى سقَر
وتتبَّعُوا آثارَه حتى خَفِي ذاك الأثَرْ
من جَنةٍ خرَجَ الجرَا دُ الى لَظَى بِئْسَ المَقَر

* * *

هل للخديوى مُشْبِهٌ في هِمَّةٍ أوفي سِيَر
هل قَبله ردَّ الجَرا دَ سِواهُ فيما قد غَبَر
متبدِّدٌ يَرْعَى النبا تَ، وليس يُعيِيه سَفَر
مُتَواثِبٌ، لا يستقِرّ له قرارٌ في مَمَر
بالليل يُكفَر بالنبا تِ فإن بدا فجرٌ فَجَر
مُذْ أسرَعوا في قبضِه ومضَى الأهالى بالأجَر
أرَّخْتُه وَصَلَ الجرَا دُ لمصرَ في عام البَقَرْ

١٢٦ ٢٣٩ ٣٦٠ ٩٠ ١١١ ٣٣٣

سنة ١٢٥٩

(٤) الشـــيخ شهاب (١)

من قصيدته التى أنشأها لتكتب حول جامع القلعة :

عَروسُ كُنوزٍ قد تحلّت بعَسْجَدِ مُكَلَّلةٌ تيجانُهـا بالزَّبَرْجَـدِ

أم الجنـةُ المبنىُّ عَالِى قُصـــورِها بأبهج يَاقُـــوتٍ وأبْهى زُمُرُّدِ

أم المكُرماتُ الآصــفيّة أبدَعتْ هَيولَى أعاجيبٍ بصورة مَسْجد (٢)

هو الفلَكُ الأعلى تَنَزّل وآزدَهى بزُهرِ الدّرارى جامعا كلَّ فرقـدِ

ألا إن تجديدَ العجيب من البِنَـا يؤكِّد تأسيسَ آقتـدار المجـدِّدِ

فدعْ قصرغُمدانٍ وأهرامَ هرمس وإيوان كسرَى إن أردتَ لتَهتدى

ودع إرمًا ذاتَ العِماد ونحـوَها وعَرشًا لِبلقِيس كصرح مُمـرَّدِ

ودع أمويَّ الشـامِ وآنزِل بمصرِنا وبَادرْ الى هذا بإيمَـاء مُرشِـــد (٣)

فلو عُدِّدتْ فى الكون بَدءُ بدائـع لكان به خَـــتْمٌ لذاك التعـدُّد

كأنَّ الليـالِى الوالداتِ عجائبًـا أُصِبنَ بِعُقمٍ بعد هـذا التولُّدِ

---

(١) هو شهاب الدين محمد بن أسماعيل المكى الأصل المصرى المنشأ . كان شاعرا متأدبا موسيقيا . اشتغل بالكتابة فى الوقائع المصرية أوّل ظهورها مساعدا للشـيخ حسن العطار ثم كان رئيسا لإنشائها بعده وبعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجمل مؤلفاته سفينته التى حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة فى عصره وقبيله . وتوفى سنة ١٢٧٥ ه .

(٢) الآصفية : نسبة الى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، وكانت رتبة محمد على باشا بالاضافة الى الرتب الحالية بمنزلة وزارة .

(٣) يريد بأموى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٥) الشيخ ناصيف اليازجي (١)

قال فى الغزل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ ... فُؤَادٌ لَمْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانَى ... وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكَى
أَطَعْتَ العَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ ... يُرِيدُ القَتْلَ لَكِنْ عَن رِضَاكَا
تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا ... فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ دَمِي فِدَاكَا

وقال :

كُفَّ عَنِّي لَا أَبَالَكْ ... قَدْ تَبَيَّنَّا مِحَالَكْ (٢)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا ... فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكْ
قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ ... حَامِلًا فِيهِ مَلَالَكْ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ ... كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكْ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا ... مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالَكْ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا ... وَيُسِيءُ اللهُ فَالَكْ

ومن قصيدة يرثى بها صديقا له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ البُشْرَى بِرُؤْيَتِهِ ... فَجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ ... رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ

---

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجى ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة فى فقه اللغة ، وله كتاب مجمع البحرين ، وهو مجمع مقامات مثل مقامات الحريرى ، وكتب أخرى فى النحو ، وتوفى سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) المحال بكسر الميم : الخديعة والكيد .

أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْـنِي حِينَ أَذْكُرُه ... دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هَذَا الصَّـدِيقُ الذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ ... كَالْكَوْثَرِ العَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدَرُ
لَا غَرْوَ أَنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءَ مَصْرَعُهُ ... فَحُزْنُهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ

وقال يرثى صديقا آخر له :

المَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ ... مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا اعْتَدَى
قَـدْ نَالَ مِنَّـا دُرَّةً مَكْنُونَةً ... كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِي حُسَّدَا
كَنْزٌ ذَخَرْنَاهُ لَنَـا فَاغْتَالَهُ ... لِصُّ المَنِيَّةِ خَاطِفًا مُتَمَـرِّدَا

وقال يرثى طبيبا من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طِبِّـهِ لِلنَّاسِ مَنْفَعَـةٌ ... فَإِذْ أَتَى المَـوْتُ ذَاكَ الطِّبُّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِي مِنَ النَّاسِ الجِرَاحَ فَهَـلْ ... يُبْرِي جِرَاحَ فُـؤَادٍ بَعْدَهُ انْصَـدَعَا
سَارَتْ إِلَى اللهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً ... جِسْمًا يُرَى فِى تُرَابِ الأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلٌّ إِلَى أَصْـلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًـا ... فَانْحَطَّ هَذَا وَهَـذَا طَارَ مُرْتَفِعَا

(٦) السيد محمد صالح مجدى بك[1]

كتب الى المرحوم سعيد باشا والى مصر يشكو إليه ظلم رئيسه :

أَنُظْـلَمُ فِي زَمَانِكَ يَا سَـعِيدُ ... وَأَنْتَ العَادِلُ المَلِكُ الرَّشِـيدُ
وَيَسْطُو الذِّئْبُ مِنْ شَرِّهِ عَلَيْنَا ... وَأَنْتَ اللَّيْثُ وَالبَطَلُ المَجِيـدُ

---

(١) هو محمد بن صالح بن أحمد بن الشريف مجد الدين . عالم بمترجم ، وأصل آبائه من مكة ، وقد ولد بالقاهرة وتعلم فى مدارسها وأتقن الفرنسية وترجم عنها بعض الكتب ، ندبه اسماعيل باشا لترجمة القوانين الفرنسية ، واشترك فى وضع الخطط التوفيقية ، وتوفى بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

وَيَرْقَى غَيْرُنَا رُتَبَ الْمَعَالِي ... وَيَخْفِضُنَا بِلَا سَبَبٍ عَنِيدُ
وَيَظْفَرُ بِالْأَمَانِي كُلُّ زَاجٍ ... وَنُحْرَمُ مِنْ جَنَابِكَ مَا نُرِيدُ
فَرُدَّ نَوَائِبَ الْمَلَوَيْنِ عَنَّا ... فَرَأْيُكَ دَائِمًا رَأْيٌ سَدِيدُ (١)
وَجُودُ يَدَيْكَ فَاضَ عَلَى الرَّعَايَا ... فَسُرَّ قَرِيبُهُمْ، وَكَذَا الْبَعِيدُ
وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ وَثَبَاتِ مُلْكٍ ... فَفِيكَ الشُّكْرُ، مَا دُمْنَا، يَزِيدُ

(٧) السيد على أبو النصر (٢)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِي ... وَأَوْدَعَ فِي حُشَاشَتِيَ الْوُلُوعَا (٣)
وَأَلْبَسَنِي الْأَسَى خِلَعَ التَّمَنِّي ... وَأَلْزَمَنِي التَّذَلُّلَ وَالْخُضُوعَا (٤)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي ... عَلَى كَبِدِي فَقَوَّمَتِ الضُّلُوعَا (٥)
وَلِي قَلْبٌ تُقَلِّبُهُ شُجُونِي ... وَتَمْنَعُهُ السَّكِينَةَ وَالْهُجُوعَا (٦)
يَبِيتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا ... وَيُصْبِحُ رَاجِيًا مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الْأَمَانِي ... حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعَا (٧)

---

(١) الملوان : الليل والنهار .

(٢) هو الشريف العالم الشاعر الزجال، أصله من منفلوط بأسيوط، درس بالأزهر وبرع فى الأدب، واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير الى عهد توفيق باشا، ويعدّ شعره متوسطا، وله ولع بالتاريخ الشعرى . وقد توفى سنة ١٢٩٨ ﻫ .

(٣) النوى : البعد والفرقة . والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع : شدّة العشق .

(٤) الأسى : الحزن والهم . (٥) يريد أن نار الشوق لشدّتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية . (٦) الهجوع : النوم فى الليل .

(٧) أضغاث الأحلام المختلطة الملتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع، وهو الحب .

تَطُوفُ بِهِ الحَوَادِثُ وَهُوَ لَاهٍ كَأَنَّ الوَهْـمَ أَلْبَسَــهُ دُرُوعَا
ورُبَّ مُكَابِدٍ عَانَى خُطُـوبًا وَمُفْــرَدُ عَزْمِهِ عَنَّ الجُمُـوعَا (١)
وَقَائِــلَةٍ : إِلَامَ تَحِنُّ شَــوْقًا إِلَى حَيٍّ أَحَــلَّ بِكَ الهُــلُوعَا؟ (٢)
فَقُلْتُ لَهَا : وُقِيتِ البَأْسَ، إِنِّى أَوَدُّ بِحُبِّهِــمْ أُدْعَى هَــلُوعَا (٣)
أَبَعْــدَ فِرَاقِهِــمْ تَرْتَاحُ رُوحِى وَتَرْجُــو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُوعَا (٤)
فَهُــمْ رُوحِى وَرَيْحَانِى وَرَاحِى فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السُّلْوَى نُزُوعَا؟ (٥)

وقال رحمه الله :

نُورُ زَاهِى الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحْ وَٱبْتِسَامُ الثَّغْــرِ أَمْ زَهْرُ الأَقَاحْ
ونُجُــومٌ تَزْدَهِى فى أُفْقِهـا بِوَمِيضِ الــبَرْقِ أَمْ كَاسَاتُ رَاحْ
لا ولا بَــلْ بَدْرُ تِمٍّ يَنْجَــلِى لِلنَّــدَامَى فى ٱغْتِبَاقٍ وَٱصْطِبَاحْ
مُحَيَّــا يَزْدَرِى شَمْسَ الضُّــحَى فى مَعَانِى حُسْــنِهِ تَعْيَا الفِصَاحْ

وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَة مِنْ كَلِفٍ عَنِيــدِ حَيَاتُه فى قَبْضَةِ الصُّدُودِ
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى المَجْهُودِ مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِن مَزِيدِ
وَاهًا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْد

(١) عن الجموع : غلبها .
(٢) الحىّ : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء : الجزع .
(٣) الهلوع بفتح الهاء : الشديد الجزع .
(٤) تلوع : تجزع .
(٥) الراح : الخمر . ونزوعا : ميلا .

جَار عليه حَاكِمُ الغَرَامِ   فَدَقَّ أَنْ يُدْرِكَ بِالأَفْهَامِ
فلو أَتَاهُ طَارِقُ الحِمَامِ   لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ
إلا اذا صدره فِي البُرْدِ

له اهْتِزَازٌ وَارْتِيَاحٌ وطَرَبْ   لوجهِ من أورثَه طولَ الكُرَب
فهلْ سَمِعْتُمْ فِي الأحاديثِ العجب   بمن مُناه قربُ مَن مِنه العطَب
ومن رأى الغَيَّ بَدِيلَ الرُّشْد

ما غَابَ عنهُ الحَزْمُ فى الأُمورِ   لكِنَّ مِقْدَار الهوى ضرُورِى
صَاحِبُه يَخْبِطُ فِي دَيْجُورِ   منفذ التقدير بالمقدور
كأنه يدأَبُ لا عن قصْد

* * *

ما العُذْرفى السُّلُوعَنْ غَزَالِ   منقطعِ الأَقْرَانِ والأَشْكَالِ
يَسْتَخْلِفُ الشمْسَ لَدَى الزَّوالِ   ضِيَاءُ خَدَّيهِ على اللَّيَالِى
فَصَارَ نورُ البدرِ غيرَ مُجْدِى

(٨) صفوت الساعاتى (١)

قال رحمه الله يرثى الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمسَ فَضْلٍ فَدَتْكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةً   إِذْ عَنْكَ لَا أَنْجُمٌ تُغْنِي وَلَا شُهُب
لَمَّا أَصَابَكَ، لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ،   سَهْمُ المَنِيَّةِ كَادَ الكَوْنُ يَنْقَلِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا شاعر مصرى ولد بالقاهرة وتعلم بها واتصل بشريف مكة فلازمه فى بعض وقائع وصفها فى شعره ، ثم استخدم فى المعية ثم فى مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . واشتهر بالساعاتى لبراعته فى فن الساعات ولكن لم يحترفه . وكان حلو الفكاهة حسن المحاضرة . مات سنة ١٢٩٨

مَا حِيلَةُ العَبْدِ وَالأَقْدَارُ جَارِيَةٌ ... العُمْرُ يُوهَبُ وَالأَيَّامُ تَنْتَهِبُ
لَوِ افْتَدَتْكَ المَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ ... بِخَيْرِنَا لَفَدَتْكَ العُجْمُ وَالعَرَبُ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ العَفْوِ مُنْسَكِبًا ... وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الأَغْصَانُ وَالعَذَبُ (١)
وَلَا اسْتَهَلَّتْ عُيُونُ القَطْرِ بَاكِيَةً ... إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوَبُ (٢)
أَمْسَتْ لِفَقْدِكَ عَيْنُ العِلْمِ سَائِلَةً ... تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنَّى يَنْجَحُ الطَّلَبُ (٣)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَا وَالأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ ... كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حُزْنِهَا طَرَبُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ اليَوْمِ أَنَّ لَدَى ... نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ
لَوْ كَانَ يَدْرِي فُؤَادِي يَوْمَ نَكْبَتِهِ ... كَانَ الفِدَاءَ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
بِالرَّغْمِ مِنِّي حَيَاتِي بَعْدَ مَصْرَعِهِ ... سِيَّانِ فُرْقَةُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَالعَطَبُ (٤)

(٩) عبد الله باشا فكرى (٥)

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًّا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجٍ عَلِيلٍ آسِي ... عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الآسِي (٦)
أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ ... يَحْكِي لِفَرْطِ ضَنَاهُ ذَاوِيَ الآسِ (٧)

(١) العذب بفتحتين : الأغصان أيضا .
(٢) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو : المصائب ، واحدتها نوبة :
(٣) فى هذا البيت استخدام ، فان (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع . وفى قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .
(٤) العطب : الهلاك .
(٥) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكرى بن محمد افندى بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربية . وقد ترقى فى المناصب حتى وصل إلى معية المغفور له سعيد باشا فاسماعيل باشا . وكان يكتب عنهما مكاتبات كانت بعد نموذجا متبعا فى المكاتبات الديوانية ، وكان كاتبا بليغا يتأثر البديع والخوارزمى بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ .
(٦) الشجى : المهموم الحزين . والآسى : كذلك وعز الشئ : ندر وصعب الحصول عليه . والآسى : الطبيب .
(٧) أضناه : أسقمه وأهزله . وأساه : حزنه . وذاوى : ذابل . والآس : نوع من الزهر .

هزته سارية النسيم، وقد جرت بشذا فروق اريجة الأنفاس (١)
فكأن في طي الشمال، إذا انثنى من نشرها طربا، شمول الكاس (٢)
وكأنها حملت إلى رسالة غراء جاءت من أغر مواسي (٣)
كمليحة عذراء وافت صبها من بعد طول تعذر وشماس (٤)
يفتر مبسمها بحسن حديثها عن سحر فاتن جفنها النعاس (٥)
تدنو فيطمع عاشقيها أنسها ويشير عز دلالها بإياس (٦)
أو روضة فيحاء حياها الحيا من صوب محلول العرى رجاس (٧)

وكتب إلى المرحوم توفيق باشا الخديو الأسبق يستعطفه و يستمنحه العفو :

كتابي توجه وجهة الساحة الكبرى وكبر إذا وافيت، واجتنب الكبرا
وقف خاضعا، واستوهب الإذن، والتمس قبولا، وقبل سدة الباب لي عشرا (٨)
وبلغ لدى الباب الخديوي حاجة لذي أمل يرجو له البشر والبشرى
لدى باب سمح الراحتين مؤمل صفوح عن الزلات يلتمس العذرا (٩)
تنوء الجبال الراسيات بحلمه إذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا (١٠)

(١) الشذا : قوة طيب الرائحة . وفروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية . وأريجة : طيبة الريح .
(٢) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الخمر .
(٣) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسي : المساعد المعاون .
(٤) صبها : عاشقها . والتعذر : التمنع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .
(٥) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور . (٦) الإياس : اليأس .
(٧) الحيا : المطر . و يريد بمحلول العرى المطر الغزير الذي لا يحجبه شيء . والرجاس : الشديد الصوت .
(٨) السدة بضم السين : الظلة تمام بباب الدار . (٩) السمح : الكريم . والراحتان : مثنى الراحة ، وهي باطن الكف . (١٠) يقال : ناء به الحمل ينوء به : أي أثقله وأتعبه .

يُرَاقِب رَحْمَنَ السَّـــمَوَاتِ قَلْبُـــهُ ... فَيَرْحَمُ مَنْ فِي الأَرْضِ رِفْقًا بِهِمْ طُرًّا (١)

مَلِيكِي وَمَوْلاَيَ العَـــزِيزُ وَسَـــيِّدِي ... وَمَنْ أَرْتَجِي آلاَءَ مَعْرُوفِهِ العُمْـرَا (٢)

لَئِنْ كَانَ أَقْـــوَامٌ عَلَيَّ تَقَـــوَّلُوا ... بِأَمْرٍ فَقَـــدْ جَاءُوا بِمَـا زَوَّرُوا نُكْرَا

وَإِنَّ سُـــعَاةَ السُّوءِ أَنْزَلَ فِيهِـــمُ ... عَلَيْنَا إِلٰهُ العَرْشِ فِي ذِكْرِهِ ذِكْرَا (٣)

وَعَلَّمَنَا أَنْ نَسْـــتَبِينَ مَقَـالَهُمْ ... وَنَأْخُذَ مِنْهُـــمْ فِي مَسَاعِيهِمُ الحِـذْرَا (٤)

حَلَفْتُ بِمَـا بَيْنَ الحَطِيـمِ وَزَمْزَمٍ ... وَبِالْبَـابِ وَالمِيزَابِ وَالْكَعْبَةِ الغَـرَّا (٥)

وَبِالزَّائِرِيهَـا يَرْتَجُونَ مَلِيكَهُـــمْ ... لِمَـا فَرَّطُوا فِي العَمْدِ وَالخَطَاءِ الغَفْرَا (٦)

وَبِالصَّـــلَوَاتِ الخَمْسِ يُرْجَى ثَوَابُهَا ... وَبِالصَّـــوْمِ يُولِيهِ الحَفِيُّ بِهِ شَهْرَا (٧)

لَمَـا كَانَ لِي فِي الشَّرِّ بَاعٌ وَلَا يَدٌ ... وَلَا كُنْتُ مَنْ يَبْغِي مَدَى عُمْرِهِ الشَّرَّا (٨)

وَلٰكِنَّ مَحْتُومَ المَقَـادِيرِ قَـدْ جَرَى ... بِمَـا اللهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَهُ أَجْرَى (٩)

وَفِي عِلْمِ مَوْلاَيَ الكَرِيمِ خَلاَئِقِي ... قَدِيمًـا، وَحَسْبِي عِلْمُهُ شَاهِـدًا بَرًّا (١٠)

---

(١) يشير الى الحديث الشريف : « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » . (٢) الآلاء : النعم . والعمر هنا ظرف زمان ، والمعنى مدى العمر .

(٣) الذكر : القرآن الكريم .

(٤) الحذر بكسر الحاء وسكون الذال : الحـذر بفتحها . يشير الى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

(٥) الحطيم : موضع من الحرم المكى . والميزاب : مسيل المطر . والمراد ميزاب الكعبة .

(٦) مليكهم : ربهم . والغفر : الغفران .

(٧) حفى بالشىء من باب علم واحتفى به : أكرمه ، وأظهر الفرح به .

(٨) الباع : قدر مد اليدين : والمراد أنه لم يحدث الشر ولم يدخل فيه مطلقا .

(٩) أم الكتاب : اللوح المحفوظ .

(١٠) الخلائق : جمع خليقة ، وهى السجية والطبيعة .

فعفوًا أبا العبّاس لا زلت قادرًا … على الأمر إنّ العفو من قادرٍ أحرى ! (١)
"ملكت فأسجح" وامنح العفو تبتغي … زكاةً لما أولاك ربّك أو شكرا (٢)
أيجمل في دين المروءة أنّني … أكابد في أيّامك البؤس والعسرا ؟
ولي فيك آمالٌ ضمينٌ بنُجحها … وفاؤك ، لا أرجو سواك لها ذخرا (٣)
فمُنّ فقد ألفيت موضع منّةٍ … وربّك لا ينسى لذى منّةٍ أجرا (٤)

وقال يتغـزل :

كتبتُ ولولا دمع عينيَ سائلٌ … تلظّى جوابي من تلهّب أنفاسي (٥)
وعندي من الأشواق مالم يبح به … لسانُ يراعٍ في مسامع قرطاس (٦)
ولي من تباريح الهوى وشجونه … أحاديث تُلهي الشَّرب عن لذّة الكاس (٧)
ولو كنتُ من دهري أنال مآربي … لسرتُ لكم سعيًا على العين والراس

وكتب الى السيد عبدالهادى نجا الأبيارى يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يا من بديعُ حلاه … تُزري البديع وتُنسي

* * *

وافت عقيلة نظمٍ … تتلو فصاحة قسّ
كالبدر لاح سناه … من بعد مغرب شمس

---

(١) أحرى : أحق وأجدر . (٢) ملكت فأسجح : مثل مضروب . والإسجاح : أحسن العفـو . (٣) النجح بضم النون : النجاح . والذخر بضم الذال والذخيرة : ما يستبقى لوقت الحاجة . (٤) المنة بكسر الميم : الاحسان . (٥) تلظى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه . (٦) اليراع : القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) تباريح الهوى : حرقه . والشجون : جمع شجن ، وهو الهم والحزن . والشرب : بفتح الشين الشاربون .

فَغَادَرْتَنِي صَرِيعًا نَشْوَانَ من غير كَأْسِ
فَمُنَّ بِالعَفْوِ إِنِّى مِنْهُ عَلَى غير يأسِ
وَإِنْ عَتَبْتَ فَحَقٌّ وَمَا أُبَرِّئُ نفسى

(١٠) الشيخ على الليثى (١)

قال يرثى محمود باشا الفلكى وقد صادف أن تهاوت نيازكُ ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامٍ من الفَلَكِ مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ (٢)
كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا البَازِى وَأَذْهَلَهَا فَحَاكَتِ البَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الحُبُكِ (٣)
نَعَتْ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الجِهْبِذِىَّ، وَقَدْ قَالَتْ : تَعَزَّوْا فَمَا حَىٌّ بِمُتَّرَكِ (٤)
يَا نَفْسُ هٰذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكِ

* * *

أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ العِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ كَفُّ المَنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِي الشَّرَكِ (٥)
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ، وَاسْتَبْقِى مَنَايِحَهُ أَوْ فَالتَّصَبُّرَ إِنْ تَبْغِى الهُدَى فَلَكِ (٦)
حَلَّ القَضَاءُ وَنَاعِى المَجْدِ أَرَّخَنَا قَدْ مَاتَ مَحْمُودُ بَاشَا المُسْنَدُ الفَلَكِى

١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤١ ١٠٤ ١٣٠٣

---

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادر شاعر الخديو اسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار فى معية اسماعيل باشا . ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط . وتوفى سنة ١٣١٢ هـ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون ، شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة . والدرك : أسفل السفل .

(٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء .

(٤) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء . ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك .

(٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبائل الصائد .

(٦) المنايح : يريد بها جمع مناحة : هى موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال فى عقب الثورة العرابية من قصيدة طويلة :

كُلُّ حَالٍ لضِدِّهِ يَتَحَوَّلْ فَالْزَمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعَوَّلْ
يا فُؤَادِى ٱسْتَرِحْ فَمَا الشَّأْنُ إلَّا مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَنَزَّلْ
رُبَّ ساعٍ لِحَتْفِه وهو مِمَّنْ ظَنَّ بالسَّعْى لِلْعُلَا يَتَوَصَّلْ
قَدَرٌ غَالِبٌ وسِرُّ الْخَفَايَا فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكَمَّلْ
غَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةٌ وعِقَالٌ واللَّبِيبُ الذَّكِىُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلْ
كيفَ نَنْسَى وحَادِثَاتُ اللَّيَالِى فاجأتنَا بكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلْ
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وغالَتْ نَفِيسًا وذَوَى مَرْبَعُ الحظوظِ وأَمْحَلْ

* * *

واذا ٱلمرءُ كان بالوَهْمِ يَبْنِى لخيالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلْ
وَيْحَ قوم سَعَوا لإدراك أمرٍ دون إِدْرَاكه الجبالُ تزَلْزَلْ
ما أضَرُّوا عليه إلا أَضَرُّوا بأناسٍ من نابِهٍ أو مُغَفَّلْ
ذاك يسعَى على التَّقيَّة خوفًا وسِوَاهُ سَعَى لِكيما يُجَمَّلْ
لو أصابُوا الرَّشادَ عِنْدَ ابْتداء كانت ٱلغَايَةُ الجميلةُ أمْثَلْ

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الوَقْتُ بَاسِمًا بالسُّرُورِ كَٱبْتِسَامِ الرَّبِيعِ وقتَ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفًا كَىْ نُدِيرَ الحَدِيثَ مِثْلَ الخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفًا حَيْثُ يَجْرِى عَلَى صَفَاءِ البُحُورِ

* * *

وتَرَاهُ يَخْتَالُ وهُــوَ مُعَــنًّى	وَيْحهُ كَمْ يَجُــرُّ ذَيْلَ الفَخُورِ (١)
ذَيــلُهُ يَرسُمُ المَجَــرَّةَ عُجْبًـا	بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مثل البُدُور (٢)

(١١) السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغـــزل :

سَـلُوهُ عَنِ الأَرْوَاحِ فهىَ مَلَاعِبُهْ	وَكُفُّوا إِذَا سَــلَّ المُهنَّدَ حاجِبُهْ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَـــعْرِهِ	وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْــكُمْ عقَــارِبُهْ (٤)
وَلَا تَذْكُرُوا الأَشْبَاحَ بِاللهِ عِنْـدَهُ	فَلَوْ أَتْلَفَ الأَرْوَاحَ من ذا يُطَالِبُهْ ؟
أَرَاهُ بِعَيْــنِي وَالدُّمُوعُ تُكَاتِبُــهْ	وَيَحْجبُ عَنِّى ، وَالفُؤَادُ يُرَاقِبُــهْ
فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِى الحَبِيبَ لِصَـبِّهِ	سِـــوَى زَفْرَةٍ تَثْنِى الحَشَا وَتُجَاذِبُهْ ؟
فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيــهِ حَبِيبُــهُ	وَلَا أَنَا مِمَّن بِالصُّـــدُودِ يُعَاتِبُــهْ
فَلَوْ أَنَّ طَرْفِى أَرْسَـــلَ الدَّمْعَ مَرَّةً	سَـــفِيرًا لِقَلْبِى مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُــهْ (٥)

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . وويحه : رحمة له . والفخور بفتح الفاء : الكثير التفا-ر .

(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر بل يراها كبقعة بيضاء .

(٣) يعدّ السيد عبد الله نديم فى مقدمة الخطباء العرابيين ، وكان لايجارى فى سرعة البديهة وشدّة التأثير فى سامعيه بالعامية وغيرها . و يعدّ متأثرا بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦م .

(٤) الأراقم : أخبث الحيات . واحدها : أرقم .

(٥) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهى القطعة من الجيش .

(١٢) محمود باشا سامى البارودى (١)

قال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرْحَةَ الْوَادِي ... طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي (٢)

مَاتَ الَّذِي تَرْهَبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ ... وَيَتَّقِي بَأْسَهُ الضِّرْغَامَةُ الْعَادِي (٣)

مَضَى، وَخَلَّفَنِي فِي سِنِّ سَابِعَةٍ ... لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِي وَإِرْعَادِي (٤)

فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِي ... فَهَا أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي (٥)

وقال يتشوق وهو فى المنفى :

رُدُّوا عَلَيَّ الصِّبَا مِنْ عَصْرِيَ الْخَالِي ... وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَّةِ الْبَالِي؟ (٦)

لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ ... أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي (٧)

---

(١) هو محمود سامى باشا ابن حسن حسنى بك البارودى أحد زعماء الثورة العرابية . ولد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتعلم بالمدرسة الحربية وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة العرابية ، ونفى بعدها الى سرنديب ، ثم عاد الى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعدّ شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ضخم المعانى متنوع الفنون . له ديوان ومختارات .

(٢) السرحة بفتح السين : القطعة من الإبل السائمة . وطاح به : أهلكه . والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب . يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على محاربيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

(٣) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل . (٤) إبراقه وإرعاده : تهديده ووعيده .

(٥) يريد بآصرته : أهل قرابته وأصحاب مودته .

(٦) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، وهو يريد شعر الرأس على الإطلاق . ويريد بالبالى الذى تغير لونه فبيضه المشيب .

(٧) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم وصلى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ الَى عِدَةٍ ... بِالوَصْلِ يَوْمٌ أُنَاغِي فِيهِ إِقْبَالِي (١)

غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ ... وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ (٢)

فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ القِيَادِ، وَلَا ... قَلْبِي الَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ (٣)

أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ ... مِثْلَ القَطَامِيِّ فَوْقَ المَرْبَإِ العَالِي (٤)

ومن قصيدة له طويلة يصف فيها حروب اقريطش (كريد) ويتشوق الى مصر:

أَخَذَ الكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ ... وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الفُرْسَانِ (٥)

وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبٌ ... فَوْقَ المَتَالِعِ وَالرُّبَى بِجِرَانِ (٦)

لَا تَسْتَبِينُ العَيْنُ فِي ظَلْمَائِهِ ... إِلَّا اشْتِعَالَ أَسِنَّةِ المُرَّانِ (٧)

نَسْرِي بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ ... تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ (٨)

فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... تَهْدَارُ سَامِرَةٍ وَعَزْفُ قِيَانِ (٩)

---

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال: الوعد. وناغى الصبيّ: كلمه بما يعجبه ويسره.

(٢) الإجمال: الإحسان.

(٣) الرسن بفتحتين: الحبل الذى تقاد به الدابة.

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع، والقطامى بفتح القاف وضمها: الصقر. والمربأ: المكان الذى يقف فيه من يرقب.

(٥) الكرى: النوم. وهفا: أسرع.

(٦) الذوائب: جمع ذؤابة بضم الذال، وهى شعر فى مقدّم الرأس. المتالع: الأرض المرتفعة، والجران من البعير: مقدّم عنقه. ويقال: ضرب بجرانه كناية عن التسلط والتمكن.

(٧) المرّان بضم الميم وتشديد الراء: الرماح اللدنة فى صلابة.

(٨) الغوارب: جمع غارب، وهو أعلى كل شىء، وما بين السنام والعنق.

(٩) المربأة: مكان المراقب، والثنية: الطريق فى الجبل. والتهدار: التصويت وقرقرة الحمام. والقيان جمع قينة بفتح القاف: وهى المغنية.

تَسْتَنُّ عَادِيَةٌ، وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ، وَتَصِيحُ أَجْرَاسٌ، وَيَهْتِفُ عَانِي (١)
قَوْمٌ أَبَى الشَّيْطَانُ إِلَّا خُسْرَهُمْ فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ (٢)
مَلَئُوا الفَضَاءَ، فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرٍ غَيْرُ الْتِمَاعِ البِيضِ والخُرْصَانِ (٣)
فَالبَدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ وَالبَحْرُ أَشْكَلُ وَالرِّمَاحُ دَوَانِ (٤)
وَالخَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا لِطِرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَرِهَانِ (٥)
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسُنِ النِّيرَانِ (٦)
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ، وَارْتَمَتْ عَيْنَايَ بَيْنَ رُبًى وَبَيْنَ مَجَانِ (٧)
فَإِذَا الجِبَالُ أَسِنَّةٌ، وَإِذَا الوِهَا دُ أَعِنَّةٌ، وَالمَاءُ أَحْمَرُ قَانِي (٨)
فَتَوَجَّسَتْ فُرُطُ الرِّكَابِ، وَلَمْ تَكُنْ لِتَهَابَ، فَامْتَنَعَتْ عَلَى الأَرْسَانِ (٩)
فَزِعَتْ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَ، وَإِنَّمَا تَحْنَانُهَا شَجَنٌ مِنَ الأَشْجَانِ (١٠)
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ، وَأَيْنَ مِنْ مَاءٍ بِمِصْرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ؟ (١١)

---

(١) استن الفرس : عدا إقبالا وإدبارا . والأجرد : الحصان القصير الشعر . والعانى : التعب المهموم .

(٢) تسللوا : انسلوا وخرجوا .

(٣) البيض : السيوف . والخرصان : الدروع والرماح .

(٤) أكدر : تعلوه كدرة أى غبرة مما تثيره الحرب فى الجو ، والأشكل : الذى يضرب بياضه فى حمرة .

(٥) الأرسان : جمع رسن ، وهو اللجام أو الحبل فى عنق الدابة .

(٦) ألسن النيران هنا : التقاذف بالمدافع والبنادق .

(٧) المجانى : جمع مجنى الموضع ومكان جنى الثمار .

(٨) قان : شديد الحمرة .

(٩) الفرط : الفرس السريعة التى تتقدم الخيل . وامتنعت على الأرسان : حرنت ، وصارت لا تقاد بالأرسان .

(١٠) الشجن : الهم والحزن .

(١١) الموارد : جمع مورد مكان ورود الماء للشرب .

وقال يتغـــزل :

غَلَبَ الوَجْــدُ عَلَيْــهِ فَبَكَى ... وَتَوَلَّى الصَّـبْرُ عنْــهُ فَشَكَى (١)

وَتَمَنَّى نَظْــرَةً يَشْــفِى بِهَـا ... عِلَّةَ الشَّــوْقِ، فَكَانَتْ مَهْلِكَا (٢)

يَالَهَـا من نَظْرَةٍ ما قَارَبَتْ ... مَهْبِــطَ الحِكْمَةِ حتى انْتُهِكَا! (٣)

نَظْــرَةٌ ضَمَّ عَلَيهـا هُــدْبَهُ، ... ثُمَّ أَغْرَاهَا ، فَكَانَتْ شَــرَكَا (٤)

غَرَسَتْ فِى القَلْبِ مِنِّى حُبَّــهُ ... وَسَــقَتْهُ أَدْمُعِى حَــتَّى زَكَا (٥)

* * *

كَانَ أَبْقَى الوَجْــدُ مِنِّى رَمَقَا ... فَاحْتَــوَى البَيْنُ عَلَى ما تَرَكَا (٦)

إِنَّ طَرْفِى غَرَّ قَلْبِى، فَمَضَى ... فِى سَبِيلِ الشَّــوْقِ حَتَّى هَلَكَا (٧)

قَــدْ تَوَلَّى إِثْرَ غِزْلَانِ النَّقَـا ... لَيْتَ شِــعْرِى أَىَّ وَادٍ سَلَكَا (٨)

لَمْ يَعُــدْ بَعْــدُ، وَظَـنِّى أَنَّهُ ... لَجَّ فى نَيْــلِ المُنَى، فَارْتَبَكَا! (٩)

---

(١) تولى عنه الصبر : فارقه .

(٢) المهلك : الهلاك .

(٣) انتهك بالبناء للمجهول : انكشف وافتضح .

(٤) الهدب بضم الهاء وسكون الدال : شعر أجفان العينين . واحدتها هدبة بضم الهاء . والشرك بفتحتين : حبائل الصيد .

(٥) زكا الزرع : طال ونما .

(٦) الرمق بفتحتين : بقية الحياة . والبين : البعد والفرقة .

(٧) الطرف بفتح فسكون : العين .

(٨) النقا : القطعة من الرمل ، يضرب المثل بغزلانها فى الحسن ، وبأغصانها فى الاعتدال . ليت شعرى : ليتنى أعلم .

(٩) لج فى طلب الشىء : تمادى فيه وأبى الانصراف عنه . والمنى جمع منية بضم الميم وسكون النون : ما يتمناه الإنسان .

* * *

يَا غَزَالًا نَصَبَتْ أَهْدَابُهُ ... بِيَدِ السِّحْرِ لِصَيْدِي شَبَكَا (١)

قَدْ مَلَكْتَ القَلْبَ، فَاسْتَوْصِ بِهِ ... إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى مَنْ مَلَكَا

لَا تُعَذِّبْهُ عَلَى طَاعَتِهِ؛ ... بَعْدَ مَا تَيَّمْتَهُ؛ فَهْوَ لَكَا (٢)

غَلَبَ اليَأْسُ عَلَى حُسْنِ المُنَى ... فِيكَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الضِّحْكِ البُكَا

فَإِلَى مَنْ أَشْتَكِي مَا شَفَّنِي ... مِنْ غَرَامٍ؟ وَإِلَيْكَ المُشْتَكَى! (٣)

سَلَكَتْ نَفْسِي سَبِيلًا فِي الهَوَى ... لَمْ تَدَعْ فِيهِ لِغَيْرِي مَسْلَكَا

وقال فى الفخر، وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بِتَحْنَانِ الأَغَارِيدِ يَطْرَبُ ... وَغَيْرِيَ بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ (٤)

وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الخَمْرُ لُبَّهُ ... وَيَمْلِكُ سَمْعَيْهِ اليَرَاعُ المُثَقَّبُ (٥)

وَلَكِنْ أَخُو هَمٍّ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ ... بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ العُلَا رَاحَ يَدْأَبُ (٦)

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ ... لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَطْلَبُ (٧)

وَمَنْ تَكُنِ العَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ ... فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ المَكَارِمَ حَقَّهَا ... فَلَا عَزَّنِي خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبُ

(١) الشبك بفتحتين : الشرك الذى يطرحه الصياد فى البر أو البحر لاقتناص الصيد . والواحد : شبكة بفتحتين . (٢) تيمه الحب : استعبده واستذله . (٣) شفه : أضعفه وأهزله .

(٤) التحنان بفتح التاء الحنين . والأغاريد جمع أغرودة بضم الهمزة : غناء الطائر . و يعجب بالشىء بالبناء للمجهول يسر منه .

(٥) اليراع : القلم . والمثقب النافذ . و يريد بسمعيه أذنيه .

(٦) الهم هنا الهمة . وترجحت به مالت به . و يريد بالسورة النزعة القوية .

(٧) الأسنة جمع سنان : وهو نصل الرمح .

* * *

خُلقتُ عيوفًا لَا أرى لابنِ حُرَّةٍ ... عَلَىَّ يدًا أُغضِى لهَا حِينَ يَغضبُ(١)

فلستُ لأمرٍ لم يكن متوقَّعًا ... ولستُ على شيء مضى أتعتَّبُ(٢)

أسيرُ على نهجٍ يرى النّاس غيره ... لِكُلِّ امرئ فيما يُحاوِلُ مذهبُ(٣)

وإنِّى إذا ما الشكُّ أظلمَ ليلُهُ ... وأمستْ بهِ الأحلامُ حيرى تَشعَّبُ(٤)

صَدعتُ حِفافَىْ طُرَّتَيْهِ بِكَوكَبٍ ... مِنَ الرَّأْيِ لا يَخفَى عَلَيْهِ المُغَيَّبُ(٥)

وقال رحمه الله يتغزل :

فلا تسألنِّى عن هواى فإنَّنى ... وربِّكَ أدرى كيف زلَّتْ بىَ النَّعلُ(٦)

فما هِىَ إلَّا أن نظرتُ بجُماءةٍ ... بِحُلوانَ حيثُ انهارَ وانعقدَ الرَّملُ

إلى نِسوةٍ مثلِ الجُمانِ تناسقتْ ... فرائدُهُ حُسنًا وألَّفهُ الشَّملُ(٧)

تكنَّفنَ تمثالًا مِنَ الحُسنِ رائعًا ... يُجَنُّ جنونًا عندَ رؤيتِهِ العقلُ(٨)

فكانَ الَّذى لولاهُ ما دُرتُ هائمًا ... أرودُ الفيافِى لا صديقٌ ولَا خِلُّ(٩)

---

(١) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة .

(٢) أتعتب : أغضب . (٣) المذهب : الطريقة .

(٤) الأحلام : العقول . وتشعب تتشعب : أى تختلف وتتفرق .

(٥) حفافا الشيء : جانباه . والطرة : الناصية . يقول : انه اذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره برأى كالكوكب فى وضوحه وإشراقه .

(٦) يريد بزلة النعل : الوقوع فى شرك الحب .

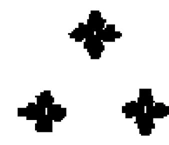
(٧) الجمان : اللؤلؤ ، واحدتها جمانة . (٨) تكنفنه : أحطن به .

(٩) هام الرجل على وجهه فهو هائم : ذهب لايدرى أين يتوجه . وراد الأرض تفقد مافيها من المراعى والمياه ، والمراد هنا مجرد الجولان فى الفيافى وهى المفازات لا ماء فيها وواحدتها فيفاء .

(١٣) حفنى بك ناصف[(١)]

قال يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى قنا :

رقَّيتنى حِسًّا ومَعنًى … فلصُنعِكَ الشكرُ المثنَّى
وجعلتَ رأسَ الجاسدِ … ينَ بمصرَ مِن قدمىَّ أدنَى
وجعلتَ سُدَّةَ منزلِى … من أسقُفِ الهرمين أسنَى
أسكنتَنِي فى بُقعةٍ … فيها غدوتُ اعزَّ شأنا
أرِدُ المشارعَ سابقًا … والسَّبقُ عند الوِرْد أهْنا
وأزورُ آثارَ المُلو … كِ، وكنتُ قبلُ بها مُعنَّى
بَلدٌ إذا حلَّت بهِ … قَدَماكَ قلتَ حَللتُ حِصْنا
جَبلُ المقطمِ حَولَهُ … مُتعطِّفٌ كالنونِ حُسْنا
هَيهاتَ أن يصِلَ العدُوُّ له ، ويُدرِكَ ما تَمنَّى



قالوا : شَخَصتَ إلى قنا … يامرحباً "بقنا" و "إسنا" !
قالوا : سكنتَ السَّفحَ قلْـ … ـتُ وحبَّذا بالسفح سُكنَى
قالوا : قنا حَرٌّ، فقلْـ … ـتُ : وهل يَرُدُّ الحُرُّ قِنَّا؟[(٢)]

---

(١) هو القاضى الفاضل والشاعر الكاتب الاستاذ محمد حفنى ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، تخرج نابغة نابها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاهة وسرعة البديهة ، يمتاز أسلوبه بالجزالة فى النثر والسهولة فى الشعر. توفى سنة ١٩١٩ م .

(٢) القن : العبد الرقيق . وفاعل يردّ يعود على (حرّ) بفتح الحاء . يقول وهل يصيِّر حرّ قنا الرجل الحرّ عبدا رقيقا ؟

سِرُّ الحَيَـاةِ حَــرارةٌ لولاهُ ما طَــيرٌ تغــنَّى
كلّا ! ولا زهرٌ تبسّـ ـمَ، لا ولا غصــنٌ تثنَّى !
تَتَـدفّق الأنهـارُ من حَرٍّ، وتُزجِى الريحُ مُزْنا !
ها قد أمِنتُ الــبَرد وال ـبُرَداءَ، والقلبُ ٱطمأنّا
ووُقيتُ أمراضَ الرُّطــو بَةِ ، وٱستَراق الريحِ وَهْنَــا
ألقَى الهـــواءَ فــلا أها بُ لِقــاءَه : ظَهرا وبَطنا
وأنامُ غــيرَ مُــدَّثرٍ شــيئًا إذا ما ٱلليــلُ جَنّا
قــد خَفّتِ النفقاتُ إذ لا أشــترى صُــوفًا وقُطنا
ووَفرتُ من ثَمن الوَقـو دِ النصْفَ أو نِصفًا وثُمنا
فالشـمسُ تَكفُل راحتى؛ فكأنهـا أُمّى وأحـــنَى
فإذا بَـــدتْ لى حاجةٌ فى الغُسل ألقِى المـاءَ سُخْنا
أو رُمت طبخًا أو عِلا جَ الخـبز أُلفِى الجَــوَّ فُرنا
سكْنَى القُرى تدعُ السفيـ ـهَ مُوكَّلا بالمـال مُضـنَى
أىُّ المــلاهِى فيـه يَصـ ـرِفُ مالَه ومـــتَى وأنّى؟
كل ٱمرِئٍ تلقاه مِن بعـــدِ الظهـيرة مُستَكِنّا
ويَرى الغريبُ السِّــعرَ أيـ ـسَرَ حالةً، وأخَفَّ غَبْنــا
يجــد الحليبَ بعينِه لَبنًا، ويُلفِى ٱلسَــمْنَ سَمنا
عِشْ فى القُرى رأسًا، ولا تسكُنْ مع الأَذنابِ مُــدْنا

وأربأْ بنفسك أن ترى ... مستمرئًا فى العين جُبنا
ودع الجزيرة والمها ... والجسر والظَّبيَ الأغنّا
وأسلُ الأغانى والغوا ... نىَ ، وأسأل الرحمن عدْنا !

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين كتب الى المرحوم حسين رشدى باشا ، وكان يومئذ رئيسًا للوزارة ، يسأله أن يمدّ فى أجل خدمته ، فى مفاكهة غاية فى الظرف والرقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يا شَيْخَ الوِزَارَهْ ... حَاجَتِى إنْ شِئْتَ تُقْضَى بإشَارَهْ
نَالَهَا قَبْلِى أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ ... دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَدْنَى إِدَارَهْ
نَاهَزَ السِّتِّينَ عُمْرِى إنَّمَا ... لَمْ أَزَلْ جَمَّ القُوَى جَمَّ الجَدَارَهْ(١)
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِى عِلَّةً ... هَلْ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَهْ؟
إِنَّ تَرْكِى خِدْمَةَ الأَوْطَانِ مَعْ ... طُولِ مَا مَارَسْتُ فِى الدُّنْيَا خَسَارَهْ
وَحَيَاتِى كُلُّهَا قَضَّيْتُهَا ... تَارَةً فِى العَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَهْ(٢)

وقال موجها الخطاب إلى صديقه الشاعر حافظ بك إبراهيم(٣) رحمهما الله :

أَتَذْكُرُ إِذْ كُنَّا عَلَى القَبْرِ سِتَّةً ... نُعَدِّدُ آثَارَ الإِمَامِ وَنَنْدُبُ؟
وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا ... مَمَاتٌ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مُرَتَّبُ :

(١) ناهز : قارب . والجم . الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وان كانت نشأة الشاعر الأولى فى الأزهر ثم فى دار العلوم فقد ولى القضاء فى المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) كان الذين قاموا على تأبين المرحوم الشيخ محمد عبده ستة ، وصادف أن مات منهم أربعة متناقبين على ترتيبهم فى التأبين . وكان حفنى خامسهم ، وآخرهم حافظ ابراهيم رحمة الله عليه .

أبُــو خَطْــوَةٍ وَلَّى وقفَّاهُ عَاصِمٌ وجَاءَ لِعَبْــدِ الرَّازِقِ المَوْتُ يَطْلُبُ
فَلَبِّى، وَغَابَتْ بَعْــدَهُ شَمْسُ قَاسِمٍ وَعَمَّــا قَلِيلٍ نَجْمُ مَحْيَاىَ يَغْــرُبُ [١]
فَلاَ تَخْشَ هُلْكاً مَاحَيِيتُ، وإنْ أَمُتْ فَمَــا أَنْتَ إِلاَّ خَائِفٌ تَــتَرَقَّبُ
فَخَاطِرْ وَقَعْ تَحْتَ القِطَارِ وَلاَ تَخَفْ ونَمْ تَحْتَ بَيْتِ الوَقْفِ وهُوَ مُخَرَّبُ
وَخُضْ لُجَجَ الهَيْجَاءِ أَعْزَلَ آمِنًـا فَإِنَّ المَنَايَا مِنْــكَ تَجْـرِى وَتَهْـرُبُ

(١٤) اسماعيل صبرى باشا [٢]

قال :

إِنْ سَئِمْتَ الحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الأَرْ ضِ تَنَمْ آمِنــاً مِنَ الأَوْصَابِ [٣]
تِلْكَ أُمٌّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الأُمْ مِ الَّــتِى خَلَّفَتْــكَ لِلأَتْعَابِ [٤]
لاَ تَخَفْ ؛ فَالمَمَــاتُ لَيْسَ بِمَــاحٍ مِنْكَ إِلاَّ مَا تَشْــتَكِى مِن عَذَابِ

(١) هم على الترتيب فى البيتين المرحومون : الشيخ أحمد أبو خطوة ، وحسن باشا عاصم ، وحسن باشا عبد الرازق ، وقاسم بك أمين .

(٢) ولد إسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والادارة ، ثم أرسل الى فرنسا ؛ فدرس الحقوق هناك وشغل فى مصر مناصب القضاء يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحقانية . وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر فى رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده . له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فنى ، مات سنة ١٩٢٣ م .

(٣) الأوصاب : جمع وصب بفتحتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض ؛ لأنه خلق من ترابها .

(٤) أحنى : أعطف وأرفق . والأتعاب : جمع تعب .

كُلُّ مَيْتٍ بَاقٍ، وَإِنْ خَالَفَ العُنْـ ... وَانُ مَا نُصَّ فِي غُضُونِ الكِتَابِ (١)
وَحَيَاةُ المَـرْءِ اغْتِرَابٌ فَإِنْ مَا ... تَ فَقَـدْ عَادَ سَالِمًا لِلتُّرَابِ (٢)

وقال يناجي الدواة :

يَا دَوَاةُ اجْعَلِي مِدَادَكِ وِرْدًا ... لِوُفُودِ الأَقْلَامِ حِينًا فَحِينًا (٣)
وَلْيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا ... تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينًا (٤)
أَكْرِمِي العِلْمَ وَامْنَحِي خَادِمِيهِ ... مَاءَكِ الغَالِيَ النَّفِيسَ الثَّمِينَا
وَابْذُلِي الصَّافِيَ المُطَهَّرَ مِنْهُ ... لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ المُرْشِدِينَا
وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا ... يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَلِ الجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدَّا مِنَ الشُّرُورِ مِدَادًا ... فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا

* * *

وَإِذَا مُهْجَةُ الحَمَائِمِ أَسْدَتْ ... نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّكِيَّ المَصُونَا (٥)
فَاجْعَلِيهَا عَلَى المَوَدَّاتِ وَقْفًا ... وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيِّقِينَا (٦)

(١) فى غضون الكتاب : فى أثنائه . هذا البيت بمثابة التدليل على البيت الذى قبله ؛ فانه قرر فى ذلك البيت أن الموت لا يمحو من الانسان شيئا ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفى هذا البيت يقول : إن كل ميت هو فى الواقع حى ، وإن كان الموت معروفا بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف فى الواقع ما نص عليه فى صلب الكتاب .

(٢) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أفخر الشعر وأروعه .

(٣) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد . (٤) الآسن : الراكد المتغير - والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب الى المداد أن تكون حاله كحال الزمان فى سعده ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

(٥) المهجة : دم القلب . والحمائم : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب .

(٦) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودّة . الشيقين : المشتاقين .

فَاذَا لَم يَكُنْ بِقَلْبِكِ إِلَّا مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
فاجعليه حَظِّى لِأَكْتُبَ مِنْهُ شَرْحَ حَالِي لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا (١)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَت الْـ أَيَّامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّى
بَيْنِى وَبَيْنَكَ خَطْوَةٌ إِنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّى

وقال :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَرَّبَ الشَّوْقُ جُهْدَهُ شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتَابَا (٢)
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

وقال فى ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنْتَ خَاذِلِى سَاعَةَ التَّوْ دِيعِ يَا قَلْبُ فِى غَدٍ أَمْ نَصِيرِى ؟
وَيكَ ! قُلْ لِى، مَتَى أَرَاكَ بِجَنْبِى رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
لَسْتَ بَعْضَ الْحُدَاةِ بل أنتَ بَعْضِى قِفْ قَلِيلًا ، فَلَسْتَ بِالْمَأْجُورِ (٣)
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ لِلْمُحِبِّينَ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ؟ (٤)
لَا تَحِينِى ! رُوحِى الْفِدَاءُ لِمَا حِيـ لَكَ غَدًا مِن صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ (٥)

(١) حظى : نصيبى .

(٢) اللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الحداة بضم الحاء جمع حاد : الذى يسوق الإبل و يغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت فى مكانه الذى هجره ليسير فى ركاب الأحبة و يغنيهم، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

(٤) البين : البعد والفراق . وقدت : قطعت .

(٥) حان الشىء يحين : قرب وقته .

وقال يتغزل :

أَبُثُّكِ مَا بِي فَإِنْ تَرْحَمِي رَحِمتِ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا (١)

وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَّ النَّوَى عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبَّى (٢)

وَأَخْشَى عَلَيْكِ هُبُوبَ النَّسِيمِ وإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوضِ هَبَّا

وَاسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ بُرْهَةٍ مِنَ العُمْرِ لَمْ تَلْقَنِي فِيكِ صَبًّا (٣)

تَعَالَيْ نُجَدِّدْ زَمَانَ الهَنَاءِ وَنَنْهَبْ لَيَالِيَهُ الغُرَّ نَهْبَا (٤)

تَعَالَيْ أَذُقْ بِكِ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ ما كانَ حَرْبَا (٥)

وقال يتغزل :

يَارَاحَةَ القَلْبِ يَاشُغْلَ الفُؤَادِ صِلِي مُتَيَّماً أَنْتِ فِي الحَالَيْنِ دُنْيَاهُ (٦)

زِينِي النَّدِيَّ وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ لُطْفًا يَعُمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيَّاهُ (٧)

رَيْحَانَةٌ أَنْتِ فِي صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِهَا اللهُ

إِنْ غَابَ سَاقِي الطِّلَا أَوْصَدَّ لَاحَرَجٌ هَـذَا جَمَالُكِ يُغْنِينَا مُحَيَّاهُ (٨)

---

(١) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٢) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق . ولبى : أجاب . ودعا : دعاه .

(٣) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . والصب : العاشق الشديد العشق . (٤) الغر : الحسان .

(٥) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه بقول العباس بن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

(٦) المتيم : الذى استذله الحب . وفى الحالين : أى فى حالى الوصل والهجر .

(٧) الندى : بتشديد الياء النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٨) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

ومن قوله فى التصوّف :

يَا رَبِّ أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمٌ ... لِلظَّالِمِينَ غَـدًا وَلِلْفُجَّارِ
لَمْ يَبْقِ عَفْوُكَ فى السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... وَالأَرْضِ شِـبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ أَهَّلَنِى لِفَضْـلِكَ وَاكْفِنِى ... شَطَطَ العُقُولِ وَفِتْنَـةَ الأَفْكَارِ
وَمُرِ الْوُجُودَ يَشِفُّ عَنْكَ لِكَىْ أَرَى ... غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَـةَ الْجَبَّارِ (١)
يَا عَالِمَ الأَسْرَارِ حَسْـبِى مِحْنَـةً ... عِلْمِى بِأَنَّكَ عَالِمُ الأَسْـرَارِ (٢)
أَخْلِقْ بِرَحْمَتِـكَ الَّتِى تَسَعُ الوَرَى ... أَلَّا تَضِـيقَ بِأَعْظَمِ الأَوْزَارِ (٣)

وقال متغزلا :

أَقْصِرْ فُؤَادِى فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَـةٍ ... وَلَا بِشَافِعَـةٍ فِى رَدِّ مَا كَانَا (٤)
سَلَا الفُـؤَادُ الَّذِى شَاطَرْتَهُ زَمَنًـا ... حَمْـلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا (٥)
هَلَّا أَخَذْتَ لِهَـذَا اليَوْمِ أُهْبَتَـهُ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الأَشْوَاقُ أَشْجَانَا ؟ (٦)
لَهْفِى عَلَيْـكَ قَضَيْتَ العُمْرَ مُقْتَحِمًا ... فِى الوَصْـلِ نَارًا وَفِى الهِجْرَانِ نِيرَانَا

---

(١) شف الشىء يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه .

(٢) المحنة : البلية والمصيبة . يقول : يكفينى تجربة وبلاء علمى بأنك تعلم السر وما يخفى لأنك إذن مطلع على آثامى وأوزارى .

(٣) أخلق به أن يفعل كذا ، أى ما أحقه بفعله .

(٤) أقصر : كف وأقلع .

(٥) يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

(٦) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبته أى هيأت له أسبابه . والأشجان الهموم والأحزان ، واحدها شجن . يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران فأعددت له عدّته قبل أن تندفع فى تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هموما وأحزانا بما تعانيه من القطيعة .

(١٥) ولي الدين يكن (١)

ويل للناس من الناس

يريد الناس في الدنيا هناء ... ويأبى أن يجود به الزمان
حياة حاربتهم منذ كانت ... وحظ حاربوه منذ كانوا
وآمال تغرهم عجاف ... وأحداث تكذبها سمان
وكم من مستنيل ليس يعطى ... وكم من مستعين لا يعان
تكاثرت الهموم فلا يراع ... يوفيها الشكاة ولا لسان
أمانا أيها الخصم المعادي ... إذا دان العدا وجب الأمان
أإن رغبوا إليك رغبت عنهم ... لقد هانت رغائبهم وهانوا
يمني الناس بعضهم بخير ... ألا كذبوا على بعض ومانوا
وداع جاء يدعوني لنصح ... وقد وهن النهى ووهى البنان
تعبت من الكلام فليس يجدي ... — كما أملت — نظم أو بيان
وكانت صبوة ونزعت عنها ... فها أنا لا أدين ولا أدان
وما أسفي على عهد تقضى ... ولكن صنت عهدا لا يصان
ظللت أمينه دهرا طويلا ... وكنت أظن أني لا أخان

---

(١) ولي الدين بن حسن سري بن ابراهيم باشا يكن، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال الى الأدب واشتهر به، ثم سافر الى الآستانة وعين عضوا في مجلس معارفها، ثم نفاه السلطان عبد الحميد الى ولاية سيواس، وبعد اعلان الدستور عاد الى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته. وله شعر رقيق وكتابة جيدة. مات سنة ١٣٢٩

* * *

وَدارٍ لا يَزولُ القتلُ عنها — كأنَّ الحربَ فيها مِهرجانُ
أهابَ بها اليراعُ فلم تُجبهُ — ونادانا بجاوبتِ السّنانُ
تظلُّ بها السّواعدُ عاملاتٍ — يُصرِّفها ضرابٌ أو طعانُ
بكتْ عيني الشّبابَ وحين جفّتْ — مدامعُها غدا يبكي الجنانُ
لعمرُكَ ما لِذي نُصحٍ مكانٌ — ولا للنُّصحِ في الدُّنيا مكانُ
فدعني إنَّ آمالي استكفَّتْ — فلي شانٌ وللآمالِ شانُ

معارضته قصيدة الحصرى

" يا ليل الصّب متى غدُه "

الحسنُ مكانُكَ معبدُهُ — واللحظُ فؤادي مَعْبَدُهُ
يا سيّدتي هذا حُرٌّ — لم يعرفْ قبلَكِ سيّدَهُ
الليلُ وطيفُكِ يعرفُهُ — إنْ كانَ فؤادُكِ يجحدُهُ
كمْ يوحي طرفُكِ لي غزَلا — وأنا في شعري أُنشدُهُ
وتُساجلني الأطيارُ هوى — في الدَّوحِ أبيتُ أردِّدُهُ
للصّبحِ سَناؤكِ أبيضُهُ — لِلّيلِ غرامي أسودُهُ
أحببتُ قِلاكِ فطلَّقَهُ — عندي عذبٌ ومقيَّدُهُ
إنْ ضلَّ حنانُكِ عن قلبي — فأنا بولوعي أرشدُهُ
قد باتَ دلالُكِ يخذُلُهُ — وجمالُكِ كانَ يؤيِّدُهُ
زيدي تيهاً أزددْ كلَفاً — كلَفي إنْ رثَّ أجدِّدُهُ

(شوقى) إن ينتُ يضاعفهُ (صبرى) ان جُرتَ يؤكّدهُ
خلّانِ همَا شمسًا فلكٍ طرفى معَ طرفِكِ يرصُدهُ
فبِصلي باللهِ ولو حلُمًا (مُضناكِ جفاهُ مرقَدهُ)
وعديهِ اليومَ ولو كذبًا الصّبُّ يماطلُهُ غدُهُ

(١٦) الشيخ محمد عبد المطلب (١)

قال فى وصف القلم :

إذا اهتزّ فى طِرْسِه مُعجَبا أذلّ شُعوبًا وأعلى شُعوبًا (٢)
فيسْعد قَومٌ به تارةً وقوم به يَصْطلون الخُطوبا (٣)
وطورًا تراه يفُضّ الجمـوع وطورًا تراه يُشير الحروبا
وطورًا تراه آمرًا زاهيًا وطورًا تراه حزينًا كئيبا
وطورًا ينادى الورَى سائلًا وطورًا يرُدّ عليهم مُجيبا
تَسير الملوكُ على أمْرِه ولولاه ما كان مَلْكٌ مَهيبا
وتَجرى العلومُ على سِنّه فيُملى على كلّ قلبٍ نَصيبا

(١) هو الشاعر الأديب الشيخ محمد بن عبد المطلب . ولد ببلدة باصونة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ فيها القرآن . ثم طلب العلم فى الأزهر ثم فى دار العلوم ، حتى إذا نال إجازتها قام بالتدريس فى المدارس الأميرية ، ثم تولى التدريس بمدرسة القضاء الشرعى ثم تحوّلت به الأحوال فاختير مدرّسا فى دار العلوم ، وظل فيها حتى أحيل الى المعاش ولم يلبث إلا قليلا حتى وافاه أجله المحتوم . وهو شاعر جزل اللفظ ، فخم النظم ، يتأثر فى قريضه شعر الجاهليين وشعراء الصدر الأول فى الإسلام ، توفى سنة ١٩٣١ م .

وهذه المختارات والتعليق عليها من ديوانه المطبوع الذى وقف على ضبطه وشرحه الأستاذان إبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية .

(٢) الطرس : الصحيفة . (٣) يصطلون الخطوب : يحترقون بصلاها .

وله من قصيدة فى تكريم شوقى بك :

تأوّبنى والليلُ بالصبح مُزعجُ ... خيالٌ له فى حِندِس الهمّ مَنْهجُ[1]

يُكلّف جَفنىَّ الغِرارَ لعلّه ... إلى النفس فى طىّ الكَرى يتدرّج[2]

وما شَغلتْ عينى عن النوم صَبْوةٌ ... بها شاقَنى طَرْفٌ من العِين أبْرج[3]

ولا بات يُغرينى بمَعْسولة اللَّمى ... إذا ابتسمتْ، ذاك الجُمان المُفلَّج[4]

ولا ذرفتْ عينى لركبٍ يشوقُنى ... غَداةَ النَّوى، فيه خِباءٌ وهَوْدج

لَوَيتُ زِمامَ النَّفس عن سَنَن الهوى ... وخلّيتُ أتراب [الهوى][5] حيثُ عرَّجوا

ورُحتُ إلى ما يبتنى المجدَ للفتى ... وأدلجتُ فى ركْب العلا يومَ أدْلجوا[6]

وما المجدُ إلا حيثُ حلّت رِباعُنا ... له فى نواحيها ظِلالٌ وسَجْسَج[7]

إذا أجدبت أحْسابُ قومٍ سَما بنا ... على الناس جَيّاشُ الغَوارِب مُرْتَج[8]

لنا الباذخات الشُّمّ تعلو قِلالُها ... على كلّ ما شادَ الأنامُ وبرّجوا[9]

---

(١) تأوبه : أتاه ليلا . والحندس : السواد والظلمة . والمنهج (كمقعد ومنبر) : الطريق الواضح .

(٢) الغرار : النوم القليل .

(٣) العين : البقر الوحشية وتشبه بها الحسان فى جمال العيون . والطرف الأبرج : الذى يكون بياضه محدقا بالسواد كله لا يغيب من سواده شيء .

(٤) اللمى (بالتثليث) : سمرة فى باطن الشفة . والجمان : اللؤلؤ . والمفلج غير المتلاحم، يريد بها الأسنان .

(٥) زيادة يفقدها الأصل المخطوط . (٦) الإدلاج : السير فى الليل .

(٧) الرباع : الدور . جمع ربع . والسجسج : اعتدال الجو ووقته ، يقال : يوم سجسج إذا لم يكن فيه حر مؤذ ولا قر، وكذلك الليل .

(٨) الجياش : المضطرب . والغوارب : الأمواج المرتفعة . والمرتج من البحار : الهائج الذى يغمر كل شيء . (٩) القلال : القمم . وبرج : بنى برجا .

سَلوا الدهرَ عنّا فى القديم فإنما ... بأسلافنا يَذْكو قديمًا ويأْرَجُ(١)

لهم فى نواحى كلّ جيلٍ مناقبٌ ... تَجِدُّ إذا أهلُ المَناقب أنْهَجوا(٢)

إذا عَرَضُ الدنيا بنَى مجدَ معشرٍ ... زَهاهم من الدنيا رُواءٌ وبَهْرَج(٣)

فشادوا على زَيْف المظاهر قوةً ... يَصول بها سيفٌ من الغَىّ أهْوج

رفعنا منارَ الحقّ فى مَدَنيَّة ... سَنا الحقّ من آفاقها يتبلّج

لها فَلَقٌ من جانب الشّرق واضحٌ ... على الغرب يعلو نورُه المُتَوهِّج(٤)

حياة ورِشاها بيانًا مفصَّلا ... بها يُفلَق الذِّكْرُ الحكيم ويُفْلَج(٥)

فنحن إذا الأقلامُ جالتْ جيادُها ... أُولو السَّبْق نجرى حيثُ شئْنا ونُهْمج(٦)

وقال يجاوب شوقى بك على قصيدته التى مطلعها : " اختلاف النهار والليل يُنسى " والتى قالها فى منفاه :

مَالَهُ فى الحنين يُضْحِى ويُمسى ... شَفَّه البرقُ لاح من «عين شمس» (٧)

واستخفّت به الصِّبا فتناسى ... عَهْدَه فى الوقار، والشوقُ يُنْسى (٨)

---

(١) أرج الطيب يأرج (من باب علم) : فاحت رائحته .

(٢) جد يجد (من باب ضرب) : صار جديدا . وأنهج ثوبه : أبلاه . يريد أن هذه المناقب تبقى جديدة على مر الأيام بينما تبلى مناقب غيرهم .

(٣) زهاهم : استخفهم .

(٤) الفلق : الصبح .

(٥) يقال : فلق الله الصبح أى شقه بكشف الظلام عنه . والذكر الحكيم : القرآن . وفلقه : إيضاح مفرداته وكشف الغطاء عن معانيه ، وكذلك فلجه .

(٦) أهمج : جد فى السير .

(٧) شفه : أضناه .

(٨) الصبا : الشوق .

حَنَّ فى شَجْـوِه إلى جَبَلِ الطَّيْـــرِ حَنينِي إلى الغُـوَيْرِ وجَلْسِ (١)
ذَكَرَ العُـرْبَ بالوليـــدِ فأنْسا ه بما صاغ ذِكْرَ هُوجو وشَكْسِى (٢)
وبَكَى المكسَ إذ تذكّر ما سِيـــمَ بَنو مصرَ من هَوانٍ ومَكْسِ (٣)
وَيْحَــهُ كلّمـا تذكّر مصرًا مَسّـــهُ الوَجْدُ نحوَ مِصْرٍ بِمَسّ (٤)
لا تَلُمْ وَيْحَكَ الغريبَ على الدَّمْـــعِ ففى الدمعِ لِلْغَـــريبِ تَأَسّى
وابنُ مصرٍ إذا الأصولُ تلاقتْ بَذَّ أهـلَ العُـلا إلى خَيْرِ إِرْسِ (٥)
بَـلَدٌ نازِحٌ ودارٌ طَـروح بعـدَ مَيْـلٍ من الزمان وبأسِ (٦)
شاعرَ النيلِ، هل أتاك حديثُ الـنْـــنيلِ والدهرُ ذو سُعودٍ ونَحْسِ
ظـامئٌ لَوْ علمتَــه وهو رِىُّ الـنْـــناسِ عارٍ أديمُـــه وهو يَكْسِى

وله من قصيدة قالها فى جمعية المواساة :

أسألتَ باكيــةَ الدياجى مالَهـا أرِقتْ فأرّقت النجومَ حِيالَهـا
باتت تُكَفْكِفُ بالوَقارِ مَدامعًـا غَلَبَ الأسى عَبَراتِهـا فأسالَهـا
تَطْــوِى على الآلامِ مُهجةَ صابِرٍ قَطَعَ الزمانُ بِرَيْبِـــه آمالَهـا
فالنجمُ يَخفِقُ عن فؤادِ كريمةٍ رَحِمَ السحابُ جفونَها فبكى لهـا

---

(١) جبل الطير : جبل بصعيد مصر قرب أنّصنا (مدينة أزلية من ضواحى الصعيد) فى شرقى النيل . وجلس : كل ما ارتفع من الغور فى بلاد نجد . والغوير : تصغير الغور وهو ما انخفض ، يريد بهما بلاد العرب حيث موطن آبائه السابقين . وقد لا تخلو قصيدة له رحمه الله من الإشارة إلى موطنه الأول .

(٢) الوليد : يريد به البحترى الوليد بن عبيد بن يحيى الشاعر المعروف بالإجادة والجزالة والرقة . وهوجو : هو فكتور هوجو الشاعر الفرنسى . وشكسى : يريد شكسبير الشاعر الإنجليزى .

(٣) المكس : من ضواحى الإسكندرية . ومكس : ظلم . (٤) مس : جنون .

(٥) الإرس : الأصل . (٦) النازح : البعيد ، وكذلك الطروح .

تَبْكى إذ انقطع الأنيسُ لِصِبْيةٍ يتضوّرون يَمِينَها وشِمالَهَا
من كلّ ناعمةِ الحياة ومُتْرَفٍ وَرَدِ الحياةَ مَعِينَها وزُلالَها
يشكو الطَّوى فتَفِيضُ مُهجةُ أُمِّه شفقًا عليه وليس يَدرى حالَها
ولأخته عينٌ تُحَدِّث أمّها وَحْياً وقد حبَس الحياءُ مَقالَها
كَلِب الشتاءُ بجسمها فتعطَّفتْ تَطْوى على خاوِى الحَشا أوْصالَهَا (١)
حتى إذا رَقَد الأسى بجفونها وَهَفا النعاسُ برأسها فأمالَها
جَلَبَ الطَّوى أحشاءَها فتفزَّعتْ حَيْرَى تُعَانى سُهْدَها ومَلالَها
ياليت شِعْرى هل يُقِيل عِثارَها دهرٌ تولَّى حَرْبَها ونَكالَها
مُنْذا يُجِير على الليالى أُسرةً خَطِف المَنون غِياثَها وثِمالَها (٢)
أم مَنْ يَمُدّ يدًا لنَصْر مَصُونةٍ بَذَل الزمانُ قِناعَها فأذالَها (٣)
قَذَف الصباحُ بها سَبيلَ بَنِى النّدى لتُجِير من غَوْل الخطوب عِيالَها (٤)
ويَتيمةٍ شَهِد الزمانُ بيُتْمِها فى الحُسْن لم تَلِدِ الحِسانُ مِثالَها
خَرَجتْ مِنَ الإسكندرية غُدوةً تُزْجِى إلى أكناف مصرَ رِحالَها (٥)
حتى إذا وَقَف القِطارُ بها على بابِ الحديد تَلَفَّعتْ أَسْمالَها
وسَعتْ تُقلِّب مُقْلةً مَحْزونةً فى الذاهبين يَمِينَها وشِمالَها

(١) كلب به : اشتد .
(٢) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .
(٣) أذالها : أهانها .
(٤) الغول : المشقة والإهلاك .
(٥) تزجى : تسوق .

تُقتاد فى الطرقات فانيةَ القُوى مَحْنيّــةً صَبغَ المَشيب قَذالَهَــا (١)
عَمِى النهـارُ عليهـــما فكأنه ظُلَمٌ تَمُــدّ على الطريق سِدالَهَــا
لـــولا فتًى جَمُّ المروءةِ أقبلتْ تشكو إليــه عِثارَها فأقالَهَــا
مِنْ مَعْشرٍ عقَــدوا ضمائرَهم على حُبّ المروءة يخطُبون جَمالَهَــا
مَدُّوا لنَجْدتهــا أكُفًّا أرخَصتْ فى سَوْم غاليـــةِ المحَــامدِ مالَهَــا

(١٧) حافظ ابراهيم (٢)

قال رحمه الله، يصف القطار الحديدى، من قصيدة له :

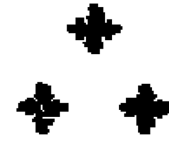
صَفْحةُ البَرقِ أومَضتْ فى الغَمَامِ؟ أمْ شِهابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلامِ
أمْ سَليلُ البُخَارِ طَارَ إلى القَصْـ ـدِ فأعْيَا سَــوَابِقَ الأوهَامِ! (٣)

(١) القذال : جماع مؤخر الرأس، وقيل ما بين نقرة القفا إلى الأذن .

(٢) هو الشاعر الناثر الأديب محمــد حافظ بك إبراهيم، و يلقب بشاعر النيل . ولد فى ديروط من أعمال مديرية أسيوط ونشأ بالقاهرة، وفيها جاز التعليم الابتدائى وطرفًا من الثانوى . ثم تحول إلى المدرسة الحربية، وخرج منها برتبة (الملازم الثانى) . وأشخص الى السودان، فظل هناك دهرا، ثم حول إلى البوليس فى ريف مصر، ثم أعيد إلى الجيش . ثم خرج إلى (الاستيداع) . ثم أحيــل الى التقاعد وهو فى رتبة اليوزباشى . وبعــد بضع سنين عين رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية، ثم وكيلا لهــا . وظل فى المنصب إلى أن خرج من الخدمة بحكم السنين، وكان ذلك قبــل وفاته ببضعة أشهر . وكان ـــ رحمه الله ـــ شاعرا فحلا من الطراز الأول : فخم اللفظ، متين الرصف، متلاحم النســج، رصين القافية، مشرق الديباجة . كما كان خفيف الروح، حسن المفاكهة، حاضر البــديهة . وله ديوان شعر طبع منه ثلاثة أجزاء . وكتاب ليالى سطيح . وترجم صدرا محمودا من كتاب (البؤساء) لفكتور هيجو . وشارك فى ترجمة كتاب (الموجز فى الاقتصاد السياسى) . وتوفى رحمه الله فى سنة ١٩٣٢ م .

(٣) السليل : الولد .

مَرَّ كَاللَّمْحِ لم تكَدْ تَقِفُ العَيْـ ـنُ على ظِــلِّ جِرمه المُتَرامِى (١)
أو كَشَرْخِ الشَّبَابِ لم يَدْرِ كاسِيـ ـهِ تَوَلّى فى يَقْظَةٍ أو منـامِ! (٢)
لا يُبـالِى السُّرَى إذا اعتكر اللَّيْـ ـلُ وخانَتْ مَواقِعُ الأَقْــدامِ (٣)
يَقطَعُ البِيــدَ والفَيَافِى وَحِيــدًا لم تُضَعْضِعْهُ وَحْشَــةُ الإظلامِ (٤)
لَيسَ يَثْنِيــهِ ما يُذِيبُ دِمَاغَ الـضَّـبِّ يَوْمَ الهَجِيرِ بينَ الموامِى (٥)
لا ولا يعــتريه ما يُخْرِسُ النَّا جِحَ فى الزَّمْهَرِيرِ بينَ الخِيَامِ
هائمًـا كالظَّلِيمِ أزعَجَــهُ الصَّيْـ ـدُ وَرَاعَتْــهُ طائِشَاتُ السِّهامِ (٦)
فهو يَشْتَدُّ فى النَّجاء ويهــوِى حَيثُ ترمى بجانبيْــهِ المَــرامِى (٧)



يا حَدِيدًا ينسابُ فـوقَ حَدِيدٍ كانسِيابِ الرَّقْطَاءِ فوقَ الرَّغامِ (٨)
قد مَسَحْتَ البِلادَ شَرْقًا وغَربًا بِذِرَاعَىْ مُشَــمِّرٍ مِقْــدَامِ (٩)
بَيْنَ جَنْبَيْكَ ما يُجَنِّي لَكِنْ ما يُجَنِّي مُسْــتَدِيمُ الضِّــرَامِ (١٠)

---

(١) المترامى : المتتابع .

(٢) شرخ الشباب : أوّله .

(٣) السرى : سير عامة الليل . واعتكار الليل : اشتداد سواده .

(٤) البيد ، جمع بيداء : الصحراء . والفيافى ، جمع فيفاء : الصحراء لا ماء فيها .

(٥) الموامى ، جمع موماة : الصحراء . و «دماغ الضب» يضرب به المثل فى احتمال الحر الشديد .

(٦) الظليم : ذكر النعام ، يضرب به المثل فى شدّة الجرى .

(٧) النجاء : السرعة .

(٨) الرقطاء : الحية . والرغام : التراب .

(٩) مسح البلاد : قاسها . والمشمر : المقدم على الأمر والمتهيّئ له .

(١٠) الضرام : الاتقاد .

أَنْتَ لا تَعْرِفُ الغَـرَامَ و إن كُنْـ ـتَ تُرِينَـا زفيرَ أَهـلِ الغَـرَامِ (١)
أَنْتَ لا تعرِفُ الحَنِينَ إلى الإِلْـ ـفِ فما هَذِهِ الدُّمُوعُ الهَوَامى؟ (٢)
أَنْتَ قَاسِى الفُؤَادِ جَلْدٌ على الأَيْـ ـنِ شَـدِيدُ القُوَى شديدُ العُرَامِ (٣)
لا تُبَالِى أَرُعْتَ بِالبَيْنِ أَحْـ ـبَاباً وأَسْرَفْتَ فى أَذَى المُسْتَهَامِ (٤)
أم جَمَعْتَ الأَحْبَابَ فَوْقَ صَعِيدٍ وخَلَطْتَ الأُسُــودَ بالآرَامِ (٥)

وقال يصف طيَّارة :

يَجْـرِى بِسَابِحَةٍ تَشُـ ـقُّ سَبِيلَهَا شَقَّ الإِزارْ (٦)
وتَكَادُ تَقْـدَحُ فى الأَثِـ ـيرِ فَيَسْتَحِيلُ إلى شرارْ (٧)
مثل الشِّهَابِ انْقَضَّ فى آثَارِ عِفْـرِيتٍ وَطَـارْ
فإذَا عَلَتْ فَكَدَعْوَةِ الْـ ـمُضْطَرِّ تَخْتَرِقُ السِّتَارْ
وَإذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ أُنْثَى العُقَابِ على الهَـزَارْ (٨)

---

(١) الزفير : إخراج النفس مع مده ، ولا يكون الا من الهم والكرب .
(٢) الإلف : الأليف . والهوامى : المتدفقة .
(٣) الأين : التعب والإعياء . والعرام : الشراسة والأذى .
(٤) البين : البعد . والمستهام : الذى غاب عقله من الحب أو غيره .
(٥) الصعيد : التراب ، ويريد به هنا الأرض . والآرام ، جمع رئم : الظبى الخالص البياض .
(٦) السابحة : يريد بها الطائرة تشبيها لها بالمركب تسبح فى الماء .
(٧) الأثير فى عرف علماء الطبيعة : مادة لا تقع تحت الوزن ، تخلل الأجسام ، ويكون امتداد الصوت والحرارة بوساطة تموجاتها .
(٨) العقاب (بضم العين) : طائر من الجوارح قوى المخالب ، والقوة فيه للأنثى ، وجمعه عقبان (بكسر العين) . والهزار (بفتح الهاء) : طائر كالحمامة ، حسن التغريد .

وتُسِفُّ آونَةً وآ ... ونَةً يَحِيدُ بها ٱزْوِرَارْ (١)
فيَخالُها الرَّاءُون قد ... قَرَّت وليس بها قَرارْ
لَعِبَ الجوادِ أقلَّ ليـ ... ـثاً من قُضاعةَ أو نزارْ (٢)
أو كالقَلوبِ من الحَما ... ئِم فوقَ مَلْعَبِهِ ٱستطارْ (٣)
وكأنَّها فى الأُفْقِ حيـ ... ـنَ يَميلُ ميزانُ النَّهارْ (٤)
والشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَها ... حُلَلَ ٱصْفِرارٍ وٱحْمِرارْ
مَلَكٌ تُمَثِّلُهُ لنا السـ ... ـسَّما فيأخُذُنا ٱنبِهارْ (٥)

وقال فى (دولة السيف والمدفع) :

يا دَوْلَةَ القَواضِبِ الصِّقالِ ... وَصَوْلَةَ الذَّوابِلِ الطِّوالِ (٦)
كَمْ شِدْتِ بينَ الأَعْصُرِ الخَوالِي ... مَمالِكًا عزيزةَ المَنالِ
قامَتْ بِحَدِّ الأبيضِ الفَصَّالِ ... وسِنِّ ذاكَ الأَسْمَرِ العَسَّالِ (٧)
راحَتْ بها الأَيَّامُ واللَّيالِي ... وخَلَفَتْها دَوْلَةُ الجَلالِ

---

(١) أسفّ الطائر (بفتح السين وتشديد الفاء) : دنا من الأرض فى طيرانه . وازورّ (بفتح الواو وتشديد الراء) ازورارا : انحرف وحاد .

(٢) قضاعة ونزار : شعبان عظيمان من شعوب العرب . يشبّه الطيارة فى تجوالها وترجحها فى الجو بجواد يركبه فارس من فرسان العرب .

(٣) القلوب بفتح القاف : الكثير التقلب .

(٤) يقال : مال ميزان النهار إذا تجاوز الظهر .

(٥) الانبهار هنا : شدة العجب .

(٦) الذوابل جمع ذابل : وهو الرمح .

(٧) الأبيض الفصال : السيف الماضى . والأسمر : الرمح . والعسال : الشديد الاهتزاز .

مُمَلَّكَةُ المدفعِ ذاتُ الخَـال ... قامَتْ بحوْلِ النَّـارِ والزِّلزالِ (١)
فَأَرْهَبَتْ أفئِــدَةَ الأَبْطَـالِ ... أَرْهَبَهـا مُزَعزِعُ الجِبَـال
ومُفْزِعُ الليــوثِ فى الدِّحَالِ ... وَقَاطِــعُ الآجَالِ والآمال (٢)
وَخَاطِفُ الأَرْوَاحِ مِن أَمْيالِ ... يَثُورُ كالبُرْكَانِ فى التِّزَالِ
فَيَتْبِـعُ الأَهْـوَالَ بالأَهْـوَالِ ... ويُرسِـلُ النَّـارَ على التَّـوَالِي
فَيَحطِــمُ الهـامَ ولا يُبَـالِي ... ما كَوْكَبُ الرَّجْمِ هَوَى من عالى (٣)
فَمَـرَّ كالفِكْرِ سَرَى بِالبَـالِ ... على عَنِيــدٍ مَارِدٍ محتـال
مُسْـتَرِقٍ للسَّمْعِ فى ضَـلَالِ ... من عَالَمِ التسبيحِ والاهـلال (٤)
أَمْضَى وأنكى منــه فى القِتَالِ ... إِذا سَــرَتْ قُنبُــلَةُ الوبَالِ
من فَمِهِ المحْشُــوِّ بالنَّكَالِ ... يُنْــذِرُهُمْ فى سَـاحَةِ المجَـالِ
بِالــبَرْقِ والرَّعْـــدِ وَبِالآجَالِ ... ولَم يَكُنْ كَذلكَ الخَتَّـال (٥)
يَحُــزُّ فى الهَـامِ وفى الأوصَالِ ... صَامِتَ قَــولٍ نَاطِقَ الفِعالِ
رَأَيتُــهُ كَالقَـوْمِ فى المِثَـالِ ... مالُوا عن القَوْلِ إلى الأَعْمَـالِ

* فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ المَعَـالى *

---

(١) الخال هنا بمعنى العظمة والكبرياء .

(٢) الدحال ، جمع دحل (بفتح الدال) : عرين الأسد .

(٣) الهام ، جمع هامة : وهى الرأس .

(٤) الإهلال هنا : رفع الصوت بذكر الله تعالى .

(٥) يريد (بالختال) : السيف لأنه يقطع بغير سابق إنذار ، أما المدفع فينذر بالبرق والرعد؛ يريد ما يكون من دويه وما يظهر من بريقه ساعة انطلاقه .

وقال من قصيدة له فى الدعوة إلى مكارِمِ الأخلاق :

إنّى لَتُطْرِبُنِى الخِلالُ كَرِيمةً ... طَرَبَ الغَرِيبِ بأَوبَةٍ وتلاقِى (١)

ويَهزُّنِى ذِكْرُ المُرُوءَةِ والنَّدَى ... بَيْنَ الشَّمائِلِ هِزَّةَ المُشْتَاقِ (٢)

فإذا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً ... فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأرزاقِ (٣)

فالنَّاسُ : هذا حَظُّهُ مالٌ وذا ... عِلْمٌ وذاكَ مَكارِمُ الأَخْلاقِ

والمَالُ إنْ لم تَدَّخِرْهُ مُحَصَّنًا ... بالعِلْمِ كانَ نِهَايَةَ الإملاقِ (٤)

والعِلْمُ إن لم تَكْتَنِفْهُ شَمائِلٌ ... تُعلِيهِ كانَ مَطِيَّةَ الإخْفَاقِ (٥)

لا تَحْسبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ... ما لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلاقِ (٦)

كَمْ عالِمٍ مَدَّ العُلُومَ حَبائِلًا ... لِوَقِيعَةٍ وقَطِيعَةٍ وفِراقِ

يَدْعُونَه عِنْدَ الشِّقاقِ وَمَا دَرَوْا ... أَنَّ الذى يَدْعُونَ خِدْنُ شِقاقِ (٧)

وطَبِيبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لِطِبِّهِ ... مَا لَمْ تُحِلَّ شَرِيعَةُ الخَلَّاقِ

قَتَلَ الأَجِنَّةَ فى البُطُونِ وَتَارَةً ... جَمَعَ الدَّوانِقَ من دَمٍ مُهَراقِ (٨)

(١) الخلال جمع خلة بالفتح وهى الخصلة . والأوبة : الرجعة .

(٢) الشمائل : الخصال ، واحدها شمال (بكسر الشين) .

(٣) الخليقة وجمعها خلائق : السجايا والخصال .

(٤) الإملاق : شدة الفقر .

(٥) الإخفاق : الخيبة .

(٦) الخلاق (بفتح الخاء) : الحظ الوافر من الخير .

(٧) الخدن (بكسر الخاء) : الصاحب .

(٨) الدوانق ، جمع دانق : سدس الدرهم . والمهراق المصبوب المسفوك . يقول : إن من الأطباء من يبيعون ذممهم ويخونون واجب مهنتهم ، فيرتكبون أعظم الجرائم مثل إجهاض الحوامل لقاء أتفه المال .

وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْـتَحِقُّ يَمِينُهُ ... قَطْـعَ الأَنَامِلِ أَو لَظَى الإِحراقِ

يَلْهُـو ويَلْعَبُ بِالعُقُولِ بَيَـانُهُ ... فكأَنَّهُ فى السِّـحْرِ رُقْيَةُ رَاقِى (١)

فى كَفِّهِ قَـلَمٌ يَمُجُّ لُعَابُهُ ... سُمًّـا ويَنفُثُـه عـلى الأَوْرَاقِ

يَرِدُ الحَقَائِقَ وهْىَ بِيضٌ نُصَّعٌ ... قُدْسِـيَّةٌ عُلْوِيَّةُ الإِشْـرَاقِ

فَـيَرُدُّهَا سُـوداً على جَنبَاتِهَـا ... مِن ظُلْمَـةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطَاقِ

عَرِيَتْ من الخُلُقِ المُطَهَّرِ نَفْسُهُ ... فَحَيَاتُهُ ثِقْـلٌ على الأَعْنَـاقِ

لَو كَانَ ذا خُلُقٍ لأَسْـعَدَ قَوْمَهُ ... بِبَيَـانِهِ وبِرَاعِـةِ السَّـبَّاقِ

وقال يرثى محمود باشا سامى البارودى رحمهما الله :

رُدُّوا عَـلَىَّ بيَـانِى بَعْـدَ مَحْمُـودِ ... إِنِّى عَيِيتُ وأَعْيَـا الشِّـعْرَ مَجْهُودِى

مَا لِلْبَـلاَغَةِ غَضْـبَى لا تُطَاوِعُنِى ؟ ... وما لِحَبْـلِ القَـوَافِى غَيْرَ مَمْـدُودِ؟

ظَنَّتْ سُكُوتِىَ صَـفْحًا عن مَـوَدَّتِهِ ... فَأَسْـلَمَتْنِى إلى هَـمٍّ وتَسْهِيـدِ (٢)

ولَو دَرَتْ أَنَّ هَذَا الخَطْبَ أَفْحَمَنِى ... لأَطْلَقَتْ من لِسَـانِى كُلَّ مَعْـقُودِ (٣)

لَبَّيْـكَ يا مُؤْنِسَ المَوْتَى ومُوحِشَـنَا ... يَا فَارِسَ الشِّـعْرِ والهَيْجَاءِ والجُـودِ (٤)

مُلْكُ القُـلُوبِ، وأَنْتَ المُسْتَقِلُّ به ، ... أَبْـقَى على الدَّهْرِ من مُلْكِ ابنِ دَاوُدِ (٥)

---

(١) الرقية وتجمع على رقى (بضم الراء وفتح القاف) : ما يقال أو يكتب للعصمة من العين أو السحر ونحو ذلك فى وهم الواهمين .

(٢) الصفح هنا : الإعراض . والسهد : الأرق وقلة النوم .

(٣) أفحمه : أعجزه عن الجواب . والمراد هنا أنه أعجزه عن قرض الشعر .

(٤) الهيجاء : الحرب .

(٥) ابن داود : سيدنا سليمان (قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب).

لبَّيْكَ يا شاعِرًا ضَنَّ الزَّمانُ به ... على النُّهى والقَوافِى والأناشِيدِ
تَجْرِى السَّلاسَةُ فى أثْناءِ مَنْطِقِهِ ... تَحْتَ الفصاحَةِ جَرْىَ الماءِ فى العُودِ
لو حَنَّطُوكَ بِشِعْرٍ أنتَ قائِلُهُ ... غَنِيتَ عن نَفَحاتِ المِسْكِ والعُودِ(١)
لَبَّيْكَ يا خيرَ من هزَّ اليَراعَ ومَنْ ... هزَّ الحُسامَ ومَن لَبَّى ومَن نُودِى
إنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فقد رَفَعتْ ... لكَ الفَضِيلَةُ رُكْنًا غيرَ مَهْدُودِ(٢)
إنَّ المَناصِبَ فى عَزْلٍ وتَوْلِيَةٍ ... غيرُ المَواهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيدِ
كَمْ وَقْفَةٍ لكَ والأَبْطالُ طائِرَةٌ ... والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ(٣)
نَسَخْتَ يومَ كِرِيدٍ كُلَّ ما نَقَلُوا ... فى يومِ ذِى قارَ عن هانى بنِ مَسْعُودِ(٤)
نَظَمْتَ أَعْداكَ فى سِلْكِ الفَناءِ به ... على رَوِىٍّ ولكن غيرِ مَعْهُودِ(٥)
كأَنَّهُمْ كَلِمٌ والمَوْتُ قافِيَةٌ ... يَرْمِى بِهِ عَرَبِىٌّ غيرُ رِعْدِيدِ(٦)
أقولُ لِلْمَلإِ الغادِى بِمَوْكِبِهِ ... والنَّاسُ ما بَيْنَ مَكْبُودٍ ومَفْئُودِ :(٧)
غُضُّوا العُيُونَ فإنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ ... مَعَ المَلائِكِ تَكْرِيمًا لِمَحْمُودِ(٨)

(١) العود فى هذا البيت : نوع من الطيب يتبخر به . والعود فى البيت الذى قبله : الغصن .

(٢) يشير (بهدّ ركنه) إلى نفيه واستصفاء أمواله . (٣) الصنديد بكسر الصاد : السيد الشجاع .

(٤) ثار أهل جزيرة كريد بالحكم التركى ، وكانت فى ملك تركيا ، فجردت لاخماد ثورتهم جيشا ، وأمدتها مصر بآخر ، وكان البارودى فى قواده ، فأبلى فى تلك الحرب بلاء حسنا . وترى بعض وصفها فيما مرّ عليك من شعره . ووقعة ذى قار كانت بين الفرس والعرب بعيد البعثة ، وكان قائد العرب هانىء بن مسعود الشيبانى ، وكان النصر فيها لهم على الفرس . وقد أبلى هانىء فيها بلاء عظيما .

(٥) الروى : الحرف الأخير الذى يلتزم فى آخر كل بيت من القصيدة .

(٦) الرعديد بكسر الراء : الجبان .

(٧) المكبود : المصاب فى كبده . والمفئود : المصاب فى فؤاده .

(٨) الروح هنا : جبريل الأمين صلوات الله عليه .

يا وَيْحَهُ حَلَّ فِيهِ ذُو قَرِيحَتِهِ ... لمـا بِخِدْرِ المَعَانِى أَلْفُ مَوْلُودِ(١)

مُحَمُّودُ إِنِّى لَأَسْتَحْيِيكَ فى كَلِمِى ... حَيًّا وَمَيْتًا وَإِنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيدِى

فَاعْذُرْ قَرِيضِى وَاعْذُرْ فِيكَ قَائِلَهُ ... كِلاَهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْدُودِ(٢)

(١٨) شـوقى(٣)

من قصيدة طويلة له ، رحمه الله ، يناجى بها أبا الهول :

أَبَا الهَوْلِ : طَالَ عَلَيْكَ العُصُرْ ... وَبُلِّغْتَ فى الأَرْضِ أَقْصَى العُمُرْ(٤)

فَيَالِدَةَ الدَّهْرِ : لَا الدَّهْرُ شَبَّ ... وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصِّغَرْ(٥)

---

(١) ذو هنا بمعنى الذى فى لغة طيء . والخدر : الستر الذى يمد للجارية فى ناحية البيت . والضمير فى (ويحه) يعود على القبر المفهوم من سياق الكلام .

(٢) المضعوف : اسم مفعول من أضعف على غير القياس . والمحدود : السيء الحظ ، ضد المجدود .

(٣) هو الشاعر الناثر أحمد شوقى بك ، ويلقب بأمير الشعراء . انحدر من أصل تركى ، ولكنه ولد بمصر ونشأ فيها . واستظل برعاية البيت المالك من أول مولده . وقد تعلم فى مدارس مصر حتى بلغ مدرسة الحقوق ، ثم شخص إلى فرنسا ونال من إحدى كلياتها إجازة الحقوق ، وعاد فعين فى معية الخديو ، وما زال يرقى فيها حتى صارت إليه رياسة القلم الافرنكى فيها . ولما شبت الحرب الكبرى لم يكن له بد من مغادرة البلاد ، فاختار مدينة برشلونه من أعمال أسبانيا مثوى له ولأسرته . وظل بها إلى أن أذن له فى العودة بعد استقرار السلام العام .

ولقد كان ، رحمه الله ، شاعراً لا يتعلق بغباره . عالج الشعر من أيام فتوته فأعجب وأبدع ، وضرب فى كل فن ، وجال فى كل مطلب ، ونحا كل نحو ، فأصاب أرفع المعانى ونظم أفخر الكلام . وله نثر يلتزم فيه السجع القصير . وهو أشبه بحل النظم منه بكتابة الترسل . وله روايات تاريخية عدة من وضعه هو . وتوفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٣٢

(٤) العصر (بضمتين) ، كالعصر (بفتح فسكون) : الدهر .

(٥) لدة الدهر : أخوه وقرينه ، وجمع لدة لدات .

إلام رُكُوبُكَ مَتْنَ الرِّمَا لِ لِطَيِّ الأَصِيلِ وَجَوْبِ السَّحَرْ (١)
تُسَافِرُ مُنْتَقِلًا فى القُرُو نِ فأَيَّانَ تُلْقِى غُبَارَ السَّفَرْ؟
أَبَيْنَكَ عَهْدٌ وَبَيْنَ الجِبَا لِ تَزُولَانِ فى المَوْعِدِ المُنْتَظَرْ؟ (٢)
أَبَا الهَوْلِ مَا أَنْتَ فى المُعْضِلَا تِ لَقَدْ ضَلَّتِ السُّبْلَ فيكَ الفِكَرْ (٣)
تَحَيَّرَتِ البَدْوُ مَا ذَا تَكُو نُ وضَلَّتْ بِوَادِى الظُّنُونِ الحَضَرْ
فَكُنْتَ لَهُمْ صُورَةَ العُنْفُوَا نِ وكُنْتَ مِثَالَ الحِجَى والبَصَرْ (٤)
وَسِرُّكَ فى حُجْبِهِ كُلَّمَا أَطَلَّتْ عليهِ الظُّنُونُ اسْتَتَرْ (٥)
وَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ رَأْسِ الرِّجَا لِ على هَيْكَلٍ من ذَوَاتِ الظُّفُرْ (٦)
وَلَوْ صُوِّرُوا من نواحى الطِّبَا عِ تَوَالَوا عليكَ سِبَاعَ الصُّوَرْ (٧)
فَيَارُبَّ وَجْهٍ كصافى النَّمِيـ ـرِ تَشَابَهَ حَامِلُهُ والنَّمِرْ (٨)
أَبَا الهَوْلِ وَيْحَكَ لا يُسْتَقَلْـ ـلُ مع الدَّهْرِ شىءٌ ولا يُحْتَقَرْ (٩)
تَهَزَّأْتَ دَهْرًا بِدِيكِ الصَّبَا حِ فَنَقَّرَ عَيْنَيْكَ فيما نَقَرْ (١٠)

(١) الأصيل : آخر النهار . والسحر : آخر الليل ، والمراد عامة النهار والليل ، كناية عن عمر الدهر الأطول . (٢) الموعد المنتظر : يريد به يوم قيام الساعة .

(٣) ما أنت فى المعضلات : خبر فى أى معضلة أنت فى المعضلات !

(٤) العنفوان (بضم العين) والفاء : الشدة والقوة . (٥) حجب جمع حجاب : وهو ما يخفى ويستر .

(٦) ركب أبو الهول من رأس رجل وجسم سبع .

(٧) يريد أن هؤلاء الناس الذين يظهرون العجب من خلقك لو أنهم صوروا على ما يطابق طباعهم لما كانت لهم إلا صورة السباع لما فى نفوسهم من العدوان والقسوة والشره .

(٨) هذا البيت بمثابة التذليل على ما قبله . والنمر (بفتح فكسر) من أقسى السباع وأشرسها .

(٩ و ١٠) يحذر أبا الهول فى هذين البيتين من احتقار الصغائر فرب صغيرة أتت عظيما . وديك الصباح يريد به صدر الزمان . فإنه ما زال بأبى الهول العاتى حتى نقر عينيه .

أَسَالَ البَيَـاضَ وَسَـلَّ السَّـوا … دَ وَأَوْغَلَ مِنْقَـارَهُ فى الحُفَـرْ
نَعَـدْتَ كَأَنَّـكَ ذُو المَحْبِسَيـ … ـنِ قَطِيعَ القِيَـامِ سَلِيبَ البَصَرْ (١)
كَأَنَّ الرِّمَالَ على جانِبَيْـ … ـكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ البَشَرْ
كَأَنَّـكَ فِيهَـا لِـوَاءُ القَضَـا … ءِ على الأَرْضِ أَوْ دَيْدَبَانُ القَـدَرْ (٢)
كَأَنَّـكَ صَاحِبُ رَمْـلٍ يَرَى … خَبَـايَا الغُيُوبِ خِلالَ السَّـطَرْ (٣)
أَبَا الهَـوْلِ أَنتَ نَـدِيمُ الزَّمَا … نِ نَجِيُّ الأَوَانِ سَمِيـرُ العُصُرْ (٤)
بَسَطْتَ ذِرَاعَيْـكَ مِنْ آدَمٍ … وَوَلَّيْتَ وَجْهَـكَ شَـطْرَ الزُّمَرْ (٥)
تُطِـلُّ على عالَمٍ يَسْـتَهِلُّ … وَتُـوفِى على عَالَمٍ يُحْتَضَرْ (٦)
فَعَيْنٌ إِلَى مَنْ بَدَا لِلوُجُـ … ـودِ وأُخْرَى مُشَـيِّعَةٌ مَنْ عَبَرْ (٧)
فَحَـدِّثْ فَقَدْ يُهْتَـدَى بالحَـدِيـ … ـثِ وخَبِّرْ فَقَـدْ يُؤْتَسَى بِالخَـبَرْ

وقال من قصيدة له يزجر فيهـا طلاب العلم عن بدعة الانتحـار ، ويبسط لهم الأمل فى الصبر ومعاودة الجدّ فى الدرس :

كُلَّ يَوْمٍ خَبَرٌ عن حَدَثٍ … سَـئِمَ العَيْشَ وَمَنْ يَسْـأَمْ يَذَرْ (٨)

(١) المحبس : مكان الحبس . وكان يقال للمعرى : رهين المحبسين ، أى رهين عماه وبيته .

(٢) الديدبان فارسية ، ومعناها الجندى الموكل بالحراسة .

(٣) السطر (بفتحتين) : السطر .

(٤) النجىّ : من تحادثه فى السر .

(٥) الزمر جمع زمرة بضم الزاى : الجماعة من الناس . ويريد بها هنا الناس جميعا . يريد أنه أشرف على الخليقة من أولها وسيظل كذلك إلى غاية الزمان .

(٦) يستهل : يبتدئ . ويحتضر (بالبناء للمجهول) : يدخل فى سكرة الموت .

(٧) عبر (بفتحتين) : مضى . (٨) الحدث هنا : الشاب . ويذر : يترك .

عَافَ بالدُّنْيَا بِنَاءً بَعْدَ مَا ... خَطَبَ الدُّنْيَا وأَهْدَى ومَهَر (١)
حَلَّ يومَ العُرسِ منها نَفْسَهُ ... رَحِمَ اللهُ العَرُوسَ المُخْتَضَر (٢)
ضَاقَ بالعيشَةِ ذَرْعاً فهَوَى ... عن شَفَا اليَأْسِ وبِئْسَ المُنْحَدَر (٣)
رَاحِلاً فى مِثْلِ أَعْمَارِ المُنَى ... ذَاهِباً فى مِثْلِ آجَالِ الزَّهَر
هَارِباً من سَاحَةِ العَيْشِ وَمَا ... شَارَفَ الغَمْرَةَ منها والغُدُر (٤)
لا أَرَى الأَيَّامَ إِلَّا مَعْرَكاً ... وأَرَى الصِّنْدِيدَ فيه من صَبَر (٥)
رُبَّ وَاهِى الجَأْشِ فيه قَصَفٌ ... مات بالجُبْنِ وأَوْدَى بالحَذَر (٦)

* * *

نَشَأَ الخَيْرِ، رُوَيداً، قَتْلُكُمْ ... فى الصِّبَا النَّفْسَ ضَلَالٌ وخُسُر (٧)
لَوْ عَصَيْتُمْ كَاذِبَ اليَأْسِ، فَمَا ... فى صِبَاهَا يَنْحَرُ النَّفْسَ الضَّجِر (٨)
تُضْمِرُ اليَأْسَ من الدُّنْيَا وما ... عِنْدَهَا عن حَادِثِ الدُّنْيَا خَبَر
فِيمَ تَجْنُونَ على آبَائِكُمْ ... أَلَمَ الثُّكْلِ شَدِيدًا فى الكِبَر؟ (٩)

(١) عاف: كره . والبناء هنا : زفاف العروس الى زوجها . وخطب الدنيا من خطبة الزواج (بكسر الخاء) . ومهر : أعطى المهر .

(٢) المختضر (بالخاء) : الذى يموت فى صباه .

(٣) شفا الشىء : حرفه .

(٤) شارف الشىء : دنا منه . وغمرة الشىء : شدته ومزدحمه . والغدر (بضمتين) جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . يريد أنه يهرب من الحياة مع أنه لم يضرب فى زحمتها ولم يعارك أحداثها .

(٥) المعرك : موضع العراك . والصنديد (بكسر الصاد) : السيد الشجاع .

(٦) القصف (بفتحتين) : الضعف والخور . وأودى الرجل : هلك .

(٧) النشأ (بفتحتين) جمع نشء (بفتح فسكون) وهو النسل . والخسر (بضمتين) : الخسران .

(٨) لو عصيتم معناه : اعصوا اليأس الكاذب . (٩) الثكل : فقد الولد .

وتعقُّــونَ بِــلادًا لــم تَزَلْ　　　بينَ إشفاقٍ عليكُمْ وحذَرْ؟
فَنُصابُ المُــلْكِ فى شُبّانِــهِ　　　كَمُصابِ الأرضِ فى الزَّرعِ النَّضِرْ
لَيسَ يَدرِى أَحَدٌ مِنكُمْ بِما　　　كانَ يُعطِى لَوْ تأنَّى وانْتَظَرْ
رُبَّ طِفْــلٍ بَرَّحَ البُؤسُ بِــهِ　　　مُطِــرَ الخَــيرَ فَتيًّا ومَطَر (١)
وصَــبِيٍّ أَزْرَتِ الدُّنيَــا به　　　شَبَّ بينَ العِزِّ فيها والخَطَرْ (٢)
ورَفيــعٍ لــم يُسَــوِّدْهُ أَبٌ　　　مَن أَبو الشَّمسِ ومَن جَدُّ القَمَرْ؟
فَــلَكٌ جارٍ ودُنْيَــا لم يَــدُمْ　　　عِندَها السَّعْدُ، ولا النَّحْسُ اسْتَمَرّ

ومن قصــيدة طويلة له يرثى فيها (مقدونية) وقد تكاثرت على الدولة العثمانية دول البلقان سنة ١٩١٢ حتى نزعتها منها بعد بلاء الترك فى الدفاع عنها :

يا أُخْتَ أَندَلُسٍ عَلَيــكِ سَــلامُ　　　هَوَتِ الخِلافَةُ عنــكِ والإسْــلامُ
نَزَلَ الهِلالُ عنِ السَّماءِ فلَيْتَهَــا　　　طُــوِيَتْ وعَمَّ العالَمِينَ ظَــلامُ (٣)
أَزْرَى بِهِ وأَزَالَهُ عن أَوْجِهِ　　　قَــدَرٌ يَحُطُّ البَــدْرَ وهْوَ تَمَــامُ (٤)
جُرْحَانِ تَمْضِى الأُمَّتَــانِ عليهــما　　　هَــذا يَسِــيلُ وذاكَ لا يَلْتَــامُ (٥)
بِكُما أُصِيبَ المُسلِمُونَ وفِيكُمَا　　　دُفِنَ الــيَرَاعُ وغُيِّبَ الصَّمْصَامُ (٦)

(١) برح به : آذاه . مطر الخير الخ : أصاب الخير وتمتع بالخير الناس .

(٢) أزرت به : تهاونت . والخطر هنا : عظم القدر .

(٣) الهلال : شعار الدول الإسلامية ، كما أن الصليب شعار الدول المسيحية .

(٤) أزرى به : وضع من شأنه . الأوج : العلا . وتمام : تام مكتمل .

(٥) يلتام : يلتئم . الأمتان هما العرب والترك . وجرحا الأمتين فى سقوط الأندلس أولا ، وضياع أدرنة ثانيا .

(٦) اليراع : القلم . والصمصام والصمصامة : السيف لا ينثنى .

لم يَطْوِ مَأْتَمَهَا وهذا مأتمٌ لَبِسُوا السَّوَادَ عَلَيْكِ فِيهِ وقامُوا (١)
ما بين مَصْرَعِهَا ومَصْرَعِكِ انْقَضَتْ فيما نُحِبُّ ونَكْرَهُ الأَيَّامُ
خَلَتِ القُرُونُ كَلَيْلَةٍ وتَصَرَّمَتْ دُوَلُ الفُتُوحِ كأَنَّهَا أَحْلَامُ (٢)
والدَّهْرُ لا يَأْلُو المَمَالِكَ مُنْذِرًا فإذا غَفَلْنَ فَمَا عليه مَلَامُ (٣)
مَقْدُونِيَا، والمُسْلِمُونَ عَشِيرَةٌ كَيْفَ الخُؤُولَةُ فيكِ والأَعْمَامُ؟ (٤)
أَتَرَيْنَهُمْ هَانُوا، وكَانَ يُعِزُّهُمْ وعُلُوُّهُمْ يَتَخَايَلُ الإِسْلَامُ؟ (٥)
إِذْ أَنْتِ نَابُ اللَّيْثِ، كُلُّ كَتِيبَةٍ طَلَعَتْ عليكِ فَرِيسَةٌ وطَعَامُ (٦)
ما زَالَتِ الأَيَّامُ حَتَّى بُدِّلَتْ وتَغَيَّرَ السَّاقِي، وحَالَ الجَامُ (٧)
أَرَأَيْتِ كَيْفَ أُدِيلَ من أُسْدِ الشَّرَى وشَهِدْتِ كَيْفَ أُبِيحَتِ الآجَامُ (٨)
زَعَمُوكِ هَمًّا لِلْخِلَافَةِ ناصِبًا وهَلِ المَمَالِكُ رَاحَةٌ ومَنَامُ؟ (٩)

---

(١) الضمير فى (مأتمها) يعود على الأندلس .

(٢) تصرمت ، انقضت .

(٣) لا يألو : لا يقصر ولا يبطئ .

(٤) الخؤولة : النسبة الى الخال ، كالعمومة وهى النسبة الى العم .

(٥) يتخايل : يتبختر .

(٦) الكتيبة : الجيش أو القطعة منه . والمراد : أن من غزاها افترسته وقضت عليه .

(٧) حال : تحوّل . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر . والمراد : خروجها من يد الترك إلى يد أعدائهم .

(٨) أديل منهم : حل غيرهم فى موضعهم . والشرى : مكان تكثر فيه الأسود . والآجام : جمع أجم ، وهذا جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف ، واليه تأوى الأسود .

(٩) زعموك الخ . كان بعض الساسة يزعمون أن بقاء مقدونيا فى يد تركيا مصدر هم كبير لها من كل وجه ، وتعزوا بهذا عن خروجها من يدها ، فرد الشاعر عليهم ردا بديعا فى هذا البيت والأبيات بعده .

وَيَقُولُ قَوْمٌ كُنْتَ أَشْأَمَ مَـوْرِدٍ ... وَأَرَاكَ سَائِغَـةً عَلَيـكَ زِحَامُ
وَيَرَاكَ دَاءَ المُلْكِ نَاسٌ جَهَالَةً ... بِالمُلْكِ مِنهُـم عِلَّةٌ وَسَـقَامُ
لَو آثَرُوا الإِصْلاحَ كُنْتَ بِعَرْشِهِمْ ... رُكْنًا عَلَى هَامِ النُّجُومِ يُقَامُ
وَهُمُ يُقَيِّـدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ ... وَقُيُـودُ هَـذَا العَالَمِ الأَوْهَامُ
صُـوَرُ العَمَى شَتَّى، وَأَقْبَحُهَا إِذَا ... نَظَرَتْ بِغَيْرِ عُيُونِهِنَّ الهَـامُ (١)
وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ وَلَيْسَ مِن ... عَثَرَاتِ أَخْلَاقِ الشُّـعُوبِ قِيَـامُ (٢)

وقال يتغزّل :

قَلبٌ بِوَادِي الحِمَى خَلَّفْتُهُ رَمِقًا ... مَاذَا صَنَعتِ بِهِ يَا ظَبْيَةَ البَـانِ
أَخْشَى عَلَيكَ مِنَ الكُثْبَانِ فَاتَّخِذِي ... عَلَيـهِ مَرْعَاكِ مِن قَاعٍ وَكُثْبَانِ (٣)
غَرَّبْتِـهِ فَهْوَ فِي جَنْبِي لِفُرْقَتِـهِ ... وَحَنَّ لِلنَّـازِحِ المَـأْسُورِ جُثْمَانِي (٤)
لَا رَدَّهُ اللهُ مِن أَسْرٍ وَمِن خَبَـلٍ ... إِن كَانَ فِي رَدِّهِ صَحْوِي وَسُلْوَانِي (٥)
دَلَّهْتِـهِ بِعَـزِيزٍ فِي مَحَاجِرِهِ ... مَاضٍ لَهُ مِن مُبِينِ السِّحْرِ جَفْنَانِ
رَمَى فَضَجَّتْ عَلَى قَلْبِي جَوَانِحُهُ ... وَقُلْنَ سَهْمٌ فَقَـالَ القَلْبُ سَهْمَانِ
يَا صُورَةَ الحُورِ فِي جِلْبَابِ فَانِيَـةٍ ... وَكَوْكَبَ الصُّبْحِ فِي أَعْطَافِ إِنْسَانِ (٦)

(١) الهام جمع هامة : وهى الرأس .

(٢) ولقـد يقام الخ . يريد أن الأمة التى يقهرها عدوّها بحد السـيف لا يتعذر عليها أن تجمع شملها وتستعيد قوّتها وتأخذ بثأرها وتسترجع ملكها . أما الأمة التى تعتريها الكوارث من ضعف أخلاقها وشيوع الفساد فيها فهيهات مالها من قيام .

(٣) الكثبان جمع كثيب (بفتح الكاف)، وهو التل من الرمل، وعليه تسرح الغزلان .

(٤) الضمير فى (فرقته) يعود على القلب فى البيت الأوّل .

(٥) السلوان : النسيان . (٦) فى جلباب فانية : فى صورة امرأة .

مُرِى عَصِيٌّ الكَرَى يَغْشَى مُجامَلَةً ... وسَامِحِي فى عِناقِ الطَّيْفِ أجْفانى
فحسبُ خَدَّىَّ من عينَىَّ ما شَرِبَا ... فَمِثْلُ ما قد جَرَى لم تَلْقَ عيْنَانِ

وقال :

رُدَّتِ الرُّوحُ عَلَى المُضْنَى مَعَكْ ... أحسنُ الأيَّامِ يومٌ أَرْجَعَكْ
مَرَّ مِن بُعْدِكَ ما رَوَّعَنِي ... أَتُرَى يا حُلْوُ بُعْدِى رَوَّعَكْ
كَمْ شَكَوتُ البَيْنَ بِاللَّيلِ إلى ... مَطْلَعِ الفَجْرِ عَسَى أن يُطْلِعَكْ
وبعثتُ الشَّوْقَ فى رِيحِ الصَّبَا ... فَشَكَا الحُرقَةَ مِمَّا اسْتَوْدَعَكْ
يا نَعِيمِى وعَذَابِى فى الهَوَى ... بِعَذُولِى فى الهَوَى مَا جَمَعَكْ
أَنتَ رُوحِى ظَلَمَ الوَاشِى الذى ... زَعَمَ القَلْبَ سَلا أو ضَيَّعَكْ
مَوْقِعِى عِنْدَكَ لا أَعْلَمُهُ ... آه لو تَعْلَمُ عِنْدِى مَوْقِعَكْ
أَرْجَفُوا أنكَ شَاكٍ مُوجَعٌ ... ليتَ لى فَوْقَ الضَّنَا ما أَوْجَعَكْ (١)
نامَتِ الأَعْيُنُ إلَّا مُقْلَةً ... تَسْكُبُ الدَّمعَ وتَرْعَى مَضْجَعَكْ

وقال يُعارض الحصرى فى قصيدة (يا ليل الصب متى غده) :

مُضْناكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ ... وبَكَاهُ ورَحَّمَ عُوَّدُهُ (٢)
حَيْرَانُ القَلْبِ مُعَذَّبُهُ ... مَقْرُوحُ الجَفْنِ مُسَهَّدُهُ (٣)
أَوْدَى حَرَقًا إلَّا رَمَقًا ... يُبْقِيهِ عليكَ وتُنْفِدُهُ (٤)

(١) الضنا : المرض والضعف والهزال ، يتمنى أن يتحول إليه ما يشكو منه الحبيب فوق مرضه وهزاله .

(٢) العوّد : جمع عائد ، وهو زائر المريض .

(٣) المسهد (بفتح السين) : المؤرّق .

(٤) الرمق : بقية الروح .

يستهوى الورقَ تأوُّهُه ... ويذيب الصخر تنهُّده (١)
ويناجى النجم ويتعبه ... ويقيم الليل ويقعده
ويعلِّم كلَّ مطوَّقة ... شجناً فى الدوح ترددُه (٢)
كم مدَّ لطيفك من شَرَكٍ ... وتأدَّب لا يتصيَّده

* * *

سببٌ لرضاك أمهِّده ... ما بال الخصر يعقِّده
بينى فى الحب وبينك ما ... لا يقدر واشٍ يفسده
ما بال العاذل يفتح لى ... باب السلوان وأوصده
ويقول: تكاد تُجنُّ به ... فأقول: وأوشكُ أعبده
مولاى وروحى فى يده ... قد ضيَّعها سلمتْ يده
ناقوس القلب يدقُّ له ... وحنايا الأضلع معبده
قسماً بثنايا لؤلؤها ... قسم الياقوت منضَّده
ورُضابٍ يوعد كوثره ... مقتولُ العشق ومشهده (٣)
وبخالٍ كاد يحجُّ له ... لو كان يُقبَّل أسوده
وقوامٍ يروى الغصن له ... نسباً والرمح يفنِّده
وبخصرٍ أوهن من جلدى ... وعوادى الهجر تبدِّده
ما خنتُ هواك ولا خطرت ... سلوى بالقلب تبرِّده

(١) الورق بضم فسكون : الحمام . واحده أورق ، ومؤنثه ورقاء .

(٢) المطوقة : الحمامة . والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المظلة .

(٣) مشهده بالبناء للمفعول : قتيله .

ومن قصيدة طويلة له عارض فيها البردة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعاها نهج البردة :

صَلاحُ أَمرِكَ لِلأَخْلَاقِ مَرجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ

والنَّفْسُ مِن خَيرِهَا فى خَيرِ عافِيَةٍ ... والنَّفْسُ من شَرِّهَا فى مَرْتَعٍ وَخِمِ (١)

تَطْغَى إِذَا مُكِّنَتْ مِن لَذَّةٍ وهَوًى ... طَغْىَ الجِيادِ إِذَا عَضَّتْ على الشُّكُمِ (٢)

إِن جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الغُفْرانِ لى أَمَلٌ ... فى اللهِ يَجْعَلُنِى فى خَيرِ مُعتَصَمِ

أُلْقِى رَجَائِى إِذَا عَزَّ الْمُجِيرُ عَلَى ... مُفَرِّجِ الكَرْبِ فى الدارَيْنِ والغُمَمِ

إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ أَسْأَلُهُ ... عِزَّ الشَّفَاعَةِ لم أَسْأَلْ سِوَى أَمَمِ (٣)

وَإِنْ تَقَدَّمَ ذو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ ... قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ

لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الأَنْبِيَاءِ ومَن ... يُمْسِكْ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللهِ يَغْتَنِمِ

فَكُلُّ فَضْلٍ وإِحْسَانٍ وَعَارِفَةٍ ... مَا بَيْنَ مُسْتَلِمٍ منهُ ومُلتَزِمِ (٤)

عَلِقْتُ مِن مَدحِهِ حَبْلًا أُعِزُّ به ... فى يَوْمِ لا عِزَّ بالأَنسابِ واللُّحَمِ (٥)

يُزْرِى قَرِيضِى زُهَيراً حِينَ أَمدَحُهُ ... ولا يُقَاسُ إلى جُودِى نَدَى هَرِمِ (٦)

---

(١) المرتع : مكان الرتوع . يقال رتعت الماشية : أكلت ما شاءت . والوخم بكسر الخاء : الردىء الوبىء .

(٢) الشكم جمع شكيمة : وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس .

(٣) الأمم (بفتحتين) هنا : اليسير .

(٤) العارفة : المعروف .

(٥) اللحم (بضم اللام وفتح الحاء) جمع لحمة : القرابة .

(٦) زهير : هو زهير بن أبى سلمى من أصحاب المعلقات . وهرم : هو هرم بن سنان من أجواد العرب . وكان قد حلف لا يلقاه زهير إلا أعطاه و وصله .

مُحَمَّدٌ صَــفْوَةُ البَارِى ورَحْمَتُــهُ ... وبُغْيَــةُ اللهِ مِن خَلْقٍ ومِن نَسَمِ (١)

وَصَاحِبُ الحَوْضِ يومَ الرُّسْلُ سائِلَةٌ ... مَتَى الوُرُودُ وجبْرِيلُ الأَمِينُ ظَمِى

سَنَاؤُهُ وسَــنَاهُ الشَّمْسُ طالعَــةً ... فالجِرْمُ فى فَلَكٍ والضَّــوْءُ فى عَلَمِ (٢)

قــد أَخْطأَ النَّجْمَ مَا نالَتْ أُبوتُــهُ ... من سُؤْدَدٍ باذِخٍ فى مَظْهَرٍ سَنِمِ (٣)

نُمُوا إليــه فزادُوا فى الوَرَى شَرَفًا ... ورُبَّ أَصْلٍ لِفَرْعٍ فى الفَخَارِ نُمِى (٤)

حَوَاهُ فى سُبُحاتِ الطُّهْرِ قَبْلَهُمُ ... نُورَانِ قامَا مَقامَ الصُّلْبِ والرَّحِمِ (٥)

أَتَيْتَ والنَّاسُ فَوْضَى لا تَمُرُّ بِهِــمْ ... إِلَّا على صَنَمٍ قــد هَامَ فى صَنَمِ (٦)

والأرضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا مُسَــخَّرَةٌ ... لِكُلِّ طَاغِيَــةٍ فى الخَلْقِ مُحْتَكِمِ

مُسَــيْطِرُ الفُرْسِ يَبْغِى فى رَعِيَّتِهِ ... وقَيْصَرُ الرُّومِ من كِبْرٍ أَصَمُّ عَمِى

يُعَــذِّبَانِ عِبَادَ اللهِ فى شُــبَهٍ ... وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالغَــنَمِ

والخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِــمْ ... كَاللَّيْثِ بِالبُهْمِ أَوْ كَالحُوتِ بالبَلَمِ (٧)

* * *

أَخُوكَ عِيسَى دَعَى مَيْتًا فَقَامَ لَهُ ... وأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا من الرِّمَمِ (٨)

(١) النسم : جمع نسمة ، وهى النفس أو الإنسان .

(٢) سناؤه : رفعته ، وسناه : نوره . والعلم (بفتحتين) هنا : العالم .

(٣) السنم (بفتح فكسر) : المرتفع .

(٤) نمى اليه بصيغة البناء للمجهول : نسب .

(٥) السبحات (بضمتين) : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : أنواره .

(٦) شبه عابد الصنم بالصنم بجامع الغفلة فى كل .

(٧) البهم جمع بهمة : ولد الضأن والمعز . والبلم (بفتحتين) : صغار السمك .

(٨) شبه الأمم الجاهلة بالرمم (جمع رمة) وهى ما بلى من العظام .

وَالجَهْلُ مَوْتٌ فإنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً فَابْعَثْ من الجَهْلِ أَوفابْعَثْ من الرَّجَمِ (١)
قالُوا غَزَوْتَ، ورُسْلُ اللهِ ما بُعِثُوا لِقَتْلِ نَفْسٍ وَلَا جَاءُو لِسَفْكِ دَمِ
جَهْلٌ وتَضْلِيلُ أَحْلَامٍ وسَفْسَطَةٌ فَتَحتَ بالسَّيْفِ بَعْدَ الفَتْحِ بِالقَلَمِ
لَمَّا أَتَى لكَ عَفْوًا كُلُّ ذِي حَسَبٍ تَكَفَّلَ السَّيْفُ بالجُهَّالِ والعَمَمِ (٢)
والشَّرُّ إِنْ تَلْقَهُ بالخَيْرِ ضِقْتَ بهِ ذَرْعًا وإِنْ تَلْقَهُ بالشَّرِّ يَنْحَسِمِ (٣)
سَلِ المَسِيحِيَّةَ الغَرَّاءَ كَمْ شَرِبَتْ بالصَّابِ من شَهَوَاتِ الظَّالِمِ الغَلِمِ (٤)
طَرِيدَةُ الشِّرْكِ يُؤْذِيهَا ويُوسِعُهَا فى كُلِّ حِينٍ قِتَالًا سَاطِعَ الحَدَمِ (٥)
لَوْلَا حُمَاةٌ لَهَا هَبُّوا لِنُصْرَتِهَا بالسَّيْفِ ما انْتَفَعَتْ بالرِّفْقِ والرُّحُمِ (٦)

---

(١) الرجم (بفتحتين) : القبر . ويجمع على رجام .

(٢) العمم (بفتحتين) : اسم جمع للعامة .

(٣) ينحسم : ينقطع وينتهى .

(٤) الصاب : شجر مر، واحدته صابة . والغلم (بفتح فكسر) : الهائج الثائر .

(٥) الحدم (بفتحتين) : شدة احتراق النار .

(٦) الرحم (بضمتين) : الرقة والعفو والرحمة .

(ب) النـــثر

أولا — النـــثر الفـــنى

(١) من كتاب للشيخ حسن العطار(١)

أمَّا بعدُ فإنَّ أحسنَ وشى(٢) رقمته(٣) الأقلامُ، وأبهى زَهرٍ تفتحتْ عنهُ الأكمامُ. عاطرُ سلامٍ يفوحُ بعبيرِ(٤) المحبةِ نفحُه(٥)، ويُشرقُ فى سماءِ الطُّروسِ صبحُهُ.

سلامٌ كزهرِ الرَّوضِ أو نفحةِ الصَّبا أو الرَّاحِ تُجْـلى فى يدِ الرَّشإِ الألْمى(٦)

سلامٌ عاطرُ الأردانِ(٧)، تحملهُ الصَّبا سارِيةً على الرَّندِ(٨) والبـانِ(٩)، إلى مقامِ حضرةِ المُخلصِ الودادِ، الَّذى هُوَ عندى بمنزلةِ العينِ والفؤادِ، صاحبِ الأخلاقِ الحميدةِ، حِليةِ الزَّمانِ الَّذى حلَّى بهـا مِعصمَهُ وجيدَهُ، الَّذى موصولُ إحسانِه بكُلِّ فضـلٍ عائدٌ، كنزِ المعارفِ عقدِ دُررِ الفوائدِ، الَّذى إذا أجرى أقلامَهُ فى ميدانِ الطُّروسِ،

---

(١) تقدمت ترجمته فى شعره .

(٢) الوشى : الثوب المحسن بالألوان .

(٣) رقمه : خططه .

(٤) العبير : أخلاط من الطيب .

(٥) نفحه : انتشار رائحته .

(٦) الرشأ : ولد الظبية . والألمى : المسود الشفة ، وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب .

(٧) الأردان : جمع ردن بضم الراء ، وهو طرف الكم .

(٨) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٩) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

أَوْدَعَ فِيهَا من لآلِى البَيَانِ مَا يَفْعَلُ بِالنُّفُوسِ، فِعْلَ حُمَيَّا(١) الكُؤُوسِ . مِن مَعَانٍ حيَّرَتِ المَعَانِى(٢)، وفَعَلَتْ بالأَلْبَابِ مَا لَا تَفْعَلُهُ المَثَالِثُ والمَثَانِى(٣)، تَقِفُ الفَصَاحَةُ عِنْدَهَا، وتَقْفُو البَلَاغَةُ حَدَّهَا .

يَلْهُو بِأَطْرَافِ اليَرَاعِ فَلَمْ يَدَعْ   قَوْلًا يُقَالُ وَلَا بَدِيعًا يُدَّعَى

(٢) الشيخ ناصيف اليازجى(٤)

المقامة الخَزْرَجِيَّة(٥)

قال سُهَيْلُ بْنُ عَبَّاد: دخلتُ بلادَ العرَب، فى التماس بعض الأَرَب(٦)، فقصدت نادى الأَوس والخَزْرَج(٧)، لِأَتفرَّج وأَتخرَّج، وآخُذَ من أَلْسِنتهم بعضَ المَنْهَج؛ فلما صِرْتُ فى بُهْرَةِ النَّادِى(٨)، أَخَذَ بمجامع فؤَادى، فجلستُ بين القومِ ساعة، وأنا أُحَدِّقُ الى الجماعة، وإذا شيْخُنَا مَيْمُونُ بْنُ خزام، قد تصدَّر فى ذلك المَقَام، وهو يقول من أراد أن يَعْرِف جُهَيْنَة(٩)، أو شاعر مُزَيْنَة(١٠)، فَلْيَحْضُرْ لِيَسْمَعَ وَيَرَى، فانّ كُلَّ الصَّيْدِ

(١) الحميا بضم الحاء وفتح الميم : من أسماء الخمر .

(٢) يريد بالمعانى الثانية علم المعانى، وذلك بما حوت من فنون البلاغة .

(٣) المثالث والمثانى : من آلات الطرب .

(٤) تقدمت ترجمته فى الشعر .

(٥) اختصرنا هذه المقامة لطولها واقتبسنا شرحها من شرح مؤلفها .

(٦) الأرب : الحاجة .   (٧) الأوس والخزرج هما أخوان كل منهما أبو قبيلة من أصل يمنى .

(٨) بهرة النادى : وسطه .   (٩) جهينة : قبيلة قتل رجل منها قتيلا، ومرّ بامرأته تنشده فقال :

تناشد كل حىّ عن حصين   وعنـد جهينة الخبر اليقين

يضرب الشطر الأخير مثلا لمعرفة الخبر على حقيقته .

(١٠) هو زهير بن أبى سلمى .

فى جَوْفِ الْفَرَا (١)، فعَمَد إليــه رَجُلٌ وقال : أَطْرِقْ كَرَى (٢)، إنّ النَّعامَةَ فى القُرَى (٣)، فقال الشيخ : كُلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَة (٤)، فكن سائِلًا أومَسْئُولًا لِتَرَى ما فى الْقِدَاح (٥) من الأَنْصِبَة، قال : إنما يُسْأَلُ العالِم، فما هى أسماءُ المطاعِم، قال : لَبَّيْكَ وسَعْدَيْك، وأنشد كَهَزار (٦) الأَيْك :

لِلنَّفَســاءِ الخُــرس والعقيقــةُ (٧) ... لِلطفل عنــد عارف الحقيقـة (٨)

كذلك الإعذارُ لِلخِتــان ... وذو الحِــذاق حافظ القــرآن (٩)

لِلخِطبــة المِـــلاكُ والوليمــة ... لِلعُــرس، والمَيْتُ لهُ الوَضِــيمَة

وللبنــاءِ جعــلوا الوَكِيرَة ... ولِهــلالِ رَجب العَقــيرَة

وقيــلَ تُحفــةٌ لِــزائرٍ يَــرِدِ ... وشُــنْدُخٌ لمــا يضــلُّ إذ وُجِد (١٠)

كذا نَقِيعَــةُ القُــدوم من سَــفَر ... ثم القِرى للضيف عنـد ما حَضَر

وحيــثما لم يكُ مِنْ ذاكَ سبب ... فإنَّهــا مَأدُبَةٌ عنــد العــرَب

وإن تَعُـــمَّ دعــوةٌ فالجَفَــلى ... تُدعى، وإن خُصَّت فتلك النَّقرى (١١)

---

(١) الفرا : حمار الوحش ، أى أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد . وهذا مثل سائر . (٢) اخفض رأسك ، والكرى قيل : هو الكروان وهو منادى . وهذا مثل أيضا . (٣) أى لا تتكبر فان النعامة التى هى أعظم منك قد صيدت وحبست فى القرى . (٤) مثل يضرب فى افتخار كل بما عنده . (٥) القداح : سهام الميسر . (٦) الهزار : طائر حسن الصوت ، والأيك : الشجر الكثير الملتف . (٧) المراد به طعام الولادة لا ما تطعمه النفساء عينها وكذا البواقى . (٨) كانوا يصنعون العقيقة عند حلق شعر الولد . (٩) أى أن الطعام الذى يصنع لحفظ الولد القرآن يقال له الحذاق . (١٠) شندخ نائب فاعل قيل . (١١) أى اذا دعا صاحب الطعام كل القوم فهى الجفلى ، واذا دعى أفرادا منهم فهى النقرى . أخذه من قول الشاعر :

نحن فى المشتاة ندعو الجفــلى ✱ لا ترى الآدب فينا ينتقــر

قال : أحسنتَ ياضريب(١) الضَّرَب(٢) ، فما هي نيران العرب؟ فأنشد :

أوَّلُ نارٍ عندهم نارُ القِرى(٣) وذِكْرُ نارِ الوَسْمِ(٤) بعدها جَرَى
ونار الاستسقاء(٥) والتحالُف(٦) والصيد(٧) والحرب(٨) لدى التزاحف(٩)
ونار غدرٍ(١٠) وسلامةٍ(١١) تُعَد ونار راحلٍ(١٢) كذا نار الأسد(١٣)
والنار للسليم(١٤) والفداء(١٥) بجملة النيران هؤلاءِ

قال أعتقك الله من النار، فهل تعرف ساعات النَّهار؟ فأنشد :

أوَّلُ ساعةٍ من النهارِ هي البكورُ والبُزوغُ طارِ(١٦)
والرأد والضُحي المُتُوعُ بعدُ ظَهيرةٌ ثم الزوالَ عدُّوا
فالعصرُ فالأَصيل ثم الطَفَلُ وبالحُدُور والغُرُوب تكمُلُ

---

(١) الضريب : النظير. (٢) الضرب : العسل الأبيض الغليظ. (٣) القرى : الضيافة.

(٤) كانوا يسمون إبل الملوك لترد الماء أولا ، ونار الوسم هي التي توقد ليحمى بها الميسم .

(٥) نار الاستسقاء كانت الجاهلية توقدها طلبا للمطر .

(٦) توقد عند التعاهد على أمر . (٧) توقد للظباء لتعشى أبصارها .

(٨) توقد على جبل إعلاما للأحلاف الأباعد .

(٩) مشي الجيشين بعضهما الى بعض .

(١٠) كانوا اذا غدر الرجل بصاحبه يوقدون نارا بمِنى أيام الحج ثم يقولون هذه غدرة فلان .

(١١) توقد للقادم من سفر سالما .

(١٢) توقد للسافر اذا لم يحبوا أن يعود .

(١٣) توقد عند الخوف من سطوة الأسد حتى اذا رآها ينفر منها .

(١٤) السليم : الملسوع يقال له ذلك تفاؤلا بالسلامة ، وهم يكرهونه على السهر و يوقدون له نارا ليسهر على ضوءها .

(١٥) كانوا اذا سبيت نساء الأشراف منهم وفدوهن يخرجوهن ليلا و يوقدون لهن نارا يستضئن بها .

(١٦) طار أي حادث : أي واقع بعدها .

قال : قد أسبغت الذَّيل،(١) فهل تعرِفُ ساعاتِ الليل؟ فأنشد :

أَوَّلُ ساعةٍ من الليل الشَّفَق   وبعدها العَشْوةُ يتلوها الغَسَق
فَهَــدْأَةٌ تمتَ شرعٌ ثم قُــل   جُنحٌ وزُلفــةٌ هزيعٌ يا رَجُل
وبعــد ذَاكَ غَبشٌ وسَحَــرُ   والفَجْر والصُّبحُ الذى ينفجرُ

قال : قد درأتَ الشُّبهات، فهل تعرِف رياحَ الجهات؟ فأنشد :

ماهبَّ من شرقٍ فذلك الصَّبا   ثم الجَنُوبُ عن يمينٍ ذهبا
ثم الشَّــمالُ والدَّبور وجَرَت   نَكْباءُ بينَ كلِّ ريحَين سَرَت
فذلكَ الأزْيَبُ ثم الصَّابيـــةْ   فالهَيْفُ ثم الجِــرْبياءُ آتيَــه (٢)

قال : قد جلوتَ الرُّموز، وفتحت الكُنوز، فهل تعرف أيام برد العجوز؟ فأنشد :

صِنٌّ وصِنبرٌ ووَبرٌ يذكَرُ   وبعـــدهُ الآمِرُ والمؤتمِــرُ (٣)
كذا مُعلِّلٌ ومُطفِى الجَمْــرِ   هاتيــك أيَّام العجوز فادْرِ

قال : حُيِّيت يا قطب العِراق،(٤) فما أسماءُ خيل السباق؟ فأنشد :

أَوَّلُ ســابِقٍ هـــو المُجَــلِّى   ثم المُصَــلِّى بعــدهُ المُسَــلِّى
تَالٍ ومرتاحٌ عليـــهِ يُقبِـــل   والعَــاطِفُ الحَظِىُّ والمؤمَّـــلُ
كذلكَ اللَّطِــيمُ والسُّكَّيْتُ   فاحفَظْ فما أُعطيتُ قد أَعطَيتُ (٥)

(١) أتممت وأطلت . (٢) أى أن الأزيب ريح بين الصبا والجنوب، والصابيـة بين الصبا والشمال، والهيف بالفتح بين الجنوب والدبور، والجربياء بكسر الجيم والباء وسكون الراء بين الشمال والدبور.
(٣) بكسر الصاد وفتح النون المشددة وسكون الباء. (٤) قطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم .
(٥) إشارة الى قولهم فى المثل : وانما نعطى الذى أعطينا ؛ وأصله ان امرأة كانت تلد البنات فهجرها زوجها وتحوّل عنها الى بيت له آخر فقالت :

ما لأبى الذلفاء لا يأتينا   وهو فى البيت الذى يلينا
يغضب أن لم نلد البنينا   وانما نعطى الذى أعطينا

قال : لله دَرُّكَ لقد جمعتَ فأوعيتَ، وقدحتَ فأوريتَ (١)، فان شئتَ فَسَلْ، قال أَجَلْ (٢)، ولكن خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل، فان أبطأتَ فى الجواب فلى عليك ناقة حمراءُ (٣)، وعلى قومك فرس (٤) غَرَّاءُ (٥)، قال هاتِ وبالله التوفيق، الى سَواءِ الطريق، فقال ماهى بُرَقَ (٦) العرب المذكورة، وداراتها (٧) المشهورة؟ فضاق الرجل ذَرْعًا فى الجواب، وقال اللهم اهدنا صراطَ (٨) الحق والصواب، ثم قال قد وجبت راحلةُ الشيخ علينا ، ليَسهلَ وَفدُهُ (٩) الينا (١٠)، فقال الشيخ قد علمتم يا قوم أن الخير معقود بنواصي الخيل، وهى التى ينجو بها الوافدُ من جوارح النهار وطوارق الليل (١١)، قالوا كلاهما وتمرًا (١٢)، فقد فرضنا لكل بيتٍ صِلَةً (١٣) أخرى ، على أن تكتبها لنا سطرًا فسطرًا، فَفَعَلَ وقال الشرطُ أَمْلَكُ (١٤)، عليك أَمٌ لك ، فجاءوا بناقةٍ وجناءَ (١٥) وفرسٍ كُمَيت (١٦)، وشاةٍ لكل بيت .

---

(١) يقال أورى الزند اذا أخرج منه نارا . (٢) نعم .

(٣) الناق الحمر عند العرب : أفضل الابل . (٤) الفرس : تذكر وتؤنث .

(٥) لها بياض فى جبهتها أوسع من الدرهم . (٦) البرق : جمع برقة وهى أرض غليظة ذات حجارة ورمل وهى مواضع فى بلاد العرب تنتهى الى نحو مائة موضع منها برقة ثهمد المذكورة فى معلقة طرفة بن العبد البكرى .

(٧) الدارات : مواضع أخرى تنتهى الى أربع عشرة ومائة دارة منها دارة جلجل المذكورة فى معلقة امرئ القيس الكندى . (٨) طريق . (٩) زيارته .

(١٠) قال ذلك رياء لأنه لم يرد أن يتظاهر بالعجز عن الجواب .

(١١) جوارح النهار : ما يحدث من آفاته وكذلك الطوارق فى الليل .

(١٢) مثل : أصله أن عمرو بن حمران الجعدى كان جالسا وبين يديه زبد وتامك وتمر فأتاه رجل وقال أطعمنى من هذا الزبد والتامك فقال كلاهما وتمرا ، أى لك كلاهما وأزيدك تمرا ، والتامك : سنام الجمل ويروى كليهما بالياء أى أطعمك كليهما وأزيدك تمرا . (١٣) عطية . (١٤) مثل يضرب لحفظ الشرط . (١٥) شديدة . (١٦) يخالط حمرتها سواد .

فلمـا فَصَل عن النادى، قَفَوته (١) الى الوادى ، وقلت له هنيأً مريأً (٢)، لقد جئتَ شيئًا فَرِيأً (٣)، فأنَّى لك هذا السِـجال (٤)، وكيف أجَبتَ كلَّ سُؤَال بالارتجال (٥)؛ قال : يا ابنَ أخى الحقُّ أَولى أن يُقال، شَهِدتُ سوقَ عُكاظ (٦)، وتخلَّلتُ تلك الأَوشاظ (٧)، فسمعتهم يتناشـدون القِطعةَ (٨) والبيت، ويتـذاكرون من كيتَ (٩) وذَيْت (١٠)، فالتقطتُ منهم ما التقطت، وسقطت بهِ على من سقطت، ثم أشار إلى بعصاه، وأنشد وهو يسوق الشِياه (١١) :

تُرى عينى تَقرُّ وعينُ ليـلى (١٢) ... تراقبُ عَوْدَتى حيناً فحينَا

تُسائلُ عن أبيها كلَّ رَكْبٍ ... فلا تدرى لهُ خَبَراً يقينَـا

نذَرتُ (١٣) لها الفراهيدَ (١٤) اللواتى ... أَعود بها وأَحرجتُ (١٥) اليمينا

تضيفُ بها بناتِ الحيِّ يوماً ... كما قد كنتُ أصنعُ للبنينا

ولمـا فرَغَ من إنشادهِ تمطَّى فى بِدادهِ (١٦)، على جَوادهِ، ثم وَدَّعَنى وانطلق، وأَودعنى القلق، فأَتبعتهُ عينى الى أن غاب، ورَجَعتُ أَستمطِرُ لهُ السَحاب .

---

(١) اتبعته . (٢) مأخوذ من قولهم للشارب هنيا وللآكل مريا : أى جعلك الله تسيغ الشراب والطعام فلا تشرق ولا تغص .

(٣) عظيما . (٤) المباراة . (٥) من غير تفكير .

(٦) صحراء بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة فى أول ذى القعدة فيقيمون عشرين يوما يتبايعون و يتفاخرون و يتناشدون الأشعار .

(٧) الجماعات . (٨) أبيات الشعر الى سبعة وقيل الى عشرة وما فوق ذلك قصيدة .

(٩) كناية عن القول . (١٠) كناية عن الفعل . (١١) جمع شاة . (١٢) ابنته .

(١٣) ادعى بأنه نذر الشياه لها ليقطع طمع سهيل فى شىء منها . (١٤) صغار الغنم .

(١٥) عظمت . (١٦) ما يحشى و يجعل تحت السرج ونحوه . أى فى سرجه .

(٣) أحمد فارس الشدياق[1]

قال فى وصف أهل مصر :

قَدْ قُمْتُ حَامِدًا للهِ شَاكِرًا، فَأَيْنَ الْقَلَمُ وَالدَّوَاةُ حَتَّى أَصِفَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ السَّعِيدَةَ الْجَدِيرَةَ بِالْمَدْحِ مِنْ كُلِّ مَنْ رَآهَا ، لأَنَّهَا بَلَدُ الْخَيْرِ، وَمَعْدِنُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، أَهْلُهَا ذَوُو لُطْفٍ وأَدَبٍ وإِحْسَانٍ إِلَى الغَرِيبِ ، وَفِي كَلَامِهِمْ مِنَ الرِّقَّةِ مَا يُغْنِي الْحَزِينَ عَنِ التَّطْرِيبِ . إِذَا حَيَّوكَ، فَقَدْ أَحْيوكَ ، وَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فَقَدْ سَلَّمُوكَ ، وإِنْ زَارُوكَ زَادُوكَ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ ، وإِنْ زُرْتَهُمْ فَسَحُوا لَكَ صُدُورَهُمْ فَضْلًا عَنْ مَجَالِسِهِمْ . أَمَّا عُلَمَاؤُهَا فَإِنَّ مَدْحَهُمْ قَدِ انْتَشَرَ فِي الآفَاقِ، وَفَاتَ بِفَخْرِ مَنْ سِوَاهُمْ وَفَاقَ . بِهِمْ مِنْ لِينِ الْجَانِبِ، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ مَالَا يُمْكِنُ الْمُبَالَغَةُ فِي إِطْرَائِهِ . وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُمْ إِكْرَامٌ يَلِيقُ بِهِ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ النَّصَارَى أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ . وَرُبَّمَا خَاطَبُوهُمْ بِقَوْلِهِمْ يَا سَيِّدِي . وَلَا يَسْتَنْكِفُونَ مِنْ زِيَارَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ خِلَافًا لِعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ . وَبِذَلِكَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَى غَيْرِهِمْ . وَكَأَنَّ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ وَهِيَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَرِقَّةُ الطَّبْعِ أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي جَمِيعِ أَهْلِ مِصْرَ . فَإِنَّ لِعَامَّتِهِمْ أَيْضًا مُخَالَقَةً وَمُجَامَلَةً . وَكُلُّهُمْ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ، بَيِّنُ الْكَلَامِ، سَرِيعُ الْجَوَابِ، حُلْوُ الْمُفَاكَهَةِ وَالْمُطَارَحَةِ . وَأَكْثَرُهُمْ يَمِيلُ إِلَى هَذَا النَّوْعِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الأَنْقَاطَ[2] . وَكَأَنَّهُ الْمُجَارَزَةُ وَهِيَ مُفَاكَهَةٌ تُشْبِهُ السِّبَابَ ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالأَحَاجِي . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَدَرَّبَ فِيهِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ شَيْئًا ،

(١) ينتمى الى أسرة مارونية . ولد فى لبنان ودرس العربية ، وحضر الى مصر وحرر فى الوقائع المصرية ثم أسلم ، وانشأ الجوائب بالآستانة ؛ ويمتاز بسهولة الأسلوب والخبرة اللغوية وله عدة مؤلفات لغوية علمية . توفى سنة ١٣٠٥ هـ .

(٢) الأنقاط : جمع نقطة وهى باللغة البلدية النكتة .

وَإِنْ يَكُنْ شَاعِرًا . وَكُلُّهم يُحِبُّ السَّمَاعَ وَاللَّهْوَ والخَلَاعَةَ . وغِنَاؤُهم أَشْجَى مَا يَكُونُ . فَلَا يُمْكِن لِمَنْ أَلِفَهُ أَنْ يَطْرَب بِغَـيْرِهِ . وَكَذَلِكَ آلَاتُهم فَإِنَّهَا تَكَادُ تَنْطِقُ عَنِ العَازِف بِهَا . وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهم هو العُودُ . غَيْرَ أَنِّى أَذُمُّ مِنْ غِنَائِهِم شَيْئًا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَكْرِيرُ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَيْتٍ أَوْ مَوَّال مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يفقِدَ السَّامِعُ لَذَّةَ مَعْنَى الْكَلَامِ .

(٤) لعبد الله باشا فكرى[1]

سلامٌ يعبِّر عن الوِداد طِيبُ عَبيرِه ، ويُخْبِر عن إخلاص الفؤاد لطفُ تعبيره ، وثناءٌ على محاسن تلك الشمائل[2] ، أرقُّ من نَسمَات الشمائل[3] ، وتحيةٌ بهية تباهى الخمائل[4] بنفَحات أورادها ، وأدعيةٌ مرضية جعلتْها الألسِـنة خير أورادها ، وسُـؤَالٌ عن المِزاج الزاهِر ، وصحة الخاطر الباهر . لا زلتُم مَحَلَّ نِعمةٍ يتّصلُ على مدى الأيام بقاؤُها ، ويزيدُ على مرّ الشهور والأعوام بهاؤُها ، ولا برِحتْ ثغورُ الإقبـال اليكم بواسم ، ورياحُ الآمال لديكم نواسم[5] .

وبعد فان بى من الأشواقِ ، ما تضعُف عن حَمْله الى حِماكم الأوراقُ ، ومن التأسّف على ما حُرِمتُه من لُقياكم ، والتلهف الى مطالعة أنوار مُحيّاكم ، ما يقصر عن وصفه لسانُ اليراعة ، ويَقصُر دون وصفه بيانُ البراعة ، ويضيق عنه نطاقُ العبارة ، ولا ينفسح له مَيْدان الإشارة .

(١) تقدّمت ترجمته فى الشعر . (٢) الخلال والسجايا .
(٣) جمع شمال ، وهو من الجناس التام .
(٤) الخمائل جمع خميلة : وهى الشجر الكثير الملتف .
(٥) نسمت الريح تحركت وهبت .

وكتب رحمه الله معزيا :

يعز عليّ أن أكاتب سيدى معزّيا، أو ألمّ به فى مُلمة مسلّيا، ولكنه أمرُ الله الذى لا يُقابَل بغير التسليم، وقضاؤه الذى ليس له عُدّةٌ سوى الصّبر الكريم . وقد علم مولاى (أجمل الله صبرَه، ولا أراه من بعدُ إلا ما سرّه وشرح صدره) أن اللهَ (جل ثناؤه، وتباركت آلاؤه) اذا امتحن عبدَه فصَبر آجَرَه وعوضه بكرمه، كما أنه اذا أنعم عليه فشكَرَ زاده وضاعَف له من نِعَمه، وقد عُرِف من حَال سيدى فى الشكر على السرّاء، ما يستوجب المزيد منها، والظنُّ بحَزمه وعلمه أن يكون حاله فى الصبر على الضرّاء ما يستجلب الأجرَ عليها والتعويض عنها .

وكتب أيضا الى بعض أصحابه :

كَتَبْتُ والذهنُ فاتر، من وَهْنِ الدفاتر، والتّبْيِيض والتسويد، والتَّقْييد والتسديد، والترجمةِ وكثرتها ، والهمة وفَتْرَتها ، والماهية وقِلّتها ، والنفس وذِلّتَها، وراتِبِي لا يكفى أجرةَ البيت، ولا يَفِى ثَمَنَ الماء والزيت، وبالأمس وعد الوكيلُ بالزيادة، واعتذر اليومَ بالأصيل على العادة، على أَنه لو حصلت زيادة فلزيد وعمرو ، الى آخر الزّمر، ولله الأمر، أحوالٌ متبدِّدة، ونفوسٌ متبلِّدة، وأشغال متعدّدة، وإخوانٌ خُوّان، وخِلّانٌ غيلَان ، ورِفَاق ، وما أجمل الفِراق ، وقلت :

إلَامَ أُعَانِى الصبرَ والدهرُ غادرُ — وحتى متَى أشكو ومَالِىَ عَاذِرُ
ولو أننى أَشْكُو عَظَائِمَ شِدّتى — لَبِيتِ لَرَقّتْ لِى الْعِظَامُ النّوَاخِرُ

وسألتَ عن فلان وفلان، وهَيَّانِ بْنِ بَيَّان، ممن يَنْتَسِبُ للعلمِ وأَهْلِه، ويتظاهر بشِعَارِ فضله، ولو كان العلم بِلِحْيَةٍ تَعْظُم وتُطَوَّل، وشَوَارِبَ تُحَفُّ وتُسْتَأْصَل،

وعُيُونٍ عَلَى مَا بِهَا من غَمَص ورَمَص تُكَحَّل ... ... فهم أعلم مَن أَقَلَّته الغَبْرَاء، وأفقهُ مَن أَظَلَّته الخضراء، وإن كان للعلم غيرُ هـذه الآلات ، فما لهم سوى هذه الحالات ... ... يا قوم أهذا النحو وإعرابُه، والصرفُ وأبوابه، والعَرُوضُ وأوزانه وأَبْحُرُه، والمَعَـانى وإنشاؤُه وخَبَرُه، والبيانُ وفرائدُه، والبـديع وشواهدُه، وهـذه العلوم الموضوعة ، والأسفار المحمولة ، والدروسُ المـأْهُولة ، والأصوات المَهُولة، لمجرّد معرفة ضرب زيد لعمرو ، وقتالِ خالد لبكر، وأنَّ قال أصلُهَا قَوَل ، ثم لا يدرِى ما حصـل ، والطوِيلُ من فعولن مفاعيلن ثم لا يعْـلَم ، كيف يُنْظَم ، والفصـلُ والوصل، ولا أصلَ ولا فَصْـل، والحقيقةُ والمجـاز ، وليس لهما مَجَاز ؛ والتوريةُ والجناس، مما يُحَفَظ ولا يُقَاس ، إذًا والله تكون تلك الفُنون ، من أفانِين الجنون، ويكون الميلُ اليها، والإقبال عليها، عَمَلًا حَابِطا، وشُغلا ساقِطا ، وهَوَسًا عاطِلا، ووَسْوَاسًا باطلا، ويكون وَاضِعوها أساءوا النـاس ، وأخطئوا القياس ، وبنَوْا على غير أساس ، كلا إنما وَضَعوا هذه القواعد، وشَرَعوا للناس تلك الموارد، ليتكلمـوا بكلام العرب مثـل ما تَكَلَّمَتْ ، ويفهموا من ألفاظها كالذى فَهِمَت ، ويُتَرجِمُوا عن سرائر الضَّمائر كما تَرْجَمَتْ ، ويَنْثُرُوا ويَنْظُمُوا كما نَثَرَتْ ونَظَمت . وقد كانت هـذه العربُ التى أَودع اللهُ الفصاحةَ لِسَانَهَا، وشرَّف بسيدنا النبى والقرآن العربىِّ مَكَانَها ، تتكلم بهذه اللغـة العلِيَّة ، على الفِطْرة الأصلية ، والسَّجيَّة الجِبلِّية ، من غير هـذه القواعد والأصول ، وتلك الأبوابِ والفصول. وكانت تَعتَدُّ البلاغةَ مبلغَ عُلَاها، وتعتقد الفصاحة من محاسن حُلَاها... الى أن خَلَف هذا الخَلَفُ فظنوا تلك الوسائلَ مقاصـد ، ليس بعدها غايةٌ لقاصد ، وحسبوا هـذه الكتب تُقصد

لذاتها، ويُكتَفى بالتعبد بكلماتها، فوقفوا عندها، ولم يتجاوزوها لما بعدها، واتخذوا الأدب وراءهم ظِهْرِيًّا، وجعلوا النظم والنثر شيئا فَرِيًّا، ... أما فلان وأترابه، وفلان وأضرابُه، فهم أُعْجوبة الأيام، وأُحْدُوثةُ الأنام، أحوال متناقضة، وأفعال متعارِضة، فكِبر وفَقر، وعجز ونخو، وحالٌ تحت التراب، ونَفْسٌ فوق السحاب، إن صدَقْتهم كَذَبوا، وإن أرضيتَهُم غَضِبوا، وإن تباعدتَ عنهم لاَمُوا وعَذَلوا، وإن تقرَّبْتَ منهم سَئِموا ومَلُّوا، صغيرة السيئةِ عندهم كبيرة. وكبيرةُ الحَسَنَةِ لديهم صغيرة، عيونٌ منتقِدة، وقلوبٌ متَّقِدَة، وألسنة حِدَاد، وأفئدة شِدَاد، وأجسام صَحِيحة وقلوب مَرِيضة، وجهلٌ طَوِيلٌ ودَعَاوَى عريضة، وقد بذلْتُ فى مَرْضَاتهم جهدى، وأجْنَيْتُهم مُرِّى وشَهْدِى، وقابَلْتُهم باللطف والعُنف، وعاملتهم بالنُّكْر والعُرْف، فلا وأبيك ما زادوا إلا فجورا، وعتوًّا ونفورا، ولو وقَفْتُ عليهم ليلتى ويومى، وهَجَرْتُ لديهم راحتى ونومى، وفديتهم بعشيرتى وقومى، ثم أَطعمتهم من جسمى، وآثرتهم من العافية بقَسْمِى، لما بلغتُ من نفوسهم رضاها، ولا أَدَّيْتُ من حقوقهم — على زعمهم — مُقْتَضَاها، بل ولو صاحبهم جبريل، وخاطَبَهم بالتنزيل، وأهداهم الجنةَ فى مِنديل، وأَنزل اليهم الشَّمْس فى قِنديل، ونَظَم لهم النجوم عقودًا، وشق لهم من المَجَرَّةِ بُرودا، وصير الإنس والجن لهم عبيدا، وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا، وأَطْلَعهم على غيب السماء والأرض، وخَبَّرَهُم بما كان وما يكون الى يوم العَرْض، لما أصبح عندهم إلا مذموما، ولا أمسى لديهم إلا ملُوما، ولكان منسوبا للقُصُور والتَّقْصير، والإخلال بالقليل والكثير، قوم هذه طِباعهم، وتلك أوضاعهم، من ذا يرضيهم بحال، ولو فعل لهم المُحَال ... اه باختصار.

(٥) السيد عبد الله نديم (١)

من رسالة طويلة ، تعمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم .

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّة إلَّا بِاللهِ ، اشْتَبَه المُرَاقِبُ (٢) بِاللَّاه (٣) ، واسْتُبْدِلَ الحُلْوُ بِالمُرِّ ، وقُدِّم الرَّقِيقُ عَلَى الحُرِّ ، وَبِيعَ الدُّرُّ بِالخَزَف (٤) ، والخَزُّ (٥) بِالخَشَف (٦) ، وأَظْهَرَ كُلُّ لَئِيمٍ كِبْرَه ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَة . سَمْعًا سَمْعًا ، فالوُشَاةُ إِنْ سَعَوْا لَا يَعْقِلُوا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُم القَارَ (٧) فِي صِفَةِ العَنْبَر ، وَقَدْ بَدَت البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر ، وكيف تسمعُ الأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَر ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَر (٨) . عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (٩) . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ العَلْيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ فِعْلَهُمْ ، فَبِمَا رَحْمَةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لَهُمْ (١٠) . وَلَكِنَّهُمْ طَمِعُوا فِي عَمِيمِ طَوْلِك (١١) ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك (١٢) . أَتَرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ ؟ ، لَعَمْرُكَ (١٣) إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٤) . لَهُمْ قُلُوبٌ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الشعر . (٢) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهى . (٤) الخزف : الفخار .

(٥) الخز بفتح الخاء : الحرير يخلط بالصوف . (٦) الخشف : الردىء من الصوف .

(٧) القار : الزفت . (٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) ركض : جرى وعدا . (١٠) فبما رحمة : فبرحمة وما للتوكيد .

(١١) طولك بفتح الطاء : إحسانك .

(١٢) الفظ : الجافى النفس السيئ الخلق .

(١٣) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(١٤) يعمهون : يتحيرون .

لا يدرون بها الحسد قرارًا، لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فرارًا. كيف يسعى العاذلُ بين النديم وإلفه، وقد خلت النُّذُر(١) من بين يديه ومن خلفه، فياسادتي دعوني من المُعجِب والمُطرِب، ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، واجعلوا سيف ثباتكم للعُذّال مسلولا، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا. فإنهم إن قالوا كذب النديم أو بطر، سيعلمون غدًا من الكذّاب الأشِر(٢). وها قد صار أمر الحزبين عندك جليًا، أي الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسن نديًا(٣)، أتظنّ عهد العاذل عند غضبك لا ينكث(٤)؟، مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث(٥)، إنه لكم عدوٌّ كبير، ففرّوا إلى الله إني لكم منه نذير، فإنه جمع لقتالك الأولاد والأحفاد(٦)، وآخرين مقرّنين(٧) في الأصفاد(٨)، تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه، فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه: وظني إن وصل إليك كتابي أنهم يُطرَدون ويُردَعون، وحرامٌ على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون.

---

(١) النذر بضمتين: جمع نذير بمعنى الإنذار.

(٢) الأشر بكسر الشين: البطر بكسر الطاء.

(٣) الندي بكسر الدال وتشديد الياء: النادي وهو مجلس القوم.

(٤) ينكث: ينقض.

(٥) لهث الكلب يلهث: أخرج لسانه من التنفس الشديد تعبا و إعياء.

(٦) أولاد الأبناء: أما أولاد البنات فيدعون الأسباط.

(٧) مقرنين: مشدودين.

(٨) الأصفاد جمع صفد بفتحتين: وهو القيد.

(٦) السـيد جمـال الدين الأفغانى[1]

كتب الى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمه أمام الخديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه[2] .

مولاى ! إن نسبتُك إلى هَوادة فى الحق وأنت — تقدّست جِبِلّتك — فُطِرْتَ عليه، وتخوضُ الغَمَرات إليه، فقد بعتُ يقينى بالشك ، وإن توهمتُ فيك حَيَدانا عن الرُّشد، وجَوْرا عن القصد، وأنا مُوقِن أنك لازلتَ على السدادِ غير مُفْرِط ولا مُفَرِّط فقد استبدلت علمى بالجهل — ولو قلتُ : إنك من الذين تأخذهم فى الحق لومة لائم، وتصدهم عن الصدق خشية ظالم، وأنت تصـدع به غيرَ وانٍ ولا ضجِـر ولو ألَّب الباطل الكوارث المُرْدية، وأجرى عليك الخطوبَ الموبِقَة، لكذبتُ نفسى وكذّبنى من يسمع مقالتى، لأن العالم والجاهل والفَطِن والغبىّ كلهم قد أجمعـوا على طهارة سَجِيَّتك ونَقاوة سَريرتك — واتفقوا على أن الفضائل حيث أنت — والحق معـك أينما كنت — لا تفارق المكارمَ ولو اضطُررت — وأنت مجبول على الخير لا يحوم حولك شر أبدا، ولا تصدُر عنك نقيصة قصدا — ولا تَهِن فى قضاء حق، ولا تَنِى عن شهادة صدق — ومع هذا وهذا وذاك إنك مع علمك بواقع أمرى، وعرفانك بسريرتى وسِيرى، أراك ما ذُدتَ عن حق كان واجبا عليك حمايتُه، ولا صنت عهدا

---

(١) هو محمد بن صفتر ولد فى أسعد أباد وتنقل فى بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل الى الاستانه ، ثم نفى منها بجفاء مصر ونفخ فيها من روحه وأسس نهضة إصلاحية فى الدين والسياسة ، وتتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده وغيره ، ثم نفى من مصر ، ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعى الى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ .

(٢) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه فى ذلك المقام أبلغ دفاع .

كانت عليك رعايته، وكتمت الشهادة وأنت تعلم أنى ما أضمرت للخديو ولا للمصريين شرا، ولا أسررتُ لأحد فى خفيَّات ضميرى ضرًّا — وتركتنى وأنيابَ النذل اللئيم (فلان) حتى نهشنى نهش السبُع الهرِم العظام، ضغينةً منه على السيد ابراهيم اللقانى وإغراءً من أعدائى أحزاب (فلان)! ما هكذا الظن بك ولا المعروف من رشدك وسدادك — ولا يطاوعنى لسانى — وان كان قلبى مذعِنا بعُظم منزلتك فى الفضائل، مُقراً بشرف مقامك فى الكمالات — أن أقول عفا الله عما سلف إلا أَن تصدَع بالحق، وتقيم الصدقَ، وتُظهرَ الشهادة إزاحةً للشبهة، وإدحاضًا للباطل، وإخزاءً للشر وأهله — وأظنك قد فعلتَ أداءً لفريضة الحق والعدل — ثم إنى يا مولاى أَذهبُ الآن إلى لندن ومنها إلى باريس مسلما عليكم وداعيا لكم — والسلام عليكم وعلى أخى الفاضل البار أمين بك ٩٠ جمال الدين الأفغانى

٨ صفر سنة ١٣٠٠

(٧) مصطفى بك نجيب (١)

كتب مصطفى بك نجيب يصف نَظَّارَة ويشكر من أهداها :

وردَ الكتابُ المُطَرَّزُ بِحُلَى الْكَرَم، المُحَلَّى بجميلِ النعم، واستلمتُ الهديّة، فسلِمتْ يدٌ أَهْدَتْها، وحُفِظَتِ السَّجَايَا الَّتِي لمحاسنِ الأعمالِ هَدَتْهَا، ودامت رِحَابٌ لمثل هذه الحَسناتِ فيها مَجَال، وللمحسنات بهاءٌ وجَمال، وللآمال محطُّ رِحَال، وللمقاصد

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب. شاعر كاتب، يمتاز بسهولة الأسلوب، ورشاقة العبارة، وإيراد أبرع النكات فى شعره ونثره. وقد نشأ فى معية الخديو، ثم تحول الى وزارة الداخلية فشغل فيها منصبا كبيرا حتى مات رحمه الله، وهو صاحب رسائل «أحلام الأحلام» وكتاب «حماة الاسلام» الذى نشر منجما فى جريدة اللواء. توفى سنة ١٣٢٠ هـ.

كعبةُ إقبال، وطابت نفسٌ تعالى الله أن تُماثلها نفسُ عِصام، فانها نَسخت آيةَ الكرِّ والإقدام، بآية الجُود والإكرام، وفعلت فى القـلوبِ بالعطاءِ والنَّوال، ما قصَّرت عنـه الرِّماحُ الطِّوال، وتأمَّلتها فأرتني ما لا عينٌ رأت، وأظهرت من محاسنِ المَناظر ما أغمرت، وقرَّبت كلَّ منظورٍ بعيد، وتلت ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وصفا وَقتى بِصفائها، فلم أشتهِ شيئًا إلا جمعت بينه و بيني، وصحَّ علينا قولُ القائل "رأيتُ بعينها ورأت بعيني" ثم سرَّحتُ نظرى فى الأطلالِ والرُّسوم، حتى نظرتُ نظرةً فى النُّجوم، فلم تُخفِ عنى شجرًا ولا مَدرًا، ولا نجمًا ولا قمرًا :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا　　　اذا ما زِدْتَه نَظَـرا

ببهاء، يُخيِّلُ لِى أنَّها صِيغت مِن ضياء، فلو كانت فى يَد ذلك الظَّمآن — استغفرُ الله — لَمَّا كانَ يَحسب أنَّ السَّرابَ ماء، استغربتها العقولُ حتى صار لكل انسان فيها نَظر، واطَّلعت على تفاوُتِ الناسِ فجاءت لكل بَصرٍ بقَدر، ونال بها كلٌّ قصده ومَرامه، واستوى عندها "أعمى وأعشى ثم ذُو بَصرٍ وزَرقاءُ اليَمامة" فلو كانت عينًا لكشفت حقائقَ الضمائر، ونُظِر بها تقلُّبُ القلوب وحقيقةُ البصائر، شهدَ لها الجمْع بالفضل لَمَّا ظهر لكل إنسانٍ لديها حالةُ ضعفه، وعظَّم مِقـدارَها كلُّ فردٍ ورفعها — رغبةً منه أو رَغمًا — على أنفِه، ولا عيبَ فيها غيرَ أنِّى نظرتُ بها فى سَماءِ فضلك الباهر، وأُفُق شَرفك الطاهر، فلم ينكشفْ لى بها لجُودِك آخر، لا زال كرمك بعيدًا حدُّه على كل نَاظرٍ و بَاصر، وفضْلُ مناهلك غايةً تقصدها الأوائل والأواخر.

(٨) ابراهيم بك المويلحى[1]

يشكو بلسان حاج ما رأى إحدى السنين فى الحج من فتك الوباء بالحجاج وإهمال السلطات شأنه وشأنهم .

ترجمت الى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كذا فليجِلَّ الخطبُ وليفدَحِ الأمْرُ   وليْسَ لعَـينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

يقول الشاعرُ البيتَ الجزْلَ من الشـعر لغرضٍ له حقيرٍ ، ثم يتركُهُ ويأتى من بَعدِه مَن يضَعه موضِعَهُ اللائقَ به من حوادث الزّمان . وإن هذا البَيْتَ لا يَحـل محله فى رثاء واحدٍ من الناس ؛ وإنما يقال ليُبكَى به على ما أصاب المسلمين فى مَكّة هـذا العامَ . ولا غرو أَنْ ترتَعِدَ اليـدُ ويقفَ القلم ، ويتلعثَمَ اللسان عند وصفِ ما فعلته المَنِيّـة حين قامت تَفْتِك فى الأرواح ، وتَهتِك فى الأشبَاح ، حتى فُرِشَت الأزِقّة بالموتَى ، وأَقَامت منهم كُثْبَانًا تشهَد على عجز القوم عن تدارك الأمور .

ولقد رأيت من المناظر المدهشة ما تتصاغر عنده عظيمات النوائب ، وتتضاءَلُ لديه جَسِيمَاتُ المصائب . فمن ذلك أنى رأيت شابًّا عليـه شَارَةُ الحشمة والنَّجابة ،

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب ، وقد انحدروا الى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم فى بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار فى الحرير ، فنزع ابراهيم — مع معالجته التجارة — الى الأدب فقرأ كثيرا فى كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ، حتى برع فى الأدب ، وحذق الفرنسية والتركية ، وجوّد التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرّزين فى عصره . وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفحولة اللفظ وبين الوقوع على المعانى الغريبة ، والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان فى بيانه نسيج وحده . وهو يعدّ بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية فى العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مصباح الشرق ، وحرر فيهما وفى كثير من الصحف التى كانت قائمة فى عهده ، وتوفى سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣) هـ .

يتخبّط فى التّراب ولا يستطيع إشارة ولا كلاما، وإنمـا كان يطلب بعينيه المملوءتين بالدمع أن يدْنُو منه أحدُ المـارّة، فدنوت منـه فوجدته قد مات . فأبكانى موتُه غريبا عن أهله وقومه على تلك الحالة المؤلمة، فطلبتُ بالأجرة من يدفنـه فلم أجِدْ أحدا، على إفراطِ حُبّ المـالِ فى هـذا البلد . فكتبتُ ورقة وأرسلتها الى قاضى مكة أسأله المَعُونَةَ على دفن هؤلاء الغرباء المطروحين تحت أقدام الناس فى الطريق، فأجابنى بأن هذا لا يعلَق بشىء من وظيفته، ولا يخُصّه الاشتغال به! فسألت عن غيره من أصحاب الحَلّ والعَقْد، فوجدتهم قد طاروا الى الطائف وتركوا مكة للقتل العـام .

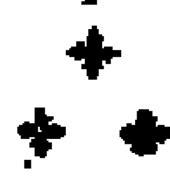
وبينَا أنا حيران فى وسَط هـذه المقبرة المكشوفة، إذ لاحتْ منى التفاتةٌ الى الموْتَى فرأيت — وليتنى لم أرَ — امرأة اختطفتها المنيّةُ من بنت لها صغيرةٍ لم تبلغ سنّ التمييز بين النّوم والموت، وقد شَرَعتْ تلك الصغيرة تُحرِّك أمها بيـديها لإيقاظها، وتبكى لعدم إجابتها، بعيون تَقَسَّمَتْ نظراتُها بين السّماء والأرض، وتَعِدُها فى خلال تلك النظرات المُبهَمة أنهـا لا تعود لشىء كانت نَهَتها عنه، بعبارات تستخرج الحنو والشفقةَ من القلوب الصّخرية . فأمسكتُ بالبنت ولا أقدِر أن أصف لك كيف فصلتُها عن رِمّة أمّها، وكيف كان حالهُـا وحالُ من يراها عند آخر نظرةٍ نظرتْها الى والدتها وكافِلتها .

ثم قفلنَا الى جُدّةَ مشتّين، فعلمنا أن الدّولة قد أرسلت وابورا لنقل الحجـاج، وليتها لم ترسـل، فان قبطان الوابور كان أشـدّ قسوة على الحُجاج من الموت : أمر أوّلًا بالقاء قسم ممـا كان معهم من الأزْوادِ فى البحر بدعوَى المحافظةِ على الصحة .

ثم أخذ يبيع لهم ثانيا، وهم فى اللُّجة، مما احتكرهُ من القوت، بيعَ القَحْط اليُوسُفِى .

ولما لم يبق معهم من النَّقد شىءٌ، شرع يبيع لهم بما معَهم من الهدايا والسُّبح .

وكان الجبَّار لا يُحب أن يسمع بمريض فى السفينة . ولهذا اضطُر كثيرٌ أن يكتُموا أمراضهم . وما زلنا معه على شَفَا الخَطَر الى أن وصلنا الى الطُّور، فلقينا هُنَاك من كبرياء الأطباء وعظمتهم ما تمنينا له أن نكون طُعْماً للحِيتَانِ ؛ فانهم كانوا يَأنفُونَ أن يَمسُّوا أيدى الحجاج بأيديهم، وكانوا يكتفون بالنظر الشَّزْر اليهم . وكثيرا ما كانوا يعترضون على الحجاج . فاعتقدتُ أن الخَيْرَ ارتفع الى السماء، وأن الأرض أصبحت قاعاً صَفْصَفًا من نَوْع الإنسانِ، وأن الذين نراهم هم شياطين على صورة البشر .



وقُصارَى القول أننا فى زمن أصبح القابِضُ على دينه فيه كالقابضِ على الجمر .

فلا حولَ ولا قوة إلا بالله .

(٩) الشيخ ابراهيم اليازجى (١)

كتب يعزى بعض أصدقائه :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ القَضَاءَ وَاقِعٌ، وَأَنَّ الأَعْمَارَ رَهَائنُ المَصَارِعِ، فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ (٢)، وَلَمْ يَفْتَرَّ (٣) من الأَقْدَارِ بِفَتْرَة (٤). لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرَّزِيئَةُ إِذَا أَغْتَالَبْ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ

(١) يعد ابراهيم اليازجى من علماء اللغة والنحو والأدب ، أصدر بمصر مجلتى البيان والضياء وله مؤلفات محكمة فى علوم اللغة والنقد اللغوى . توفى سنة ١٣٢٤ هـ .

(٢) الغرة بكسر الغين : الغفلة . (٣) يفتر : يسكن .

(٤) والفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

إلى السلامة وإن طالت، فإن للدهر رقدة (١) وهبة (٢)، وإن لليالي كمنة (٣) ووثبة . ومثلك من أدرك مبادئ الأمور ومصايرها (٤)، وعرف موارد الحياة ومصادرها . وإنما الموت طور من أطوار الوجود، وآخر أعمال الحياة في الموجود . ولا أزيدك علما بالكون وشرائعه، والكائن وطبائعه . إنما هي ذكرى لمن فجأه الرزء فشغله، وحل بساحته القضاء فأذهله . وحسبي من التعزية علمي بما عندك من موارد العلم المباح، ومن التأسية (٥) ما تعلمه من حال مخاطبك وهو سائل الجراح . وما أخلقني (٦) بأن أقول : إن رزءك هذا قد زادني شجنا على أشجاني (٧)، ونكأ (٨) ما تماثل (٩) من قرحة أحزاني . ولكني قد صيرني الدهر إلى حال لا تعمل فيها حال، ولا أبالي معها بسلم ولا قتال . فكأنما إياي عنى أبو الطيب حيث قال :

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له، وإن طال أمد السلامة لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائما داخلة في حسابه .

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) يريد بالكمنة السكون .

(٤) مصاير الأمور : غاياتها .

(٥) التأسية : التصبير والتعزية .

(٦) ما أخلقني : ما أحقني وأولاني .

(٧) الشجن : الهم والحزن، وجمعه أشجان .

(٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تماثل : قارب البرء .

(١٠) مصطفى باشا كامل [1]

من خطبـــة له :

أيها السادة . إنكم باجتماعكم اليومَ هذا الاجتماع الوطنى ترفعون كثيرا من مقام الوطنية المصرية، وتخفِّفون من آلام مصر العزيزة التى قاسَت وتقاسى أشد العذاب على مشهد منكم يا أعز بنيهــا و يانخبة أنجابها . فكل اجتماع وطنى تُذكر فيه مصر ويُطالَب بحقوقها و يعلِن أبناؤها إخلاصَهم لها هو فى الحقيقة مَرهَم لجراحها ودواء لدائها . فاذكروها ما استطعتم فان فى ذكراها ذكرى آلامها، وذكرى الآلام تجرّ حتما الى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه الشفيقةَ وهى على سرير المرض والعناء . اذكروها بآلامها وان كان غيرُكم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . اذكروها فانكم ما دمتم مقدِّرين لمصائبها، عارفين بحقيقة آلامها، دام الأمل وطيــدا فى ســلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المســتحيل أن يرى العاقلُ النارَ فى داره، والداءَ فى شخص أمه، ويُهمل النارَ و يهمل الداء .

ثم قال: وهناك فئة من المصريين لا أُنكر إخلاص رجالها للوطن العزيز، ولكن أنكر عليهم اليأس الذى يتظاهرون به فى كل وقت وفى كل مكان . فهــم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعا، ولكنهم جعلوا اليأس علّة عدم العمل وعلّة الكسل! فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومى نافع للبلاد أجابوك : "نحن يائسون من

(١) خطيب وسياسى مصرى تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة، وانصرف الى مقاومة الاحتلال الانجليزى بخطبــه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين احداهما بالفرنسية والأخرى بالانجليزية . وتنقل فى بلدان أوربا داعيــا لمصر . وكان فصيحا مؤثرا فى كتابته وخطابته . مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) .

مستقبل الوطن، معتقدون بظلمة الأيام الآتية" فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءه و يعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من الأطباء لا ييئس أبدا من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة من حياته . فكيف ييئس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ؟ ! وهم إن كانوا قد خبروا داءَ مصر، فيعلم الله و يعلم الناس أنهم الى اليوم ما قدّموا لها الدواء !

كيف نيئس من المستقبل، والمستقبلُ بيد الله وحده، وكثيرا ما تأتى الحوادث بخلاف المنتظَر و بغير حساب ؟

هى النفوس الصغيرة التى يُخلق عندها الأمل بكلمة أو بتلغراف ! ثم يستولى عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف ! أما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الأمل ما دام الدمُ فى العروق وما دامت الحياة .

وأى حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أيجمع المرء فى جسم واحد الموتَ والحياة ؟ إذ اليأس موت حقيقى وأى موت !

كيف نيأس ونحن جميعا عالمون بأن ما يظهر طويلا فى حياة الأفراد هو قصير فى حياة الشعوب، فعَشرٌ من السنوات فى حياة الانسان طويلة حقا، ولكنها فى حياة الأمة قصيرة جدا؛ على أنه اذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم فعار عليهم أن يقوموا فى الأمة بوظيفة تثبيط هِمم الآملين . والآملون فى البلاد كثيرون؛ بل الأمة كلها مؤملة خيرا فى المستقبل . و إن لم تظهر الى الآنَ أعمال الآملين فستظهر بعد قليل، وسترى الأمة المصرية وأمم العالم أجمع أن للوطن المصرى أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرَها و يعرفون لمصر حقوقها .

ولا غرو فان سبل خدمة الوطن عديدة، و إن أهمها إعلان الحقيقة فى كل بلد وفى كل زمان . فالحرية بنت الحقيقة، وما آنتشرت الحقيقة فى أمة إلا وآرتفعت كلمتها، وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم والظلمة، وانتشرت الحرية والعدل . فكما أن الأفراد لا تُسلب حقوقهم ولا يتعدّى اللصوص على أمتعتهم إلا فى ظلام الليل الحالك — فكذلك شأن الأمم لا تُسلب حقوقها ولا يتعدى العدوّ على أملاكها إلا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها، وكانت هى عائشة فى الجهل والظلام .

فيأيها المصريون المخلصون لمصر: انشروا الحقيقة فى أمتكم وفى الأمم الأخرى . قولوا للمصرى إنه إنسان من بنى الإنسان، له حقوق الانسان، تروه رجلا كرجال الأمم الحرة يحمل لواء الوطن بكل قوة و إقدام . قولوا للفلاح المصرى إنه خلق إنسانا ككل إنسان، و إن الله أعطاه فى الحياة حقوق أكبر الأفراد، و إن له صوتا لو رفعه سُمع فى الملأ الأعلى، و إنه ما خلق لأن يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه، تروه عندئذ أشد الناس دفاعا عن حقوق الأمة والوطن . قولوا للأمة المصرية إنها أمة كسائر الأمم، من أقدس حقوقها أن تحكم نفسها بنفسها، وأن لا تنفذ رغائب غيرها، وأن تكون فى بلادها علية الكلمة قوية السلطة، لا يُردّ لها رأى ولا يخالف لها أمر: هنالك تجدون الأمة حية والشعب قويا، ولا ترون أولئك الذين يهزءون برغبة الشعب ورغبة نوابه، و يسخرون من رغائب الأمة ومن مطالبها .

لم لا يقوم كبراء مصر ووزراؤها السالفون بأمر تأسيس المدارس الأهلية وتربية الأمة ؟ لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية و يخصصون أيامهم الأخيرة لهذا

العمل الشريف ؟ رأينا عظيما منهم قام بمسئلة الإعانة العسكرية وأجهد نفسه فى هذا الأمر وله من الأمة والوطن جزيلُ الشكر والثناء، فلم لا نراه يقوم مع الكبراءِ الآخرينَ بمسئلة إعانة عمومية لتأسيس مدارسَ أهلية، والبلاد فى أشد حاجة اليها؟ يا أيها الكبراء ويأيهــا العظماء ! ويأيها الأغنياء ! ما الفخار بالرتب والألقاب، ولا بسكنى القصور العالية، والتحدث بمــا كان وما ربما سيكون . بل الفخار كل الفخار فى العمل آناء الليل وأطراف النهار لخدمة البلاد وإعلاء شأنها . فما الحياة بأيام تمر وسنين تكر، بل بالعمل وبالخدمة الوطنية :

ليس الحَيــاةُ بانفاسٍ نردِّدها إن الحياةَ حياةُ الفكر والعمــل

اتركوا الأبنــاء معشر الآباء فى الحياة الحرة . اتركوهم يخدُموا الوطن ويخدموا أنفسهم فى غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحرارًا غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة، ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع، تزدادوا بذلك شرفا وفخرا، وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا .

وإلا فان أُهملتْ تربية الأمة وبقيَ الكبراء منعكفين فى إدارة شؤونهم الخاصة، واستمر الآباء يُلقون بالأبناء الى مهاوى التوظف فى الوظائف، وبقيت التجارة والصناعة فى كساد، ودامت الأمة فى حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها — دام الانحطاط ودام التأخر ودام الخطر .

(١١) الشيخ أحمد مفتاح (١)

كتب فى التهادى :

الهدية — غمرك الله بالمعروف — تبسُط يدَ المودّة وتُدِرّ بها أخلافَ القُرَب، وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف . وما أنا فيما أهديه اليك الا كمستبضعٍ تمرًا الى أرض خيبر، أو كالواهب الماء للبحر، والضوءَ للبدر، والملكَ لسليمان، والمالَ لقارون، والحِلمَ لأحنف، والذكاءَ لإياس، والتفسيرَ لابن عباس . وما ذاك الا كتابٌ كما تراه ضَربَ فى الإحكام بسهم، ووعى من الأحكام ما خلت منه مفعَمَاتُ الأسفار، وموجَزات الرسائل، فهو كما قيل: كلُّ الصَّيْد فى جَوْف الفَرا :

تَزين معانيـــه ألفاظَه وألفاظُه زائناتُ المعانى

على أنى وإن تَطَفَّلتُ عليـك ، وسُقتُ لك هـذا الكتابَ مزدلفًا الى جنـابك الرحب، ومقامك الأسنى، فقد أصبتُ كَبِدَ الصواب، ووضعتُه حيث يعرفه أهلوه، ويتقبـله مِن باذِله عالموه، علمًا بأنك عمـادُ العلوم ، وأساسُ الفضائل، لا تغادر شاردة إلا وَعَيْتَها، ولا نادرة إلا رَوَيْتَها، وإلّا :

لو كان يُهدَى على قَدرى وقد رَكُو لكنت أُهدى لك الدنيا وما فيها

(١) يتصل نسبه بالعرب، نشأ بمصر ودرس بالأزهر، وعنى بالأدب . ثم دخل دار العلوم حتى إذا خرج منها اشتغل فى الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ ، وله مؤلفات عدة وطريقته فى الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد فى استعمال البديع .

(١٢) الشيخ على يوسف[1]

كتب تحت عنوان "لا تَعَصُّبَ فى مصر" :

التعصبُ بالمعنَى المَعْـرُوفِ فى الغرب عن أهل الشرق . وبعبارة أخرى عند المسيحيين عن المسلمين، هو انْبِثَاثُ روحِ العِدَاءِ والبَغْضَاء من الآخرِينَ ضدَّ الأوّلِينَ انْبِثَاثًا يحمِلُ على الاعتداء عليهم حينا بعد حين .

التعصب بهـذا المعنى رذيلةٌ من الرذائل التى ينهَى عنهـا الدينُ الإسـلامى، والقوانينُ الاجتماعية، وفى نظرِ الأوربيينَ هو التَّوَحُّشُ الذى يَفْتِكُ بنفوس الأَبْرِيَاء كُلَّمـا ثارَ ثَائِرُه . أو هو أَشْـبهُ بالغُولِ الْكَاسِرِ الذى يَنْدَفِعُ بعَمَايَةٍ فيفـترسُ كلَّ ما فى طَرِيقِه من نفوسِ البَشَر .

التعصب على هذا مجموعُ أرواحٍ شرّيرةٍ لا نظام لها فى ثَوَرَانِها وعُدْوانها ، نعوذ بالله أن تُرْزَأَ أُمَّةٌ بهذا البلاء العظيم .

قالوا : إنّ المصريين مُتَعَصِّبُون تعصبا دينيا . ومعنى هذا أنهم يكْرَهون المخالفين لهم فى الدين كراهةً عَمْيَاءَ، يعتدُون عليهم بروح البغضاء المتناهية كلما سنحت لهم فرصة الافتراس أو استفزّهم صائح .

---

(١) أصله من بلدة بلصفورة بجرجا، نشأ نشأة دينية، ودرس بالأزهر، ولكنه عنى بالأدب، وخرج صحفيا بارعا ذا أسلوب قوى رائع ظهر فى «المؤيد» صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية بقوة أسلوبه، وشدة نفسه، وذكاء جنانه . توفى سنة ١٣٣١ هـ .

فى البلادِ من قديم الزمان أديانٌ مختلفة يَتجاور أهلوها فى المنازل ، ويَتشاركون فى المرافق ، ويتنافسون فى الأعمال ، فلم تكن بين المسلمين والأقباط تلك الروح الشريرة . ولو كانت فى فِطرة المسلمين أو فِطرة الفريقين لَلَاشت الأكثريةُ الأقليةَ فى عصور مضت ، وخصوصا فى عصور كانت الجهالة فيها سائدة ، وكان بعض الحكام من المماليك وغيرهم يبذُرون بذور البغضاء بين الفريقين لا لخدمةٍ دينية إسلامية ، ولكن لأغراضٍ شتّى منشَؤُها الشهوات والمطامع . ولكن التواريخ تدل على أن الفريقين عاشا على الوئام والسلامِ فى كلّ الظروف أو أكثرِها .

وفَد على القطر المصرى منذ أول عهد المرحوم محمد على باشا الكبير وفود من كل الطوائف المسيحية ، غربيةٍ وشرقيةٍ : من أرمن وأروام وسوريين وفرنساويين وطليانيين وانكليز ونمساويين وأمريكانيين : من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك : من علماء وتجار وصناع وعملة وهَمَل مقشردين . فلقىَ الكل فى مصر صدرا رحيبا .

كان منهم الموظَّفون فى كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا رئاسة النظار فى مصر ، وكان قائمقام خديوى ، ورئيسَ الاحتفال بموكب المحمل الشريف ، فهل يوجد فى أمة غيرِ الأمة المصرية المسلمة مثلُ هذا التساهل فيرأس احتفالا دينيا مسيحيا مسلمٍ أو غيرُ مسيحىّ؟ .

وكان من علمائهم الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون ، فهل الأمة التى تُرَبّى أبناءَها على أيدى الأساتذة من غير دينها ، تُعَدُّ متعصبة ؟! وكان التجار على ما يُحِبون من الرحب والسَّعة وحسن القَبول ، فضربوا فى البلاد بمتاجرهم

من غثّ وسمين، وجيّد وردىء، وخالص ومغشوش، حتى صارت مصرُ من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التى وَجدت اقبالا من الأمة هائلا .

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيرة لبيع الخمور الرديئة فى كل قرية من قُرى القطر، مهما سَحقت وقل عددها، أو يربّون الخنازير ويُثرون شيئا فشيئا حتى يكون الصعلوك منهم فى بضع سنوات صاحب القرية ومزارعها ومدايِنَ أهليها وسيدَهم . فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يُخشى من شرهم فى وادى النيل على الأوربيين ؟

كيف يكون عند المصريين تعصب دينى وهؤلاء بينهم، تتسع معاملتهم معهم، وكثيرا ما تنتهى هذه المعاملات بمصادرات المدينين فى أملاكهم، ولا يخطر على بال مسلم خاطر سوء من ناحيتهم لعلمه أن دينه ينهاه عن ذلك حيث لا تكفى القوانين النظامية زاجرة للنفوس المتعصبة، لأن للاعتداء ضروبا شتى وطرقا خفية أكثر منها ظاهرة، وهذه تعدّيات الأهالى على بعضهم تُعدّ بالألوف فى حين أن تعدّياتهم على غيرهم لا تكاد تذكر فى جانب تعدّيات الأجانب على بعضهم فى هذه البلاد .

فكيف تَعمَى أعين الناظرين عن هذه الشمس المشرقة العامة بأشعتها على أرجاء القطر، ويقوم مفترُون يزعمون أن فى المصريين الآن تعصبا ثائرا يكاد يَفتِك بالأوربيين لمجرد كونهم مسيحيين ؟ .

أيها المدّعون! راقبوا الله فى أمة رُزئتْ بالإهمال فى شؤونها حتى انحلت عُرى الجامعة بين أفرادها وذهبت منها ريح العصبية فى كل شىء . فحرام عليكم مع هذا الانحلال أن تتهموها بالتعصب فى أشدّ حالاته .

(١٣) الشيخ حمزة فتح الله (١)

قال يعنى نُصَراء العربية :

أَىْ جَهابِذَةَ الكِنَانَة ، نِبَالَ الجُنَانَة ، (٢) مِيَاهَ الإِجَّانَة ، (٣) أَبْنَاءَ تِلْكَ اللُّغَى ، (٤) صَنَادِيدَ هَذِهِ الوَغَى ، (٥) وإِلَيْكُمْ يُسَاقُ الحَدِيثُ ، فى القَدِيم والحَدِيث ، عن هذا النَّبَإِ العظيم ، والمجد الصَّمِيم ، مالِى أَرَى فى لُغَتِنَا الشَّرِيفَة « ويعلمُ أُولو النُّهَى أَيَّةً هى من اللُّغَات ، أَحَقُّ بهـذا النَّبْزِ (٦) أَنْ يُصرَفَ إليها عند الإطلاق » هُبُوبًا غِبَّ خُمُول ، وتَرَّةً (٧) بعد نُحُول ، ونُورًا عَقِبَ أُفُول ، ونَوْرًا إِثْرَ ذُبُول ، وصَبًا وَرَاءَ قَبُول ، (٨) وعَدْلًا ولا حَيْف ، وقُوَّةً ولا ضَعْف ، وما يشاء المُطْرِى فى هذا القَبِيلِ من العَطْف ، آمنتُ بالقَدَرِ المَقْدُور ، والبَعْثِ والنُّشُور ، كذلك يُحيِى اللهُ الموتَى ، أليس رجلٌ واحدٌ أَسْفَرَتْ عَنْهُ عنايةُ التوفيق ، فأَلْقَتْ إليـه المَقَالِيد ، بَلَى ولكنَّهُ الواحدُ الذى يقولُ فى مثـله صاحبُ بَنِى مِيكَال (٩) .

وَالنَّـاسُ أَلْفٌ مِنْهُـمْ كَوَاحِدٍ ... وَوَاحِدٌ كَالأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَا .

---

(١) أديب من أشهر أدباء مصر ، ولد فى الاسكندرية وتعلم فى الأزهر ثم سافر الى تونس فتولى تحرير جريدة « الرائد التونسى » ثم عاد الى الاسكندرية وحرر جريدة « البرهان » ثم عين مفتشا أول للغة العربية بوزارة المعارف وقضى بها نحو ثلاثين عاما . وقد اشتهر بغيرته على اللغة وميله الى الإغراب . مات سنة ١٣٣٦ هـ — ١٩١٨ م .

(٢) الجنانة : الترس . (٣) الاجانة : إناء يغسل فيه الثياب .

(٤) اللغى : جمع لغة . (٥) الوغى : الحرب .

(٦) النبز : التعبير . (٧) الترة : من تر جسمه عظم وامتلأ .

(٨) القبول : ريح تهب من الشمال ضد الدبور .

(٩) صاحب بنى ميكال : يريد به ابن دريد وكان يمدحهم ، وهذا البيت فى مقصورته المشهورة .

إى وَرَبِّ تِلْكَ الْبَنِيَّــة (١) ، بَارِئ نَسِيم الْبَرِيَّة ، إنه لرجلُ البِـلَاد ، رجلُ الحزْم والسَّــدَاد ، ألم ترجَنَانَه وجَنَانَه ، وبَنَانَه وبيَــانه ، عواملُ رفْع لِهَذِهِ اللُّغَــة ، لغة الفُرْقَانِ ، لغةِ الأَوْطَانِ ، لا بَلْ أَمْضَى مِنَ الْعَوَامِلِ ، حتى ظَلَّتْ آدابُهَــا فَرَائِض ، وقد كانت ــ ومَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ ــ نَوَافِل ، ومن حَلْيِهَا (٢) أَجْيَادُ اللَّهجَاتِ عَوَاطِل ، اللهم إلا بقيةَ ثَمَــد (٣) ، قد مُنيت صحفها لا لِأَوَد ، ففقدَتِ الجَلْد والجَلَد ، وبعــد أن راجَ سُوقُ الرَّطَانَة ، ونَضَبَ ماءُ الإِبَانَة ، وخَبَتْ أَنْوَارُ البَــلَاغَة ، وذَوتْ أَنْوَار (٤) النَّبَاغَة ، وكَسَدَ الْبَيَانُ ، وقُوِّضَ مِنْهُ الْبُنْيَان ، وأَصْبَحَتِ الْعَرَبِيَّةُ لَقًى (٥) مُلْقَاة ، وبِضَاعَةً مُزْجَاة (٦) ، فأَيُّهَذَا الْيَرَاع : لا أَقَلَّ مِنْ نَفَثَات ، فِي صَوْغِ كَلِمَات ، تُقَدِّرُ هــذِهِ النِّعْمَة قَدْرَهَا ، وتَمْنَحُهَا شُكْرَهَا ، ويْحَكَ هُبَّ مِن سِنَتِكَ ، وانْضُ حُسَامك (٧) ، واشْحَذْ كَهَامَك (٨) ، وانْثُلْ كِنَانَتَكَ (٩) ، وأَعْمِلْ بَنَانَتَكَ ، وصُغْ إن اسْطَعْتَ تَهَانِيَ غُرًّا ، بل عُقُودًا دُرًّا ، بل أَنْجُمًــا زُهْرًا ، مُشْتَارًا مِنْ خَلَايَا ذَلِكَ الْأَرْيِ (١٠) الشَّهِيِّ ، النَّدِيِّ الذَّكِيّ .

(١) البنية : المراد بها هنا الكعبة .

(٢) الحلى : ما تتزين به .

(٣) الثمد بالسكون والتحريك : الماء القليل .

(٤) الأنوار : الأولى جمع نور بالضم ، والثانية جمع نور بالفتح : وهو الزهر .

(٥) اللقى : كفتى الشيء المطروح .

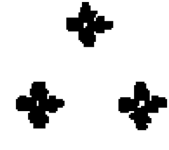
(٦) البضاعة : المزجاة القليلة .

(٧) سل سيفك .

(٨) الكهام : الضعيف العى ، يريد قلمك الضعيف .

(٩) نثل الكنانة : استخرج نبلها .

(١٠) الأرى : العسل .



وقد آثرت تلكم النَّهْضَةَ العَرَبِيَّـةَ بتَهْنِئَتِكُمْ أىْ بَنِى جِلْدَتِى ، وإخوانَ حِرْفَتِى ، لِكَوْنِها — فيما إخَالُ، لا بَلْ فِيما أَتَيَقَّنُ ويَتَيَقَّنُ أُولُو الحِجَا — أَعْظَمَ النَّهَضات، وأَيْمَنَ مَا اجْتَازَهُ الوَطَنُ مِنَ العَقَبَات، ولو كَانَ فى نِطَاقِ الإمْكَان، زِيادةُ البَيَان، فى هَـذَا الشَّان، لأَسْهَبْتُ واوْسَعْت، وأَطْرَبْتُ وأَطْنَبْتُ، ولو لم يكنْ فى تلك النَّهضة، إلا أَنَّ حَيَاةَ الأُمَّة حَيَـاةُ لُغَتِها فحسب، لكفاك وشَفاك وأَغْنَاكَ، وكَانَ ذلك قُصَارَاكَ وحُمَادَاكَ .

(١٤) حفنى بك ناصف[1]

كتب الى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كِتَابِى إلَى السَّـيِّدِ السَّنَد ولا أُجَشِّمُهُ[2] الجَوابَ عَنْهُ ، فَذَلِكَ مَا لاَ أَنْتَظِرُهُ مِنْهُ ؛ وَإِنَّمَـا أَسَأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إلَى قِرَاءَتِه، وَيَتَنَزَّلَ إلَى مُطَالَعَتِه . وَلَهُ الرَّأْىُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُزَكِّيهَا، وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا أَوْلَهَا .

قَدْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إِذَا كَانَ هَجْرُهُمْ دَلالاً ، فأمَّا إِنْ مَلاَلاً فَـلاَ نَفْعَا

زُرْتُ السَّـيِّدَ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنَّ شَوْقِى إلَى لِقَائِه، كَحِرْصِى عَلَى بَقَائِه، وَكَلَفِى[3] بِشُهُودِه[4]، كَشَغَفِى[5] بِوُجُودِه؛ فَقَدْ بَعُدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلاَقِ، وَطَالَ أَمَدُ الفِرَاقِ، وَتَصَرَّمَ[6]

---

(١) تقدمت ترجمته فى شعره .
(٢) جشمه الأمر : كلفه إياه .
(٣) الكلف بفتحتين : الحب الشديد .
(٤) شهوده : رؤيته .
(٥) الشغف : كالكلف .
(٦) تصرم الزمان : انقضى .

الزّمانُ، وأنا من رُؤيتِه في حِرْمان، فقيل لي : إنّه خرج لتشييع زائرٍ، وهو عمّا قليلٍ حاضر. فانتظرتُ رجوعه، وترقّبتُ طلوعَه. ولم أزل أعدُّ اللّحظات، وأستطيل الأوقات، حتّى بزغت الأنوار، وارتجّ صحْن الدّار، وظهر الاستبشار على وجوه الزّوّار. وجاء السّيّدُ في موكبِه، وجلالة مَحْتِده ومَنصِبه. فقُمنا لاستقباله، وهينمنا بكماله. فمرّ يتعرّف وجوه القوم حتّى حاذاني، وكَبُر على عينِه أن تراني، فغادرني ومَن على يساري، وأخذ في السّلام على جاري. وجرّ السّلامُ الكلام، وتكرّر القعود والقيام، وأنا في هـذه الحال أوهِمُ جاري، أنّي في داري، وأظهِرُ للنّاس أنّ شدّة الألفة، تُسقط الكُلفة، ومرّ السّيّدُ بعد ذلك من أمامي ثلاث مرّات، ومن الغريب أنّه لم يستدرك ما فات، وأغرب منه أنّه استخلص لنفسه من المجلس أربعة، ودعاهم إلى الحجرة فدخلوا معه، فلم يبق إلّا القيام، والإمساك عن الكلام.

تمرّون الدّيارَ ولم تعوجوا كلامُكُمُ عليّ إذن حرامُ

وكنتُ أظنّ أنّ مكانتي عند السّيّد لا تُنكر، وأنّ عهدي لديه لا يُخفَر، فإذا أنا لستُ في العيرِ ولا في النّفيرِ، وغيري عند السّيّد كثير، وذهاب صاحبٍ أو أكثر عليه يسير.

ومَن مدّت العلياءُ إليه يمينَها فأكبرُ إنسانٍ لديه صغيرُ

(١) تشييعه : توديعه.

(٢) صحن الدار : ساحتها.

(٣) الهينمة : الصوت الخفي.

(٤) خفر عهده : نقضه.

(٥) يقال : هو لا في العير ولا في النفير أي أنه لا قيمة له ولا يحسب له أي حساب.

وَلا أَدَّعي أَنِّي أُوازي السَّيِّدَ - صانَهُ اللهُ - في عُلُوِّ حَسَبِه، وأُدانيه في عِلْمِه وأَدَبِه، أَوْ أُقارِبُهُ في مَناصِبِه ورُتَبِه، أَوْ أُكاثِرُهُ (١) في فِضَّتِه وذَهَبِه؛ وإِنَّما أَقولُ يَنْبَغي لِلسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بينَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَماعِ الأَغاني والأَذْكار، وشُهودِ الأَواني على مائِدَةِ الإِفْطار، وبينَ مَنْ يَزورُهُ لِلسَّلامِ، وتأْييدِ جامِعَةِ الإِسْلام، وأَنْ يُفَرِّقَ بينَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عليه استِخْلاصًا لِلخَلاص (٢)، ومَنْ يَتَرَدَّدُ إِجابَةً لِدَعْوَةِ الإِخْلاص. وأَلَّا يَشْتَبِهَ عليه طُلَّابُ الفَوائِد، بِطُلَّابِ العَوائِد (٣)، وقُنَّاصُ الشَّوارِد (٤)، بِنُقَباءِ المَوائِد، ورُوَّادُ الطُّرَف (٥)، بِأَرْبابِ الحِـرَف.

فَما كُلُّ مَنْ لاقَيْتَ صاحِبَ حاجَةٍ وَلا كُلُّ مَنْ قابَلْتَ سائِلَكَ العُرْفا

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ بَعْضِ الأَجْناس. فَلا يَحْسُنُ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ جَميعِ النَّاس.

وَلا أَرُومُ بِحَمْدِ اللهِ مَنْزِلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِها مِنِّي إِذا راما

وإِنَّما أَصُونُ نَفْسي عَنِ المَهانَةِ والضَّعَةِ، وَلا أُعَرِّضُها لِلضِّيقِ وَفي الدُّنْيا سَعَةٌ.

وأُكْرِمُ نَفْسي إِنَّني إِنْ أَهَنْتُها وَحَقِّكَ لَمْ تَكْرُمْ عَلى أَحَدٍ بَعْدي

فَلا يُصَعِّرِ السَّيِّدُ مِنْ خَدِّه (٦)، فَقَدْ رَضيتُ بِما أَلْزَمَني مِنْ بُعْدِه، وَلا يَغُضَّ مِنْ عَيْنِه (٧)، فَهٰذا فِراقُ بَيْني وبَيْنِه. ولْيَتَّخِذْني صاحِبًا مِن بَعيد، وَلا يُكَلِّمْني إِلى يَوْمِ الوَعيد (٨).

---

(١) كاثره : فاخره بكثرة المال. (٢) الخلاص : الصافي من الذهب أو الفضة، والغرض من يستخرج منه العطاء. (٣) العوائد جمع عائدة : وهي المنفعة.

(٤) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادر الأدب. (٥) الطرف بضم الطاء وفتح الراء جمع طرفة بضم الطاء وهي الجديد الحسن المتخير. (٦) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتيها.

(٧) يغض عينه : يغمضها. (٨) يوم الوعيد : يوم القيامة.

كِلَانا غَنِىٌّ عن أَخِيهِ حَيَاتَهُ ... وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَــدُّ تَغَانِيَا

وَمِنِّى عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ، عَلَى الدَّوَامِ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدًا، وَكُلَّ عَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيـدًا، وَمَرْحَى (١) إِذَا أَصَابَ، وَشَيَّعَتْهُ السَّلَامَةُ إِذَا غَابَ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ، وَبِالرِّفَاءِ وَالبَنِينَ (٢) إِذَا أَعْرَسَ (٣)، وَبِالطَّالِعِ المَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ (٤)، وَرَحِمَهُ اللهُ إِذَا عَطَسَ، وَنَوْمَ العَافِيَــةِ إِذَا نَعِسَ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَهَنِيئًا إِذَا شَرِبَ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ إِذَا رَكِبَ، وَنَعِمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الفَجْرُ، وَسَعِدَ مَسَاؤُهُ إِذَا أَذَّنَ العَصْرُ، وَبَخٍ بَخٍ (٥) إِذَا نَثَرَ (٦)، وَلَا فُضَّ فُوهُ (٧) إِذَا شَعَرَ (٨)، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ اذَا كَتَبَ، وَإِذَا حَجَّ البَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورًا، وَإِذَا شَيَّعَ جَنَازَتِى فَسَعْيًا مَشْكُورًا.

وكتب الى الشيخ على الليثى، رحمهما الله، يشكره على هدية عنب :

وَصَــلَ يَا مَوْلَاىَ الَى هٰــذَا الطَّرَفِ (٩)، مَا خَصَصْتَ بِهِ العَبْدَ من الطُّرَفِ، «قَفَصٌ» من عِنَبٍ كَاللُّؤْلُؤِ فى الصَّدَفِ، تَتَأَلَّقُ عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِن صِنَاعَةِ «النَّجَفِ» (١٠)، وَلَعَمْرُ الحَقِّ (١١) إِنَّهَا تُحْفَةٌ مِن أَحْلَى التُّحَفِ، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ «الصُّدَفِ». فَقَابَلْنَاهُ لَثْمًا بِالأَفْوَاهِ، وَرَشْفًا بِالشِّفَاهِ. وَاحْتَفَيْنَا (١٢) بِقُدُومِهِ كُلَّ الاحْتِفَاءِ، وَلَمْ نُفَرِّطْ

---

(١) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء . كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٢) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد .

(٣) أعرس : تزوج . (٤) أنجب : ولد له ولد .

(٥) بخ بخ : كلمة تقال عند استحسان الشيء والاعجاب به . (٦) نثر : أرسل القول منثورا .

(٧) لا فض فوه : لا خلا من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول . (٨) شعر : قال الشعر .

(٩) يريد بالطرف : التحف . (١٠) النجف : كلمة مولدة .

(١١) لعمر الحق : قسم بالحق .

(١٢) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به .

فِي حبِّهِ عِنْدَ اللِّقاء . بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الحُبَى (١)، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَباً . وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًّا وَلَثْمًا، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا (٢) وَضَمًّا . وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ المَكْنُونَ، وَطَوَيْنَاهُ فِي غُضُونِ البُطُونِ . فَطَرِبْتْ من تَعَاطِيهِ الأَرْوَاحُ، وَلَا غَرْوَ (٣) فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ (٤) . وَانْتَشَيْنَا (٥) وَلَمْ نَحْمِلْ وِزْرًا، وَثَمِلْنَا (٦) وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مُرًّا . فَهُوَ كَبَيَانِ مُهْدِيهِ؛ سِحْرٌ وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَالٌ .

* * *

وَكَانَ الأَحْرَى بِهَذَا العِنَبِ أَنْ يُنَاطَ (٧) بالنُّحُورِ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُور . فَمَا هُوَ إِلَّا اللُّؤْلُؤُ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ البِحَار، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ (٨) .

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِـ ـيُّ لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارَا (٩)

وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ القَفَصُ، (حِصَّةٌ (١٠) مِنَ الحِصَصِ) . فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ فِي الأَقْفَاصِ، وَالقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَايَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بِدْعَ أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَّاتِهِ حَبَّاتُ القُلُوبِ، وَيُسْتَمْلَحَ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابُ (١١) المَحْبُوبِ . وَكَأَنَّ الثُّرَيَّا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ، فَغَرَ (١٢) الهِلَالُ فَاهُ لِعُنْقُودِهَا يُرِيدُ أَكْلَهُ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاءِ،

---

(١) يقال فلان ممن تحل له الحبى : أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبى : جمع حبوة وهى ما يجمع به بين الظهر والساق من حبل ونحوه . (٢) جمشه تجميشا : قرصه ولاعبه .

(٣) لا غرو : لا عجب . (٤) الراح : من أسماء الخمر . (٥) انتشى : سكر .

(٦) ثمل : سكر كذلك . (٧) يناط : يعلق . (٨) الصغار بضم الصاد : الصغير .

(٩) الكبار بضم الكاف : الكبير . (١٠) الحصة : النصيب والقسم عند الاقتسام واستعمالها فى الزمن مولد وهو المراد هنا . (١١) الرضاب بضم الراء : الريق .

(١٢) فغر فاه : فتحه .

وَيأخذُ عليها الطَّريقِ من الوَرَاء . وَهِيَ تَجْرِى مِن الأَمَامِ ، مَخَافَةَ الالْتِهَامِ . هـذا الجُرْدِ تَشَابُه فى الشَّكْلِ فَكَيْفَ بِالثُّرَيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حلاوةً وَرِيًّا (١) . فَلِلَّه تِلْكَ العَنَاقِيـدُ مَا أَشَـدَّ تَأَلُّقَهَا ، وَأَصْفَى مَاءَهَا وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا . مِنْ كُلِّ عُنْقُودٍ تَخَالُهُ عَمُودَ الصُّبْحِ (٢) أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِى ، أَوْ غُصْنَ البَانِ (٣) تَعَلَّقَتْ بِهِ القَمَارِى (٤) .

(١٥) السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (٥)

إنقاذٌ من الغرق (من رواية مجدولين) :

وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغْنَا شَاطِئَ النَّهْـرِ ، فَرَاعَنَا أَنَّا رَأَيْنَا هُنَـالِكَ جَمْعًا عَظِيمًا مِنَ النَّاسِ يَتَدَفَّعُ فَوْقَ الشَّاطِئِ الآخَرِ تَدَفُّعَ المَوْجِ المُتَرَاكِب ، وَيُشِيرُ إِلَى المَـاءِ بِأَصَابِعِهِ وَيُنَادِى : الغَرِيقَ الغَرِيقَ ! وَالنَّجْدَةَ النَّجْدَةَ ! فَالْتَفَتْنَا حَيْثُ أَشَارُوا ، فَإِذَا رَجُلٌ بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأَمْوَاجِ يُصَارِعُ المَوْتَ وَالمَوْتُ يَصْرَعُهُ ، وَيُغَالِبُ القَضَاءَ وَالقَضَاءُ يَغْلِبُهُ ، يَطْفُو تَارَةً فَيَمُدُّ يَدَهُ إِلَى النَّاسِ فَلَا يَجِدُ يَدًا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ ، وَيَرْسُبُ أُخْرَى حَتَّى تَنْبَسِطَ فَوْقَهُ صَفْحَةُ النَّهْرِ ، فَنَحْسَبُهُ مِنَ الهَالِكِينَ . وَمَا زَالَ يَتَخَبَّطُ وَيَتَشَبَّثُ ، وَيَظْهَرُ ثُمَّ يَخْتَفِى ، وَيَتَحَرَّكُ ثُمَّ يَسْكُنُ ، حَتَّى كَلَّ سَاعِدُهُ ، وَوَهَتْ قُوَّتُهُ ، وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ، وَاسْتَحَالَ

---

(١) الرِّىّ بالكسر : الشبع من الماء .

(٢) عمود الصبح : ضوءه .

(٣) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه فى اعتدال القوام .

(٤) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قمرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت .

(٥) نشأ السيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر ، واشتغل محررا بالمؤيد ، ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول ، فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كاتبا رقيق القول محكم النسج ، يجيد تصوير الشعور الحزين . وله شعر قليل . توفى سنة ١٣٤٣ هـ تاركا آثارا قلمية جميلة .

أديمه، ولم يبق بين أعيننا منه إلا رأس يضطرب، ويد تختلج. فبكى الباكون، وأعول المعولون، ونظر الناس بعضهم إلى بعض كأنما يتساءلون عن رجل رحيم، أو شهم كريم، وإنهم لكذلك إذا رجل عار يدفع الجمع بمنكبيه، ويمر بين الناس مر السهم إلى الرمية، حتى اندفع إلى النهر، وسبح حيث هبط الغريق فهبط وراءه. وما هي إلا نظرة والتفاتة أن انفرج الماء عنهما فاذا هما صاعدان وقد أمسك الرجل بذراع الغريق، فكبر الناس إعجابا بهمة المخلص، وفرحا بنجاة الغريق، ولكنا ما كدنا نستفيق من هذا المنظر المحزن حتى راعنا منظر آخر أجل منه وقعا وأعظم هولا، فقد رأينا الغريق كأنما جن جنونه فظن أن مخلصه يريد به شرا، وأنه ما أمسك بذراعه إلا وهو يريد أن يهوى به الى قاع الماء، فيعيده سيرته الأولى، فأفلت منه وضربه بجمع يده في صدره ضربة شديدة، ثم أنشب أظافره في عنقه، ولفه بساقيه لفة خلنا أن عظامه تئن لها أنينا، فاستيئس الرجل، وعلم أنه لا بد هالك، فرفع يديه إلى السماء، وهتف باسم يشبه اسمك يا مجدولين. فلم أفهم ماذا يريد، ولا من هي تلك التي يريد، ثم ما لبثنا أن هوى الماء بهما، وجرى مجراه فوقهما. فخفقت القلوب، ووجفت الصدور، وخفتت الأصوات، وامتدت الأعناق، وتواثبت الأحشاء، وتزايلت الأعضاء، ومشى اليأس في الرجاء، مشي الظلال في الأضواء، ومرت على ذلك دقائق لا تضطرب فيها موجة، ولا تهب نسمة، ففزعت إلى أبي ذاهلة حائرة، وقلت: أيتعذب الغرقى كثيرا في مصارعة الموت؟ فبكى لبكائي وقال: نعم يا بنية! ولقد يبلغ الأمر بأحدهم أن يدور بيده في قاع الماء يفتش عن صخرة يضرب بها رأسه ضربة قاضية يستريح بها من الآلام والأوجاع. فركعت

عَلَى كُثْبَانِ الرَّمْلِ، وَرَفَعْتُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ تُجَازِيَ بِالإِحْسَانِ سُوءًا، وَبِالْخَيْرِ شَرًّا، فَلَقَدْ أَبْلَى هَـذَا الرَّجُلُ فِي إِنْقَاذِ هَـذَا الغَرِيقِ بَلَاءً حَسَنًا، وَبَذَلَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ مَا ضَنَّ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا، فَامْدُدْ إِلَيْهِ يَدَكَ البَيْضَاءَ الَّتِي طَالَمَا أَنَرْتَ بِهَا ظُلُمَاتِ البَائِسِينَ، وَاكْشِفْ عَنْهُ كُرْبَتَهُ الَّتِي يُعَالِجُهَا، إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

ثُمَّ اسْتَغْرَقْتُ فِي دُعَائِي فَلَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا حَوْلِي، حَتَّى سَمِعْتُ ضَجَّةً عَلَى الشَّاطِئِ فَاسْتَفَقْتُ فَإِذَا النَّهْرُ يَتَثَاءَبُ عَنِ الرَّجُلِ، وَإِذَا الرَّجُلُ صَاعِدٌ وَحْدَهُ حَتَّى بَلَغَ سَطْحَ المَاءِ، فَهَتَفَ بِهِ النَّاسُ أَنِ انْجُ بِنَفْسِكَ فَقَدْ أَبْلَيْتَ، فَأَبَى عَلَيْهِ كَرَمُهُ وَوَفَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ قَاسِيًا أَوْ مُنْتَقِمًا . فَغَاصَ مَرَّةً أُخْرَى . وَعَادَ بِالغَرِيقِ يَحْمِلُهُ عَلَى كَتِفِهِ، وَمَا زَالَ يَسْبَحُ بِهِ حَتَّى بَلَغَ الشَّاطِئَ، فَسَقَطَا جَمِيعًا .

(١٦) سعد زغلول باشا (١)

وجه رحمه الله هذا النداء الى الأمة المصرية عقب عودته الى مصر فى صدر سنة ١٩٢١ :

رحّبت الأمة بعودة نوابها ترحيبا فاق كل ترحيب، وأعجز وصف كل كاتب وخطيب، فقد أتى أفرادها من كل ناحية بدافع من ضمائرهم النيّرة، وباعث من شعورهم الحى، ترتعش أعصابهم حماسة، وتخفق قلوبهم بالوطنية الصادقة للالتفاف حول من اتخذوهم رمز أمانيهم وعنوان مبادئهم . ولقد رأيت آيات الحكمة

(١) يعدّ سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية فى عصره . درس فى الأزهر دراسة استقلالية أعدّته ليكون كاتبا نابغا ومحاميا بارعا وقانونيا قديرا . كان زعيم النهضة السياسية حتى توفى سنة ١٩٢٧ م .

والكرامة والثبات تجلى فيما استقبلنا به من مظاهر الفرح الباهر — تلك الصفات التي تضمن للشعوب تقدمها وللأمم سعادتها . وشعرت من قبلات الترحيب التي غمرونا بها بحرارة قلب يخفق في جسم شعب عظيم . وقد اشترك الأموات والأحياء في أن يملوا على المجموع وكل فرد واجبه نحو الوطن العزيز . وأجمع الكل على مطالبتنا بمواصلة السير في الطريق الذي سنه الحق القويم . وإن الشرف والكرامة والإخلاص لوطننا المقدس لما يوجب علينا طاعة هذا الأمر الكريم ، والتزام هذا الطريق المستقيم .

إننا نشكر البلاد جميعها . قريبها وبعيدها ، على حلة الثقة التي زينتنا بها ، ونقسم بالوطن وشعائره المقدسة — ويشاركنا في هذا القسم العظيم أصحابنا المخلصون في جهادهم — أننا لا ندخر شيئا من وسعنا لتحقيق هذه الثقة الغالية ، ولا نتحول لحظة واحدة عن الغرض الذي وضعناه نصب عيوننا حتى نصل إليه .

إننا لم نعد إلا لنقوى بعزائم مواطنينا الكرام عزائمنا ، ونشد أزرنا باتحادهم المتين ، ونتمتع بمرآهم بعد طول هذه الغيبة ، ونتأكد من أن الاشتراك في المفاوضات الرسمية التي دعتنا الوزارة الجديدة له متفق مع المبادئ التي وضعتها الأمة ، وعاهدناها على احترامها ، ومع الخطة التي رسمتها وتعهدنا بمتابعتها . ولا شيء أحب الى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدة لأن تسترشد بإرادة الأمة ، وعاملة على تحقيق غايتها السامية .

لم يبق علينا إلا أن يعود كل منا إلى عمله ، ويقبل على شأنه ، فالتلميذ إلى مدرسته ، والفلاح إلى مزرعته ، والصانع إلى مصنعه ، والتاجر إلى متجره ،

والكاتب إلى مكتبه ، والمرأة إلى إدارة بيتها ، وعلى الكل من غنى وفقير أن يباشر عمله ، مراقبا أعمالنا ، واضعا نُصبَ عينيه المقصد الأسمى ، وأن يعتقد أنه يزيد بمـا يعمل فى كنوز الوطن كنزا و يضم الى قواه قوة .

إلى العمل جميعا . لنرفع منار الوطن ، ونعلى كلمته ، ولتحى مصر !!

(١٧) محمد بك المويلحى (١)

كتب من مصر الى منيف باشا وزير المعارف فى تركيا يعزيه فى ابنته :

الى الوزيرِ الذى تَرْتعش بنظرة منه عُقَد السياسـه ، حتى تَحلَّ من شـدة الارتجاف ، والأمير الذى يَنْتعشُ به سرورًا دَسْت الرِّياسة ، حتى يتيه على الأَسْلاف ، والفيلسوفِ الذى تفرّعتْ عنه أصول الحِكَم ، والهمامِ الذى أَعيا النجومَ أن تبارِيَه فى علوِّ الهِمَم . والرفيع الذى سارت عنه أمثالُ المجد المؤثَّل ، وانتشر على السُّمَّارِ حديثُ فضله المُرتَّل :

الى قُطْب الدنيا الذى لو بفضلِهِ مَدَحتُ بنى الدنيا كفتهم فَضَائلُه

من عبد لدولته له الشرفُ الأَسْنَى بهذه النِّسبة بعد أبيه ، والفخرُ الأَعلى بذلك وأفانينُ التِّيه . دَهَمه خبر المصاب الذى أَنْقَضَ ظهرَه ، وأَرْفَضَ دهرَه ؛ على أن الموتَ — أطال الله بقاء المجد بطول بقائك ، وأدام رَوْنَق الفضلِ بدوامك — بابٌ من

(١) هو ابن المرحوم ابراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب فى عصره ، وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . و يمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ، وتلاحم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف مالا يتعلق فيه بغباره . وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجما فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يحررها مع أبيه . توفى سنة ١٩٣٠ م .

أبواب الطبيعة لا مَفَـرَّ للانسان من ولوج فيه، وعَونٌ من أعوان الحياة لا بد للحىّ من تَوَافيه. وآسمُ الحياةِ لا مَعنًى له بغيرِ آسم الموت، ولفظُ العَيْش متضمِّنٌ للفظ الفَوْت. ولقد قيل لحكيم مثلِكَ : ما سببُ موتِ فلان ؟ قال : كَوْنُه ! فعجيب بعدَ ذلك من ابنِ آدمَ ثُكْلُه وحُزنُه، وإنى أتيقن أن مولاىَ الوزيرَ ماتجاسر أن يلمس أذيالَه رسولُ الحُزن والأَسَى، ولا عارضَ نورَ حِكمته عارضٌ من ظلمةِ ذاك الدُّجَى. وما تَسَنَّى لطُفَيلِيِّ الفَزَع أن يَتلمَّظَ على مائدة حلمه بعد آرتقاء هَضَبَاته. ولا طَمِعَ اشْعَبِيُّ الجزع فى استجداءٍ من مَعْدِن وقاره وثباته.

لكنما الفقيدة التى آختارت روحَها فداء لبناتِ معاليكَ ومجدك، ورضِيتْ أن تكونَ نفسها زكاةً لكنوز فضائلك وسعدك، تستوجب من جهتين، لا من جهة، أنواعَ الأَسَف، وينبغى لها إرسالُ الدمع المتذرِف، وآحتراق الكبد عليها من طَرَفين لا من طَرَف : الأول أن الوَرْدة قد اقتُطِفَت قبل إِبَّانها، وانتُزِعَت من أَفْنَانها قبل أَوَانها، واقتُنِصت الظَّبْيةُ من حَمَائِلها، قبل استكمال مَخَايِلها. واختُطِفَت الحمامة من وَكْرِها قبل أن يُطَوَّق جيدُها، ويَنْتَظِمَ نشيدُها، واقتُصِف الغُصن قبل إثماره، وانْمَحَق الهلال قبل إبداره. وحينَ البدء فى دور من أَدوارِه، وشعاع أمل لَفَّ عليه السحابُ رِدَاءَه، وساعة سرور نَبَذَها حَسَدُ الأيامِ والليالى وراءَه :

إن الفَجِيعَةَ بالرِّياضِ نَوَاضِرًا   لَأَجَلُّ منها بالرِّياضِ ذَوَابِلا

والثانى لأنى لستُ من رأى من ينسُب الى النبى أنه قال : « نعم الخَتَن القبر » ولا من رأى العرَب حينَ تَبَجَّح بمُصَاهرَة القبور، وهَضْم حقِّ الإِناث وتفضيل الذكور. ولا أرانى من مذهب الشيخ المَعَرىّ ومَن قبلَه حيث يقول :

ودَفْنٌ، والحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ، لإحداهُن إحدَى المَكْرُمَاتِ

ولا من جانب الفَرَزْدَق ويُرْوَى عنه :

وأَهْوَنُ مفقودٍ إذا المَوتُ نَالَهُ على المَرْءِ من أَصحابِهِ من تَقَنَّعَا

ولا ألتفتُ لناحية البُحتُرِيّ ويُنْشَدُ له :

ولَعَمْرِى مَا ٱلعَجْزُ عندِىَ إلَّا أن تبيتَ ٱلرجالُ تَبكِى النِّسَاءَ

فَسِيَّان فى حكم الطبيعة مُقَنَّعٌ بِلَامَة الحديد فى الهَيْجاء، ومُقَنَّعةٌ بلامة الحرير من النساء . وإنما الفضل بينهما لمن جاء بالعاقِبَة الحُسنَى، ولمن قل ضَرَرُه وأَتى بالنفع الأَسْنَى، وشَتَّانَ فى حكم الإنسانيـة بين قائد الجيش مُعْـلَم، وعَذراءَ تطرِّز فى ثوبها وتُنَمْنِم . ذاك يشـير بنانُه لِتَيْتِيم الأطفال ولتخريب البلاد، وتلك يشير بنانُها لحبات القلوب بعَقْد الوِدَاد . وفرقٌ عظيم بين يدٍ مُخَضَّبة بالدِّماء، وأخرى مخضَّبةٍ بالحِنَّاء . وبين من يحتَضِن الأطفالَ ويُرَبِّيها، وبين من يُشَتِّتها ويعذِّبها، وبين كف لا حِلْيَةَ لهـا إلا السيوفُ البَوَاتِر، وأُخرَى إنمـا حِلْيَتُها الخواتم والأَساوِر . وكم جلبَت تلك من فَظَائِعَ مشهورة، وكم لهذه من يدٍ بيضاءَ مشكورة :

وليسَ الخَمْسُ ضاربةٌ بسيفٍ نظـيرَ الخَمْسِ ضاربةٌ بِدُفٍّ
أُبَاغِى حَظَّـه بِقَنًا وخَيْـلٍ كباغِيــهِ بِمِنْـوَالٍ وحَفٍّ (١)

ومولاى أعز الله الفضل بوجوده يعلم حكاية إحدى العَذَارى مع عبدِ الله بن طاهرٍ إذ ردّت بوقفة منها أمام الجيش غَرْبَ الجيش عن قصدِه، وأدخلت سيفَ

---

(١) الحف بفتح الحاء وتشديد الفاء : المنسج .

القاهر الجبار فى غمْده، ونجّت قومها من الخراب ، وأنقذتهم من أليم العـذاب ، حتى قال عبدُ الله قصيدةً فى ذلك، منها :

نَحنُ قومٌ تُذيبُنا الأعينُ النُّجـ ـلُ على أنّنـا نُذيبُ الحَديدَا
طَوعَ أيدى الغَرام تَقتَادُنا الغيـ ـدُ ونَقتَاد بالطّعان الأُسُودا

والأخرى التى لهـا ما يماثِلُ ذلك معَ أحد ملوك الفُرْس وهو يحـارب قومَها فى بلاد يهوذا أثناءَ الزمن الأوّل، إلى غير ذلك من هذه الوقائع .

هذا ما قوّى وقع المصيبةِ فينا، وأمدَّ جيوشَ الهمومِ علينا . أما مولاى الوزير فما يُبْعِد الأَسفَ منه ، ويُزِيل الكَدَر عنه ، علمُه بضوء حكمتِه، ونور فلسفته، أنه ما فقد تلك الفقيدة، وما صارت عنـه بعيدة ، فهو يستَنشقها فى روائح الأزهار ، ويراها فى أغصانِ الأشجار ، ويسمع صوتَها فى صـوت الأطيار ، وتمر عليه فى ريح الصَّبا من ليالى الرَّبيع، ويشاهدها فى كل شكل لطيف أو بديع .

ألهمنا الله عليها جزيل الصَّبر، وألبَس مولاى الوزيرَ ثوبَ الأَجر، إن شاء الله.

وقال فى وصف الصباح (من كتابه حديث عيسى بن هشام) :

جلسنا نتجاذب أطرافَ الحديث، من قَديم فى الزمان وحَديث، الى أن صارت الليلةُ فى أُخرَيَات الشَّباب، واستهانَتْ بالإزار والنِّقَاب، ثم دبّ المَشيبُ فى فَوْدِها، وبانَ أثر الوَضَح فى جِلْدِها، فَعَبِثَتْ بالعقودِ والقَلائد، من الجَوَاهِر والفَرَائد، ونَزَعَتْ من صـدرِها كلَّ منثور ومنظوم ، من دُرَر الكواكب ولآلِئ النجـوم ، وأَلْقَت بالفَرْقَدَيْن من أُذنَيْهـا، وخَلَعَت خواتِم الثُّرَيّا من يَدَيْهـا، ثم إنها مَزّقَتْ جِلْبَابَهَا ،

وهتكت حجابها، وبرزت للناظرين عجوزاً شمطاء، ترتعد متوكئة على عصا الجوزاء، وتردد آخر أنفاس البقاء، فسترها الفجر بملاءته الزرقاء، ودرجها الصبح فى أرديته البيضاء، ثم قبرها فى جوف الفضاء، وقامت عليها بنات هديل، نائحة بالتسجيع والترتيل، ثم انقلب المأتم فى الحال عرس اجتلاء، وتبدل النحيب بالغناء، لإشراق عروس النهار، وإسفار مليكة البدور والأقمار .

وقال فى وصف الأهرام :

وقفنا هناك موقف الإجلال والإعظام، قبالة ذلك العلم الذى يطاول الروابى والأعلام، والهضبة التى تعلو الهضاب والآكام، والبنية التى تشرف على رضوى وشمام، وتبلى ببقائها جدة الليالى والأيام، وتطوى تحت ظلالها أقواماً بعد أقوام، وتفنى بدوامها أعمار السنين والأيام، خلقت ثياب الدهر وهى فى ثوبها القشيب، وشابت القرون وأخطأ قرنها وخط المشيب، ما برحت ثابتة تناطح مواقع النجوم، وتسخر بثواقب الشهب والرجوم، وتحدث حديث المشاهدة والعيان، ما تعاقب الفتيان، وتناوب الملوان، عن قدرة هذا الإنسان، فى بدائع الصنع والإتقان، وتنبئ عن قوة هذا الضعيف الضئيل، فى إقامة مثل هذا الأثر الجليل، وكيف لهذا الفانى البائد، أن يصدر عنه مثل هذا الباقى الخالد — وجل صنع القدير الخالق، فى تصوير هذا الحيوان الناطق، حيث جعله مصدرا للأعمال المتناقضة، والأفعال المتغايرة المتعارضة، فبينا تراه يصعد الى أجرام السماء وعوالمها، ويبحث بفكره فى رسومها ومعالمها، ويسير بعلمه فى أنحائها ومناكبها، ويهتدى لحساب أقمارها وكواكبها،

اذ تراه يعثر عثرة برجله، فيكون فيها منتهى أجله، أو يكبو فى طريقه، فيغص بريقه، فذاك الذى كبر وصغر، وعظم وحقر، وعز وذل، وكثر وقل، وصعد وهبط، وعلا وسقط، وصلح وفسد، وعرف وجحد، وسعد وشقى، وفنى وبقى؛ وسبحان القاهر فوق عباده.

ثانيا — النثر العلمى

(١) الشيخ عبد الرحمن الجبرتى [1]

قال فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف:

وهى أول سنى الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة، والوقائع النازلة، والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالى المحن، واختلال الزمن، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأهوال، واختلاف الأحوال، وفساد التدبير، وحصول التدمير، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [2].

فى يوم الأحد العاشر من شهر محرّم الحرام من هذه السنة وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الاسكندرية، ومضمونها أن فى يوم الخميس ثامنه حضر إلى

(١) هو مؤرخ مصرى ولد بمصر وتعلم فى الأزهر، ونسبته الى جبرت وهى الزيلع فى بلاد الحبشة. عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا فى الديوان. وكان مفتى الحنفية فى عهد محمد على باشا. وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه، قيد فيه حوادث مصر من سنة ١١٠٠ هـ الى سنة ١٢٣٦ هـ. وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قد قتل.

(٢) وردت الآية الكريمة فى الأصل «مهلك القرى» فأصلحناها.

الثغرَ عدةُ مراكب من مراكب الانجليز، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أيضا فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، واذا بقايق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار اليه بالإبرام والنقض، السيد محمد كريم الآتى ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فاخبروا أنهم إنكليز، حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة، يريدون جهة من الجهات، ولا ندرى أين قصدهم ، فربما دهموكم، فلا تقدرون على دفعهم ولا تمكنوا[1] من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول، وظن أنها مكيدة، وجاوبوهم بكلام خشن ! فقالت رُسُل الانكليز نحن نقف بمراكبنا فى البحر، محافظين على الثغر ، لانحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا غيرهم عليها سبيل، فاذهبوا عنا، فعندها عادت رسل الانكليز، وأقلعوا فى البحر، ليمتاروا من غير الاسكندرية ، وليقضى الله أمرا كان مفعولا ، ثم إن أهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان، ويأتى معهم للمحافظة بالثغر — فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس، وتحدثوا بذلك فيما بينهم، وكثرت المقالات والأراجيف .

(٢) للشيخ حسين المرصفي[2] فى التخلق ببعض الأخلاق

غير خافٍ أن التخلُّق بالكبر والخُيلاء والعُجب والتعاظم على الناس بما أفضل الله به على الإنسان : من علم وجاه ومال أمرٌ غيرُ حَسَنٍ؛ لما جُبلت عليه النفوس

(١) هكذا فى الأصل والصواب ولا تمكنون .

(٢) هو الشيخ حسين بن أحمد المرصفى تلق العلم فى الأزهر، ثم درس فيه وفى دار العلوم . وهو يعدّ بحق من أوائل أولئك الأفذاذ الأعلام الذين ردّوا على اللغة فى العصر الحديث ما كان لها من البهاء فى العصر القديم . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ وتجد أسلوبه يشبه أسلوب مقدّمة ابن خلدون فى السهولة والترتيب المنطق .

من الإباء والنُّفْرة عَمَّن يتعاظم عليها . فما أكثر ما بُدِّل حسن الوُد والتآلف بأشنع العداوة والتنافر، لكنْ لذلك موضعٌ يكون فيه حسَنا . و بيانه : أن من المشاهَد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تَعَيُّشه وتحصيل أغراضه إلى أُلفة ومودّة، واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يُحب لنفسه ، فاذا خرج بعض الناس عن الجمعيّة ، وسَعَى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبُه بما يُعيده إلى الصّلاح . ور بما كان التكبُّر والزَّهْوُ عليه أنكَى له ، وأَرْجَى لمثاب فكره ، وانحيازه إلى حَيِّز الاستقامة ، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فارسا من أصحابه يمشى بين الصفَّين مختالا ، يميلُ يمينا وشِمالا ، فقال : « هذه مِشيةٌ يكرهها الله تعالى إلا فى هذا الموضِع » ، فقد علمنا أن للتكبُّر موضعا يكون فيه حسَنا .

(٣) للشيخ محمد عبده(١) من رسالة التوحيد

القرآن :

جاءنا الخبر المتواتر الذى لا تتطرَّق إليه الريبةُ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نشأته وأُمّيته على الحال التى ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال : إنه أُنزِل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوبُ فى المصاحف ، المحفوظُ فى صدورِ مَن عُنِىَ بحفظه من المسلمين إلى اليوم .

---

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده فى محلة نصر من احدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغانى ، وكان أكثر الناس انتفاعا به . ثم نفى عقيب الثورة العرابية ، ولكنه عاد الى مصر وتولى التدريس والقضاء فى المحاكم الأهلية ثم الافتاء مجتهدا محققا . وقد توفى سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثارا ثمينة وطبقة من أنبه الطبقات المصرية .

كتاب حوى من أخبار الأمم المـاضية مافيه مُعتبَر للأجيال الحاضرة والمستقبلة؛ نقَّب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التى ألحقتها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العِبْرة فيها . حكَى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقصّ علينا مِن سِيرَهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرَّأهم ممـا رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . آخذَ العلماءَ من الملل المختلفـةِ على ما أفسدوا من عقائدهم وما خلطوا فى أحكامهم ، وما حرَّفوا بالتأويل فى كتبهم . وشرع للنـاس أحكاما تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمَل الجماعة ما كانت عند حدّ ما قرّره [(1)]، ثم عظمت المضرة فى إهمالهـا والانحراف عنها أو البعد بها عن الروح الذى أودعته ، ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعيَّة كما يتبين للناظر فى شرائع الأمم . ثم جاء بعد ذلك بحِكَم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب ، وتَهَش لاستقبالها العقول ، وتنصرف وراءها الهمم ، انصرافها فى السبيل الأمَم .

نزل القرآن فى عصر اتفق الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عنـد العرب وأغزرُها مادة فى الفصاحة ، وأنه المتـاز بين جميع ما تقـدّمه بوفرة رجال البلاغة ، وفُرسان الخطابة ، وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيـه من ثمـار العقل ونتائج الفِطَن والذكاء هو الغَلَب فى القول ، والسبق الى إصابة مكان الوجدان من القلوب ، ومقر الإذعان من العقول ، وتفانيهم فى المفاخرة بذلك ممـا لا يحتاج الى الإطالة فى بيانه .

(١) يريد : ما دامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم، والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لإبطال دعواه، وتكذيبه فى الإخبار عن الله، وإتيانهم فى ذلك على مبلغ آستطاعتهم، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته، والأمراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوأته، والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته . وقد اشتدّ جميع أولئك فى مقاومته، وانهالوا بقواهم عليه استكبارا عن الخضوع، وتمسكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم وحمية لعقائدهم وعقائد أسلافهم . وهو مع ذلك يُخَطّئُ آراءهم، ويسفّه أحلامهم ، ويحتقر أصنامهم، ويدعوهم الى ما لم تعهده أيامهم ، ولم تخفق لمثله أعلامهم، ولا حجة له بين يدى ذلك كله إلا تحديهم بالإتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب أو بعشر سُوَر من مثله . وكان فى آستطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به ليُبطلوا الحجة ويُفحموا صاحب الدعوة .

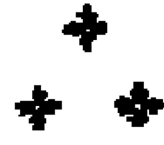
جاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدى، ولجاج القوم فى التعدّى، أصيبوا بالعجز، ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام .

(٤) ولقاسم أمين بك(١) من كتاب تحرير المرأة

إن طبيعة العصر الذى نحن فيه منافرةٌ للآستبداد، معاديةٌ للآستعباد، ميالة الى سَوْق القُوَى الإنسانية فى طريق واحد وغاية واحدة؛ فهذا الطائف الرحمانى الذى طاف على نفوس البشر، فنبّه منها ما كان غافلا لا بدّ أن ينال منه النساءُ نصيبهن .

(١) ينتمى إلى أصل كردى، ولكنه ولد بمصر وتعلم فيها، ودرس الحقوق، وترقى فى مناصب القضاء الى استشارة الاستئناف . وهو صاحب فكرة إصلاح شأن المرأة المسلمة، عالج ذلك فى كتابيه تحرير المرأة والمرأة الجديدة، وأسلوبه قوى واضح . توفى سنة ١٣٢٦ هـ .

فمن الواجب علينا أن نمُدّ اليهنّ يد المساعدة، ونعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة واليتيم» ولا شىء أدخلُ فى باب التقوى من تهذيب العقل وتكميل النفس وإعدادها بالتعليم والتربية الى مدافعة الرذائل ومقاومة الشهوات، ولا من حسن المعاملة واللطف فى المعاشرة . فعلينا أن نجعل الصلة بيننا وبينهن صلةَ محبة ورحمة لا صلةَ إكراه وقسوة . هـذا ما تفرِضه علينا الإنسانية، وتطالبنا به الشريعة ، وهو مع ذلك فريضـة وطنية يجب علينا أداؤها حتى تكون جميع أعضاء المجتمع عندنا حية عاملة قائمة بوظائفها .



المرأة الفلاحة تعرِف كلّ ما يعرفه الرجل الفلاح، مداركهما فى مُستوًى واحد لا يزيد أحدهما عن الآخر، مع أننا نرى أن المرأة فى الطبقة العُليا أو الوسطى متأخرةٌ عن الرجل بمسافات شاسعة؛ ذلك لأن الرجال فى هـذه الطبقات تربّتْ عقـولهم واستنارت بالعـلوم، ولم تتبعهم نساؤهم فى هـذه الحركة؛ بل وقفن فى الطريق . وهذا الاختلاف هو أكبر سبب فى شقاء الرجل والمرأة معا .

فالرجل المتعلم يُحب النظام والتنسيق فى منزله ، وله ذوق مهذّب يميل الى الأشكال اللطيفة ، والإحساسات الدقيقة ، والالتفاتات الرقيقة ، ويبلغ الاهتمام بها عند بعض الأفراد حدا ينتهى الى إهمال الأمور المادّية . يفهم بكلمة، ويودّ لو يفهم بالإشارة، يسكت فى أوقاتٍ ويتكلم فى أخرى، ويضحك فى غيرها . له أفكار يحبها ومذهب يشغَله ، وجمعية يخدُمها، ووطن يعزه . له لذائذ وآلام معنوية؛ فيبكى مع الفقير، ويحزن مع المظلوم، ويفرح بالخير للناس . وفى كل فكرة تتولد فى ذهنه ، وإحساس يؤثر على أعصابه،

يودّ أن يجد بجانبه انسانا آخر فيشرح له مايشعر به ويتسامر معه؛ وهذا ميل طبيعى يجده كل شخص من نفسه . فاذا كانت آمرأته جاهلة كتم أفراحه وأحزانه عنها، ولم يلبث أن يرى نفسه فى عالم وحده، وآمرأته فى عالم آخر؛ إذ هى تعتبر أن الرجل ما خُلق فى هذه الدنيا إلا ليشترى لها الأقمشة الغالية والجواهر النفيسة ، وليصرف أوقاته فى ملاطفتها كأنه صورة أكبر من الصور التى يشتريها لها والدها فى صغرها لتلهوَ بها.

ومتى رأى الرجلُ آمرأتَه بهذه المنزلة من الجهل بادر الى نفسه باحتقارها ، واعتبرها من الأعدام التى لا أثر لها فى شئونه . وهى متى رأتْه أهمل وأغضى ضاق صدرها، وظنت أنه يظلمها، وبكت سوءَ حظها الذى ساقها الى رجل لا يقدرها قدرها، ونبتت البغضاء فى قلبها . ومن ثم تبتدئ عيشة لا أظن أن الجحيمَ أشدُّ نكالًا منها؛ عيشة يرى كل منهما فيها أن صاحبه هو العَدوّ الذى يحول بينهَ وبين السعادة.

(٥) فتحى زغلول باشا (١)

من مقدّمته لكتاب سر تقدّم الإنجليز السكسونيين :

مِن الحَقَائِقِ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَنْهَضُ من رقْدَتِهَا ، وَلَا تَهُبُّ مِن سُبَاتِها ، إِلَّا اذَا خَلَصَت من قُيُودِهَا ، وفَارَقَتْهَا الأَمْرَاضُ الَّتِى تنهكُ قُوَاهَا وَتَحُطُّ من عَزِيمَتِهَا . وَلَا يَتَيَسَّرُ للأُمَّةِ أَنْ تَتخَلَّصَ مِن آلَامِهَا، وتَبرَأَ من أَمْرَاضِهَا إِلَّا إِذَا عَرَفَتْ أَسْبَابَهَا، وَأَحَاطَتْ

(١) ولد فى ابيانة وتعلم فى مدارس مصر ثم درس الحقوق فى فرانسا وعاد الى مصر فتقلب فى مناصب القضاء الى أن كان وكيل نظارة الحقانية .

وكان فقيها محققا ومترجما بارعا وخطيبا مفوها . شرح القانون المدنى وألف كتاب المحاماة وترجم سر تقدم الانجليز وسر تطور الأمم وروح الاجتماع ، وله أثر كبير فى أكثر ما وضع من القوانين المصرية فى أيامه . مات سنة ١٩١٤ م .

بمُوجِبَاتِ الضَّعفِ فيهَا . فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ يَطْلُبُ مَصْلَحَةَ أُمَّتِـهِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهَـا مَوَاضِعَ الضَّعفِ المُلِمِّ بِهَا حَتَّى إِذَا تَمَّ تَشْخِيصُ الدَّاءِ، سَهُلَتْ مَعْرِفَةُ الدَّوَاءِ . وَلَيْسَ مَنْ يُنكِرُ أَنَّنَا مُتَأَخِّرُونَ عَنْ أُمَمِ الغَربِ، وَأَنَّنَا أَمَامَهَا ضِعَافٌ، وَلَا نَستَطِيعُ مُغَالَبَتَهَا، وَلَا يَسَعُنَا أَنْ نَفُوزَ بِبُغْيَتِنَا مَا دُمْنَا وَدَامَتْ هَـذِهِ الحَالُ . نَحْنُ ضِعَافٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَقُومُ بِهِ حَيَاةُ الأُمَمِ، مُتَأَخِّرُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ مَدَارُ السَّعَادَةِ، ضِعَافٌ فِي الزِّرَاعَةِ وَهِيَ الأُسُّ المَتِينُ الذِي تَقُومُ بِهِ حَيَاةُ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ .

ضِعَافٌ فِي الصِّنَاعَةِ ، لِأَنَّنَـا أَهْمَلْنَاهَا وَجَهِلْنَا طَرَائِقَهَا ، فَأَصْبَحْنَا وَلَيْسَ مِنَّا إِلَّا الْفَعَلَةُ وَالحَمَّالُونَ وَمُنَفِّذُو إِرَادَةِ الأَجْنَبِيِّ . نَشْقَى لِيَسْعَدَ، وَنَمُوتُ لِيَحْيَا . هَـذِهِ المَعَامِلُ الفَسِيحَةُ، وَالمَصَانِـعُ العَظِيمَةُ الَّتِي أُقِيمَتْ بَيْنَ بُيُوتِنَا : كُلُّهَا لِلأَجْنَبِيِّ . وَإِذَا زُرْتَهَا وَجَدْتَهَا تَنقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ طَبِيعَةِ العَمَلِ المَطْلُوبِ ، وَفِي كُلِّ قِسْمٍ رَئِيسٌ مِنَ الإِفْرِنْجِ . وَالْكُلُّ بَعْدَ ذَلِكَ مِصْرِيُّونَ . هَذِهِ المَبَانِي الشَّاهِقَةُ، وَالْقُصُورُ الشَّامِخَةُ، شُيِّدَتْ كُلُّهَا بِيَدِ المِصْرِيِّينَ؛ لَكِنَّهُمْ كَانُوا فِي تَشْيِيدِهَا مِنَ الأُجَرَاءِ، يَعْمَلُونَ بِمَشِيئَةِ الأَجْنَبِيِّ وَلِفَائِدَةِ الأَجْنَبِيِّ .

ادْخُلْ بَيْتَ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِنَا، أَوْ بَيْتَ شَيْخٍ مِنْ عُلَمَائِنَا ، أَوْ بَيْتَ رَاهِبٍ مِنْ رُهْبَانِنَا ، أَوْ بَيْتَ حَقِيرٍ مِنْ أُجَرَائِنَا، ثُمَّ اعْدُدْ مَا فِيـهِ مِنْ أَنْوَاعِ الأَثَاثِ وَالأَمْتِعَةِ ، وَانْظُرْ إِلَى بِنَائِهِ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهُ، وَوَزِّعْ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى صَانِعِهِ، وَابْحَثْ عَنْ يَدِ المِصْرِيِّ فِيهِ، لَا تَجِدْهَا إِلَّا فِي قَطْعِ الأَحْجَارِ وَرَصِّهَا . وَمَا بَقِيَ كُلُّهُ مِنْ آنِيَـةِ طَعَامٍ ، وَمَوَائِدِ وَأَخْشَابٍ، وَأَطَالِسَ وَحَرَائِرَ، وَبُسُطٍ وَحَدِيدٍ، وَمَقَاعِدَ وَمَصَابِيحَ، وَأَكْوَابٍ وَمَفَاتِيحَ، وَأَلْوَانٍ وَمَلَابِسَ وَمَطَابِخَ، وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْ صُنْعِ الأَجْنَبِيِّ .

(٦) جرجى بك زيدان[1]

كتب فى الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية :

"الأسلوب العصرى الإنشائى"

إن كلامَنا عن الشعر فيما تقـدّم ينطبق على الإنشاء ؛ لأنهما من باب واحد ؛ فكان تأثير هذه النهضة عليهما على شكلٍ واحد . ولعل هذا التأثير ظهر فى الإنشاء أكثر من ظهوره فى الشعر، نعنى أن الكُتّاب أخذوا يعوّلون فيما يكتبونه على المعانى أكثر مما فعل الشعراء ، وكان الإنشاء فى أواخر العصر العثمانى قد أصبح المعوَّل فيـه على الألفاظ بين سجع وٱستعارة وتورية وجناس، بحيث يتعذر عليك الوصول الى المعنى؛ لمـا يتلبد حوله من الصور المبهمة . فلما أتتنا هذه المدنية بعلومها الطبيعية والرياضية المبنية على المشاهـدة والاختبار ؛ وتعوّد النـاس تقدير الوقت بتقريب المسافات ،وأخذت الحرية فى الشيوع ،أصبح الأدباء ينفِرون من ٱستعمال مالا حقيقة له ، ويَستنكِفون من إضاعة الوقت فى السجع البارد، أو تَكرار الألقاب والنعوت لمجرد التفخيم، وهان عليهم العدول الى الحقيقة بحيث يكون همُّ الكاتب موجَّها بالأكثر الى المعنى المراد إيضاحه . فأخذت هـذه الروح تسرى بين الكُتّاب من أواسط هـذا العصر؛ لكنهم لم يتفقوا على أسلوب واحد يتّخذونه ، فهم مجمعون على

(١) ولد فى بيروت ، واجتهد حتى أجاد العربية والانجليزية واللاتينية وأصاب حظا من الطب ، ثم غلبت عليه الكتابات الأدبية والتاريخية واللغوية . وقام وحده بعمل شاق فى ذلك حتى أنشأ الهلال وألف تاريخ آداب اللغة ومختصره وكتبا تاريخية واجتماعية وعدة روايات كذلك . وأسلوبه من النوع السهل الذى يقصد الى أداء المعنى . توفى سنة ١٩١٤ م .

أن الطريقة المدرسية المشوّشة كما وصلت إلينا، لا تنفع لغموضها وطولها، فتركوها واختلفوا فى الأسلوب الذى يعوّلون عليــه فيما يلائم روح هذا العصر، فرجعوا الى تحدّى أساليب القدماء، فبعضهم تحدّى أسلوب صـدر الإسلام، وآخرون قلدوا أساليب صدر الدولة العباسية ولا سيما أسلوب ابن المقفّع، وهو الغالب على ألسنتهم لسهولته ومتانته، على أن بعضهم يتوخى أسلوب ابن خلدون فى مقدّمته، وآخرون يقلدون الجاحظ أو غيره .

ذلك شأن الكتاب المنشئين الذين يهمهم تميق العبارة، ولا سيمـا فى المواضيع الخطابيــة التى تحتاج الى تقريع أو تهـديد أو إرهاب أو ترغيب . أما فى المواضيع العمومية، فقـد نشأ فى الإنشاء أسلوب عصرى بسيط لا يرى أصحابه حاجة إلى تميق العبارة والتأنق فى التركيب، وانما يجعلون همهم إيضاح المعنى وإيصاله الى ذهن القارئ بسهولة، وفيهم من يبالغ فى اهمال الصناعة اللفظية، ولو أخل بالإعراب، واستعمل العامى من الألفاظ . وهذا غلوّ يفسد اللغة ويضيعها . فيجب مع توخّى السهولة فى الإنشاء المحافظة على قواعد اللغة وروابطها .

(٧) الشيخ محمد بك الخضرى (١)

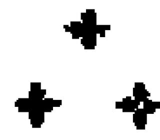
ممـا كتبه عن الدولة العباسية فى كتابه تاريخ الأمم الإسلامية :

قامت الدولةُ العباسيةُ وليس لهـا عصَبيَّةٌ عُنصُرِيةٌ تَشُد أَزرَها وتحمى بَيْضَتَها، وإنما عصبيتُها هؤلاء الموالى المصطَنَعُون، وعصبيةُ الوِلاء أو الحِلف قد تقوم مَقامَ

(١) درس الأسـتاذ الشيخ محمد بك الخضرى فى الأزهر ودار العـلوم، وتولى التدريس فى عدة مدارس أهمها القضاء الشرعى والجامعة الأهلية، وكان الأستاذ معنيا بأصول الدين ومسائله وكذلك التاريخ الإسلامى الذى أسندت اليه دراسته بالجامعة، وله عدة مؤلفات تاريخية وشرعية . توفى سنة ١٩٢٧ م .

عصبية القَرابة لولا ما يُكدِّرها من مَيل هؤلاء الموالى الى ٱسترجاعِ ما كان لآبائهم من المجـد الذى يتوارثون ذِكره، وقد وجد من هؤلاء الموالى فى بدء الدولة جماعة لهم قدم ثابتة فى الفارسية وفى الإسلام جعلهم العباسيونَ فى مقدمةِ من يعتمدون عليهِ . لم يترك العباسيون فى مبدإ أمرهم عصبيةَ العربِ ولم يُهملوا شأنها؛ بل ٱستعانوا بها لتكونَ لهم مَلجأً إذا رأوا من الموالى نُكوبًا عن جَادّة نُصرتهم، وميلًا الى الاستئثار بالسلطانِ دونَهم، فاصطَنعوا كثيرا من رجال العربِ وحُماتهم من ربيعةَ واليمنِ ومُضرَ، إلّا أنهم لم يلتفِتوا إلى إزالةِ ما بين هـذه القبائلِ من أسـباب العداء والنُّفرة ؛ بل بالعكسِ وُجد منهم مايدل على الميلِ إلى إنماء هذه الحميَّة ليستعينوا بفريق على الآخرِ .

لذلك كلِّه يمكننا أن نقول : إنه لم يكن للدولة العباسية فى بدء حياتها عصبيةٌ قوميةٌ متحدةُ الأوصالِ وثيقةُ العُرا ، وإنما كان الاسلامُ هو الذى يجمع بين تلك القُوى، والدينُ وان كان جامعا قويا لكنه إن لم يكن مُدَعَّما بعصبيةٍ قوميةٍ متحدة يَضعفُ عملُه . وٱعتبر هذا بما قدّمناه لكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان مما اعتبره أساسا لقوّته ومنبعا لحياته إماتةُ العصبية الجُزئية ، وسدُّ الباب دونَ ذكرها والتلفظ بها .



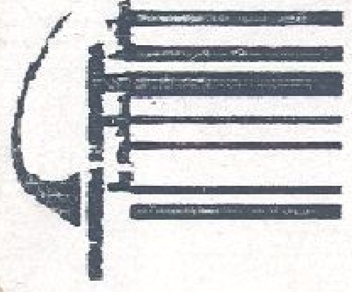
تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة
فى يوم ٢٠ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ (١٩ من أغسطس
سنة ١٩٣٥) م

مدير المطبعة الأميرية
محمد أمين بهجت

المطبعة الأميرية ٢١٣١ / ١٩٣٥ — ٢٥٠٠

المتنبي يمدح كافور ويهنئه بعيد ميلاده .

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ..
فلا أشتكي فيها ولا أتعتب
وبي ما يذود الشعر عني أقله
ولكن قلبي يا ابنة القوم قُلّب
وأخلاق كافور إذا شئت مدحه
وإن لم أشأ تملي علي وأكتب
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله
فإني أغني منذ حين وتشرب
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية
فجودك يكسوني وشغلك يسلب
يضاحك في ذا العيد كل حبيبه
حذائي وأبكي من أحب وأندب
أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم
وأين من المشتاق عنقاء مغرب
فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هم
فإنك أحلى في فؤادي وأعذب
وكل امرئ يولي الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب


Bibliotheca Alexandrina
06332828